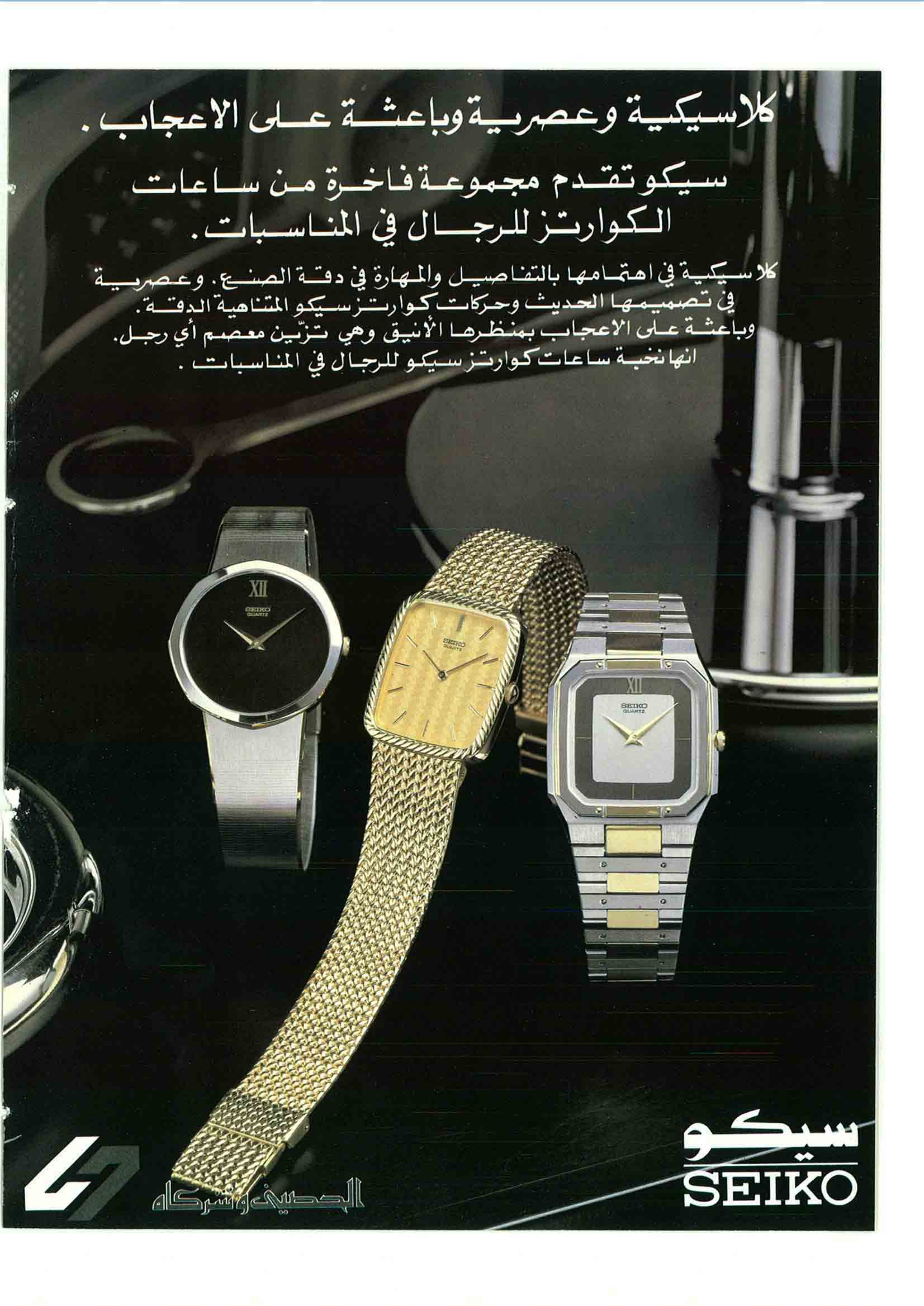


مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

العدد (٧١) ـ جمادى الأولى ١٤٠٣هـ ـ السنة السادسة ـ شباط (فبراير)/آذار (مارس) ١٩٨٣م .

ISSUE 71-SIXTH YEAR-FEBRUARY/MARSH 1983.



كلاسيكية وعصرية وباعثة على الاعجاب.
سيكو تقدم مجموعة فاخرة من ساعات
الكوارتز للرجال في المناسبات.
كلاسيكية في اهتمامها بالتفاصيل والمهارة في دقة الصنع. وعصرية
في تصميمها الحديث وحركات كوارتز سيكو المتناهية الدقة.
وباعثة على الاعجاب بمنظرها الأنيق وهي تزّين معصم أي رجل.
انها نخبة ساعات كوارتز سيكو للرجال في المناسبات.
SEIKO
QUARTZ
سيكو
SEIKO
الحصيني وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 71-SIXTH YEAR-FEBRUARY/MARSH 1983.

العدد (٧١) ـ جمادى الأولى ١٤٠٣هـ ـ السنة السادسة ـ شباط (فبراير)/آذار (مارس) ١٩٨٣م

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

المراسلات : — All Correspondence To:

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
Riyadh-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027-TELEX 202600 DRFATH Sj

EUROPE – AMERICA – ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج.ع. اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠٠ مليم	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R.250

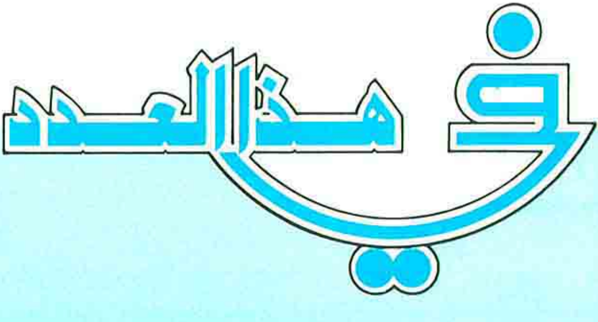
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفــراد ١٥٠ ريالا سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص.ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢ ، العمارية ٤٦٥٨٩٩٠









عبد السلام هاشم حافظ

★ من مواليد المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٤٧ هـ .

★ عمل أميناً لمكتبة مشروع توسعة الحرم الشريف ، ثم مراقباً للمطبوعات في فرع وزارة الإعلام بالمدينة المنورة .

★ اشترك في أكثر من مسابقة ، وفاز بحثه عن الإمام ابن تيمية بالجائزة الثانية ، وحصل على الميدالية الفضية من لجنة الشعراء العالميين في إنجلترا .

★ له عدد من دواوين الشعر ومؤلفات أدبية مطبوعة أخرى .



د . عبدو مسوح

★ من مواليد حمص ـ سورية عام ١٩٢١ م .

★ دكتوراه في الطب ، وشهادة في الإدارة العليا .

★ يجيد الفرنسية والإنجليزية .

★ عمل طبيباً في جهات مختلفة .

★ يعمل حالياً رئيساً للدائرة الطبية في الشركة السورية لنقل النفط .



★ له ديوان مطبوع بعنوان (سُبْحَة من ينبوع) ، وله دواوين أخرى غير مطبوعة .

★ عضو اتحاد الكتّاب العرب في سورية .



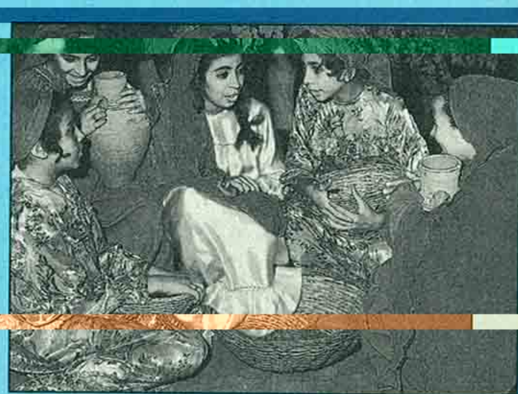
إبراهيم محمد الفحّام

★ من مواليد الإسكندرية ـ مصر عام ١٩٢٦ م .

★ ليسانس حقوق ، ودبلوم كلية الشرطة ، ودبلوم معهد الدراسات العليا لضباط الشرطة .

★ عمل في وظائف عديدة في سلك الإدارة والشرطة .

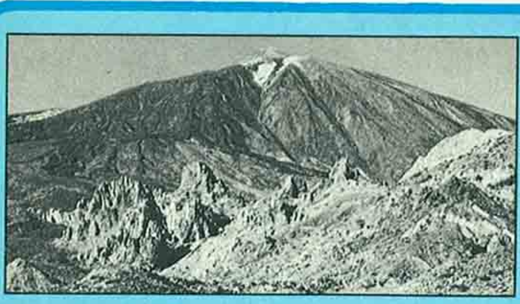
●● « الحرانية » .. قرية مصرية ، صارت علماً ، على نهج خاص ، في الإبداع الفني ، في فن المنسوجات ، حيث يقوم أطفال قرويون بتشكيل لوحات نسجية تقوم على الخيوط والنول لينتجوا أشكالا للطيور والأشجار من غير رسم أمامهم يرشدهم ! . طالع ص (٣٥) .



●● « مكتشفو بلاد العرب ، منذ عهد النهضة ، حتى العصر الفيكتوري » .. كتاب يصور رحلات تسعة من المغامرين الذين جابوا أرجاء الجزيرة العربية ، من جنسيات أوروبية مختلفة .. أغلبهم دخلوا مكة والمدينة تحت أسماء إسلامية مستعارة ! . طالع ص (٨٣) .



●● ستصبح « الكهرباء » وسيلة علاج شائعة وأساسية ، مثلها مثل الجراحة ، أو الأدوية اليوم ، بل ربما تغني عنها ، في كثير من الحالات . توضع ملفات كهربائية حول الجرح ، لفترة اثنتي عشرة ساعة يومياً .. فيلتئم الجرح ، أو الكسر في العظام من ٤ ـ ٦ شهور ، دون شعور بأي ألم ! . طالع ص (١١١) .



●● في صباح ١٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٣ م ، لاحظ ربان إحدى سفن صيد الأسماك ، قرب شواطئ « أيسلندة » دخاناً يتصاعد من سطح البحر . اعتقد أن النار قد شبت في إحدى السفن المنكوبة . اقترب من السفينة بحذر ، لمد يد العون ، ولما أصبح في محاذاة السفينة .. انكشفت له الحقيقة .. ! . طالع ص (٩١) .



●● كان هناك ثمة اعتقاد بأن أسماك « السالمون » ـ كمخلوقات ـ لها صفة الخلود ! .. فقالت الأساطير والحكايات الشعبية القديمة ، إن أسماك السالمون مخلوقات خالدة ، تأتي من « قرى » قاصية أو من تحت الماء ، حيث تقدم لحومها هدية إلى قاطني اليابسة .. ! . طالع ص (١٠٤) .

★ أحيل إلى المعاش ، وهو يقوم بعمل نائب مدير الإدارة العامة للتنظيم والإدارة بوزارة الداخلية .

★ له مجموعة من المؤلفات .

★ عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، وجمعية القادة الإداريين .. وجمعيات أخرى .





إنجي سندباد

★ أديبة مصرية .

★ كلية الآداب ـ قسم الصحافة ـ جامعة القاهرة .

★ شهادة تربوية باللغة الفرنسية « PEDAGOGIE » .

★ عملت بالتدريس ، ثم تفرغت للكتابة .



★ كتبت القصة القصيرة ، والمقالة النقدية ، في الصحف والمجلات المصرية والعربية .

★ حصلت على إحدى [illegible] ، وإحدى جوائز مسابقة « شوقي وحافظ » من رابطة الأدب الحديث ، وشهادة تقدير من الجمعية العربية للفنون والثقافة والإعلام .



سامي حمام

★ من مواليد (منزل تميم) في تونس عام ١٩٤٧ م .



★ الثانوية العامة .

★ يجيد الفرنسية .

★ له مجموعة قصصية مطبوعة بعنوان (لاهثون معي) ، ولديه مجموعات قصصية لم تطبع .

★ يعمل في تنشيط الثقافة .





وداعاً .. عام الكبار

دون أن نعلم .. ودون أن نقول له « وداعاً » .. ذهب دون أن يلوح لنا بيديه الكليلتين علامة الرحيل .. هكذا فجأة ودعنا « عام الكبار » ، أو « عام المسنين » .. ذهب كما جاء .. كل ما فعله أنه وضع توقيعه على « دفتر الدوام » في الأمم المتحدة كأي موظف بليد لا يحسن القيام بواجباته .

ونحن .. أسرة مجلة « الفيصل » الذين احتفينا به .. وقلدناه « الأوسمة » .. ووضعنا على كتفيه « النياشين » .. وكنا معه في مسيرته « الجنائزية » طوال العام من خلال عدد لا بأس به من « البكائيات الميلودرامية » لم نشعر برحيله .. رحل بآلامه « المسنة » ، وآماله « الخائبة » .. مثله مثل « عام الطفل » .. و « عام المعوقين » الدوليين !! .

وقد اعتدنا في هذه المجلة الاحتفاء بالأعوام التي خصصتها الهيئة الدولية للأقليات الضعيفة المستضعفة المتكاثرة نتيجة الإهمال .. والحروب .. والمجاعات .. والتسابق على تكديس أدوات القتل والدمار .. والتجويع الذي يتزعمه الأقوياء من الكبار .

ولأننا لا نجيد إلا لغة الكلام فإن احتفاءنا كان « بضاعة كلام » .. في عصر اعتاد على أصوات التفجير .. وقنابل النابالم .. والعنقودية .. والانشطارية .. عصر لا يعرف التفاهم بلغة الكلام قدر معرفته بلغة القوة والبطش والغزو .

فماذا تجدي لغة الكلام في مواجهة سعار التوسع .. وجحيم الغزو .. ونار المدافع الصاروخية .. والموت النووي الذي يهدد « الأطفال » و « المعوقين » و « المسنين » ؟ .

لقد كان لصوت الكلمة في العصور السابقة أثره وتأثيره .. أما اليوم في عصر بني صهيون .. وبيجن .. وشارون .. وعصاباتهم ، ومن ورائهم الدول الكبيرة ، وعلى رأسهم « الأنكل سام » فإن صوت الحرب هو الصوت الكبير المؤثر .. وأصبحت الكلمة عبارة عن امرأة مطعون في شرفها وكرامتها !! .

وداعاً .. عام الكبار .. نقولها بعد الوداع .. في وقت يموت فيه الصغار ، والمعوقون ، والكبار في لبنان ، وفلسطين ، وأفغانستان ، والعراق ، وإيران ، واليمن ، والقرن الأفريقي .. وفي غيرها من بلاد الضعفاء والفقراء والمستضعفين .. والله المستعان !! .

عالم المشكلات

في هذا العدد يطالع القارئ موضوعاً جديداً يعالج فيه كاتبه جانباً هاماً من جوانب مشكلات العالم الثالث .. أو الفقير .. أو النامي .. أو الجنوبي – ما أكثر أسماء القطر ، وما أقل القطر بنفسه – هي « مشكلة سياسة التوسع في التعليم » .. وهو موضوع حيوي يحتاج إلى تسليط الأضواء عليه لأنه يمثل المنطلق الإيجابي في حل العديد من مشاكل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في هذا العالم الذي تفترسه المجاعات والأوبئة والأمراض ، وكل عوامل التخلف .. كما يرى علماء الاقتصاد والاجتماع .

والدراسة تحكمها الأرقام في عصر الأرقام حيث تكشف عن وجود (٢٥٠) مليوناً من الأطفال بدون مدارس ، وأكثر من (٦٠٠) مليون من الكبار أميون في الوقت الذي ينعم سكان الدول المتقدمة والصناعية برفاهية التعليم لا ضروراته .

وتأتي قضية « هجرة العقول » من بلدانها النامية الأصلية إلى البلدان المتقدمة لتوافر وسائل وأسباب العمل ، واكتساب مزيد من الخبرات ، إلى جانب المردود المادي المرتفع .. تأتي هذه القضية صورة سلبية من سلبيات التوسع في التعليم بالدول النامية .

ومن أكبر المشاكل التي تواجهها السياسة التعليمية في بلدان العالم الثالث – كما تشير الدراسة – هي مشكلة « الانفجار السكاني » التي فاقت تصورات خطط وسياسات التعليم وتوقعاتها .

والدراسة لا تقف عند سرد المشكلات التي تعترض سياسة التوسع في التعليم في البلدان النامية بل تساهم في وضع الحلول التي تراها مناسبة لإيجاد نوع آخر من السياسات والخطط يفرضها الواقع ، وتحتمها ظروف هذه البلدان القائمة أساساً على الزراعة .

ولعل دراسة « المعلومات .. ودورها في خدمة البحث والمجتمع » المنشورة في هذا العدد تشير إلى قضية هامة من القضايا التي يؤدي غيابها إلى فشل الدراسات والخطط الموضوعة لحل مشكلات العالم النامي .. فحين تعد الدراسات والخطط بمنأى – أو في غياب – توافر المعلومات فإن النتائج عادة ما تفرز مزيداً من السلبيات .. وهذه الدراسة تكشف عن أهمية ودور المعلومات في خدمة الدراسات ، وصناعة المتغيرات الإيجابية .

إذن .. فإن هذه الدراسة تأتي مكملة لدراسة قضية مشكلات التوسع في التعليم في الدول النامية .

رئيس التحرير

الحركة الثقافية

في شهر

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



- أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية .
- أخبار عن مخطوطات محققة ، ومكتشفة .
- الدكتور الدفاع عضواً في لجنة موسوعة الحضارة الإسلامية بالأردن ، ومحمود شاكر عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- إقامة معرض دولي للكتاب بالقاهرة .
- سلسلة كتب جديدة في السعودية .
- إنشاء مركز فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية .



- جائزة إسلامية عالمية بباكستان .
- وفاة الشاعر الباكستاني جولاندوري .
- العربية .. لغة رسمية في مجلس الأمن الدولي .
- إقرار التعليم الإسلامي في مقاطعات المسلمين بتايلاند .
- الدكتوراه الفخرية للشاعر السعودي حسن القرشي .



في الوطن العربي

السعودية :

أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٠٣ هـ

● مخلوف (مصر)، وتنكو عبد الرحمن (ماليزيا) لخدمة الإسلام



★ الملك فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله ★

في مساء يوم الأربعاء ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ، الموافق، ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ م، أعلنت الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية بفروعها الخمسة (**خدمة الإسلام، الدراسات الإسلامية، الأدب العربي، الطب، العلوم**) أسماء الفائزين بالجائزة لعام ١٤٠٣ هـ، برئاسة **صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل رئيس مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية** التي انبثقت عنها الجائزة، **وصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس هيئة الجائزة، ومدير عام مؤسسة الملك فيصل الخيرية**.. وقد ألقى بيان الأمانة **الدكتور أحمد الضبيب أمين عام الجائزة.**

● حصل سماحة **الشيخ حسنين محمد مخلوف (من مصر)**، ومعالي **السيد تانكو عبد الرحمن (من ماليزيا)**، حصلا بالاشتراك على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام.

● وحصل **الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة (من مصر)** على **جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية** لعمله المتمثل في أحد عشر مجلداً بعنوان (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) (طالع ترجمة حياته في مكان آخر من هذا العدد).

● وحصل **الدكتور الأستاذ شوقي ضيف (من مصر)** على **جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي**، وذلك عن كتابيه «تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، والعصر العباسي الثاني»، إضافة إلى أعماله الأخرى في تاريخ الأدب العربي قديمه وحديثه في مشرقه ومغربه.. وغيرها من الأعمال (طالع ترجمة حياته في مكان آخر من هذا العدد).

● وحصل **البروفيسور والاس بيترز** (W. PETERS من بريطانيا) على **جائزة الملك فيصل العالمية للطب** تقديراً لإسهاماته في مكافحة الملاريا (طالع ترجمة حياته في مكان آخر من هذا العدد).

● أما **جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم** فقد **قررت لجنة الاختيار حجب الجائزة هذا العام، وتأجيل موضوعها (العلوم الأساسية ـ حقل الفيزياء)** إلى العام القادم، لإتاحة الفرصة أمام أكبر عدد ممكن من الفيزيائيين العالميين للتقدم إليها.

هذا.. وقد أعلنت الأمانة العامة للجائزة موضوعات الجائزة للعام القادم على النحو التالي:

★ **جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية (الدراسات التي**



★ الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله ★

● عضيمة (مصر)
الدراسات الإسلامية

● شوقي ضيف (مصر)
الأدب العربي

● د. والاس بيترز (بريطانيا)
الطب

تناولت النظريات العامة في الفقه الإسلامي).

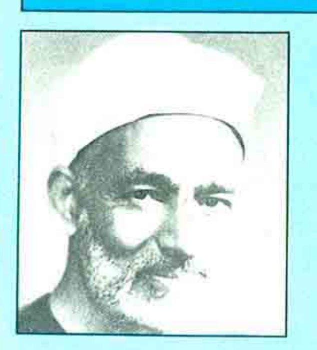
★ جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي (الدراسات التي تناولت الأدب العربي في القرن الرابع الهجري).

★ جائزة الملك فيصل العالمية للطب (في أمراض الإسهال).

وسوف تقيم هيئة الجائزة حفلها السنوي الكبير الذي يشرفه صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية لتسليم الفائزين جوائزهم في شهر جمادى الأولى (الحالي) ١٤٠٣هـ.



الشيخ حسنين محمد مخلوف



★ من مواليد ٦ مايو (أيار) بالقاهرة – مصر.

★ تلقى دروسه في مختلف العلوم على كبار الشيوخ في الأزهر.

★ حصل على الشهادة العالمية من الأزهر عام [illegible].

★ عمل في التدريس بالأزهر، ثم عُيِّن قاضياً بالمحاكم الشرعية، ثم أصبح رئيساً لمحكمة الإسكندرية في أواخر عام ١٩٤١م.

★ عُيِّن رئيساً للتفتيش الشرعي بوزارة العدل فساهم في المشروعات الاصلاحية الهامة.. ومنها إصلاح قانون المحاكم الشرعية، وقانون المجالس الحسبية، ومحاكم الطوائف المحلية.

★ قام بتدريس الشريعة في قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعي.

★ صدر مرسوم ملكي في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٢٤م، بتعيينه نائباً للمحكمة العليا الشرعية، ثم عُيِّن مفتياً للديار المصرية عام ١٩٤٥م.

★ بعد انتهاء مدة خدمته القانونية اتجه لخدمة المسلمين من خلال دروسه التي كان يلقيها في المساجد الكبيرة يومياً، ونشر العلم، وإصدار الفتاوى التي تنشرها الصحف.

★ اختير عضواً في هيئة كبار علماء الأزهر عام ١٩٤٨م.

★ منح كسوة التشريف العلمية مرتين.. إحداهما حين كان رئيساً لمحكمة طنطا، والأخرى حين كان مفتياً للديار المصرية.

★ اختير عضواً لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وتولى رئاسة جمعية النهوض بالدعوة الإسلامية، ولا يزال يعنى بشأنها ونشر قراراتها إلى الآن.



★ أهم مؤلفاته العلمية التي تقوم بدور هام لخدمة الإسلام والمسلمين هي :

١ ـ كتاب « كلمات القرآن ـ تفسير وبيان » .

٢ ـ كتاب « صفوة البيان في تفسير القرآن » .

٣ ـ كتاب « الفتاوى الشرعية » جزءان كبيران .

٤ ـ كتاب « المواريث » .

★ ومن رسائله في نشر الدعوة الإسلامية :

١ ـ رسالة في أخطار المعاصي والآثام ، ووجوب التوبة منها إلى الملك العلام .

٢ ـ رسالة في فضل القرآن العظيم وتلاوته .

٣ ـ رسالة في شرح أسماء الله الحسنى مطولة ، وأخرى مختصرة .

٤ ـ رسالة في دعاء يوم عرفة .

٥ ـ رسالة في ختم القرآن الكريم ، ووجوب بر الوالدين .

٦ ـ رسالة في تفسير آية الكرسي ، وسورة (الإخلاص) ، وسورة (الضحى) .

٧ ـ رسالة في تفسير سورة (القدر) .

٨ ـ أدعية من وحي القرآن الكريم والسنَّة .

٩ ـ رسالة في حكم الشريعة الإسلامية في مأتم الأربعين .

١٠ ـ رسالة في فضائل نصف شعبان .

١١ ـ نفحات زكية من السيرة النبوية .

١٢ ـ شرح الوصايا النبوية ـ من النبي صلى الله عليه وسلم لحليفه وعمه إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

١٣ ـ شرح وصايا الإمام علي بن أبي طالب لأحد أبنائه .

★ ما زال معنياً بالفتاوى ، ونشرها في الصحف في مسائل شتى ، ودعا إلى تأسيس جمعية المركز الإسلامي بأمبابة ، وأسس المركز عام ١٩٧٦ م .

★ دعا إلى تحفيظ القرآن وتجويده ، والعناية بالتربية الإسلامية ، ورعاية شؤون الفقراء والمساكين ومساعدتهم بتكوين لجنة للزكاة .

★ ساهم في إنشاء رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، وما زال عضواً في مجلسها التأسيسي .

★ قام بعدد من الرحلات ، واجتمع بعدد كبير من العلماء والدعاة ، وألقى مجموعة من المحاضرات والندوات .

★ يعد الآن رسالة بعنوان (الإسلام دين الحق والهدى والنور) ، وكان ما زال مدافعاً عن الإسلام ، وعاملاً على محاربة البدع والخرافات .

الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة



★ من مواليد محافظة الغربية ـ مركز طنطا ـ مصر عام ١٩١٠ م .

★ تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في معهد طنطا الديني .

★ حصل على إجازة في علوم اللغة العربية ـ كلية اللغة العربية بالقاهرة .

★ التحق بالدراسات العليا ، وتخرج عام ١٩٤٣ م ، وكان موضوع رسالته « أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية » .

★ عُيِّن مدرساً في كلية اللغة العربية بالقاهرة .

★ ابتعث إلى مكة المكرمة في أول بعثة أزهرية للمملكة العربية السعودية عام ١٩٤٦ م .

★ أقام بمكة المكرمة مجاوراً لبيت الله الحرام خمسة أعوام .

★ استغرق في تأليف كتابه (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) حوالي ٣٥ عاماً ، وقد نال به جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية لهذا العام ، والكتاب عبارة عن معجم نحوي صرفي للقرآن الكريم ، ويتكون من ١١ مجلداً .

★ أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

★ حائز على وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى من الأزهر الشريف .

★ له عدة مؤلفات في مواضيع اللغة العربية :

١ ـ المغني في تصريف الأفعال .

٢ ـ هادي الطريق إلى ذخائر التطبيق .

٣ ـ تحقيق المقتضب والتعليق عليه (أربعة أجزاء) .

٤ ـ فهارس كتاب سيبويه تقع في ٩١٢ صفحة .

٥ ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم (موضوع الجائزة) .

٦ ـ تحقيق كتاب المذكر والمؤنث لأبي بكر ابن الأنباري (جزءان) .

د . شوقي ضيف



★ من مواليد مصر .

★ حصل على شهادة ليسانس آداب ـ قسم اللغة العربية ـ كلية آداب جامعة القاهرة عام ١٩٣٥ م .

★ وحصل منها أيضاً على الماجستير والدكتوراه عام ١٩٤٢ م .

★ عمل بالتدريس في جامعة القاهرة حتى أحالته للمعاش عام ١٩٧٠ م ، رئيساً لقسم اللغة العربية ـ كلية الآداب .

★ عمل لمدة عامين بالتدريس في الجامعة الأردنية ، كما عمل بجامعة الكويت أستاذاً بقسم اللغة العربية لمدة أربعة أعوام .

★ حصـل على جـائزتي الأدب التشـجيعية والتقديرية في مصر .

★ عضو بمجمع اللغة العربية في القاهرة .

★ اختارته جـامعات عـربية وإسلامية وعـالمية عضواً محكماً في اللجـان العلميـة لـترقية الأسـاتذة في الأدب العربي .

★ **من مؤلفاته :**

١ ـ كتاب « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » (٥٢٤ ص) .

٢ ـ كتـاب « التـطور والتجـديد في الشـعر الأموى » (٣٣٩ ص) .

٣ ـ كتاب « الشـعر الغنـائي في المدينـة ومكة لعصر بني أمية » (٣٣١ ص) .

٤ ـ كتـاب « تـاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي » (٤٣٦ ص) .

٥ ـ كتـاب « تـاريخ الأدب العربي ـ العصر الإسلامي » (٤٩٢ ص) .

٦ ـ كتـاب « تـاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي الأول » (٥٧٦ ص) .

٧ ـ كتـاب « تـاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي الثاني » (٦٦٠ ص) .

٨ ـ كتـاب « تـاريخ الأدب العربي ـ عصر الدول والإمارات » .

٩ ـ كتاب « الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور » (٢٥٣ ص) .

١٠ ـ كتـاب « البحـث الأدبي ـ طبيعتـه ، ومناهجه ، وأصوله ، ومصادره » (٢٨٠ ص) .

١١ ـ كتاب « الرثاء » (١٠٨ صفحات) .

١٢ ـ كتاب « المقامة » (١٠٤ صفحات) .

١٣ ـ كتاب « الرحلات » (١٢٤ ص) .

١٤ ـ كتـاب « الـترجمة الشـخصية » (١٢٨ ص) .

١٥ ـ كتاب « ابن زيدون » (١١٩ ص) .

١٦ ـ كتاب « فصول من الشعر ونقده » (٣٦٨ ص) .

١٧ ـ كتاب « البطولة في الشعر العربي » .

★ **أعماله في الدراسات والتحقيقات :**

١ ـ الشبعة في القراءات (تحقيق) .

٢ ـ سورة الرحمن وسـور قصـار (عـرض ودراسة) .

٣ ـ المغرب في حلي المغـرب لابـن سـعيد (تحقيق) .

٤ ـ الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي (تحقيق) .

٥ ـ المدارس النحوية .

٦ ـ في النقد الأدبي .

٧ ـ النقد .

٨ ـ البلاغة .. تطور وتاريخ .

٩ ـ الأدب العربي المعاصر .

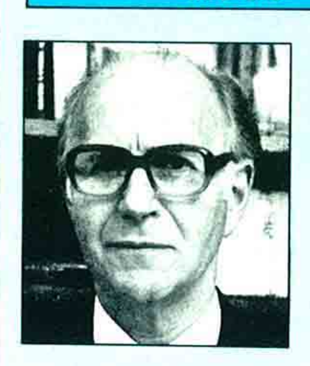
١٠ ـ دراسات في الشعر العربي المعاصر .

١١ ـ البارودي .. رائد الشعر الحديث .

١٢ ـ شوقي .. شاعر العصر الحديث .

١٣ ـ العقّاد .

البروفيسور (والاس بيترز)
W.PETERS



★ ولد في ١ أبريل (نيسان) عـام ١٩٢٤ م ، في لندن ـ إنجلترا .

★ تلقى تعليمه في لندن ، وتخرّج في كلية الطب (جامعة لندن) .

★ حصل على عدة درجات علمية عن أبحاثه .

★ انتخب لـزمالة الـكلية الملـكية لـلأمراض الباطنية عام ١٩٧٨ م .

★ مارس طب المناطق الاستوائية في شرق وغرب إفريقيا مـن عـام ١٩٤٧ م ، إلى عـام ١٩٥٣ م . منها عامان قضاهما في الخدمات الطبية للجيش الملكي .

★ التحق بجمعية كبار العلماء التي يطلق عليها (من) بوصفه عالماً في الحشريات ، ثم عالماً في الملاريا في كل من ليبيريا ونيبال (من عام ١٩٥٣ م ، إلى عام ١٩٥٥ م) .

★ بدأ دراساته عـن أوبئـة الملاريـا في غينيـا الجديدة ، وعملية مراقبة الهدف منها اختبار مـدى إمكانية محو الملاريا من هذه المنطقة الموبوءة تحت رعـاية الحكومة الأسـترالية (مـن عـام ١٩٥٦ م ، إلى عـام ١٩٦١ م) .

★ التحق بشركة (سيبا) للمستحضرات الطبية في مدينة (بازل) بسويسرا حيث أقـام معمـل أبحاث لدراسة العقاقير الطبية ضـد الملاريـا ، ومقـاومة هـذه العقاقير (من عام ١٩٦١ م ، إلى عام ١٩٦٦ م) .

★ عُيّن أستاذاً في أمراض الطفيليات بـالمناطق الاستوائية بكلية طب ليفربول .. وفي هذه الكلية بـدأ برنامجاً عظيماً للأبحاث عن العلاج الكيميائي لـلأمراض الطفيلية ، ومقاومة العقاقير الطبية (من عام ١٩٦٦ م ، إلى عام ١٩٧٩ م) .

★ تولى منصب عميد كلية طب ليفربول إلى جانب منصبه رئيساً لقسـم الـطفيليات (مـن عـام ١٩٧٥ م ، إلى عام ١٩٧٨ م) .

★ في عام ١٩٧٩ م ، عُيّن أستاذاً للبروزيات (وهو فرع من علم الأحياء يعنى بـدراسة الحيـوانات وحيدة الخلية) لطب المناطق الاستوائية والصحة العامة في لندن ، وما يزال يشغل هذه الوظيفة حتى الآن .

★ له عدة مـؤلفات عـن الملاريـا والأمـراض الوبائية ، وعـلم الحشرات ، وعـلم طفيليات الملاريا ، والعلاج الكيميائي للمـلاريا فضـلاً عـن الموضـوعات الأخرى المتعددة .

(طالع ترجمة تنكو بوترا عبد الـرحمن في صفحة ١٥) .





القضاء في المملكة

موضوع ندوة عقدت بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك تحت إشراف وتنظيم **اللجنة الثقافية بالجامعة** ، شارك فيها :

★ **الشيخ صالح بن محمد اللحيدان** عضو المجلس الأعلى للقضاء .

★ **الشيخ محمد بن سليمان البدر** رئيس محاكم [illegible] .

★ **الدكتور صالح بن فوزان الفوزان** مدير المعهد العالي للقضاء .

★ **الدكتور محمد بن عبد الله العجلان** وكيل الجامعة ومدير الندوة .

ومما يذكر أن الندوة قد عقدت مساء يوم الثلاثاء الموافق ١٤٠٣/٣/٢٧ هـ .

معرض لمطبوعات اليونسكو

أقيم بجامعة البترول والمعادن بالظهران معرض لمطبوعات « اليونسكو » وذلك بالمكتبة المركزية ، استمر خمسة أيام ، وضم أربعمائة كتاب من مطبوعات اليونسكو في مختلف حقول المعرفة . هذا وقد شاركت اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لوزارة المعارف في تنظيم هذا المعرض .

مسرح الطفل والمسابقة

أعلنت الشؤون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب عن مسابقة بعنوان **« المثالية والوفاء لمسرح الطفل »** يشترك فيها الكتّاب السعوديون من الجنسين على أن تستمد مواد هذه المسابقة من النواحي الإسلامية ، والتجارب التاريخية التي تعالج قضايا الأبناء كالمثالية ، والوفاء ، والشجاعة ، والإخلاص ، كما أن للمؤلف حرية اختيار القالب الذي يكتب به سواء التراجيديا ، أو الكوميديا ، أو في صورة أوبريت غنائية ، وأن يكون العمل حديثاً لم يسبق تقديمه أو إنتاجه ، وستقبل المكاتب الفرعية للرئاسة كل إنتاج في هذه المسابقة على أن لا يقل عن (٢٠) ورقة فولسكاب ، وآخر موعد هو العاشر من هذا الشهر « جمادى الأولى » .

* كتب جديدة *

● **« ديوان السلاطين _** دراسة وتحليل وتحقيق وتعليق » ،

كلمة

تيارات .. تواجه لغة الضاد

الصحراء مهد العربي الأول ، ومعهد ثقافته ، من صفائها طبيعته ، ومن عوالمها وأجوائها معارفه وعوارفه ، بالسماع تلقّى لغته من أهله العرب الخلّص . وبالتلقّي فصح منطقه ، وسلمت ألفاظه ، وصحّت تعبيراته .

ومرّت حقب وحقب ، وتبعتها أزمان وأجيال ، وتوالت على العربي أحداث [illegible] وبين معهده الأول وموطنه الأصيل ، وساح في الأنحاء والمناحي ، واختلط بالأعاجم ، وتفتحت عيناه على حيوات جديدة ، وثقافات أجنبية كان لا بد له أن ينفعل بها وأن تؤثر فيه .

ثم تفتّقت [illegible] ومقوماتها ، وتحمل _ فيما تحمل _ لغتها ، وخضعت اللغة العربية الحرة الأصيلة لهذه الاعتبارات ولتلك التيارات فتعددت _ من جرّاء ذلك _ لهجاتها ، وأصبح لكل قطر لهجة فيها خليط من عاميّ مبتذل ، وعربي فصيح ، وأعجمي دخيل .

وأطلّت **العامية** برأسها ، وما زالت تبتعد عن **الفصحى** حتى صارت لغة مستقلة ، لغة المشافهة والمخاطبة ، وغدا لها أنصار وحواريون يدافعون عنها ويمكّنون لها حتى صارت هي والعربية كفرسي رهان .. ثم قُدِّر لها أن تبزّ الفصحى من [illegible] ، وتكون مقصورة على المكاتبات الرسمية ، ومحصورة في نطاق الدواوين الحكومية .

وها هو ذا قطاع يُظهر مدى ذلك **الصراع بين العامية والفصحى** ، فالأمويون الذين تعصبوا للغتهم ولعروبتهم اختلطوا بالأعاجم والموالي ، فسرى في لغة تخاطبهم فساد ، ولكنه لم يستشر .. إذ استطاعوا أن يحصروا خطره ويحددوا مكانه .

وفي عهد **الدولة العباسية** مرّ على لغة التخاطب حين من الدهر باءت فيه بالفشل كل الجهود التي بذلت لحماية الألسنة حتى صار اللحن لازمة لكل عربي من سكان الحضر ، وهوّة تتردى فيها تعابير العامة والخاصة ، حتى أبناء الولاة والحكام الذين استقدم لهم المربّون والمؤدبون من أفاضل الرواة ، وأشياخ العربية من أمثال : **الشرقي القطامي** الذي أدّب **المهدي** ، **والكسائي** الذي أدّب **الأمين** ، **واليزيدي** الذي أدّب **المأمون** ، **والفرّاء** معلّم ولدي المأمون ، **ويعقوب بن السكيت** معلّم **المعتز** ، **والمبرّد** الذي أدّب ابن المعتز .. كل هؤلاء المعلمين والمربين لم يكن لجهودهم أثر في التمكين المرجوّ للفصحى ؛ لأن نشأة هؤلاء الأمراء بين أمهات وحاضنات وخدم أعاجم جعل العامية تطغى على ألسنتهم حتى حكم **المعتصم** على نفسه بأنه خليفة « أميّ » ؛ وذلك حين ورد كتاب من بعض العمال فقرأه عليه وزيره **أحمد بن عمار** فإذا في الكتاب ذكر للكلأ فقال المعتصم للوزير : ما الكلأ ؟ فقال الوزير : لا أدري !! فقال المعتصم : خليفة أميّ ووزير عاميّ !! ثم قال : انظروا من بالباب من الكتّاب ؟ فوجدوا **محمداً بن عبد الملك الزيات** ، فأُدخل عليه ، فسأله عن الكلأ ، فقال : أول النبات يسمى « **بقلاً** » فإذا نما قليلاً فهو « **الكلأ** » فإذا يبس وجفّ فهو « **الحشيش** » .

وقد ضعفت الملكات في العصر العباسي حتى رأينا الخلفاء والعلماء متورطين في اللحن والخطأ !! . إلا أن بعض خلفاء العباسيين _ لاسيما الأولين منهم _ رأوا أن اللغة هي الركيزة الدينية التي تقوم عليها دولتهم وتعظم بها سطوتهم وسلطتهم ، وراعهم سيطرة اللحن على الألسنة !! فدافعوا ذلك بمناصرة العربية ، وتشجيع علمائها واحتفائهم على ضبطها ، وإغراء الرواة بجمعها ، وبذلوا في ذلك الكثير من جهدهم وعنايتهم .

وقد وجّه بعض العلماء هممهم إلى إصلاح العامية كما فعل « **ثعلب** » في « فصيحه » ، وكما فعل **ابن خالويه النحوي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ، في كتابه « ليس في كلام العرب »** ، وكما فعل « **الصفدي** » **في كتابه « تصحيح التصحيف وتحريف التحريف »** ومع ذلك لم تُجد كل هاتيك الجهود نفعاً







★ محمد بن أحمد العقيلي ★ ★ د. أحمد كمال زكي ★ ★ أحمد محمد جمال ★

إعداد **محمد بن أحمد العقيلي**، صدر في **طبعته الثانية** عن **تهامة ضمن سلسلة مطبوعاتها**.

● «**شعراء السعودية المعاصرون**، التاريخ والواقع»، تأليف **الدكتور أحمد كمال زكي**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.

● «**مسائل وقضايا**»، تأليف **أحمد محمد جمال**، صدر **في جدة**.

مصر:

معرض للكتاب

أقيم بمدينة القاهرة «**معرض الكتاب الدولي**» وذلك على أرض المعارض في الجزيرة خلال شهر ربيع الثاني وأوائل هذا الشهر، اشترك في المعرض (٤٦) دولة منها عشر دول عربية، وبلغ عدد الناشرين (٥٨٤) ناشراً عرضوا فيه حوالي (١٥) مليون كتاب. هذا وقد أقيم المعرض تحت إشراف هيئة الكتاب المصرية.

محمود شاكر ومجمع اللغة العربية

فاز المحقق اللغوي «محمود شاكر» بعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وذلك في الانتخابات التي أجريت

★ محمود شاكر ★



يوم الاثنين الثالث من شهر ربيع الثاني عام ١٤٠٣ هـ، لاختيار أربعة أعضاء جدد في المجمع، وقد سبق له الفوز في العام الماضي «**بجائزة الدولة التقديرية للأدب في مصر**» وذلك لجهوده الكبيرة في خدمة التراث واللغة العربية.

ومما يذكر أن محمود شاكر له إنجازات كبيرة منها:

★ كتابه الشهير «مع المتنبي».

★ «أباطيل وأسمار».

★ برنامج طبقات فحول الشعراء».

وغيرها، وله عدة دواوين شعرية منها:

★ «القوس العذراء».

★ «أعصفي يا رياح».

حتى طمَّ سيل العامية وعمَّ الناس جلَّهم.. وقدّر للعامية آنئذ أن تحيا وتنمو حتى تميزت من العربية، بل ظهرت لها سطوة؛ إذ قيلت بها «**المواليا**» وبعض **الموشحات**، وكثر إقبال الناس على هذه الأنواع وإنشادهم إيّاها في مجتمعات العامة، حتى كان للعامية أدب كما كان للفصحى أدب!!.

وبعد هذه الانتفاضات الفكرية التي عمَّت العروبة في كل مكان نرى أن الفروق قد ضاقت إلى حد ما بين العامية والفصحى فكلما اتسعت دائرة التعليم، [illegible] والفصحى.

والواقع أن الكلمة «العامية» تخدعنا!! إذ هي سهلة لا عناء في استعمالها وتداولها، ولا إبهام في مدلولها.. من أجل ذلك جرت اللهجة العامية ـ أو اللغة العامية إن صح هذا المدلول ـ جرت على الشفاه وألفتها الأسماع في المنزل والمتجر والمزرعة والطريق..!!.

أما الكلمة العربية الخالصة، فهي كالغادة المحجَّبة لا يُعرف بهاؤها ولا يُرى رواؤها إلا بعد أن نُزيل القناع عنها، فيصير جمالها مشاعاً يتقاسمه الراؤون.

لذا علينا أن نجند طاقاتنا وإمكاناتنا في سبيل الدعوة للألفاظ الصحاح الفصاح حتى تُستعمل وتشيع.. وأن نُعبئ الجهود لنُعبّد للكلمة السليمة طريق الذيوع والانتشار، ونمهّد للتعبيرات السهلة السلسة ونمكّن لها حتى تتعوّدها الألسنة وتتناقلها الشفاه. وبذلك نُقصي الدخيل عن مجال الاستعمال، ونقضي على المبتذل الممجوج الذي ليس له عرق في لغة الضاد.

وعلى الآباء أن يرغبوا عن العامية ويُرغّبوا في الفصحى، ويستمسكوا باتخاذها أداة خطاب في **البيت**؛ ليجد فيها **الأبناء** منذ حداثتهم ونعومة أظفارهم ذخيرة وبضاعة وغُنية تغنيهم عن استعمال العامية المزجاة. وفي **المدرسة** تُلقَّن اللغة وقواعدها على يد المتخصصين من الأساتذة والمعلمين بطرق حديثة سهلة ميسرة، فاللغة في حاضرنا لا ملجأ لها إلا في المدرسة، أما إذا خرج التلميذ إلى **المجتمع** أو إلى **المنزل** أو إلى **الملعب** مع الأتراب طرح العربية جانباً وترك قواعدها إلى حين!! فلا عجب أن تبخرت القواعد وتبددت الأصول!!.

وعلى رجال اللغة و «المجمعيين» أن يبذلوا قصارى جهدهم في تقريب الفصيح ليكون سهل التناول والتداول قريب المأخذ ذائع الاستعمال في المنزل والمنتدى والمصنع والمزرعة، وأن يذللوا مشكلات (**النحو**) وتعقيدات علم (**الصرف**) فالتمحّل في الاستدلال واختلاق الأمثلة والشواهد، واختلاف الآراء في القاعدة الواحدة، بل في إعراب الكلمة الواحدة كل ذلك مما يُصدّع الرؤوس، ويثقل الأدمغة، ويكره النابتة في القواعد والأصول فترغب عند استعمال الفصيح.

ولا سبيل إلى نشر اللغة العربية الفصحى وجعلها لغة شعبية يتحدث بها الجميع في الشرق العربي إلا إذا حُرمت ـ بوساطة المسؤولين ـ استعمال اللهجات العامية على دور النشر والإعلام بعامة.

والعربية لغة كتاب سماوي مقدّس، هو آخر الكتب الإلهية، حفظ الفصحى في مواضي الحقب على توالي الأحداث والغيَر، ويحفظها الآن، وسيحفظها ما بقي في الكون إيمان، وما ظلّ لسان يردد آيات ذلك الكتاب الكامل، ويتلو سوره الخالدة.

على أنه مهما يكن من صراع بين العامية والفصحى فستبقى العربية الصحيحة الفصيحة ما بقي الإسلام وما بقي القرآن الكريم، مصداقاً لقول الله ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾.

ولغتنا الفصحى محصَّنة منيعة: محصَّنة بقواعدها وأغوارها العميقة العتيقة في مناحي العلم ونواحي الأدب وألوان التشريع، ولها أصالتها في التفكير والتعبير والإفهام، وهي همزة وصل بين الشعوب التي تجمعها وشائج الدم والدين



في الوطن العربي

والمعروف عنه وقفاته الشهيرة ضد طه حسين عندما شكك في صحة الشعر الجاهلي وترك الجامعة بسبب ذلك ، كما عارض **عبد العزيز فهمي** حول كتابه « اللغة العربية بحروف لاتينية » .

مهرجان طه حسين

استضافت « **جامعة المنيا المصرية** » الواقعة في قرية « عزبة الكلد » التي ولد فيها **الدكتور طه حسين** ، الشهر الماضي « **مهرجان إحياء ذكرى الأديب المصري الراحل الدكتور طه حسين** » ، حضره عدد كبير من أساتذة الجامعات العربية وأدباء العالم العربي ، وشعرائه ، والمشتغلين بتراث طه حسين .

العراق :

ترجمة عن ماركيز

أصدرت وزارة الإعلام العراقية ترجمة عربية عن الأديب الكولومبي « غابرييل غارسيا ماركيز » الحاصل على جائزة نوبل ، وهي من إعداد المترجم **كامل يوسف حسين** .

★ غابرييل غارسيا ماركيز ★

* كتب جديدة *

● « **عالم بلا خرائط** » ، **رواية مشتركة تأليف جبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف** ، صدرت في **بغداد** .

● « **السلامة في العمل** » ، تأليف **الدكتور حسني جبريل** ، صدر عن **وزارة الثقافة والإعلام** .

● « **سيكولوجية إدراك اللون والشكل** » ، تأليف **قاسم حسين صالح** ، صدر عن **دائرة الشؤون الثقافية بوزارة الثقافة والإعلام** .

الجزائر :

اكتشاف مخطوطات جديدة

عثر في مدينة (وهران) بالجزائر على أكثر من (٨٠٠) مخطوطة قديمة تتعلق مواضيعها بتاريخ مدينة « **موستغانم** » ، ومدينة « **تلمسان** » ، ومدينة « **سيدي بلعباس** » ، وتتضمن هذه المخطوطات إحصائيات فريدة من نوعها عن سكان الجهة الغربية من الجزائر ، وتمثل هذه المخطوطات ثروة تاريخية فريدة من نوعها ، إذ يعود تاريخ كتابتها إلى سنوات ١٨٣٣ م ، و ١٨٥٨ م ، و ١٨٦١ م ، وبواسطتها يمكن أن تعاد النظرة إلى تاريخ غرب الجزائر من جديد ، ويعد المؤرخون هذه الثروة بأنها نفيسة لا تقدر بثمن ، ذلك لأنها تتضمن معلومات عن بداية دخول **الاستعمار الفرنسي للجزائر** ، كما تعطي تفاصيل ضافية عن أسلوب الحياة والعادات والتقاليد في غرب الجزائر منذ القرن الماضي .

* كتب جديدة *

● « **الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر** » ، تأليف **أحمد دوغان** ، صدر عن **مجلة « آمال » التابعة لوزارة الثقافة الجزائرية** .

تونس :

* كتب جديدة *

● « **الخلافة الفاطمية في**



★ إبراهيم ناجي ★

تصويب

في مقال الدكتور بدوي طبانة الذي نشر في العدد (٧٠) بعنوان : « أضواء على جماعة الأمناء » ، ورد من بين أسماء الشعراء الذين برزوا في جماعة « أبولو » اسم الشاعر إبراهيم اليازجي .

بينما الصواب هو الشاعر إبراهيم ناجي . لهذا لزم التنويه .

والتاريخ . أما العامية فمن سوءاتها تباين لهجاتها في كل قطر عربي ، بل في القطر الواحد تتباين لهجات أهله ؛ من أجل ذلك لم تصلح العامية أن تكون صلة بين الأقطار العربية ، ومن أجل ذلك أيضاً كان من العسير أن تُقَنَّن لها قوانين تضبطها وتُقَعِّدها !! وكان من المتعذر أن تُتخذ لغة كتابة ودواوين ، وكيف تُتخذ وهي لا ضابط لها من قاعدة ولا رابط لها من قانون ؟! .

[illegible] دراسة لهجات العامية ، ولا من الدعوة إلى توحيدها والتقريب بينها ، ولا من إحلالها محل الفصحى في البلدان العربية .

وبعض الأدباء والمعلمين يتحاشون في تعبيراتهم استعمال كلمات يظنون واهمين أنها لكثرة دورانها على الألسنة ، وانتشارها من قبيل الألفاظ العامية ؛ فكلمة « الريِّس » على وزن « كيِّس » بمعنى الرئيس ، و « نعسان » لمن يستغرق في النوم ، و « الهرس » الأكل الشديد ، و « هُس » بضم الهاء ، كلمة للزجر ، و « الحنش » للثعبان ، و « التحويش » التجميع ، يقال هذا تحويش العمر كله ، و « الدنيا تدغَّش » أي تُظلم ، و « رشَّ » الماء في الحديقة ، و « نكش » الدولاب أخرج ما فيه ، و « الوشوشة » الهمس في الأذن ، و « الهبرة » القطعة من اللحم ، و « الصرَّة » ما يجمع فيها من دراهم وثياب ، و « المداس » ما يلبس في الرجل ، و « مرسال » بمعنى رسول ، و « الأسامي » جمع اسم .. فكل هاتيك الألفاظ ، وغيرها كثير ، ألفاظ صحاح فصاح وتعبيرات عربية لحماً ودماً تأوي من الفصحى إلى ركن شديد ، ويحتج لفصاحتها كل معجم أصيل .

د . محمود بن الشريف

الأستاذ بكلية الآداب ـ جامعة صنعاء اليمن الشمالية

المغرب من ٢٩٦ ـ ٣٦٢ هـ »، تأليف **الدكتور فرحات الدشراوي**، صدر في **تونس**.

● « **سياسة الصبيان وتدبيرهم** »، تأليف ابن الجزار القيرواني، صدر عن **الدار التونسية للنشر**.

البحرين:

جمعية للتاريخ والآثار

تأسست في البحرين جمعية باسم « **جمعية التاريخ والآثار البحرينية** »، ومن أهدافها العمل على تقوية الصلات والروابط الثقافية مع الجمعيات والمؤسسات المماثلة في البلاد العربية والأجنبية، وكل ما من شأنه نشر التراث الثقافي.

معرض للصور التاريخية

أقيم في المنامة معرض للصور التاريخية وذلك بمناسبة العيد الوطني للدولة، وذلك تحت إشراف وتنظيم إدارة التراث بوزارة الإعلام، ضم المعرض عدداً من الصور التي تمثل المظاهر الشعبية، والعادات والتقاليد، والحرف القديمة، والزيارات الرسمية، كما تناولت أحداثاً زمنية في عهد الحكام للدولة.

الكويت:

* كتب جديدة *

● « **أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي** »، تأليف **ليلى محمد صالح**، صدر في **الكويت** عن **مطابع اليقظة**.

كما **صدرت الكتب التالية** عن **مكتبة ذات السلاسل للطباعة والنشر**:

★ « **الدافعية في مجال العمل** »، تأليف **الدكتور علي عسكر**.

★ « **دراسات في السلوك البشري** »، تأليف **الدكتور علي عسكر وجعفر العريان**.

★ « **التربية الصحية بين النظرية والتطبيق** »، تأليف **الدكتور علي محمد زكي**.

الأردن:

تحقيق عدد من المخطوطات

يقوم عدد من أساتذة جامعة اليرموك في الأردن بتحقيق عدد من المخطوطات، وذلك تمهيداً لنشرها بدعم من الجامعة ضمن نشاطاتها في مجال خدمة التراث، من **أهم هذه المخطوطات**:

★ « **تبصرة المبتدئ** »، للعمبري.

★ « **الفاتحة في إعراب الفاتحة** »، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن.

★ « **التبصرة في القراءات السبع** »، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان.

★ « **تذكرة النحاة** »، لابن حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن.

★ « **حدائق الأزهر** »، لابن عاصم الأندلسي، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن.

الدكتور الدفاع عضواً

تم اختيار **الدكتور علي عبد الله الدفاع** عميد كلية العلوم بجامعة البترول والمعادن بالظهران **عضواً في لجنة موسوعة الحضارة الإسلامية** التي يقوم بإصدارها **المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن** (مؤسسة

تنكو بوترا عبد الرحمن

★ ولد عام ١٩٠٣ م.

★ درس في مدرسة الورستار في بانكوك، وكلية سانت كاترين بجامعة كامبردج.

★ حصل على ماجستير فخرية عام ١٩٧١ م، من أنرتمبال ـ لندن.

★ عُيّن رئيساً لجامعة الملايو عام ١٩٦٢ م، ورئيساً لاتحاد كرة القدم في الملايو، ورئيساً لاتحاد كرة القدم الآسيوي، ونائب رئيس مدى الحياة للجمعية الملكية للكومونولث.

★ دكتوراه في القانون من جامعة ملايو.

★ دكتوراه فخرية في الآداب من جامعة أرانيتا عام ١٩٥٨ م، وجامعة كامبردج عام ١٩٦٠ م، وجامعة سدني عام ١٩٦٠ م، وجامعة سايغون عام ١٩٦١ م، وجامعة اليجار الإسلامية عام ١٩٦٢ م، وجامعة سينز بماليزيا عام ١٩٧٥ م، وجامعة سيول القومية عام ١٩٦٥ م، وجامعة اكسفورد عام ١٩٧٠ م، وكان أيضاً رئيساً لمجلس الطوارئ الذي كان يقرر سياسة محاربة الحزب الشيوعي الماليزي.

★ رأس وفد بلاده إلى لندن للمفاوضة في استقلال الاتحاد في ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٥٥ م.

★ في ٣١ أغسطس (آب) عام ١٩٥٧ م، أصبح رئيساً للوزراء، ووزيراً للشؤون الخارجية، إلى جانب رئاسته لمجلس الطوارئ، ثم أصبح رئيساً للوزراء للمرة الثانية.

★ في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٥٩ م، أنشأ وزارة التنمية الريفية، وأصبح أيضاً وزيراً للخارجية في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٦٠ م، ووزيراً للإعلام والإذاعة عام ١٩٦١ م.

★ شغل منصب رئيس الوزراء في اتحاد الملايو، وحين تحول إلى « اتحاد ماليزيا » عام ١٩٦٣ م، أصبح رئيساً للوزراء للمرة الثالثة في أبريل (نيسان) عام ١٩٦٤ م، عقب انتخابات عامة، كما كان وزيراً للشؤون الخارجية والثقافة والشباب والرياضة، واستمر رئيساً للوزراء إلى عام ١٩٧٠ م.

★ **مؤلفاته**:

★ مسرحية « مهسوري »، مسرحية خيالية عن الملايو، ومسرحية « رجابر سيونج ».

★ انضم إلى الخدمة الحكومية في ولاية كداه عام ١٩٣١ م.

★ قام بدور رئيسي في تكوين المنظمة القومية الماليزية المتحدة.

★ أصبح رئيساً للمنظمة المذكورة في ولاية كداه عام ١٩٤٩ م.

★ في عام ١٩٥١ م، أصبح رئيساً عاماً لها.

★ عضو المجلس التشريعي الفدرالي من عام ١٩٥٥ م، إلى عام ١٩٧٣ م.

★ شغل منصب سكرتير عام المؤتمر الإسلامي في جدة من عام ١٩٦٩ م، إلى عام ١٩٧٣ م.

★ رئيس مجلس إدارة « دارستار » للمطبوعات في مدينة بينانج.





★ د. علي عبد الله الدفاع ★

آل البيت)، ومما يذكر أن الدكتور الدفاع عضو في الروابط العلمية التالية:

★ الجمعية الرياضية الأمريكية.

★ الجمعية الرياضية في تنيسي بأمريكا.

★ عضو في رابطة العلماء العرب.

★ عضو في الرابطة الإسلامية للعلماء والمهندسين.

★ عضو شرف في الرابطة الإيرانية للرياضيات.

★ عضو في جمعية الرياضيين والفيزيائيين العرب.

* كتب جديدة *

● «أرخبيل المسرات الميتة»، ديوان شعر للشاعر **محمد القيسي**، صدر عن **المؤسسة الصحفية بعمّان**.



فلسطين:

* كتب جديدة *

● «**الفاتح الأكبر**»، رواية تأليف **محفوظ أيوب**، صدرت عن **دار الكرمل للطباعة والنشر والتوزيع**.

● «**المساء المتلبس بالجريمة**»، **مجموعة قصصية للقاصة سها خليل**، صدرت في **الأرض المحتلة**.

● «**الوجه النضالي للأغنية الشعبية الفلسطينية في الكويت**»، تأليف **حلمي الزواتي**.

● «**قصائد ممنوعة التجوال**»، **مجموعة شعرية للشاعر حلمي الزواتي**.

● «**ترفض السّرج الجياد**»، **مجموعة شعرية للشاعر حلمي الزواتي**.

سوريا:

معرض دولي للرسم والحفر

أقيم في العاصمة السورية



أخبار الغد

مركز الفيصل للدراسات والبحوث الإسلامية

●● **أعلن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل مدير عام مؤسسة الملك فيصل الخيرية، ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية** بأن أضخم عمل سوف تضطلع به مؤسسة الملك فيصل الخيرية هو **إنشاء «مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية»**. هذا وسيؤسس المركز على أحدث الطرق العلمية الحديثة يستطيع من خلالها تقديم أفضل الخدمات للباحثين والدارسين في قضايا الإسلام والمسلمين على اختلاف أجناسهم، وجنسياتهم.

دليل عن أدباء السعودية

●● ستقوم **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون** بإعداد **دليل عن أدباء وأديبات السعودية** باسم «**دليل الأدباء السعوديين**» حيث سيتضمن رصداً كاملاً لأسماء وعناوين وإنتاج الأدباء، والأديبات، كما سيشتمل هذا الدليل الذي يعد الأول من نوعه على جميع المعلومات المطلوبة عن جميع الأدباء حيث سيكون شاملاً لجميع أعضاء الوسط الأدبي.

[نافذة]

خربة خزعة
وثيقة تدين الإرهاب الصهيوني

«خربة خزعة»، رواية للأديب الصهيوني «يزهار سميلانسكي» ترجمها للعربية **توفيق فياض**، وظهرت إلى حيز الوجود في المكتبة العربية عام ١٩٨١م، عن **دار الكلمة للنشر**.

ويزهار سميلانسكي من مواليد الأرض المحتلة بدأ حياته مدرّساً في مدرسة مستوطنة «بيت شيمن» اليهودية التي أقيمت على أرض «بيت عريف» العربية عام ١٩٠٦م، ثم التحق بالعصابات الصهيونية وشارك في حرب ١٩٤٨م، برتبة ضابط في الاستخبارات. وبعد الحرب عاد إلى التدريس في **مدرسة «رهوبوت»**، ثم أصبح عضواً في الكنيست الإسرائيلي عن قائمة «مباني — رافي» منذ قيام الكنيست وحتى عام ١٩٦٧م، عندما تخلى عن مقعده في الكنيست.

ويعتبر «يزهار» أول كاتب يهودي مولود في فلسطين وله مكانته المرموقة في الأدب العبري لتمكنه من اللغة العبرية.

وخربة خزعة، اسم وهمي لإحدى القرى العربية التي دمرت عام ١٩٤٨م، وقد تكون «خربة خزعة» هي خربة أخزاعة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة **خان يونس في قطاع غزة**، وربما هي «**خربة الخصاص**»، وعلى كل الأحوال فالاسم هو مستعار لكل القرى التي تأسس المشروع الصهيوني على أنقاضها، فخربة خزعة من خلال رواية «يزهار» هي قرية عربية هادئة طيبة، زرعها رائع ومليئة بالبيادر والحقول، جاءها جيش العصابات الصهيوني ليدمرها فوق رؤوس أصحابها العرب، وذلك في عام ١٩٤٨م. و«يزهار» كان أحد المشاركين في إبادة هذه القرية الوادعة، ويقول عن روايته «خربة خزعة»: المهم أن فحوى هذه القصة مبني على حقائق صحيحة قد وقعت بالفعل، لقد كنت ضابط استخبارات للكتيبة التي عملت في المنطقة، شاهد عيان لما حدث في القرية العربية التي لم يعد لها وجود الآن. وكنت شاهد عيان لتنفيذها، من مرحلة التخطيط وحتى انتهاء التنفيذ.

وكانت البداية في هذه العملية الوحشية لتدمير القرية الوادعة في فجر السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٤٨م، حين كلفت عدة

وحدات من جيش العدو الصهيوني التابعة للكتيبتين ١٥١ ، ١٥٢ بمهاجمة **مجموعة** القرى الفلسطينية الواقعة بين **المجدل وبيت حانون** ، والقيام بعملية « **تطهير** » شاملة لهذه القرى وهي : حمامة ، الجورة ، خربة الخصاص ، تعلبة ، الجبة ، بربرة ، هربيسا ، ديرسنيد . . وكانت هذه الوحدات الإرهابية قد زودت قبل خروجها للقيام بهذه المهمة القذرة بأمر قتالي واضح وصريح ، يحمل توقيع **النقيب يهودا يثيري « ديرلينسكي »** ضابط العمليات في أركان قطاع الساحل . . وكان هذا الأمر يقضي بقتل كل من يشتبه به من الأهالي ، وطرد من تبقى من قراهم ، ومنعهم من الرجوع إليها ، بهدمها وحرق بيوتها . . .

وقد اختصر « يزهار » أمر القتال هذا بقوله : « يتضح الآن بأية آمال كبيرة وأية نزاهة عيْ الخارجون إلى المهمة بعد أن ألقي على عاتقهم كل ذلك الـ « احرقوا ، انسفوا ، اعتقلوا ، حملوا ، اطردوا » ، ويتابع « يزهار » وصف هذه العملية حيث يقول : « يمكنني الرؤية بالترتيب وأن أبدأ بأحد الأيام المشرقة ، أحد أيام الصحو الشتائية ، وأن أوفق في وصف الانطلاق والرحلة . . ومن هنا كانت التلة مكشوفة أمامنا : فاتخذنا مواقعنا ، ونصبنا المدفع الرشاش ، وكنا جاهزين لأن نبدأ . . . تتابعت في الحال قذيفتان ضخمتان بدتا كما لو كانتا مثانتين تنتفخان بسرعة قصوى وتنفجران ، يندفع عالم من الصمت المدوي . . . » .

ويتابع الكاتب الصهيوني « يزهار » في وصف نسف أحد البيوت العربية فيقول : عندما انفجر أحد البيوت الحجرية بصوت يصم الآذان فجأة ، وبصعود من الغبار المتصاعد ، وشوهد سقفه من هنا وهو يرتفع قطعة مسطحة واحدة وسليمة ، كما هي ، ثم تصدعت وتحطمت في الفضاء فجأة ، فتناثرت وسقطت كتلاً ، كتلاً ، نتفاً ، نتفاً ، بغبار وبرد من حجارة . . .

ويوضح « يزهار » هدف هذه العملية الوحشية في تدمير القرية العربية « خربة خزعة » [illegible]
ما اسمها هذه ، سيأتي قادمون جدد ، هل تسمع ؟ وسيأخذون هذه الأرض ، ويفلحونها ، وسيكون هنا رائعاً : فلتحيا خزعة العبرية .

من ذا الذي سيطرأ على ذهنه ذات يوم ، بأنها كانت ذات مرة خربة خزعة التي طردنا أهلها وورثناها . وإننا جئنا ، أطلقنا النار ، حرقنا ، نسفنا ، ركلنا ، دفعنا ، وهجرنا ؟ » .

هذا ولا تخلو رواية « يزهار » من الأوصاف البشعة التي يلصقها بالعرب ، وهذه الأوصاف التي يطلقها « يزهار » على العرب يطلقها كافة الأدباء الصهاينة ليس على العرب وحدهم بل على كافة الشعوب والأمم ، وهذا مما دفع الشهيد **غسان كنفاني** للقول : « **في العمل الفني الصهيوني تتعرض كل شعوب العالم للاحتقار بدرجة أو بأخرى ، فاليونانيون أذلاء ، والعرب فراررون وخونة ، والإنكليز متواطئون والأميركيون انتهازيون** » .

هكذا كانت ولم تزل العصابات الصهيونية تخطط وتنفذ . . تخطط لتدمير القرى العربية وبناء المستعمرات والمستوطنات الصهيونية على أنقاضها ، وتنفذ القتل لكل ما هو عربي ، ورواية « خربة خزعة » التي صدرت بعد معارك عام ١٩٤٨ م ، بعام واحد تعتبر وثيقة صهيونية تدين وتفضح الإرهاب الوحشي الذي ترتكبه العصابات الصهيونية ضد الأرض العربية والإنسان العربي . فالعملية الوحشية لتدمير « خربة خزعة » حصلت كما أشرنا عام ١٩٤٨ م .

وكان « يزهار سميلانسكي » أحد المشاركين في هذه العملية الوحشية ، وفي عام ١٩٤٩ م ، صدرت هذه الرواية وأحدثت عند صدورها ضجة في الأوساط الصهيونية التي رأت فيها خطر انقلاب على الوعي الصهيوني العام الذي يدعي الحق على أرضنا الطيبة فلسطين ، وبعد اثنان وثلاثون عاماً من صدور هذه الرواية نقلت إلى العربية على يد **الأستاذ توفيق فياض** . . . وهذا يعني الكثير . . . يعني كم نحن مقصرون في تطبيق الشعار الذي طالما طرحناه « اعرف عدوك » .

فرواية مثل « خربة خزعة » كان من المفروض أن تنقل إلى العربية منذ زمن طويل . . كان من المفروض أن تترجم إلى كافة اللغات العالمية لتوضع هذه الوثيقة التي كتبها وشارك في أعمالها الوحشية أديب صهيوني ولد ونشأ على أرضنا الطيبة فلسطين ، لتوضع أمام الرأي العام العالمي ليرى ولو شيئاً بسيطاً من وحشية هذا العدو الصهيوني . . و « من فمك أدينك » .

شمس الدين العجلاني
دمشق ـ سورية

معرض فني دولي للرسم والحفر ، اشترك فيه فنانون من **سورية ، وألمانيا الاتحادية ، وإيران ، وإيطاليا ، وبلغاريا ، وتونس ، والصين ، وفرنسا ، واليابان ، واليونان** . هذا وقد استمر المعرض أسبوعين .

* كتب جديدة *

● « **المقصور والممدود** » ، للفراء ، تحقيق **عبد الإله النبهان ومحمد خير البقاعي** ، صدر عن **دار قتيبة بدمشق** .

● « **ديوان يحيى بن حكم الغزال** » ، **جمع ودراسة الدكتور محمد رضوان** ، صدر عن **دار قتيبة بدمشق** .

● « **المختار من معجم البلدان ـ قسم فلسطين** » ، تقديم **عبد الإله النبهان** ، صدر عن **وزارة الثقافة السورية** ضمن **سلسلة « المختار من التراث العربي »** .

لبنان :

* كتب جديدة *


★ أمين نخلة ★

● « **أساتذة النثر العربي** » ، للشاعر والناثر اللبناني **أمين نخلة** ، صدر عن **المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ببيروت** .

● « **مشكلة التضخم في الاقتصاد العربي** » ، تأليف **محمود عبد الفضيل** ، صدر عن **مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مجلس الوحدة الاقتصادية العربية** .



الباكستان :

جائزة إسلامية عالمية

أقر المجلس الإسلامي العالمي للثقافة والفنون بباكستان جائزة جديدة هي « جائزة الهجرة الثقافية للعالم الإسلامي »، وستمنح سنوياً لبعض الشخصيات في البلاد الإسلامية الذين خدموا قضية التكامل الإسلامي والسلام، كما ستمنح في مجالات الصحافة والإعلام والبحوث العلمية والمعمار والآداب والطب.

وفاة الشاعر جولاندوري

توفي الشاعر الباكستاني الشهير **« حفيظ جولاندوري »** الذي يعد من أبرز شعراء اللغة الأردية، والشاعر هو مؤلف **النشيد الوطني الباكستاني، والقصيدة الطويلة « الشاهنامة الإسلامية »**، وصاحب **« ديوان الغزل »** الذي استمر تأثيره على الشعر باللغة الأردية لفترة تزيد على الستين عاماً.

تايلاند :

الإسلام مادة إجبارية

أقر التعليم الإسلامي في كل المدارس الابتدائية والثانوية وذلك **في المقاطعات التي تسكنها أغلبية من المسلمين في تايلاند على حدود ماليزيا**. هذا وقد جاء إقراره في إطار إجراءات اجتماعية واقتصادية من أجل المقاطعات المسلمة، وتنفيذاً لهذا القرار فإن الطلبة المسلمين الذين يستخدمون لغة الملايو كلغة أصلية، سيتعلمون اللغة التايلاندية حتى يتم لهم تعلم العلوم الدينية الجديدة.

أمريكا :

طريقة حديثة للمحافظة على الكتب

توصلت مكتبة الكونغرس الأمريكية إلى طريقة جديدة لمعالجة الكتب القديمة وللمحافظة عليها من التلف التي من الممكن بها أن تعيش أكثر من ٥٠٠ عام، فقد كانت أغلب الكتب بالمكتبة التي ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر، مطبوعة على ورق خشبي معالج حمضياً ليعيش فترة تتراوح ما بين ٢٥ و ١٠٠ عام، وبعدها تتعرض للتلف أو الكز أثناء الاستخدام، وقد توصلت المكتبة إلى طريقة لاستخراج هذا الحامض من الورق عن طريق نقل حوالي (٥٠٠) كتاب إلى حجرة كانت مخصصة من قبل لاختبار معدات الفضاء، ثم فتح عليها الهواء فخرج منها الماء، ثم قامت بإطلاق نوعاً من الغاز اسمه « ديثيل الزنك » فتخلل الورق ليعالج الحامض فيه.

الدكتوراه الفخرية لشاعر سعودي

●● منح الشاعر والسفير السعودي « حسن عبد الله القرشي » درجة الدكتوراه الفخرية في الثقافة والآداب من (جامعة أريزونا) العالمية، وذلك بموجب توصية أمناء المائدة المستديرة بتلك الجامعة الذين أتيحت لهم فرصة الاطلاع على بعض مؤلفاته الشعرية والأدبية.

فرنسا :

وفاة جلبير سيجو

توفي في باريس عن عمر يناهز (٦٤) عاماً الكاتب الفرنسي « جلبير سيجو » الذي تلقى علومه الأدبية في مدينة **« ليون »** الفرنسية. عمل جلبير في دار « هاشيت » الفرنسية، وعمل صحفياً في عدد من دور النشر الفرنسية، كانت أول أعماله الأدبية التي نشرت في عام ١٩٤٦م، هي رواية **« الفوائد الكبرى »** وكذلك **« الأرض البعيدة »**، وفي عام ١٩٤٧م، صدرت روايته **« النهاية »**، إضافة إلى تلك الروايات فقد كتب دراسات نقدية عن **إميل زولا، وموبسان، وألكسندر دوماس**.

وفاة بول ونكلر

توفي عن (٨٤) عاماً الصحفي الفرنسي « بول ونكلر » الذي يعد علماً من أعلام الصحافة الفرنسية، فقد تولى إدارة صحيفة **« فرانس سوار »** لمدة طويلة. ومما يذكر أن ونكلر ولد في ٧ يوليو (تموز) عام ١٨٩٨م، وهو من أصل مجري، استقر في باريس منذ عام ١٩٢٥م، وأنشأ فيها وكالة صحفية أطلق عليها اسم **« أوبرا ماندي برس سرفيس »**، وقد حصل على الجنسية الفرنسية عام ١٩٣٢م، وأسس في عام ١٩٣٤م، **صحيفة « ميكي »** ومجلة **« روبنسون »** المتخصصة للأطفال، وعمل في الفترة ما بين عامي ١٩٤٣ ــ ١٩٤٥م، لصحيفة **« الواشنطن بوست »** الأمريكية، وقد حصل بول ونكلر على الميدالية الشرفية تقديراً لخدماته في مجال الصحافة.

كوبا :

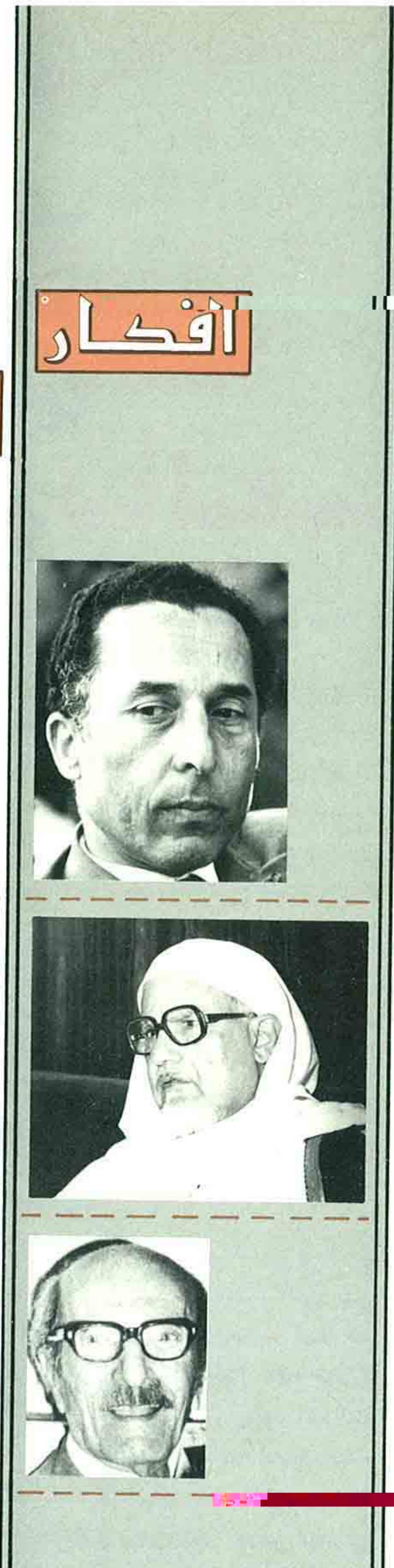
ماركيز وجائزة كوبية

حصل الكاتب العالمي، الكولومبي الأصل « غابرييل غارسيا ماركيز » **على جائزة « فيليكس فاريللا أوردر »** وهي أعلى جائزة للثقافة تمنحها الحكومة الكوبية. المعروف أن ماركيز قد حصل على جائزة نوبل في الآداب وذلك في العام الماضي.



العربية في مجلس الأمن

●● تقرر اعتماد اللغة العربية لغة رسمية، ولغة عمل في مجلس الأمن الدولي وذلك **اعتباراً من بداية هذه السنة الميلادية ١٩٨٣م**، فقد أصدر مجلس الأمن قراراً بالإجماع وبدون تصويت **يقضي باعتبار اللغة العربية لغة سادسة في المجلس تستخدم في مناقشاته إضافة إلى « الصينية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية »**. المعروف أن هذا القرار قد جاء بناء على اقتراح وطلب سابق من الدول العربية الأعضاء في الأمم المتحدة.



أفكار منشورة

●● إن أشد ما نخافه على قادة الفكر في أمتنا أن ينقادوا لما تسرب إلينا عن طريق الثقافات الغربية من مركبات خفية تجعلهم يعزفون باسم المنطق عزوفاً لا شعورياً وبدون حجة عن إحلال الدين المكانة التي هو جدير بها في التنظيمات الاجتماعية. فلننظر فيما عليه البلاد التي ظنت أنها تستغني عن الدين وضوابطه ولنتعظ بما تردت فيه من آفات العنف والفتن ففي ذلك عبرة بأن البشر يفقد من إنسانيته إذا ما فقد الإيمان بسلطان أعلى يتجاوز البشر ●●

الشاذلي القليبي
مجلة تاريخ العرب والعالم

●● من الخطأ أن ننظر إلى تراثنا نظرتنا إلى مجموعة من الآثار الفنية النفيسة التي ينبغي علينا أن نحافظ عليها وأن نصونها لمجرد قيمتها الفنية الأثرية. ذلك لأننا أمة تقوم حياتها الحاضرة على ماضيها.
إن مقومات حياتنا ذات جذور عميقة بتراثنا وإذا حاولنا أن نوجد فواصل بيننا وبين هذا التراث فإننا بذلك نقضي على هذه الحياة ●●

حمد الجاسر
جريدة الجزيرة

●● أقصى ما أتمناه هو أن يدرك الناس يوماً ويعرفون أنهم رفاق طريق واحد وأنهم سائرون إلى هدف واحد وأن يوجهوا خطاهم بإيمان ثابت نحو ذلك الهدف فلا يتخاصمون ولا يتناحرون ولا يجعلون من الأرض مسلخاً بدلاً من أن تكون نقطة انطلاق إلى عوالم أوسع بكثير من الدنيا التي يعيشون عليها الآن ●●

ميخائيل نعيمة
جريدة «الأنوار»

●● المعروف أن الأمم لا تتقدم بالنخبة المثقفة من أبنائها، وإنما تتقدم عندما تنتشر الثقافة في مختلف الأوساط الاجتماعية ●●

د. سعيد بن البشير
وزير الثقافة في المملكة المغربية
مجلة «الوطن العربي»

أضواء على بعض مشكلات سياسة التوسع في التعليم بالعـ

منذ أكثر من ربع قرن أصبح من المعتاد عند الحديث عن المشكلات والقضايا الدولية المختلفة، تصنيف بلدان العالم إلى مجموعات طبقاً لقوتها أو ضعفها من النواحي الاقتصادية والصناعية والعلمية. ولقد ترتب على هذا التصنيف ظهور عدد من المسميات يشير كل منها إلى عالم يحتوي على مجموعة من البلدان.

بقلم: د. مختار إبراهيم أحمد

فهناك عالم يضم البلدان الصناعية المتقدمة بالمعسكر الغربي يطلق عليه «**العالم الأول**»، وعالم يضم البلدان الصناعية بالمعسكر الشرقي يسمى بـ «**العالم الثاني**»، ثم يأتي بعد ذلك عالم يحتوي على أكبر مجموعة من البلدان الواقعة بإفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية حيث يعيش بهذه البلاد أكثر من ثلثي سكان العالم، ويطلق على هذه المجموعة الكبيرة من البلدان «**العالم الثالث**» أو البلدان النامية أو البلاد المتخلفة، وأغلب هذه البلدان لا يتمتع بأي نوع من المزايا أو الامتيازات الاقتصادية ذات الاعتبارات التي تستحق الذكر، ومن بين هذه البلدان النامية تقف مجموعة صغيرة في المؤخرة تمثل أفقر بلدان العالم تم تسميتها حديثاً بـ «**العالم الرابع**» وذلك بعد حركة النهضة الاقتصادية والاجتماعية التي بدأت ببعض بلدان العالم الثالث المنتجة للبترول.

وهناك عدد من السمات تمثل القاسم المشترك بين الغالبية العظمى من بلدان العالم الثالث مثل انخفاض مستوى المعيشة، وقلة الإنتاج، وعدم توزيع الثروة والدخل القومي توزيعاً عادلا، وتردي المصالح الصحية والاجتماعية، وعجز التعليم وقصور مؤسساته ونظمه عن القيام بواجباتها.

بحث مشكلات التعليم

وانطلاقاً من آراء ودراسات نظرية لبعض علماء الاقتصاد والاجتماع المهتمين بمشكلات وقضايا التنمية بالعالم الثالث التي تؤكد **فاعلية التعليم** ودوره الإيجابي في حل العديد من مشاكل التنمية الاقتصادية والاجتماعية، قامت **منظمة اليونسكو** بالاشتراك مع أعضاء لجانها الإقليمية والمسؤولين عن التربية والتعليم بإفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية في مطلع الستينات بتنظيم عدد من المؤتمرات لبحث مشكلات التعليم بالقارات الثلاث، تم عقدها على فترات متتابعة في **أديس أبابا وباريس وتاناناريف وأبيدجان** فيما يتعلق بالقارة الإفريقية، وفي **كراتشي ومانيلا وطوكيو** فيما يتعلق بقارة آسيا، أما فيما يختص بقارة أمريكا الجنوبية فقد عقد مؤتمر لنفس الغرض بمدينة **سانتياجو**.

وكان هدف هذه المؤتمرات في الخط الأول هو إعطاء الفرص لدول البلدان النامية لتناقش احتياجاتها من التعليم، ولتحدد أولوياته منها، ولكي تضع خططاً لتنميته تمتد حتى عام ١٩٨٠م، كما هدفت هذه المؤتمرات أيضاً إعطاء الدول المشتركة فيها الفرصة لتحدد في ضوء ظروفها الخاصة الجزء من دخلها القومي الذي يجب أن تخصصه للتعليم لتحقق أهداف هذه الخطط، ولتحدد كذلك التغيرات الهيكلية، والتحسينات المنهجية التي ينبغي أن تتم حتى يصبح التعليم عنصراً قوياً وفعالا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وبناء على توصيات لجان هذه المؤتمرات تم إعداد خطط تعليمية إقليمية سرعان ما أصبحت قاعدة لسياسة تعليمية بدأت دول العالم الثالث في تنفيذها منذ بداية الستينات. ولقد أدى ذلك فيما بعد إلى التوسع في التعليم توسعاً كبيراً لم يشهد مثله تاريخ التعليم بالبلدان النامية في العصر الحاضر بقارات إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية. ففي خلال الفترة الزمنية الواقعة بين عام ١٩٦١م، و ١٩٧٦م، أي خلال عقد ونصف، زاد عدد التلاميذ والطلاب ببلدان العالم الثالث من ١٤٦ مليوناً إلى ٣٤٠ مليوناً، كما زاد عدد هيئة التدريس بمراحل التعليم المختلفة خلال هذه الفترة من ٤,٧ ملايين إلى ١١,٧ مليوناً. وخلف هذه الأرقام التي تشير إلى مدى التوسع في التعليم بالبلدان النامية خلال عقد ونصف تختفي صور سلبية لواقع تعليمي مُفزع ومؤلم، **فبالرغم من أن نفقات التعليم خلال هذه الفترة قد تضاعفت حتى فاقت حدود الميزانية العامة والطاقة الاقتصادية لدول هذه البلدان، فلا يزال هناك أكثر من ٢٥٠ مليون طفل ممن بلغوا العمر المدرسي وأكثر من ٦٠٠ مليون من الكبار أميّون لم يحظوا بأي نوع يذكر من التعليم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم تستطع الخطط التعليمية كما كان محدداً**

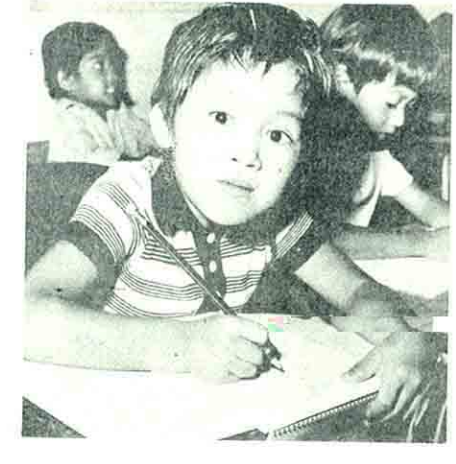


ـالـم الثـالـث

لها تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية للجميع ، فأكثر الذين حُرموا من ذلك هم الذين يكونون الجزء الأكبر لشعوب هذه البلدان ، وهم سكان المناطق الريفية ولا سيما الإناث

ظواهر سلبية

وبالرغم من أنه كانت من أهداف الخطط التعليمية التي تم وضعها في بداية الستينات تعميم تعليم المرحلة الأولى بحيث يستوعب الجزء الأكبر من الصغار على أساس أن التعليم في هذه المرحلة حق إنساني لكل فرد من أفراد الشعب ، فإننا نجد اليوم أن تعليم المرحلة الأولى بمعظم هذه البلدان ، وبعد مرور أكثر من عشرين عاماً على البدء في سياسة التوسع في التعليم ، لا يزال يتعثر في الطريق ، فمن أبرز الصفات السلبية المعروفة عن تعليم هذه المرحلة بأغلب دول بلدان العالم الثالث هو **ارتفاع نسبة التسرب والتخلف والرسوب** ، حيث يقدر عدد التلاميذ الذين يواصلون زيارة المدرسة الابتدائية حتى السنة الرابعة بأقل من النصف ، ومن أهم أسباب ذلك هو بُعد البرامج التعليمية والمواد الدراسية بمدارس هذه المرحلة عن حياة هؤلاء ، فلقد ترتب على عدم الوفاق – بل التباعد – بين مناهج هذه المرحلة والتلاميذ هبوط الكفاءة الداخلية للتعليم ، مما أدى في كثير من الأحيان ولا سيما في المناطق الريفية ، إلى إحساس عام



بعدم جدوى مثل هذا التعليم والعزوف عنه . وغني عن البيان أن هؤلاء الصغار ممن يتركون المدرسة الابتدائية بعد السنة الرابعة يبدؤون بعد وقت قصير في نسيان ما قد يكونون قد تلقوه من تعليم هناك ، حتى مبادئ القراءة والكتابة ، وسرعان ما يصبحون تابعين لجيوش الأمية بهذه البلدان .

أما فيما يتعلق بالخطط التعليمية التي أعدت **لتنمية التعليم بالمرحلة الثانوية والجامعية ولم تعمّ حينذاك بكثير من دول بلدان العالم الثالث على أساس من التخطيط العلمي الموضوعي ، بل قامت في كثير من الأحيان على أساس من الشعارات السياسية أو القومية أو التحيزات الاجتماعية ، فقد أدى تنفيذها دون النظر إلى اعتبارات الاحتياجات من القوى العاملة أو مشكلات واتجاهات التنمية الاقتصادية إلى تخريج أفواج كبيرة ممن أتموا تعليم المرحلة الثانوية أو الجامعية ، لم تستطع قطاعات العمل ومجالاته القليلة القائمة هناك أن تستوعبهم ،** ونتيجة لما يصاحب مثل هذه المواقف عادة من قلق نفسي بين الأفراد وقلق اجتماعي أو سياسي بين الجماعات ، وأمام عدم تعدد وتنوع قطاعات العمل ومجالاته لم يكن أمام حكومات كثير من دول البلدان النامية سوى العمل على محاولة تشغيل هذه الأفواج من المتعلمين ، أو بعض منها ، بالأجهزة الإدارية للدولة مما أدى إلى توسيع قطاع هذه الأجهزة الإدارية وملئها بقوى عاملة تفوق طاقتها وتزيد عن حاجتها ، وذلك لغرض استخدام هؤلاء الخريجين لا لأن لهم أعمالا يراد منهم أداؤها ، ومن هنا أصبحت أهداف التعليم بطريق غير مباشر هي في المقام الأول إمداد المصالح الحكومية بمن يقومون بالوظائف الكتابية ، ولقد أدى ذلك من ناحية إلى إعلاء قيمة المهن الكتابية ، ومن ناحية أخرى إلى التقليل من قيمة وأهمية ما عداها من أعمال أو مهن أخرى ، علاوة على ارتفاع مستمر في نسبة البطالة بين المتعلمين .

وعليه يمكن القول إن سياسة التوسع في التعليم بمعظم البلدان النامية لم تستطع أن تحقق أهدافها ، فلم يستطع التعليم أن يقوم بالدور الذي كان ينبغي عليه أن يقوم به ، وهو العمل

أضواء على بعض مشكلات سياسة التوسع في التعليم بالعالم الثالث

على التغيير الاجتماعي والتنمية الاقتصادية من أجل الغالبية العظمى لشعوب هذه البلدان بل على العكس من ذلك ، فقد عمل في النهاية على إقامة وتثبيت دعائم نظام لطبقة جديدة هي **طبقة الصفوة المختارة من الأوتوقراطيين وكبار الموظفين المشرفين على الأجهزة الإدارية للدولة** ، وفي الوقت الذي نرى فيه أن كثيراً من دول بلدان العالم الثالث لم تستطع أو لم توفق في تنفيذ خطط هادفة للتنمية بوجه عام تعود فائدتها على السواد الأعظم لشعوبها ، نجد أن هذه الطبقة الجديدة هي وحدها التي تتمتع بالنصيب الأكبر من المكاسب الاقتصادية التي قد تحدث هناك وتتم بطريقة أو بأخرى .

ولقد كان للتعليم الجامعي دوره السلبي هناك في هذا المجال بعد أن أصبحت الدرجات العلمية كشهادات ضمان تؤمن المستقبل الوظيفي لأتباع هذه الطبقة بأفضل قطاعات العمل القائمة هناك ، وكورقة رابحة في يد من يسعده الحظ من الآخرين تعطيه فرصة التوظف ، وحق الانضمام والانتماء إلى الطبقة الجديدة ، ومن هنا صار التعليم كأداة في يدها تتحكم بها في الحفاظ على ما حصلت عليه ، وأتباعها من مكاسب وامتيازات ، فهي لا تسمح بأي محاولات لتنمية التعليم أو إصلاحه ما دامت هذه المحاولات تتعارض مع مصالحها ومع ما وصلت إليه من مكاسب وامتيازات .

والواقع أن إلقاء اللوم بسبب الأخطاء التي وقعت وأدت إلى هذا التحول السلبي في أهداف التعليم لا يقع في الخط الأول على سياسة التوسع فيه ، إذا نظرنا إلى التعليم من زاوية خاصة وهي أن توفير الاحتياجات من القوى العاملة ليست كل أهداف تنمية التعليم ، فرفع المستوى التعليمي والثقافي لأفراد الشعب ، وإتاحة الفرص لجميع المواطنين للحصول على أقصى درجات التعليم كل حسب طاقاته وقدراته هدف في حد ذاته ، وإنما المسؤول هنا في المقام الأول هو سوء تنسيق السياسة الاقتصادية الذي يتم بكثير من دول البلدان النامية ، فالجهود التي بذلت وتبذل من أجل التنمية ، ومحاولات التجديد والتطور في قطاع من القطاعات لا تزال تتم بمعزل عن القطاعات الأخرى ، فقد يحدث أن يرى المرء أحياناً هناك مثلاً قطاعاً صغيراً للصناعة يتم العمل فيه على أحدث الطرق التكنولوجية وبجانبه قطاع كبير للزراعة يتم العمل فيه بالطرق التقليدية القديمة حيث تعمل الغالبية الكبرى ، وليس هناك أي رابطة أو علاقة بين القطاعين .

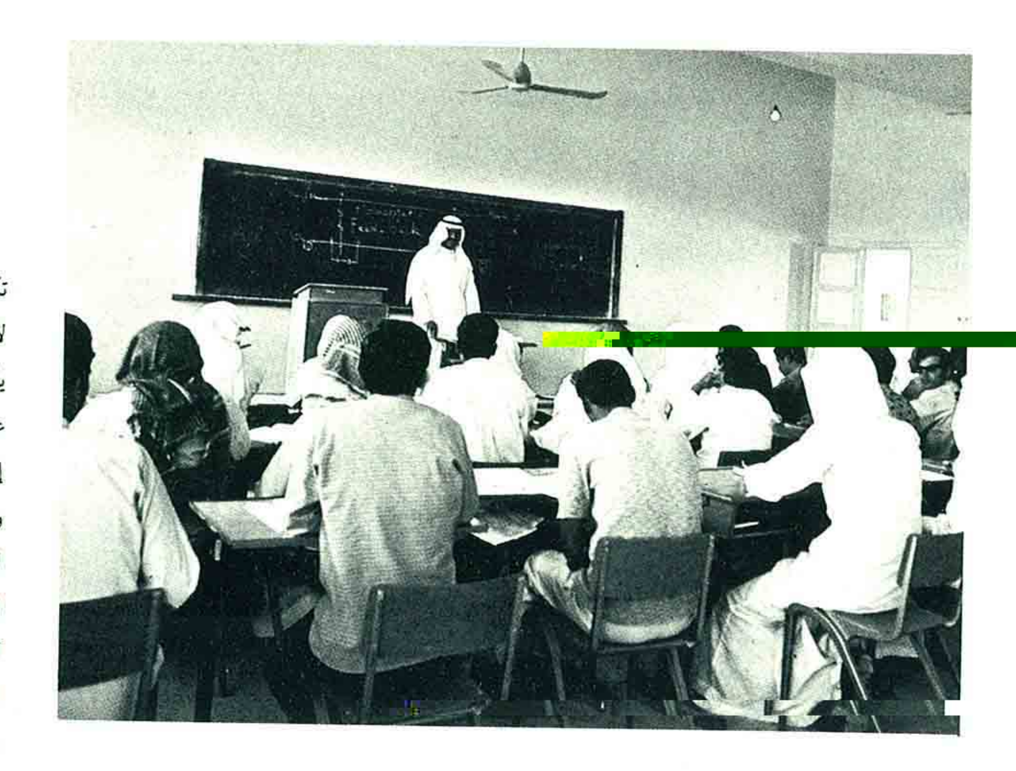
ومن منطلق هذا الواقع هاجرت أعداد كبيرة من خريجي الجامعات أوطانها بالعالم الثالث ، ولا سيما من أتموا دراسة علمية أو تكنولوجية ولم تتح لهم فرص التوظف هناك ، وذلك للعمل بالبلدان الصناعية المتقدمة أو البلدان المنتجة للبترول ، ونذكر على سبيل المثال هنا أن حوالي ١٠ ٪ من المهندسين الذين لم يجدوا عملاً بأوطانهم بالبلدان النامية بأمريكا الجنوبية قد هاجروا للعمل بالبلدان الصناعية المتقدمة ، كما أن نسبة أقرانهم من البلدان النامية بالقارة الآسيوية الذين رحلوا عن أوطانهم لنفس السبب ولنفس الغرض يعادل ذلك تقريباً .

نقد سياسة التوسع

ومما يوجه من نقد إلى سياسة التوسع في التعليم ببلدان العالم الثالث ؛ وبصفة خاصة التوسع في تعليم المرحلتين الثانوية والجامعية ، أن نسبة من يقومون بزيارة المدارس الثانوية والجامعات بكثير من البلدان النامية تعادل ، بل تفوق في بعض الأحيان ، نسبة هؤلاء الذين يقومون بزيارة المدارس الثانوية والجامعات ببعض الدول الصناعية ، ويرجع ذلك إلى أن التوسع في تعليم هاتين المرحلتين قد تم هناك على حساب تعليم المرحلة الأولى ، ففي الوقت الذي نرى فيه أن نسبة الذين قاموا بزيارة مدارس المرحلة الأولى خلال العقدين المنصرمين قد زاد في المتوسط كل عام إلى ١٠,٥ ٪ ، نجد أن نسبة من قاموا بزيارة المدارس الثانوية قد وصلت إلى ٢٣,٢ ٪ ونسبة طلاب الجامعات إلى ٢٥,٥ ٪ ، ومن الأمثلة التي تدلل على أن التوسع في تعليم المرحلة الجامعية بوجه خاص كان على حساب التعليم بالمرحلة الأولى يكفي أن نذكر هنا أن ما تكلفه تعليم طالب الجامعة في ذلك الوقت كان يكفي في المتوسط للإنفاق على ٩٠ تلميذاً بالمدرسة الابتدائية ، بل كان يكفي للإنفاق على ما يقرب من ٣٠٠ تلميذ بهذه المرحلة في بعض البلدان الإفريقية الفقيرة .

ومن أكبر المشاكل التي تواجهها السياسة التعليمية ببلدان العالم الثالث هي مشكلة الانفجار السكاني ، حيث إن تزايد السكان يتم هناك بنسب لا تتعادل إطلاقاً مع ما تم وضعه من خطط تعليمية أصبحت بعد فترة وجيزة من البدء في تنفيذها عاجزة عن استيعاب الزيادة السكانية المستمرة في التصاعد ، ومما يدل على عجز هذه الخطط التعليمية أن عدد الأميين بالبلدان النامية أصبح في الوقت الحاضر أكثر مما كان عليه في منتصف الستينات .

ويرى كثير من خبراء التربية والتعليم وعلماء



الاجتماع والاقتصاد المهتمين بقضايا ومشاكل التنمية بالعالم الثالث أن الأنظمة التعليمية القائمة هناك لن تستطيع القيام بالواجبات الملقاة على عاتقها وذلك في الخط الأول بسبب **الانفجار السكاني المستمر** في هذه البلدان ، فعلى سبيل المثال حتى تظل نسبة زيارة مدارس المرحلة الأولى مستقبلاً كما هي في الوقت الحاضر ، ينبغي أمام تزايد السكان العمل دائماً على زيادة عدد الأماكن المخصصة لمن هم في العمر المدرسي بنسبة ٣٠٪ كل عشر سنوات ، ويعد ذلك في الوقت الحاضر أمراً مستحيلاً أو ضرباً من الخيال وذلك بسبب الأزمات الاقتصادية التي تعاني منها دول البلدان النامية منذ عدة سنوات .

تصحيح سياسة التوسع

ولمعالجة أو تصحيح ما نتج من أخطاء وسلبيات عن سياسة التوسع في التعليم التي سارت ، ولا تزال تسير ، في طريق مسدود بكثير من دول بلدان العالم الثالث ، يتحتم على المسؤولين عن التعليم هناك إعادة النظر والتفكير في كل ما تم وضعه في الماضي من خطط قامت على أساسها هذه السياسة التعليمية ، وأول ما ينبغي بحثه في الوقت الحاضر هو العمل على الحد من تعليم المرحلتين الثانوية والجامعية ، فلا يتم إنشاء مؤسسات جديدة منها ، وتوجه الاعتمادات التي كانت مقررة لذلك لتعميم التعليم الأولي طبقاً لتخطيط موضوعي جديد ولصالح تعليم شعبي يشمل القاعدة العريضة لجماهير هذه البلدان التي عانت طويلاً أشد المعاناة من مشكلة تفشي الأمية فيها ، على اعتبار أن خير السبل لمحو الأمية بصورها وأشكالها المتعددة في دول البلدان النامية هو إقامة نظام كفء جاد **للتعليم الشعبي أو للتعليم الأولي الإلزامي** .

وغني عن البيان أن الجهل أو الأمية بمعناها الواسع تمثل ببلدان العالم الثالث كبرى المشاكل القائمة هناك بسبب ما يترتب عليها من مشاكل اجتماعية وسياسية ، وبصرف النظر عن الزاوية الاجتماعية والسياسية لهذه المشكلة فإنها تعتبر العقبة الكبرى في سبيل إحداث أي تنمية اقتصادية ، وحيث إن اقتصاديات غالبية البلدان النامية ما زالت وستظل لفترات طويلة اقتصاديات زراعية تصبح الحاجة ماسة إلى تكييف محتوى هذا التعليم الشعبي وفقاً لاحتياجات البيئة الريفية ، ولذلك يتحتم أن يكون مركز الثقل في مناهج هذا التعليم منصباً على احتياجات الزراعة بحيث تساعد المدرسة في إحداث التغيرات المطلوبة في أساليب الزراعة ونظم الحياة الريفية ، فلا تكتفي ، كما حدث في الماضي ولا يزال يحدث اليوم ، بتلقين تلاميذها المعلومات مفصولة عن واقع الحياة ، وإنما ينبغي أن تعطيهم صورة حية وديناميكية لواقع الحياة التي يعيشونها من خلال ربط مناهجها بخبراتهم ونشاطهم في بيئاتهم المحلية ، فتعمل بذلك على مساعدتهم في تفهم ما يحيط بهم من مشاكل مختلفة اجتماعية كانت أو اقتصادية كي يصبحوا قادرين في المستقبل على العمل ، والمساهمة في حل ما يواجهونه من مشاكل وقضايا التنمية ، **ولقد أثبتت تجارب وخبرات المهتمين بقضايا ومشاكل بلدان العالم الثالث أن أي عملية للتنمية هناك لن يقدر لها النجاح إلا إذا شاركت فيها قاعدة عريضة من الجماهير** .

المراجع

(١) د. محمد سيف الدين فهمي ، التخطيط التعليمي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

2- Ahmed, Mokhtar: Analyse der Ausbildung und situation der Primar-und Preparatory-Schullehrerschaft Apyptens unter den Bedingungen einer sich wandelnden Gesell-schaft, Münster, West Germany 1972.

3- World Development Report 1980 and 1981: Annual Report 1981-Accelerated Development in Sub-Saharan Africa, 1981-Education: Sector Policy Paper, April 1980.

4- Education and development in the Third World: A critical Appraisal of Aid Policies. Comparative Education 17 (81) 2, Special Number 6.

5- Goldsmith, M., King, A. (Eds.), Issues of Development: Towards a New Role for Science and Technology, Oxford 1979.

كلمة طيبة

ماذا فعلنا

تعودت أن أقرأ صحف اليوم في المساء . عندما تصل في الصباح ألقي عليها نظرة عجلى ثم أمضي إلى عملي . إنني من أتباع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : البركة في البكور . وأحب أن أكون في مكتبي ـ في البيت أو في العمل ـ حول الثامنة من الصبح ، ويكون دائماً عندي ما أبدأ به يومي من عمل يعجبني ويجلب إلى قلبي المسرة . لا وقت للصحف في الصباح ، إنما أنا أقرأها قبيل النوم . بعد أن أفرغ من جهاد اليوم أنظر في الصحف لأرى ما جرى . كان الدكتور طه حسين يقول ضاحكاً : هذا أثر التاريخ فيك . لقد انحرفت نظرتك للحياة وأصبحت لا تقرأ الصحف إلا إذا فات أوانها وأصبحت تاريخاً .

وسألتني أهلي : أخبار؟ قلت وأنا أهز كتفي : لا جديد . نفس أخبار الأمس . لا شيء له أهمية .

وصليت ركعتين قبل أن آوي إلى مضجعي . شيء ورثته عن أبي . كان يسميها ركعتي الشكر على الرزق والصحة والعافية . وكنت أسأله : سنة هي أم أثر من آثار الصالحين ؟ . كان يقول : لا أدري ، ولكن قلبي لا يستريح إلا إذا سجدت لله هاتين السجدتين . أذكر أن الشيخ السناري رحمه الله قال لي مرة : يا بني كما تبدأ يومك بالصلاة اختمه بالصلاة . إن الصلاة بركة وعافية .

أقول : صليت الركعتين وأطفأت النور وبدأت ـ على العادة ـ أستعيد أحداث اليوم في رأسي ، أو قل إنها هي التي أخذت تعيد نفسها . كلنا يصدق علينا ذلك ، وأول ما مر بخاطري كان آخر ما رأيت : الصحيفة ، وسألت نفسي :

ـ سبحان الله ! في الصحيفة أخبار عن الحرب في بلاد الشام ، والحرب في بلاد العراق ، والحرب في السلفادور وفي ناميبيا وفي الصومال وفي الهند الصينية ، ثم تقول في غير اكتراث : لا أخبار ، لا شيء له أهمية ! .

وروعني هذا الخاطر ، وقالت نفسي لنفسي :

ـ لقد تبلد إحساسك والله ، وما بقيت في نفسك واشجة تربطك إلى إخوانك البشر ! كل هذه الحرب والمقاتل والمصارع ولا شيء ؟ أتدري كم من الناس يموتون في لحظتك هذه وأنت مسترخ في فراشك ؟ أتدري كم من الناس يعاني في دقيقتك هذه آلام جراح ولا دواء ، وجوع ولا غذاء ، وظمأ ولا ماء ؟ . ماذا جرى لك وماذا أصابك ! لقد تحجر قلبك ومات فؤادك ، وما أحراك الساعة بأن تنهض من فراشك هذا وتركع لله سبحانه ركعتين وتسأله أن يرد عليك إنسانيتك وإحساسك وقلبك وإيمانك . . .

والحق إن الدنيا الدنية خبَّت بنا وأخذتنا في رجليها وأنستنا أنفسنا ، فأصبح الموت لا يروعنا ولا الألم يحركنا وأصبحنا كما قال أبو الطيب كصخرة لا تحركها الآلام ، وما دامت الآلام في جسد غيرك فهي غير موجودة ، وما دامت النار في ديار الجار فهي ليست بنار ، وغلبنا حبنا لأنفسنا فلم نعد نفكر في سواها ، حتى مجرد المشاركة في الشعور بآلام الناس عجزنا عنه .

وذكرت شيئاً وقع لي من سنوات وكنت إذ ذاك ناظراً لمدرسة ابتدائية في ريف مصر . وكنت إذ ذاك شاباً عزباً أعيش في المدرسة لكي أكون دائماً في موقع عملي . وفي ذات يوم جمعة ذهب التلاميذ مع مدرسيهم إلى مدينة المنصورة في رحلة ترفيه ، وركب بعض التلاميذ قوارب في النيل ، ويريد الحظ السيئ أن ينقلب قارب منها ويقع الأولاد في الماء ، وتسارع

بأنفسنا؟

الناس للإنقاذ ، ووصلني الخبر وأنا في المدرسة ، ولم أجد سيارة تحملني إلى المنصورة وكنا بعد الظهر بقليل ، فركبت دراجتي وأردفت فراشاً خلفي ومضيت بأقصى ما استطعت من سرعة فوصلت بعد صلاة العصر واستقبلني مأمور المركز هاشاً مستبشراً وهو يقول :

ـ جاءت سليمة والحمد لله . . . أنقذنا كل الأولاد ولم يفقد إلا واحد . . . نحمد الله ألف حمد فقد كان الذين سقطوا في الماء ثلاثة وعشرين ، وأعاننا الله وأخرجناهم إلا هذا الصبي المنحوس . . . لا ندري أين مضت به الماء . . .

ـ ولكنكم تواصلون البحث عنه .

ـ يا سعادة الناظر ، الغواصون في الماء من ثلاث ساعات ، وقد ذهبت اللنشات في كل اتجاه ، واضطررنا في النهاية إلى إيقاف البحث ، ونحمد الله على أنه ولد واحد . . .

وطلبت إعادة البحث ، فعادت القوارب البخارية تجوب الماء صاعدة مع التيار وهابطة ، والغواصون يغوصون كل حين في كل موضع فيه شعاب أو فيه مظنة اشتباك تحت الماء ، وهبط الليل وأضاءوا مصابيح ضخمة تسمى « الكلوبات » ومضوا يبحثون وأنا قائم على ضفة النهر وقد عولت على ألا أريم مكاني إلا إذا وجدنا الطفل الفقيد . وأقبل والد الطفل ولزمني ودموعه لا ترقأ ، وأخيراً وجدنا الطفل . كان قد أنشب في موضع بعيد من الشاطئ فأخرجوه وعادوا به ، وأصر رجال النيابة على أن يحمل إلى المستشفى ويشرَّح ويكتب الطبيب الشرعي تقريراً . وبكى الوالد وانتحب ، ومضيت معه إلى النيابة والمستشفى وتساهل رجال النيابة فأعفونا من التشريح ، وأخذنا شهادة الوفاة ومضينا بالولد وأبيه ومن حضر من أهله وأهل قرابته إلى القرية .

وصلنا مع منتصف الليل . وجدنا القرية كلها مروعة لما حدث ، واستقبلتني أم الغلام وخالاته وأخواته نادبات صارخات . وأدخلوني في قاعة ليس فيها إلا حصير ، وجلست مع نفر من الناس ، وأقبل قارئ يقرأ القرآن الكريم .

وطوال ما بقي من ساعات الليل لم يسكت الصوت ولا خفَت النحيب ، وتعب قارئ القرآن فطلبت آخر فأتى ، ورفع آذان الفجر فصليناه ، ثم انصرف الناس وتركوني وحدي ، وكنت في أشد الحاجة إلى الوحدة ، وأتاني والد الطفل بملحفة ومخدة ، فاستلقيت على ظهري ومضيت أفكر ، وأحسب أن النوم غلبني . ومع الضحى وارينا الغلام التراب وسط نحيب ونشيج وشكاة ، وعدت إلى مدرستي بالدراجة . . .

كل ذلك من أجل طفل واحد .

أذكر أنني قضيت شهوراً وصورته لا تبارح مخيلتي .

والآن . . أسمع بموت الألوف فلا أتحرك ، وأقرأ عن مصائب مئات الألوف وأقول : لا شيء . . .

ماذا جرى لي : أصخرة أصبحت ؟ .

ماذا فعلت بي الأيام ؟ هل قتلت الإنسان في كياني ؟ .

د. حسين مؤنس

● المعلومات ودورها في

المقصود بالمعلومات

استخدم لفظ «معلومات» Informa-tion للدلالة على أشياء عديدة، ولخدمة أغراض تجارية أو دعائية في بعض الأحيان أكثر من استخدامه في المفهوم العلمي المعاصر. ونتناوله هنا من وجهة نظر عمل المكتبات ومراكز المعلومات.

ومن المفيد أن نستعرض بعض التعريفات بادئين بالتعريفات المعجمية، أي تلك التي جاءت في المعاجم اللغوية.

يقدم «**المنجد**»[1] التعريف التالي للفظ «معلومات»:

«كل ما يعرفه الإنسان عن قضية، عن حادث».

كما يقدم «**لاروس: المعجم العربي الحديث**»[2] التعريف التالي:

«الأخبار والتحقيقات، أو كل ما يؤدي إلى كشف الحقائق وإيضاح الأمور».

ويشير «**مكنز مصطلحات المكتبات والمعلومات**»[3] إلى المعاني الثلاثة التالية:

«١ ـ الحقائق الموصّلة.

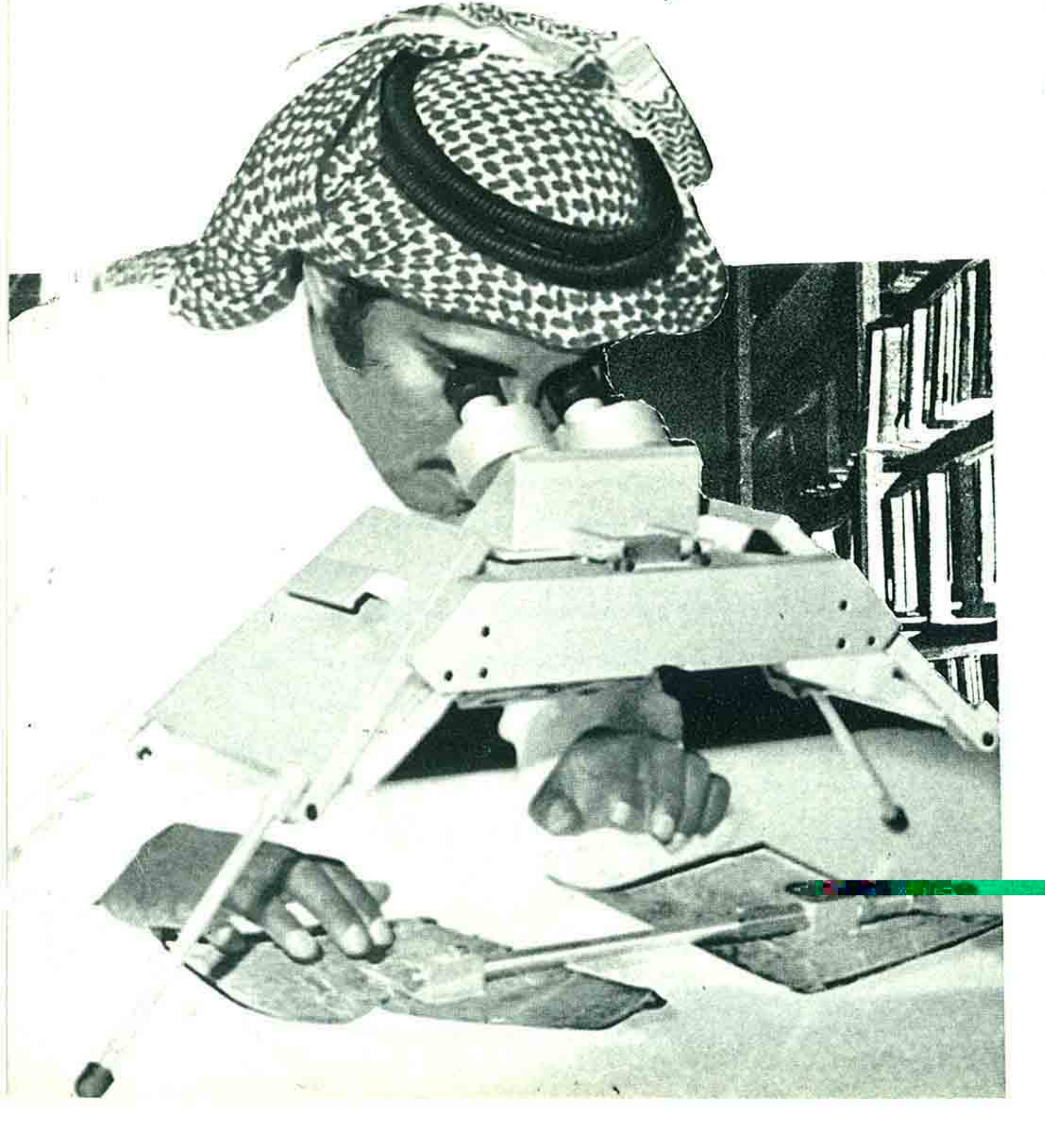
٢ ـ رسالة تستخدم لتمثيل حقيقة أو مفهوم باستخدام وحدة (وسط بيانات) ومعناه.

٣ ـ عملية توصيل حقائق أو مفاهيم من أجل زيادة المعرفة».

ويذكر **لانكستر** أن «المعلومات» شيء غير محدد المعالم لا يمكن رؤيتها أو سماعها أو الإحساس بها. ونحن «نحاط علماً» في موضوع ما إذا ما تغيرت حالتنا المعرفية بشكل ما. وإعطاء أحد المستفيدين وثيقة عن **أشعة الليزر** أو إشارة إلى هذه الوثيقة لا يحيطه علماً بموضوع أشعة الليزر. ولا يمكن لتداول المعلومات أن يتم إلا إذا قرأ المستفيد الوثيقة وفهمها. وعلى ذلك فإن **المعلومات هي ذلك الشيء الذي يغير الحالة المعرفية للشخص في موضوع ما**[4].

ويرى **روبرت هايز** أن الكلمة «معلومات» لها معاني متعددة، فبعض الناس يحددها بالنقل عبر خطوط الاتصال، ويقيسها بالخاصيات الإحصائية للعلامات أو الإشارات. والبعض يحددها بالحقائق المسجلة، والبعض الآخر بمحتوى النص. كما أن هناك البعض الذي يحددها بالخبرة المختزنة في العقل البشري... ويخلص هذا الباحث إلى التعريف الإجرائي التالي لكلمة معلومات:

المعلومات هي خاصية البيانات Data الناتجة من أو المنتجة بواسطة عملية ما. والعملية قد تكون ببساطة **نقل البيانات** (وفي تلك الحالة ينطبق التعريف والقياس المستخدم في نظرية الاتصال). وقد تكون



خدمة البحث والمجتمع

بقلم: د. محمد فتحي عبد الهادي

العملية هي **اختيار البيانات**. وقد تكون **تنظيم البيانات**. كما قد تكون **تحليل البيانات**[٥].

ومن المهم أن نلاحظ في هذا التعريف أن المعلومات تعتمد على العمليات التي تنتجها.. وعلى أي حال فإنه يمكن القول إن المعلومات هي الحقائق عن أي موضوع، أو إن المعلومات هي الأفكار والحقائق عن الناس والأماكن والأشياء.. إلخ. أو إن المعلومات هي أي معرفة تكتسب من خلال الاتصال أو البحث أو التعليم أو الملاحظة.. إلخ.

المعلومات.. والبيانات.. والمعرفة

وعلى الرغم من صعوبة التمييز بين **المقصود بالمعلومات** Information **والمقصود بكل من البيانات** Data **والمعرفة** Knauledge، إلا أنه يكاد يوجد نوع من الترابط بين معاني هذه الألفاظ.

إن «**البيانات**» هي المادة الخام المسجلة كرموز، أو هي أرقام أو جمل وعبارات يمكن للإنسان تفسيرها أو تعليلها.

أما «**المعلومات**» فهي نتيجة تجهيز البيانات، مثل النقل أو الاختيار والتحليل، أو هي نتائج التفسيرات أو التعليلات، التي عادة ما تأخذ شكل تقرير مركب من هذه البيانات ومبني على تقارير ونظريات وحقائق علمية أخرى مسلّم بها.

أما «**المعرفة**» فإنها الأفكار والمفاهيم والحقائق المستنتجة من مجموعة هذه التقارير.

وعلى سبيل المثال فإن البيانات الناتجة عن قياس الخواص الطبيعية والكيميائية لمادة ما يمكن تفسيرها وتعليلها في تقرير يحتوي على المعلومات اللازمة بخصوص استعمال هذه المادة في تطبيقات معينة، والربط بين محتويات تقارير متعددة من هذا النوع يؤدي إلى نوع من المعرفة يعرف بعلم **خواص المواد واستعمالاتها**[٦].

تقسيم المعلومات

ويمكن تقسيم المعلومات الموصّلة إلى ثلاث فئات عريضة هي:

(١) **المعلومات الإنمائية** Developmental، أي تلك التي تساعد على الإنماء أو التطوير.

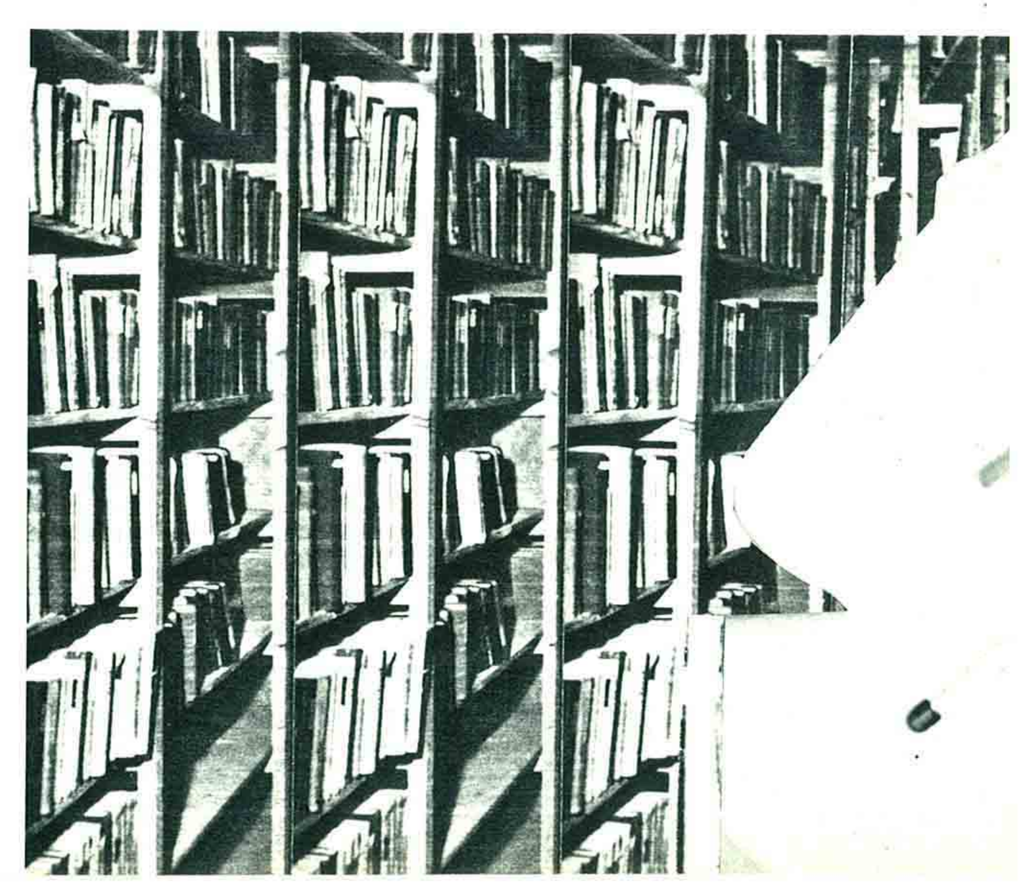
(٢) **المعلومات البيداجوجية أو التعليمية** Pedagogic، أي تلك التي تساعد على التعلم.

(٣) **المعلومات الإنجازية** Achievemental، أي تلك التي تساعد على الإنجاز[٧].

فعندما يستخدم الفرد كتاباً لتحسين مستواه الثقافي العام، أو للاستمتاع الفكري، أو لتوسيع رؤيته، فإن المعلومات التي يتم الحصول عليها في هذه الحالة هي معلومات إنمائية. وعندما يدرس الطالب كتاباً دراسياً مقرراً فإن المعلومات الموصلة هي معلومات بيداجوجية. وعندما يرجع العالم الذي يعمل في مختبر إلى مستخلصات وكشافات تتصل بمجال البحث أو التجربة فإن المعلومات في هذه الحالة هي معلومات إنجازية.

أهمية المعلومات.. ودورها في الحياة

لا جدال في أهمية المعلومات وقيمتها في حياتنا الحاضرة، وهي على أي الأحوال أساس أي قرار يتخذه كل مسؤول في موقعه، وبقدر توفر المعلومات المناسبة، في الوقت المناسب،







للشخص المسؤول ، بقدر دقة القراء وصحته .

إن للمعلومات دورها الذي لا يمكن إنكاره في كل نواحي النشاط ، فهي أساسية **للبحث العلمي** ، وهي التي تشكل الخلفية الملائمة لاتخاذ **القرارات الجيدة** ، وهي عنصر لا غنى عنه في **الحياة اليومية** لأي فرد ، وهي بالإضافة إلى هذا كله مورداً ضرورياً **للصناعة والتنمية والشؤون الاقتصادية والإدارية والعسكرية والسياسية** . . إلخ ، ولذلك يصدق القول : **من يملك المعلومات يستطيع أن يكون الأقوى .**

فإذا بدأنا بدور المعلومات بالنسبة للبحث ، فسوف نجد أن الباحث والدارس سواء في مجال العلوم الطبيعية أو في مجال الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، يحتاج إلى المعلومات . . « فإن الإنسان عندما يواجه موقفاً يبحث فيه إحدى القضايا أو المشكلات ، يسترجع من ذاكرته الداخلية ومن الذاكرة الخارجية (المكتبات ومراكز المعلومات) ما يتيسر له من المعلومات والأوعية المرتبطة بالقضية أو المشكلة ، ثم يوازن ويحلل وينتهي إلى تكوين فكرة جديدة ، أو يؤلف من المعلومات السابقة تصوراً خاصاً »[8] .

ولعلنا جميعاً نعرف أن **البحث العلمي يقوم على أركان ثلاثة هي : الباحث والمختبر ومركز المعلومات** . فالباحث هو الذي يقوم بتجريب الأفكار ودراستها ، لكنه لا بد أن يعتمد في عمله على المختبر الذي تتوفر فيه الأجهزة والوسائل والأدوات والمواد اللازمة لإجراء البحوث ، كذلك فإن مركز المعلومات بما يحويه من مواد المعلومات مصدراً لا غنى عنه للباحث في إمداده بأفكار ومعلومات الآخرين ، حتى لا يكرر جهداً سبق أن تم ، وحتى يبدأ من النقطة التي انتهى منها غيره . وهكذا الأمر بالنسبة للباحثين والدارسين في مختلف المجالات . فإن من يؤلف كتاباً عن التنمية الاجتماعية مثلاً لا بد له أن يطلع على مصادر المعلومات المتنوعة التي كتبت عن هذا الموضوع ، حتى يكوّن المادة اللازمة لكتابه ، وحتى يتأكد من أنه سينتج عملاً جديداً يختلف عن أعمال السابقين .

وتجدر الإشارة إلى أن المؤسسات ومراكز البحوث أصبحت تخصص الآن جزءً أساسياً من ميزانيات مشروعات البحوث المختلفة للإنفاق على توفير المعلومات للباحثين .

وعلى الرغم من أنه من الصعب قياس دور المعلومات بطريقة إحصائية ، أو من الصعب تقدير تكاليف أو تبعات عدم توفر المعلومات المناسبة في الوقت المناسب ، فإن هناك من يقدر أن الباحث ينفق حوالي ٢٠ ٪ من الوقت بحثاً عن المعلومات[9] .

وعلى أي الأحوال ، فإن حاجة الباحث للمعلومات أساسية ، حتى لا يكرر جهداً سابقاً ، وحتى يحسن من نوعية البحث الذي يقوم به ، وحتى يوفر الكثير من وقته وجهده . ويكفي القول إنه يندر الآن أن نجد باحثاً مجيداً لا يستفيد من المكتبة أو مركز المعلومات .

ولم تعد المعلومات قاصرة على مجتمع البحث العلمي ، بل تعدته إلى المجتمع الإنساني الرحيب ، وأصبحت المعلومات بالنسبة لكل أفراد المجتمع كما هي بالنسبة للبحث العلمي تتبوأ مكاناً لم يسبق لها أن وصلته من قبل ، وذلك نتيجة حتمية لازدياد متطلبات الحياة تعقيداً ولضرورة إمداد المجتمع أفراداً وجماعات بكل المعلومات .

وتمثل المعلومات في كل هذا نقطة الارتكاز والأساس الراسخ الذي يمكن أن يقام عليه بنيان ثابت ، أو بمعنى آخر يمكن بتوافره اتخاذ قرار أو إصدار حكم يكون حقيقياً وواقعياً ، وكلما ازدادت الموضوعات أو الظروف تعقيداً زادت بالتبعية الحاجة إلى المزيد من المعلومات حتى يمكن الوصول إلى قرار .

ويتجلى صراع الإنسان من أجل حاضره ومستقبله في حاجته المستمرة في كل صغيرة وكبيرة إلى اتخاذ القرارات . وتتوقف نوعية القرارات ـ أساساً ـ على مدى قدرة الفرد على اتخاذها ، كما أنها تتوقف قبل كل شيء على نوعية المعلومات المتصلة بالمشكلة المطروحة ومدى صلاحية هذه المعلومات . وهنا يكمن الدافع الأساسي وراء حرص الإنسان على تجميع المعلومات المرتبطة بالإنجازات السابقة وتنظيمها . ويذكر **جراي وبيري**[10] أن الإنسان لا شيء إن لم يكن متخذ قرارات ، لكنه يحتاج ـ للوصول للقرارات ـ إلى المقدرة ليس فقط على أن يسأل الأسئلة الصحيحة أو يصل إلى الأجوبة الصحيحة ، وإنما المقدرة أيضاً على جمع وتحديد **المعلومات** المناسبة . وهكذا فإن المعلومات مصدراً لا غنى عنه للفرد .

إن الحاجة للمعلومات كبيرة في كل أوجه النشاط وفي كل المجالات . إن الناس يطلبون المعلومات المناسبة والدقيقة والموثوق فيها والحديثة والمتاحة بسرعة . **فالطبيب** يحتاج إلى معلومات جديدة وحديثة تساعده في التأكد من أنه يعالج مرضاه بطريقة أكثر فاعلية من الطرق القديمة ، كما أن **المحامي** يحتاج للمعلومات التي تعرفه بآخر القوانين والأحكام المتخذة في الحالات الشبيهة بالقضايا التي يكلف بها . ويحتاج **المهندس** للمعلومات الحديثة حتى لا يضيع وقته وجهده وماله في اختراع أشياء اخترعت من قبل ، كما يحتاج **رجال الأعمال ومديرو المشروعات** للمعلومات الجديدة حتى يتأكدوا بأن شركاتهم ومشروعاتهم تدار بأسلوب رشيد يساعد في تحقيق الأهداف ، بل إن **المزارع (الفلاح)** يحتاج أيضاً للمعلومات التي تساعده في التأكد من أن أرضه المزروعة حصلت على أعلى محصول[11] .

إن كلاً منا قد مر بتجربة الاكتشاف في

وقت متأخر لمعلومات هامة كانت من الممكن أن تقلب أو تعدل قراراً اتخذه لو كانت المعلومات قد أتيحت أو توفرت له في الوقت المناسب. وبعبارة أخرى «فنحن عادة ما ندرك أهمية المعلومات بطريقة سلبية، بمعنى أننا يمكن أن نلمس ما يترتب على غياب المعلومات المناسبة في موقف معين من قصور في الأداء يبلغ حد الكارثة أحياناً، في حين أننا قد لا ندرك ما لتوافر المعلومات المناسبة من أثر إيجابي في موقف معين بنفس الدرجة من التحديد والوضوح ... ونحن في جميع مناحي حياتنا الخاصة والعامة نكتسب المعلومات رضينا أو لم نرض، وسواء أكان ذلك بالطرق الرسمية أو المنظمة أو بالطرق غير الرسمية، كما أننا نفيد من المعلومات أياً كان مصدرها في كل خطوة نخطوها»[١٢].

ويذهب البعض عند تقييمه للمقومات الأساسية للإنتاج القومي وهي: المادة والطاقة والمعلومات، إلى أن الأخيرة أصبحت تتبوأ المكانة الأولى من حيث الأهمية. بل ذهب إلى أبعد من ذلك معلناً أن معدلات نمو الاقتصاد القومي مرتبطة ارتباطاً طردياً بكمية المعلومات التي يتم الإلمام بها وتطبيق ما جاء فيها[١٣]. ويؤكد الكثير من علماء الاقتصاد على أن الوضع السيئ لاقتصاديات معظم الدول النامية قد يزداد سوءاً إذا استمر إهمال قطاع المعلومات فيها[١٤].

وتوجد الآن في الشركات الصناعية الكبرى نظم معلومات إدارية متكاملة تهدف إلى تزويد المديرين على كل المستويات بالمعلومات الحديثة اللازمة للقرارات المهمة. وعلى الرغم من أن معظم المعلومات تولّد داخل الشركة من الشركات وخاصة البيانات عن الإنتاج، الرصيد، المشتريات، المبيعات، الأجور والرواتب، الدخل، المصاريف.. إلا أن هناك أيضاً حاجة للمعلومات التي تجمع من خارج الشركة، مثل البيانات عن الشركات المنافسة والإحصاءات الاقتصادية القومية. وهكذا وجدت الشركات أن توفير المعلومات واختزانها والإفادة منها يعد نشاطاً استثمارياً أساسياً.

وليست المعلومات مفيدة في خدمة الإنتاج والاقتصاد القومي فحسب، وإنما هي مفيدة كذلك في **الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية** ... فإن المؤسسات والهيئات العاملة في **مجال السياسة** والأمن تحتاج إلى معلومات دقيقة وحديثة عن الدول الصديقة وعن الأعداء. فالمعلومات عن الصديق تكفل القدرة على التعرف إلى أي حد يمكن الاعتماد عليه، أما المعلومات عن العدو فإنها تكفل القدرة على وضع الاستراتيجيات المقابلة للرد على خططه الاستراتيجية. وغدت عملية جمع المعلومات الدقيقة المرحلة الأساسية الهامة التي تسبق أي تحرك سياسي أو اقتصادي ... وعلى سبيل المثال فإن قرار إعلان بدء **العمليات العسكرية** الشاملة يحدد ويرتبط بتقييم الموقف السياسي والعسكري الناتج عن تجميع وتحليل مختلف المعلومات الواردة للجهاز المختص.

صناعة المعلومات

وقد أصبحت المعلومات «صناعة» مثل الصناعات الأخرى. ويتنبأ البعض بأن «صناعة المعلومات» ستكون من أسرع الصناعات نمواً في الولايات المتحدة الأميركية في الربع الأخير من القرن العشرين. وكانت صناعة المعلومات هي صناعة ٢٥ بليون دولار أميركي في أوائل السبعينات، ومن المتوقع أن يتضاعف هذا الرقم في الثمانينات.

وقد تحققت كثير من الأمم والحكومات من أهمية المعلومات والدور الحيوي الذي تؤديه. وعلى سبيل المثال فإن هناك في **اليابان** من يوصي بتنمية مركزية مخططة لما يسميه «**مجتمع المعلومات**» على سنة ٢٠٠٠ ميلادية[١٥].

وهكذا تساعدنا المعلومات على نقل خبراتنا للآخرين، وعلى حل المشكلات التي تواجهنا، وعلى الاستفادة من المعرفة المتاحة بالفعل، وعلى تحسين الأنشطة التي نقوم بها، وعلى اتخاذ القرارات بطريقة أفضل في كل القطاعات وعلى كل مستويات المسؤولية.

وإذا كنا قد أيقنا أن المعلومات لا غنى عنها الآن في كل نواحي النشاط، فإن مهمة متابعة المعلومات والتحكم في الإنتاج الفكري المتزايد بصورة رهيبة بدأت تصبح أمراً يكاد يكون مستحيلاً، ومن ثم أصبح «تفجر المعلومات» مشكلة حقيقية تواجه الإنسانية.

المراجع

(١) المنجد الأبجدي، ط١، بيروت، دار المشرق، ١٩٦٧م، ص ٩٧٩.

(٢) خليل الجر: لاروس: المعجم العربي الحديث، تأليف خليل الجر؛ أسهم في تحرير القسم اللغوي منه محمد خليل الباشا وهاني أبو مصلح، باريس، مكتبة لاروس، ١٩٧٣م، ص ١١٣٤.

(٣) محمد فتحي عبد الهادي، مكنز مصطلحات علم المكتبات والمعلومات، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التوثيق والمعلومات، ١٩٨٠م، ص ١٣٥.

(٤) لانكستر، ولفرد، نظم استرجاع المعلومات، ترجمة حشمت قاسم، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨١م، ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٥) Hayes, Robert M. Information science education.–in:
ALA World encyclopedia of Library and information Services.–Chicago: American Library Association, 1980–P 248–249.

(٦) عبد الرحمن عبد العزيز مازي، مركز المعلومات الوطني للعلوم والتكنولوجيا ودوره في نقل وتطوير وتطبيق تكنولوجيا المعلومات، الرياض، المركز الوطني السعودي للعلوم والتكنولوجيا، ١٩٨٠م، ص ١٥.

(٧) Viswanathan, C.G. Elements of information Science.– New Delhi: To day and Tomorroms Printers and Publishers, 1976.–P5.

(٨) سعد محمد الهجرسي، الإطار العام للمكتبات والمعلومات، أو، نظرية الذاكرة الخارجية، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٩٨٠م، ص ٢٧.

(٩) أثرتون، بولين، مراكز المعلومات، ترجمة حشمت قاسم، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨١م، ص ٣٠.

(١٠) Gray, John. Scientific information/ John Gray and Brian Perry.–London: Oxford Univ. Press, 1975.–P1.

(١١) Becker, Joseph. The First book of information Science.– Washington, D.C.: U.S. Energy Research and Development Administration, 1973.–P18.

(١٢) حشمت قاسم، مقدمة المترجم، في: أثرتون، بولين، مراكز المعلومات، ص ٣.

(١٣) محمد عبد الخالق مدكور، خدمات المعلومات والاسترجاع الإلكتروني، القاهرة، مركز التنمية الصناعية للدول العربية، ١٩٧٩م، ص ٢.

(١٤) قطاع المعلومات في الاقتصاد المصري يتسع والاهتمام به يكاد ينعدم، الشرق الأوسط، (٣٠/٥/١٩٨٢م)، ص ٥.

(١٥) American Society for information Science. How about considering information Science.– Washington, D.C.: ASIS, 1977.–P2.



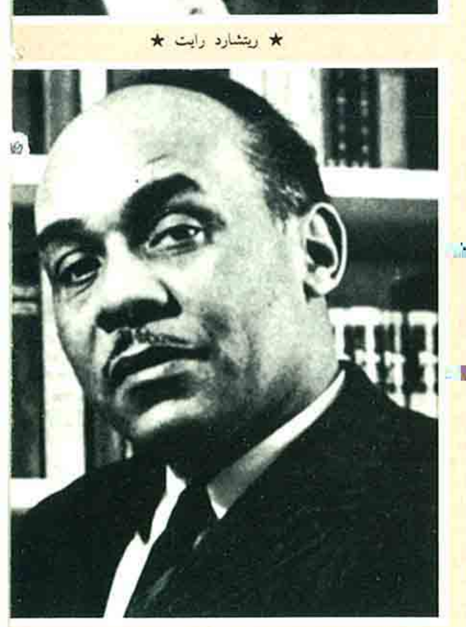
لقد استوطن المستعمرات الأمريكية رجال فارون ، فارون من قارة أخرى ، فارون من وجه العدالة ، أو من الظلم والطغيان . كان البعض منهم سامي المبادئ ، نبيل المشاعر ، على خلق كريم ، يتمسكون بأهداب الدين ، بينما كان آخرون نشالين أو سفاحين . جاء بعضهم ينشد الاستيطان ، وجاء آخرون يستهدفون الاستغلال . و[illegible] هي العادة في الأغلب [illegible] أبطال ، كما كان منهم رجال ذوي صفات بطولية عقدوا العزم على أن يزيدوا ملكهم المفتون بالثراء ، مالا على مال ، والحب للشهرة وبعد الصيت مجداً على مجد .





★ الشاعر ثورو يتحدث إلى عمة أمرسن ، ماري أمرسن التي كان يعتبرها أذكى امرأة ★

★ ريتشارد رايت ★



★ رالف اليسون ★

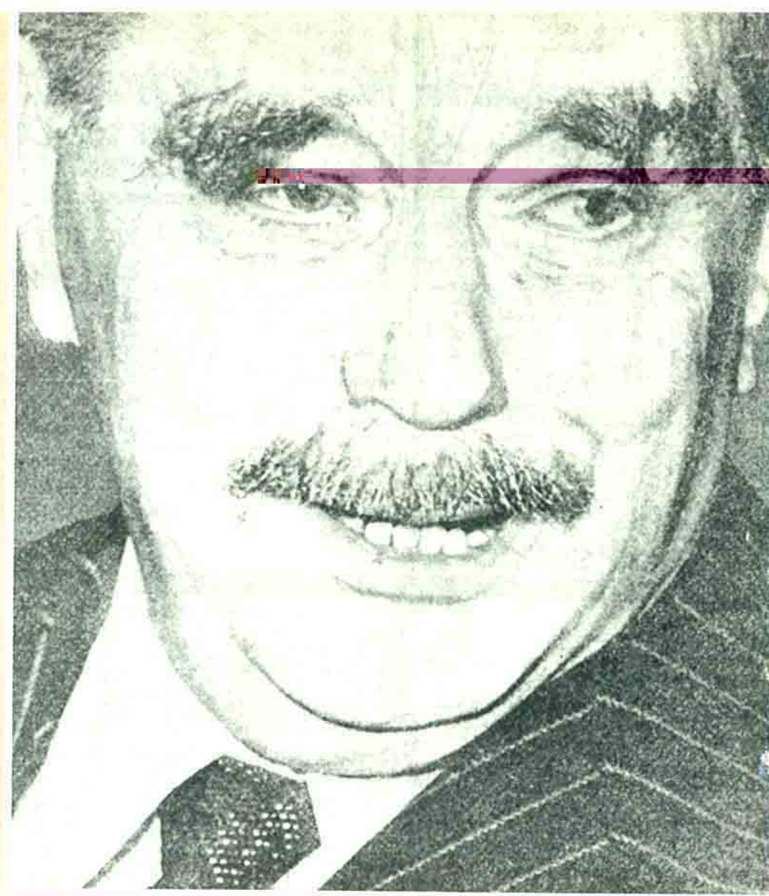
الهروب والهاربون

بقلم : د . فيليبس روتش كلوتمان[1]

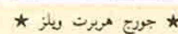
ترجمة : د . سليم الأسيوطي

كما كان هناك أيضاً بين هؤلاء الفارين المضطهدين ، أناس يحاولون الهروب من الاضطهاد الديني أو الطغيان السياسي ، إلى أوطان غير الأوطان وهم ينفثون المهانة والمذلة بين جوانبهم ، في ذات نفوسهم . لقد أمكن **الكاتب الروائي نتانيل هوثورن** الأدب الأمريكي ، بأجدر هؤلاء الأفراد بالذكر ، هؤلاء الذين رسخ في نفوسهم **الوعي البيورتياني**[2] الثابت . إن الكثير من نمو أمريكا واستقرارها يأتي من هؤلاء الأسلاف القدامى الرحل ، الذين بعد أن ضربوا بجذورهم عميقة بعيدة في وطن جديد ، رفضوا بصلابة وعناد أن يتزحزحوا قيد أنملة بعيداً عن الأرض من جديد . إن غالبية المهاجرين الذين وفدوا إلى أمريكا في كل وقت على مدار العام ، وفي كل فصل من الفصول ، قد أصبحوا المستوطنين الذين قدموا للبقاء على أرضها ، ليكونوا الرواد في كل حقل جديد يتيح مجالا لنشاط الرواد والمستكشفين . إن **الشاعر الأسود لانجستون هيوز**[3] ينطق المستوطن بصوته الذاتي الخاص به :

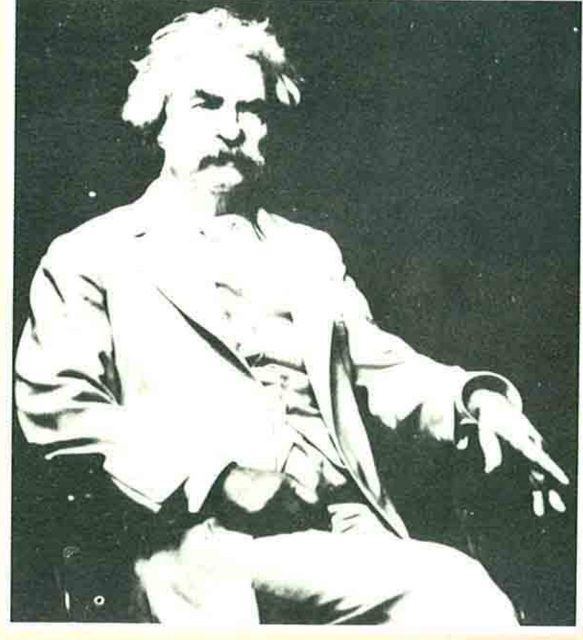
أو ، أنا الرجل الذي جاء يمخر
عباب هذه البحار الأزلية
بحثاً عما انتويت أن يكون وطني
فأنا الإنسان الذي ترك شاطئ
أيرلندا المظلم ،
وسهل پولندا ، ومرعى إنجلترا
المعشوب ،
جئت وقد انتزعني القدر من



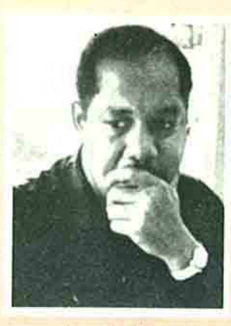
★ جورج هربرت ويلز ★



★ جونز ★



★ مارك توين ★



★ جانس ★



★ ريد ★

في الأدب الأميريكي المعاصر

شاطئ إفريقيا السوداء لأبني «وطن الأحرار».

الرجل الهارب

إن «**الرجل الهارب**» في الأدب يمكن إدراكه وتمييزه في أكثر حالاته بساطة بوصفه البطل الذي يرفض قيم الثقافة أو المجتمع الذي يجد فيه نفسه بحكم المولد، أو الاضطرار، أو الاختيار، أيها، فيلوذ بالفرار حقاً وفعلاً. وفي غضون القرن التاسع عشر حينما حاول الهروب من أعضاء استشعار مجتمع معاد أو ضار أو غير ملائم، كان ما يزال قادراً على الفرار من شيء ما، لكن أيضاً إلى شيء ما: من المستوطنة إلى الحدود مثلما نرى في كتابات **كووبر**[٤] **الكاتب الروائي الأميريكي**، ومن العبودية إلى الحرية كما في قصص الرقيق، ومن اليابس إلى البحر كما في كتابات **ميلفل**[٥]، ومن المجتمع إلى النهر كما في مؤلفات **مارك توين**[٦] أو إلى البحيرة كما عند **ثورو**[٧]. ولما كان هذا الهارب غالباً رومانسياً بطبعه، فإن شطحات الخيال عنده نادراً ما كانت عقيمة أو عديمة الجدوى في حياته، لقد كان آنئذ كما هي حاله الآن، ناقداً لزمانه ومكانه.

إن مجتمع القرن العشرين على أية حال في حرمانه له من تحقيق رغباته، والوصول إلى غاياته، فرض عليه قسراً فعلة الفرار ذاتها، ذلك الفرار الذي أحاطته ظلال الغموض المعقدة والألغاز المركبة. ولكي ندرس هذه التعقيدات في **الأدب الإفريقي/ الأميريكي**، ونتفحصها يتحتم علينا أن نصف خلفية هذه الشخصية الرمزية المجازية ونصورها بدقة، كما يلزمنا أن نتعرف على تكوينه وتطوره ونموه. فمن الناحية الروحية، هو قريب للرقيق الآبق[٨]، لذلك الرجل الهارب الذي

كان هروبه يشكل ضرورة ملحة وحاجة شديدة مفرطة إلى «موطن الأحرار» أو فيما وراءه.

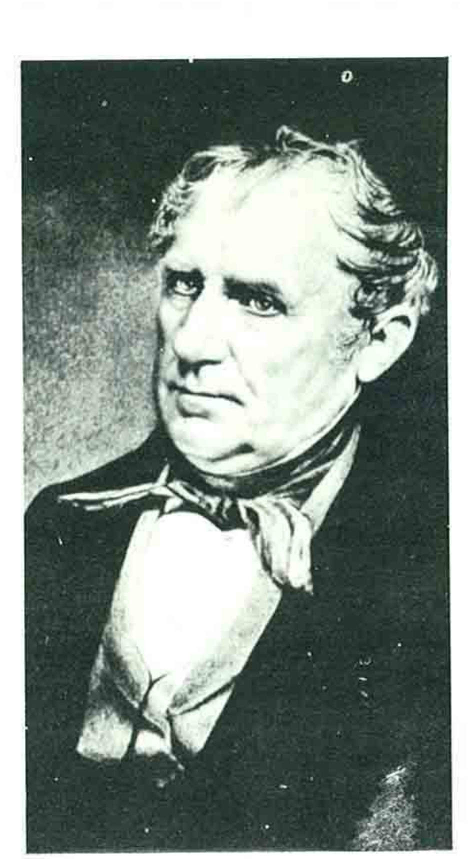
إن الكتّاب جميعاً، أو على أقل الاعتبارات الغالبية منهم يقررون ظهور «الرجل الهارب» ووجوده في **الأدب الغربي**، ويحاولون وضع الهارب الأسود ـ منذ قصص العبيد حتى قصص الأسود المعاصر ـ في ذلك الهيكل وبنيته ونظامه. بينما يؤكد بعض النقّاد الصفات المستقلة المتميزة للأدب الإفريقي / الأمريكي، وينزعون إلى تمرير واقعية خصوصية التجربة، وأهمية عرف القوم السود لدقائق الأدب، وهؤلاء الكتّاب يتأملون **الأدب الإفريقي / الأميريكي** وينظرون إليه على نحو موصول بالتفكير والتروي في سياق الثقافة الغربية الأميريكية وتقاليدها. وفي الحقيقة والواقع ليس في الاتجاهين كليهما ـ اتجاه الكتّاب والنقّاد ـ تقتصر وجهات النظر على واحد دون الآخر، بالتبادل.

إن **شيرلي آني ويليامز** في دراستها الموضوعية المنهجية للأدب الأسود الجديد، تصر على أن عمل **رالف اليسون**[٩] الذي يبدو وثيق الصلة بموضوعنا هذا نرى فيه المؤلف: يطعم رموزاً من الحياة السوداء برموز من التقليد الأدبي الغربي، لخلق لغة رمزية شخصية ذاتية فذة، ومع ذلك فهي لغة شاملة عامة بصورة فريدة.

الأدب الإفريقي / الأميريكي

ولكي نقدر مجال المعنى الكامل في هذه الأعمال حق قدره فإننا سوف نناقش الأدب الإفريقي / الأميريكي بمصطلح الثقافة الغربية ونماذجها وفي الوقت نفسه نتعرف على المباحث الفذة التي تشغل أفكار الكتّاب الأميريكيين السود. والكثير من هذه المباحث يستمر ويدوم لأن العنصرية مستمرة ودائمة، إذ إن الأدب، كما لاحظ **هويت فوولر** Hoyt Fuller، محرر مجلة **العالم الأسود** «The Black World» ينشأ أساساً من تجربة الناس. وتجارب الناس السود في أميركا غالباً ما دعت إلى الاحتجاج ونادت به، ومن ثمة، ظهر الكثير من الأعمال الأدبية التي تنحو هذا النحو. كما جاءت أيضاً، فترة من الزمن يمكن وصفها «بعصر تأييد الدمج العنصري» ثم أخذ الأدب منعطفاً حاداً نحو الاغتراب والانفصال المتعمدين.

وبدأ كتّاب الستينات يكتسبون تدريجياً صفتهم المميزة بالالتزام الثقافي نحو الصراع من أجل روح



★ كوبر ★

شعبية جديدة سوداء مستقلة، ومع **هارولد كروز** Harold Cruse، كمتحدث ثقافي، ومع **الدريدج كليفي** كصانع الأسطورة، ومع **أديسون جايل الابن** Addison Gayle Jr. كناطق بالجمال الأسود. أما مع **أمرسون**[١٠] وإعلانه للاستقلال الأميريكي الثقافي، منذ أكثر من قرن من الزمان، فإن عدداً أكثر وأكثر من السود يؤكدون استقلالهم عن الثقافة البيضاء السائدة.

منذ عام ١٩٦٠م، تميزت أعمال الكتّاب الشباب السود بوعي جديد بالهوية «السوداء». إن الثورة السوداء القائمة، مثلما كانت حركة الزنوج الجديدة في عشرينات هذا القرن، ومثلما كانت ثورة الزنوج في الخمسينات، هي مجهود بذله الأميريكيون السود لتوضيح هويتهم وتفسيرها، كما استهدفت تحديد الأسس المناسبة للكبرياء والكرامة الأساسيتين للحياة المعنوية للبشر. والفارق الوحيد ذو المعنى والمغزى هو أنه، للمرة الأولى في أميركا لا يعترف المفكرون السود مجرد اعتراف بالفروق الثقافية التي تميزهم عن المواطنين البيض، وبدلا من هذا الاعتراف وعوضاً عنه يرفضون المقاييس الثقافية الموضوعة للمجتمع الأبيض.

إن عالم الكاتب الأسود الخلاق لم يعد ينتقل إلى «الزنجي» كفريسة للمجتمع، فالأبطال السود اليوم يضطهدون أقل مما يضطهدون (ومثل ذلك بطل رواية «**طبال مختلف**» **لمؤلفها توكر كالبيان** Tucker Calibian)، وجوش المحارب بطل رواية «**آلاف مؤلفة رحلت**» فلقد أصبحوا المهيمنين على مصائر أنفسهم. إنهم كهاربين قد يتحولون إلى محتالين مخادعين، يضللون ضحاياهم البيض، وأحياناً السود: إن شخصية راينهارت في **رواية «الرجل الخفي»** قد جاء في أعقابها شخصيات أخرى مثيلة وهي رينو، ومستر جيمس، وجوني دي في **رواية «مانتشايلد في أرض الموعد»**، وراستوس في «ديم»، **وجورج واشنطون في رواية «حياة مستر جيف آس نيجر وغرامياته»** وشخصية بوباهاندي في **رواية «كابتن بلاكمان»** الذي يخدع الجيش الأميريكي. إن بعض الشخصيات من مثل، بن في «**العودة إلى الديار**» وآبي في «**كابتن بلاكمان**» يتنكرون للأميريكيين ويقلبون لهم ظهر المجن. أن مبدعي هذه الشخصيات الحقيقية القصصية لا ينشدون الرحمة ولا يطلبون الشفقة من قرائهم البيض ولا مجرد التعاطف معهم. إنهم يخاطبون جمهور النظارة السود في المسرح أكثر فأكثر، ثم القارئ الأسود. والبعض من الكتّاب من مثل «**أمامو أميري بأراكا**»[١١] و«**لوروا جوتر**» يرون في هدف الفنان الأسود تدمير المجتمع الأبيض، وقد حددوا مبدأ جمالياً يقوم على قيم السود والقواعد الأخلاقية السوداء. والبعض منهم من مثل **وليم كيللي وآرنولد ل. فير** يستخدمون النار كرمز للدمار الذي يجلبه الاستهتار الصليب أو الإثم المتعمد للمجتمع الأبيض.

إن حتمية بعض أنواع الدمار تلازم كتابات هؤلاء الناس. ومع ذلك فعند البعض يتوافر نوع من التفاؤل القابل للانتشار في كل مكان والنفاذ إلى كل موقع واختراق كل مجال. إنهم يرون إحساساً متزايداً بالوحدة، ويفتقدون الشعور بالزمالة وتحقيق الهوية الجماعية، ويهيمون بحب البقاء: **فإن العالم الأبيض قد يبيد وينقرض ولكن العالم الأسود لن ينتهي إلى هذا المصير!** إن الهاربين في رواية «الرجل الذي صاح هأنذا هو» لمؤلفها **جون آبي وليماز**

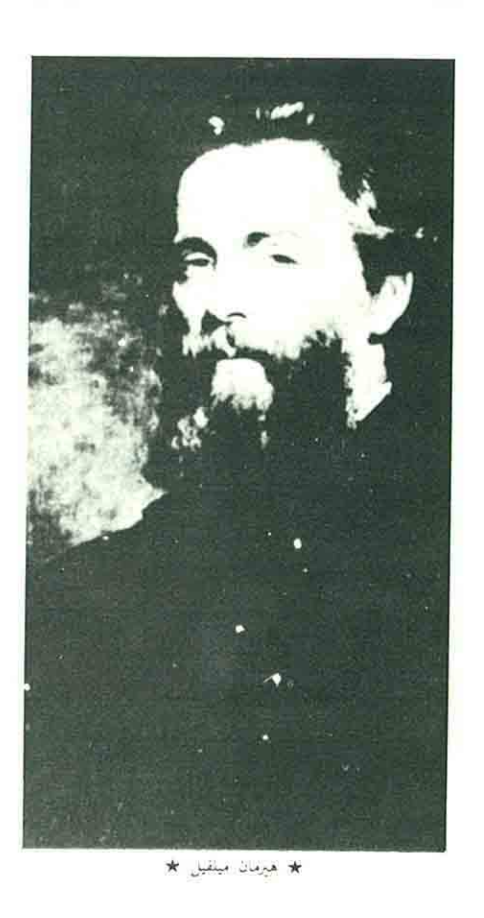
John A. Williams يعتنقون أكثر العقائد إسرافاً في اليأس . فإن الصالحين يموتون متفجعين متوجعين ، ما لم يموتوا شباباً ، لإدراكهم بعد فوات الأوان ، بصورة تبعث على السخرية وتدعو إلى التهكم ، بأنهم قد سعوا إلى حتفهم بظلفهم . إن المأزق الأخلاقي الذي فرضه الجاسوس الواشي ، أو المبلغ المحترف وهو مأزق اعترف به **الكاتب ريتشارد رايت الأسود** منذ سنوات مضت ، أصبح اليوم مجال ريادة ، ودراسة وبحث في الروايات والدراما (بما في ذلك الدراما السينمائية) ومثال ذلك فيلم « مستقيم الخلق » الذي جرى تصويره في منطقة « هوو » في (كليفالاند) وكذلك في الشعر ، بما في ذلك قصيدة **دودلي راندال** « المبلغ » :

صاح قائلاً
« القوة السوداء »
بصوت مرتفع جداً
لم نسمع قط
همساته ....
....

وفيما يكاد أن يكون في كل أعمال هؤلاء الكتّاب ، يبدو أن إحساساً متزايداً من الغيظ إلى حد ما يحل محل الإحباط الشائع في أعمال كتّاب من مثل **ريتشارد رايت**[١٢] ، **ووليم آتاواي**[١٣] ، **وتشستر هايمز** في الجميع ، على كل حال ، يبدو الرجل الهارب في انتظار مستقبل مأمون أمين مجازاً ، أو هو المستقبل الذي يبدو في رؤيا المستقبل .

مشكلة الهاربين

إن **جيمس بولدوين** في روايته « **حجرة جيوفاني** » (١٩٥٦ م) ، يعالج مشكلة « الرجل الهارب » بالتفصيل . والإشارات إلى الهاربين في روايات أخرى تشكل رافداً غنياً في هذا الاتجاه : إن في رواية « بلاد أخرى » (١٩٦٣ م) مثلاً ، يصور لنا المؤلف شخصية روفوس سكوت الهارب المنتحر الذي ينتهي فراره من قيود المجتمع العنصري المزعج ، الظالم فجأة حينا يقفز من فوق جسر جورج واشنطون ، وفي رواية « **خبرني كم مضى من الوقت على قيام القطار** »[١٤] (١٩٦٨ م) ، نتعرف على ليو براود هامي الممثل الجائل الذي تذكرنا حياته وصراعاته كفنان أسود بحياة المؤلف بولدوين نفسه وصراعاته . وأعمال



★ هيرمان ميلفيل ★

تشستر هايمز الباكرة الهامة ، التي ورد ذكرها آنفاً في إيجاز ، يجب أن يكون حقلاً خصيباً لمزيد من الدراسة والفحص خاصة **روايات « حرب المبادئ الوحيدة »** (١٩٤٧ م) ، و « **إذا ما كان ساخطاً ، فدعه يرحل** » (١٩٤٥ م) ، و « **البدائي** » (١٩٥٥ م) . إن ليوجوردون في حربه العزلاء الضارية انتصاراً لمبادئه حتى يساير مشاعره بالوحدة والخوف وبهدف العثور على ملجأ يلوذ به وهو يخوض تجربته التي تميز الهارب عن غيره من الناس عادة : إنه أيضاً يتأمل صروف الموت الذي سوف يواجهه بطله روفوس سكوت ويستسلم له في النهاية .

لقد كان هناك دائماً ذلك الافتتان الطاغي بالانتحار والنداء الصامت له الذي لا يقدم دواء مسكناً للموت ، ولكن يبعث الإحساس المضني المرهق الذي يعاوده ، إذ يحاول أن يكون رجلاً في عالم لا يقر له بذلك .

إن الشخصيتين الرئيسيتين اللتين يخلقهما الكاتب هايمز ــ روبرت جونز في رواية « إذا ما كان ساخطاً فدعه يرحل » ، **وجيزي روبنصون** في رواية « البدائي » ــ كلاهما ، يدفعهما خوفهما من مجتمع أبيض ظالم ويتبع هذا بغضهما لهذا المجتمع . ويقف جونز عند حافة العنف ، وروبنصون ، على غرار بجرتوماس بطل رواية ريتشارد رايت لا يقف عند هذه الحافة . ولكن البطل فريدا نايلز في رواية « **الرجل الذي عاش في جماعة سرية** » يمكن تحليله أيضاً بوصفه رجلاً يبحث عن حقيقة جديدة ، وكما يلمح **الناقد رونالد رايدناور** ، بأنه « يجب أن ينتهي بحثه بالموت لأنه ليس في الوجود من يرغب في أن يرى فريدا نايلز كما هو في حقيقته فعلاً ، كما أنهم لا يرغبون في مواجهة ما يعرفه هو » .

إن راعي البقر لووب جارو الأسود الشرير الذي يصوره **الكاتب إسماعيل ريد** جديراً بالدراسة الدقيقة بوصفه هارباً فذاً لا يصلح لأن يأخذ مكانه الصحيح في أية زمرة من الهاربين . في رواية « **انهيار الراديو الأصفر الخلفي** » (١٩٦٨ م) ، التي تحفل بأثمن الرموز في الأدب الغربي ، وتهجو كل **مؤسسة اجتماعية**[١٥] معروفة لدى المجتمع الأبيض ، يبدل بطل الكاتب ريد ، راعي البقر المصاب بالعين الشريرة ، النحس ، المشؤوم ، حياته لاعباً في سرك ، فهو يشبه إلى حد كبير بيل بيكت ، واحد من رعاة بقر سود كثيرون الذين مروا مروراً عابراً خاطفاً دون ذكر أو إشارة في كتب تاريخ الغرب . فبعد قتل عشر عدد سكان بلاد الراديو الخلفي الأصفر (أمريكا البيضاء) ومجرميها البشعين ، ينطلق لووب على صهوة جواده ، بما يكاد أن يكون نحو الغروب وليس عند الغروب تماماً . ويدخر المؤلف ريد الورقة الرابحة لآخر لحظة . فنحن لا نرى البطل في السباق الأمريكي فحسب ، ولكننا ندرك ، منذ لحظة وصول البابا ، فهذه هي رواية التهور والطيش ، التي تشيع فيها روح الفكاهة البذيئة المتحررة السوقية مطلقة العنان ، وتمتد بآفاقها وتخومها حتى تشمل العالم أجمع وتغطي الكون بأسره . ويثب جواد لووب جارو وثبة مجنونة ويسبح إلى سفينة البابا حتى يتمكنا من أن يقوما برحلتيهما البحرية معاً عائدين إلى حيث بدءا .

روايات العبور

إن جمهرة من الأعمال الأدبية يمكن ريادتها في هذا السياق : **روايات العبور** . فإن موضوع العبور ، سواء بسواء مثل دور « **الخلاسي المأسوري** »[١٦] قد شغل الكتّاب السود والبيض ، كليهما ، منذ القرن التاسع عشر ، عندما استخدم السادة شكلاً مختلفاً من « حق السيادة الشرعي » ــ في **العصور الوسطى** Droit du

seigneur بالاستيلاء على أجسام عبيدهم من النساء، وإنجاب عبيدهم الخاصين بهم من ذوي اللون الأفتح. فإن الرواية الأولى السوداء التي ألفها **وليم ويلزبراون**: «كلوتيل، أو ابنة الرئيس» (١٨٥٣م)، تتناول حياة الابنة المزعومة لتوماس جيفرسون وذريتها. وقبل ذلك بعام، صدرت رواية «**كوخ العم توم**» لمؤلفتها **هاريت بيتشر سنو**[١٧] المأساة العظمى في حياة الخلاسي الرقيق. إن العبور ـ وهو الفرار إلى العالم الأبيض الذي يقوم به شخص من أبوين مختلفي اللون الذي يبدو أن لون جسده الفاتح يتيح له فرصة الهروب من الوحشية التي غالباً ما تكون بلا مسوغ ولا مبرر للتجربة السوداء في أمريكا قد تولاها بالفحص والدرس كُتَّاب سود من مثل **تشارلس تشنوت في روايته «المنزل خلف شجرة الأرز» (١٩٠٠م)، ورواية جيمس ويلدن جونسون «السيرة الذاتية لرجل ملون سابق» (١٩١٢م)، ورواية «فرار» (١٩٢٦م)، لمؤلفها ولتر هوايت**، ورواية «**جيزي فاوست**»: «بلون بوم» عام (١٩٢٨م)، ورواية «**عبور**» لمؤلفتها «**نيللا لارسن**» (١٩٢٩م)، كما قد عالج هذا المبحث كُتَّاباً من البيض مثل فاني هيرست في روايته «**محاكاة الحياة**» الميلودرامية (١٩٣٣م)، التي صورت في فيلمين سينمائيين، الأول في عام ١٩٣٤م، والثاني في عام ١٩٥٩م، وكذلك اتجه **ريكتس سومر** الاتجاه نفسه فقد تحولت روايته «نوعية» ١٩٤٦م، إلى فيلم «ينكي» في عام ١٩٤٩م. وفي كل هذه الأعمال على كثرتها وتعددها نادراً ما يكون البطل (أو الشخصية الرئيسية فيها) سواء أكان ذكراً أم أنثى، سعيداً كل السعادة. فإن الهروب من السواد غالباً ما يكاد أن يصور كل ما هو سلبي، أو كلون من الموت السيكولوجي، ولكن آراء الكاتب الأسود في الدوافع المعقدة والضغوط العاطفية للشخص الذي يفضل أن يراه الناس شخصاً أبيض، هي من المحتم آراء أقرب إلى صدق تلك التجربة.

إن الإناث الهاربات يشملن بطلات حوادث الهروب من الرقيق مثيلات هاريت توبمان، سوجورنر تروث وألين كرافت، والبطلات القصصية المعقدة التي صورتها كاتبات من مثل **زورا نيلي هيرتسون، وتوني موريسون، وأيميست جي. جانيس**. أما شخصية كرين البطلة القلقة النزاعة إلى الانتحار التي تصورها الكاتبة لارسن في روايتها «**الوغث**»[١٨] (١٩٢٨م)، فهي نقيض شخصية جاني التي تقدمها لنا الكاتبة زورا نيلي هيرتسون في رواية «**كانت عيونهم تخشى الله**» (١٩٣٧م)، **فهي** شخصية امرأة تشق بنفسها، وتعتمد على ذاتها، وتتولى أمر العناية بها. وشخصية سولا في رواية توني موريسون الممتازة التي تحمل الاسم نفسه (١٩٧٤م)، فهي ليست تتمتع بالثقة التي تتصف بها شخصية جني التي يصورها هورستن فحسب، بل أيضاً تتمتع بالقوة الخارقة للعادة والشخصية القوية، وعلى الرغم من أنها ليست أساساً هاربة، فإن لديها مرونة العقل، وصلابة الروح التي يربطها المرء، بالخير أو بالشر، خطأ، بالأبطال الذكور الذين غالباً ما تضعهم رغبتهم في الحرية على هذا الطريق. **وبظهور رواية الكاتبة جانيس «السيرة الذاتية للآنسة جين بيتمان» (١٩٧١م)، دخل قصص الرق والأرقاء عصر السبعينات كلون فني بديل للجنس الأدبي**. إن الفروق واضحة. فإن فرار جين إلى الشمال انتهى بالإحباط، فهي لن تصل إلى هناك أبداً. إن مولدها في الحرية تحت اسم جديد خلعه عليها جندي أمريكي لا يتحقق أبداً كل التحقيق. إن نائب العريف ـ الأومباشي ـ راون، شبيه بالشمال نفسه، يتحمل مسؤولية الحرية، ولكن هناك مسافة شاسعة تفصل بين الحلم والحقيقة. إن رحلة جين ـ قرابة مائة عام ـ لهي ذات أبعاد ملحمية بطولية، إنها تجسد روح الشعب وتاريخ حياته في أمريكا.

وإجابة عن سؤال حول المباحث السائدة في أدب السبعينات، تجيب **الكاتبة المسرحية السوداء، آليس تشيلدرس**: «أعتقد أن الكتَّاب السود جميعاً، سواء أرادوا أم لم يريدوا، ما زالوا يكتبون حتى الآن عن أنهم ليسوا أحراراً دائماً ـ منذ بداية أمريكا حتى الآن ـ ومن الطبيعي أنك تجد عدداً عظيماً من الكتَّاب البيض الذين كتبوا عن الحرية بمفهومهم الخاص، ولكني لا أفكر في هذا الفيض المركز المتصل العظيم من الآراء والأساليب كما يفعل الكتَّاب السود».

ربما يكون سبب توارد ذكر الهارب في الأدب الإفريقي/ الأمريكي ـ بدأ من قصص الرقيق إلى قصص السبعينات ـ هو الرغبة العارمة التي لا تقاوم ولما تتحقق في الحرية.

الهوامش

(١) الدكتورة فيلبس روتش كلوتمان، أستاذة الدراسات الإفرو/ أمبريكية في جامعة أنديانا، نشرت العديد من المقالات عن الأدب الإفريقي/ الأمبريكي في «مطبوعات الأدب الأمبريكي» و«مجلة الأدب المعاصر» و«مجلة فيلون»، و«دراسات في أدب السود» و«مجلة الثقافة الشعبية».

(٢) البيورتيانية أو التطهرية، هي جماعة بروتستانتينية في إنجلترا ونيوانجلند (في القرنين ١٦ ـ ١٧م)، طلبت التمسك الشديد بأهداب الفضيلة.

(٣) هيوز/ لنسجنون (١٩٠٢ ـ ١٩٦٧م)، شاعر وروائي وكاتب ساخر ومؤلف مسرحي، ولد في جوبلن من أعمال ولاية ميتسوري، وهو أسود.

(٤) جيمس فينمور كووبر (١٧٨٩ ـ ١٨٥١م)، ولد في بيرلنجتون، مقاطعة نيوجيرسي.

(٥) هيرمان ميلفل (١٨١٩ ـ ١٨٩١م)، مؤلف روائي وشاعر وكاتب قصة قصيرة، ولد في مدينة نيويورك.

(٦) مارك توين (صموئيل لانجهورن كليمنس) (١٨٣٥ ـ ١٩١٠م)، كاتب روائي ساخر ـ الولايات المتحدة.

(٧) هنري ديفيد ثورو (١٨١٧ ـ ١٨٦٢م)، كاتب وشاعر شهير ـ الولايات المتحدة.

(٨) الأبق: الفار من وجه الرق والعبودية طلباً للخلاص والحرية.

(٩) كاتب روائي أسود (١٩١٤م ـ ......) ولد في أوكلاهوما، أشهر رواياته «الرجل الخفي» ١٩٥٢م، وهي من أمتع الروايات التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية.

(١٠) رالف والدو امرسون (١٨٠٣ ـ ١٨٨٢م)، فيلسوف وشاعر، وواحد من أهم كتَّاب أمبريكا الاستشراقيين أو المتعاليين ـ أتباع الفلسفة المتعالية ـ وهي كل فلسفة تقول إن اكتشاف الحقيقة يتم بدراسة عمليات الفكر لا من طريق الخبرة أو التجربة.

(١١) كاتب مسرحي وروائي، ولد في نيوجرسي عام ١٩٣٤م، واشتهر كمفكر أسود رائد، ومتحدث وكاتب في أثناء الثورة فيما بين (١٩٥٠ ـ ١٩٦٠م)، ومن مسرحياته «الهولندي»، و«المحاضر الميت».

(١٢) ريتشارد رايت (١٩٠٨ ـ ١٩٦٠م) كاتب رواية، وقصة، وناقد اجتماعي ومعلق، تكاد تكون كل كتاباته تتركز على دور الزنجي في عالم يسوده البيض.

(١٣) هايمز، تشستر (١٩٠٩م ـ ......) كاتب روائي، ولد في ميتسوري وتلقَّى العلم في جامعة أوهيوستيت.

(١٤) هذه الرواية هي الكتاب الثاني للرواية التي تحمل عنوان: «من ذا الذي هناك؟ سأل المسافر».

(١٥) المؤسسة الاجتماعية نمط منظم من سلوك الجماعة راسخ الجذور ومعدود جزءً أساسياً من حضارة أو ثقافة كالزواج والرق.. إلخ.

(١٦) الخلاسي أو المولد شخص مولود من أبوين أحدهما أبيض والآخر زنجي.

(١٧) كاتبة روائية (١٨١١ ـ ١٨٩٦م) أشهر مؤلفاتها «كوخ العم توم» الذي أشعل الشرارة الأولى ضد نظام الرق في الولايات المتحدة ثم العالم أجمع.

(١٨) الرمل الناعم اللين تغيب فيه الأقدام ويغوص فيه الإنسان.



القرية .. والفن

بقلم: فوزي سليمان

- فنانون قرويون على الفطرة، يعزفون على الخيوط
- كيف يمكن تحطيم الحاجز الوهمي بين الحرفة .. والفن؟



★ أطفال الحرانية يعزفون على النول ★

ليس بعيداً عن القاهرة ، تقع قرية صغيرة ، لا تكاد تختلف عن غيرها من القرى المصرية ، نستدل عليها ببيوتها وقبابها ، البيضاء وتبدو في الطريق إلى **سقارة** بالجيزة ، كبقعة بيضاء وسط خضرة الريف ، لكن هذه القرية الصغيرة بهرت العالم بتجربة فنية رائدة ، أداة التعبير فيها الخيط الملون ، وأصحابها قرويون يعزفون على هذه الخيوط في ايقاع مثير .

هذه هي قرية « **الحرانية** » صارت علماً على نهج خاص في الابداع الفني في **فن المنسوجات** ، عرف به العالم من خلال **المعارض العديدة** التي طافت بإنتاجه بين كثير من **دول أوروبا وأمريكا** ، ومن خلال ما نشر من **الكتب بالانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية** وغيرها من اللغات ، ومن خلال **الأفلام التسجيلية** العديدة عربية وأجنبية . **وما زالت تجربة الحرانية تثير الاهتمام ، بل صارت مصدرا لتجارب مماثلة طبقت في بعض بلاد الغرب وفي إحدى قرى السويد بالذات .**

ما هي هذه التجربة ؟ ما أهميتها وما آفاقها . ولماذا صار لها هذا الاهتمام العالمي حتى غدت من الأماكن التي يحرص الكثيرون من الأجانب أو الفنانين منهم خاصة على زيارتها . . كيف بدأت وكيف تطورت على مدى خمسة وعشرين عاماً ، ثم كيف تستمر اليوم بعد انتقال رائدها إلى العالم الآخر . . هل ما زال لها نفس العطاء الابداعي ونفس الحماس ؟

لقد أتيح لكاتب هذه السطور أن يتردد على « الحرانية » في فترات عديدة وأن يعايش التجربة ويلتقي بمؤسسيها ، وبفنانيها من القرويين ، حينما كانوا ما زالوا صغاراً وحينما شبوا وحينما بدأوا يأخذون معهم صغارهم ترضعهم أمهاتهم « الفن » مع اللبن . وهن جالسات ينسجن على النول .

كأي مشروع كانت البداية فكرة . . والفكرة لا تأتي إلا بعد دراسة وبحث وتمحيص . . فما هي الفكرة التي تقوم عليها تجربة « الحرانية » ؟ إنها باختصار -واختصار شديد- تبنى على أساسين :

●● **أولهما** : تحطيم الحاجز الوهمي بين « الحرفة » والفن .

الحرفي فنان

وهل هؤلاء حرفيون فحسب ؟ أم أنهم فنانون ؟ هذه قضية يثيرها رمسيس واصف ويناقشها ، لينتهي إلى « أن الحرفي يمكن أن يكون فناناً » . فهو ليس مجرد عامل يدوي مثل العامل في المصنع الحديث الذي يكرر عمله كالآلة ، كما أن بعض الأنشطة التي تنطوي تحت الفنون الجميلة تتضمن عنصر العمل اليدوي مثل « **المثال** » الذي نحت تماثيل **مصر القديمة** ومثل صناع **الزجاج المعشق** ، أو هؤلاء الذين نقشوا وزخرفوا **المساجد والكاتدرائيات** .. **ألم يكن هؤلاء فنانين ؟**

ووصل إلى نتيجة هامة هي أن المهارة الفنية والحرفية ليستا إلا وجهين لنشاط واحد ، المهم هو استثارة قوة الابداع الفني في مهنة الحرفي ، وفي عصرنا هذا هناك حاجة إلى المنتجات الحرفية ذات القيمة الفنية .

ووجد أن القوة الابداعية للانسان العادي تضيع في ظل النظام التعليمي الجامد والنمطي وبسبب انتشار التكنيك الصناعي ، فالآلة تؤدي إلى سلبية الإنسان وأن مقدرة الابداع الفني متوفرة في كل طفل ، لكنها تحتاج إلى تشجيع وإلى حماية من المؤثرات الخارجية .

النسيج .. لماذا ؟

وبدأ يطبق نظريته حيث اختار مجموعة من الأطفال في عمر عشر سنوات وجاء لهم بخيوط ونول . بتوجيه منه إلى التكنيك . تركهم يعملون .. لكن **لماذا اختار النسيج بالذات ؟**

يقول رمسيس واصف : « إنها تجربة تشمل الجسد والروح . فيها توازن بين العمل اليدوي والابداع الفني . فيها اختيار دقيق للتشكيل . إن الطفل يعبر عن نفسه في صور مترابطة .. الصورة عنده انعكاس لحياته الداخلية .. ومن خلال اختيار الطفل لخيوطه ولألوانها ، وأثناء العملية البطيئة في النسيج على النول ترشد أصابعه وتنضج أفكاره » .

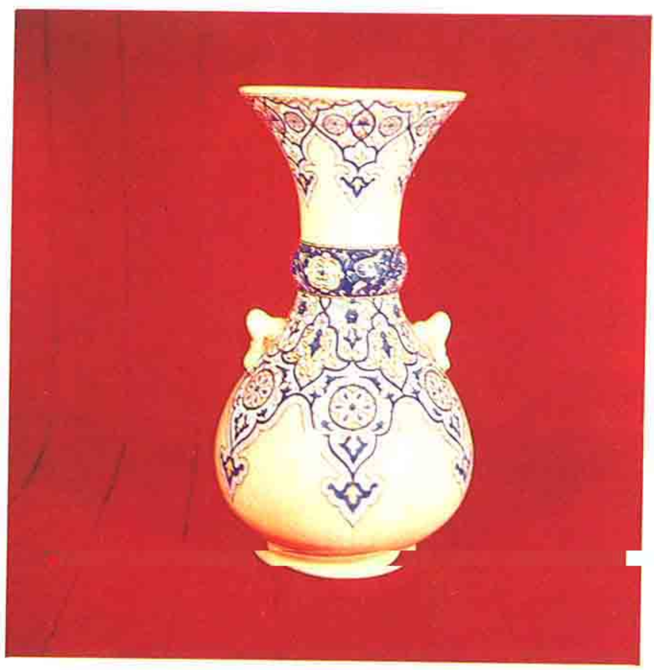
من الشيق أن تلاحظ هذا الولد القروي ابن العاشرة وهو « يناضل » مع الخيوط ذات الألوان الزاهية ، يختار ويحاول أن يشكل الصورة التي رسمها في خياله . حتى إذا نجح في إنتاج أول صورة له « شجرة أو طائر أو شكل تجريدي » فإنه يشعر بسرور عميق ، كسرور الطفل الصغير وهو يخطو خطواته الأولى أو ينطق أولى كلماته .

وكانت هذه البداية في تجربة الابداع الناشئة نقطة انطلاق لمزيد من الاكتشافات والأفكار الأصيلة ، لوسائل وأشكال جديدة من التعبير ، من خلال الحس باللون والنغم والشعور الغريزي بالتكوين .

في زياراتي الأولى للحرانية ، كنت أتساءل بدهشة :

● **هل يقوم هؤلاء القرويون الصغار بتشكيل اللوحة النسجية من غير رسم أمامهم يرشدهم ؟**

★ كانت إجابة « رمسيس واصف » هادئة واثقة : « يمكن أن تلاحظ





★ آنية من أعمال الحرانية ★

●● **ثانيها** : أن كل إنسان يولد كفنان وأن مواهبه الكامنة يمكن أن تبرز إذا استثير الابداع الفني فيه عن طريق ممارسة الفن من الطفولة المبكرة .

كيف نبتت هذه الأفكار في ذهن أو مخيلة المهندس « **رمسيس واصف** » رائد هذه التجربة ؟

لنرجع إلى الكتاب الذي وضعه باللغة الإنجليزية بعنوان « **نسج باليد** » ، وقد صدرت منه طبعتان ، كما صدر نفس الكتاب **باللغة الألمانية** .. يقول : « في بداية مهنتي كمهندس ، كانت تذهلني جماليات مدن العصور الوسطى ، وكنت أحب أن أتجول في أحياء القاهرة القديمة حيث كنت ألتقي ببعض الحرفيين من ورثة التقاليد الفنية القديمة من نساجين وفخارين ونقاشين للخشب أو صانعي الزجاج الملون . وكنت أتأسف أن أجيالهم تنقرض من غير أن يتتلمذ عليهم أحد ، أو يدربون من يخلفهم » .



★ طيور وأشجار من الطبيعة ★

هذا بنفسك . . إن الصورة تتشكل على المنوال مباشرة .

● **لكن هل تعلمهم أن يصمموا هذه الأشكال؟**

★ لا أعلمهم ، إنني أرشدهم إلى تكنيك النسيج .

لايسترشدني القروي البسيط - ولداً أو فتاة - بأي رسم أو نموذج ، لأن هذا معناه اعتراف بالعجز عن الابداع والابتكار إذا نفذ الطفل عمل غيره فإنه ليس إلا مقلداً ، **إن مخاطرة مواجهة العمل الفني نفسه هي القناة الوحيدة للجهد الابداعي .**

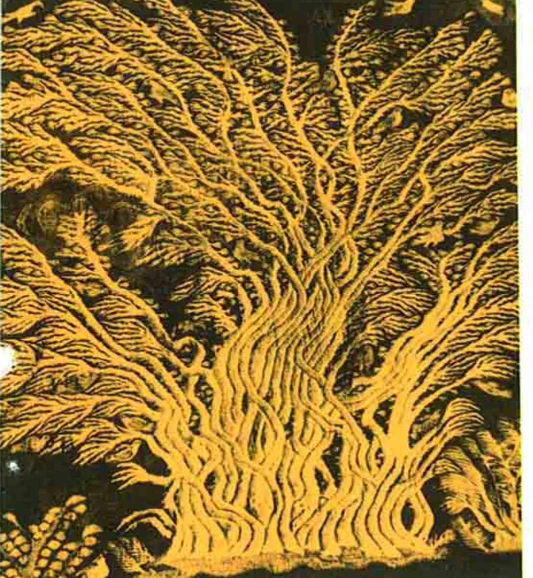
وكان رمسيس واصف يحرص أن لا يقدم للأطفال أعمالا لكي يقلدوها ، بل كان يحرص أن لا يأخذهم إلى **المتاحف** أو إلى **قاعات العرض** ، ولهذا أقام ورشته في القرية حتى يعزل أولاده عن مؤثرات المدينة وعن الزيف السائد فيها . . وحتى يعيشوا مع أنفسهم وعلى الطبيعة . كان يرى - وهو في هذا على حق كبير - أن تبني مشاعر الآخرين ، أو الخضوع لتأثيرهم ، معناه ابتعاد الإنسان عن نفسه وعن مشاعره الخاصة .

إن الطفل يتعلم بنفسه مما حوله ، ويكتشف العلاقات بين الكائنات والأشياء ، وفي محاولته لكي يترجم ما يحس به إلى صور فإن احساسه الكامن للشكل والايقاع يتحكم بلا وعي في تكويناته .

وحينما يتعلق الأمر بالمشاعر فإن أي نقد أو تدخل من الكبار هو غالباً عامل دخيل ومثبط وقد يدل على عدم فهم الكبار الدفء وطزاجة عمل الصغار . ومن هنا **ينادي كثير من رجال التربية بأهمية التعبير الحر للطفل ، وعدم التدخل في تعبيره بنقد يفسد أكثر مما يفيد .**



★ السيدة صوفي - زوجة الفنان الراحل - وراء التجربة الحرانية ★



★ صور من الطبيعة [illegible] ★

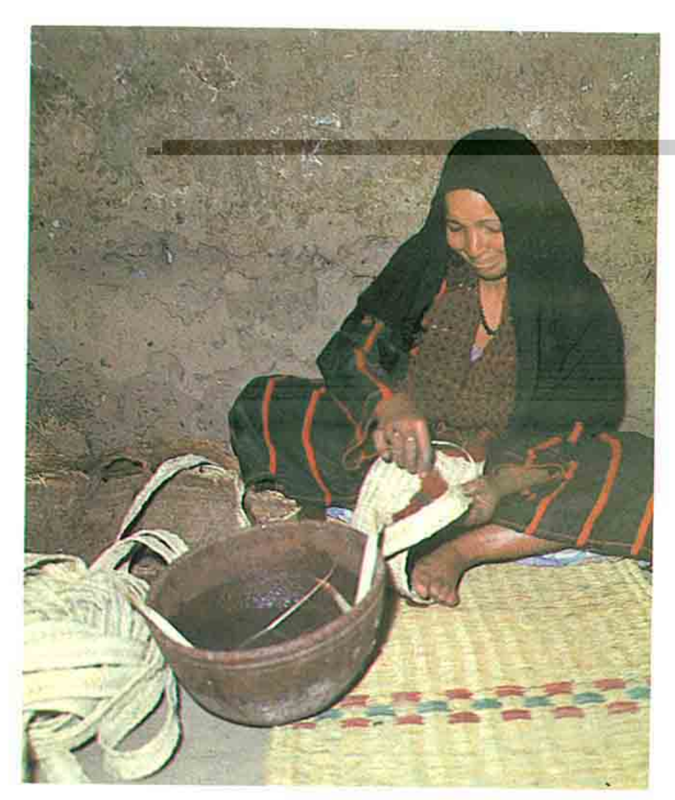
ولك ان تتساءل :

هل معنى هذا أن كل طفل يمكن أن يكون فنانا؟

إن تجربة الحرانية تؤكد هذه الحقيقة على شرط أن يبدأ وهو ما زال في الثامنة أو العاشرة من عمره .

. . لكن **هل هذا يسري على كل طفل حتى في المدينة أو المجتمع الصناعي ؟**

من الصعب أن نبعد المؤثرات المختلفة من وسائل إعلام ومجلات



★ إحدى سيدات تجربة الحرانية ★

وأفلام وغيرها مما يؤثر في حياة الطفل العاطفية . وفوق كل هذا ـ كما يشير صاحب تجربة الحرانية ـ النظام التعليمي الذي يشل المشاعر والاحساس في الطفل .. ومن هنا يجب أن ندعو إلى تحرير النظم التعليمية مما يفيد وجدان الطفل .

وقامت تجربة الحرانية ـ أيضاً ـ على **أساس اقتصادي** . كل من ينتج ينال أجره أو مكافأته فور انتهاء لوحته النسجية . وكان هذا أمراً غير عادي في التعليم ، إنما أخذت به « **مدرسة واصف** » على اعتبار أن المكافأة في ذاتها دليل اعتراف بالعمل ، وأن ما يقوم به الأطفال هو أمر جاد . وقد لاحظت أن كل الفنانين القرويين يعملون بحماس وسعادة في العمل اثباتاً لذواتهم وفيه أيضاً تحسين لمعيشتهم . والإنسان الراضي في حياته المعيشية لا شك أنه يكون أحسن إنتاجاً .

وبعد انقضاء حوالي **ربع قرن** على هذه التجربة ولم يعد الأطفال أطفالا . هل ما زالت الموهبة تنمو مع الكبار ؟ ـ هناك من يقول إن وصول الطفل إلى سن البلوغ يفقده شيئاً كثيراً من مواهب الطفولة الفطرية . لكن تجربة الحرانية تؤكد أن الزمن يؤدي إلى النضج ، ما زال أطفال الأمس وقد غدوا رجالا ينتجون ، فنضجت شخصيتهم الفنية ، كل منهم له شخصيته وطابعه الخاص المميز ما زالت فيهم حيوية متجددة حتى لا يكرروا أنفسهم .

وتقول السيدة صوفي زوجة الفنان الراحل :

« حينما بدأنا العمل في الحرانية لاحظت زيادة إقبال البنات على النسيج أكثر من الأولاد وكن فخورات أنهن محل تقدير جيرانهن ، وبعد عدة سنوات خاطر بعض الأولاد بالحضور حينما لمسوا تقدم العمل بعد أن تأكدوا من جدية المشروع ونفعه » .

● وأسألها : **هل ما زلتم تنتخبون بعض الأولاد الصغار ؟**

★ تجيب : « أساساً الأولاد الكبار الذين يعملون معنا وأحياناً يقنعنا بعض الأطفال بالحاقهم بالمدرسة ، مثل ولد صغير اسمه « علي » استخدم عبقريته في ابتكار نول صغير من الخشب وحماسه والحاحه قبلناه ونؤكد أنه سيكون فناناً متفوقاً » .

● ونسأل : **ألا يصاب الفنانون القرويون بالغرور حينما يرون إقبال الناس عليهم واقامة المعارض في مختلف بلاد العالم لأعمالهم ؟**

★ قالت بالعكس : لقد أشعرهم هذا بفخر طبيعي وبسيط ، وينسب النجاح دائماً للمجموعة مما جعل الغرور الفردي نادراً .

● وسأل فنان إحدى القرويات الناسجات وهي أمام لوحتها بطيورها : **لماذا اخترت كل هذه الألوان ؟**

★ أجابت ببساطة : الواضح أنك تعيش في المدينة ، تعال إلى نزهة في الريف لترى وتحس بألوان أكثر .

● **ألا تخشين أن تخطئي ؟**

★ حينما أشعر أنني سأخطىء أترك النول وأذهب لأجلس في الشمس .

كل فنان هنا يملك رؤية واضحة عن عالمه . إن التعبير الجمالي لا يأتي مما تراه العين وحدها بل من كل شيء نشعر به ، بوضوح أو بغير وضوح ، بوعي أو بلا وعي .

.. وتسير التجربة

وتسير تجربة الحرانية بعد رحيل رائدها ، برعاية زوجته ، وهي نفسها ابنة فنان كانت له تجربة رائدة في النحت التلقائي ، تسير تجربة **سجاد الحائط** وتزهر رسوم وألوان جديدة في اللوحات المنسوجة من **القطن** وفي طباعة **الباتيك** ، حيث يرسم الفنان **بالشمع** المصهور على النسيج ثم يصبغونه وكذا في **الخزف** . وكان الأب قد أرشد ابنتيه على هذه الفنون وقاما مع أمهما باستكمال مشواره في المدرسة التي أنشأها في القرية لتعليم أطفالها فن النسيج ، وسارت إحداهما « **سوزان** » في سلسلة من التجارب في فن اللوحات المنسوجة وفي فن الزجاج والخزف ، وسارت الأخرى « **يوانا** » في تطوير فن الباتيك ، وحققت كلتاهما نتائج على مستويات عالية .

في آخر زيارة للحرانية كان الجميع يتأهبون لمعرض جديد ، هذه المرة إلى ألمانيا الاتحادية ، ليقدموا وجها أصيلا للحضارة العربية . وقد يختلف النقاد هناك وهم يشاهدون لوحاتهم النسجية حول الاتجاهات أو المذاهب التي تمثلها ، رومانسية ، أو تعبيرية أو تجريدية .. أو .. ولكنهم سيتفقون على أنها تمثل ذوقاً حضارياً رفيعاً ، وبساطة فطرية .. بساطة تخاطب في كل منا فناناً فطرياً ، وتؤكد أن جوهر الفن هو تحقيق الذات بحرية وبساطة وأصالة وصدق .



ليلة مرصعة بالنجوم

- هلال أصفر .. نجوم على شكل بقع صفراء .. سماء ملونة بالأزرق والأصفر .. جبال زرقاء وبنفسجية .. منازل ملونة بألوان مختلفة .. أشجار ملونة بالأخضر والأحمر كأنها ألسنة اللهب المشتعلة التي تمتد إلى السماء ... ألوان غريبة غير مألوفة ولا تماثل الواقع .. ذلك هو عالم الفنان فان جوخ وأسلوبه المتميز الذي تتسم به لوحاته ومن بينها اللوحة المعروضة «ليلة مرصعة بالنجوم».

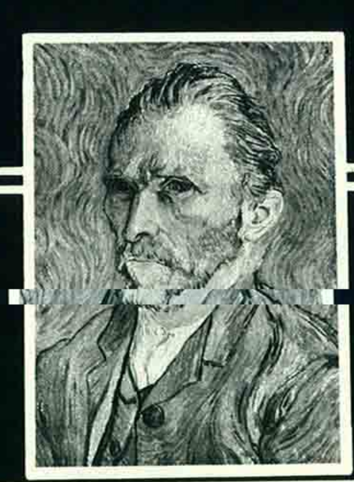
- يصور الفنان منظراً من الطبيعة لمنازل وأكواخ وجبال وأشجار في الليل ، ولكن لا تبدو اللوحة بألوان داكنة تدل على الليل .. أو أشكال ثابتة تدل على السكون الذي يتميز به الليل .. وإنما الألوان متألقة والأشكال متحركة راقصة .. لوّن الفنان الهلال والنجوم باللون الأصفر ليدل على توهج النجوم وتألقها وبريقها في تلك الليلة المقمرة .. وقد انتشرت النجوم تملأ السماء كأنها هي مرصعة بالمعادن النفيسة مثل الذهب .

- اللوحة رومانتيكية تعبيرية ذات ألوان زاهية صافية .. ناصعة .. لمسات الفرشاة طويلة ، قوية ، متحركة ، عنيفة ، بارزة ، مثقلة بالألوان .. تتردد في إيقاع جميل .. لتحقق النسيج العضوي في اللوحة .

- اهتم الفنان بتوزيع الضوء في اللوحة ، فرغم أن المصدر الحقيقي للضوء هو «الهلال» إلا أن الفنان قد وزع الضوء على جميع أجزاء اللوحة بالتساوي فأصبح مصدره السطح وليس القمر .

- هناك توازن بين الألوان الساخنة والباردة في اللوحة ، وتوازن بين الخطوط في علاقاتها الرأسية والأفقية ، وفي مسار اتجاهاتها وقد حدد أشكاله بخطوط داكنة ، وقد استمد تلك الفكرة من الرسومات اليابانية .

- أسلوبه الفني قائم على حرية التعبير عن عواطفه الشخصية ومكنون ذاته ، ويستخدم في تنفيذه لمسات قوية بالفرشاة متحركة فتحدد مسار عين المشاهد في شكل دائري ، كما أن تلك اللمسات معبرة وناتجة عن انفعال الفنان .. كما أن الألوان المستخدمة أيضاً تعطي الطبيعة سحرها ونقاءها بالإضافة إلى كونها متآلفة ومنسجمة ومتكاملة .





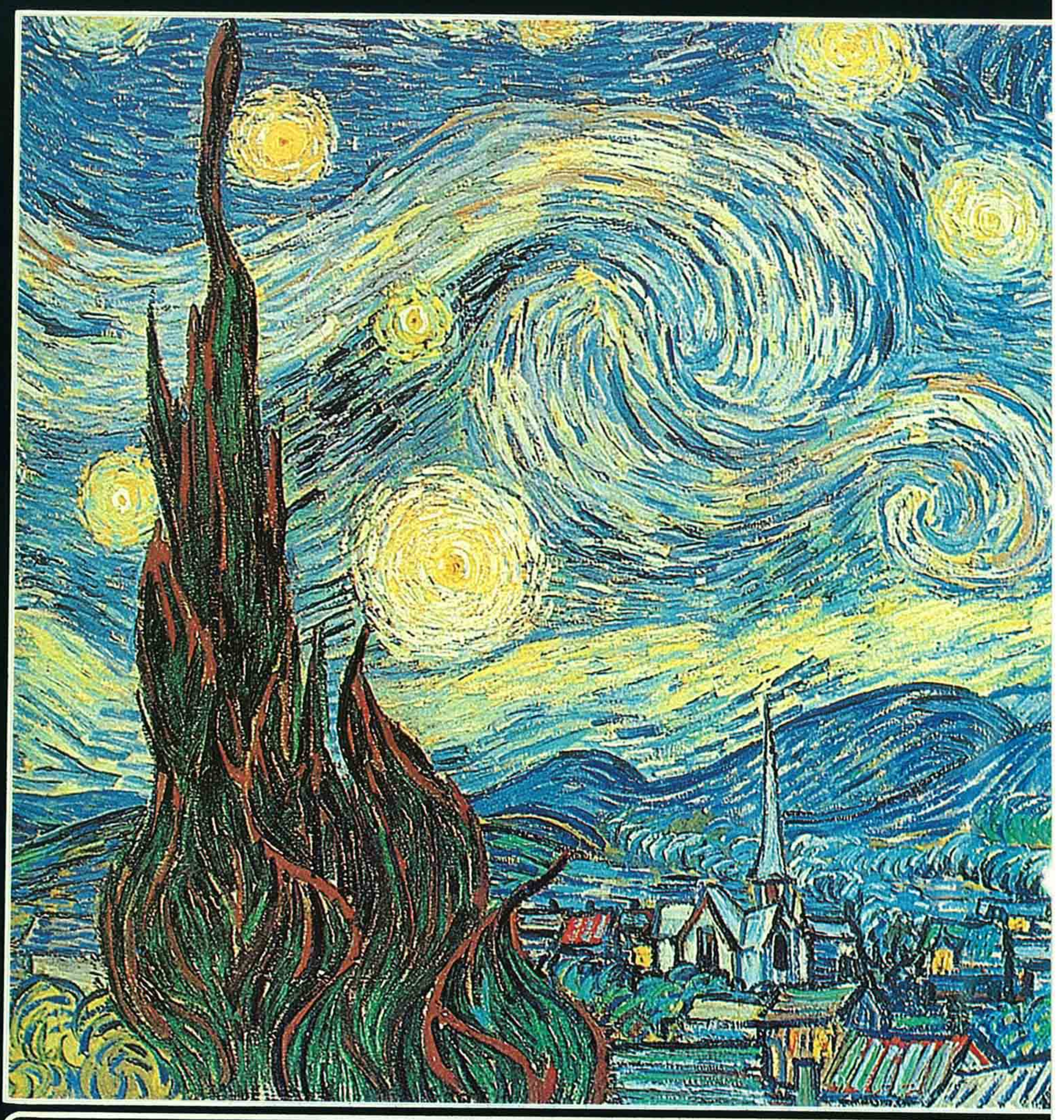
فينسنت فان جوخ

- وُلد في هولندا عام ١٨٥٣م .

- كان ابناً لرجل من رجال الدين ، وقد أصبح واعظاً في قطاع التعدين ، وكان يمارس الحياة الشاقة التي كان يعيشها عمال المناجم ، إلى أن طرد من جمعية التبشير التي كان موظفاً بها ، ثم اتجه إلى الرسم .

- تمرن على الرسم عند مجموعة من تجّار اللوحات ، وقد أحب ابنة صاحب المنزل الذي يقيم به دون أن تحبه الفتاة ، وقد ترك هذا أثراً كبيراً في شخصيته .

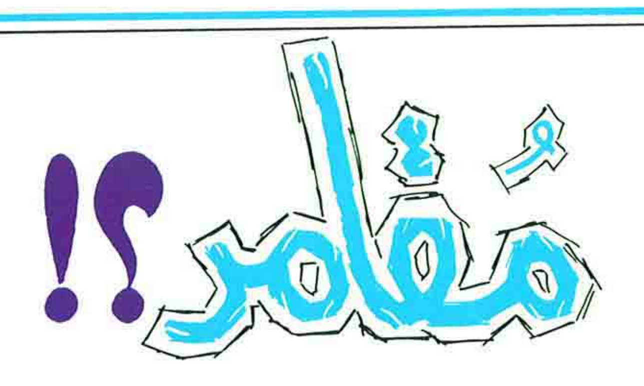
- عاش في فرنسا في الفترة



١٨٨٦ ــ ١٨٩٠م ، ورسم عدداً كبيراً من اللوحات ، رغم أنه كان يعيش في ظروف قاسية ، ومعاناة من الجوع وسوء التغذية ، ولم يتح له الرسم إلا بالمساعدات المالية التي كان يقدمها له أخوه .

● موضوعاته الرئيسية هي : جمال الطبيعة الذي يشعر به ، والناس الذين يحبهم ومعظمهم من عامة الناس الذين صورهم بإنسانية عميقة .

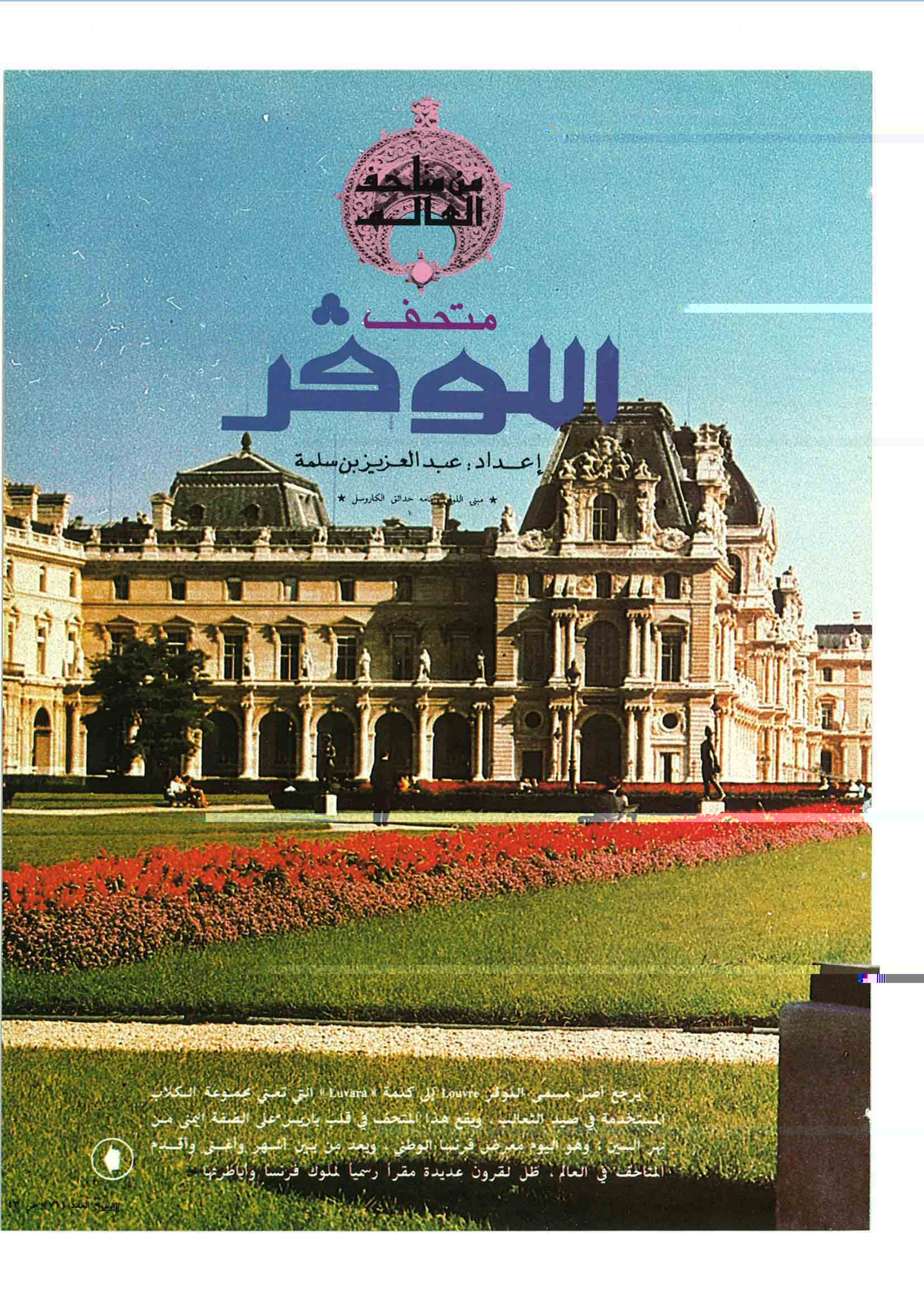
● عانى فان جوخ قرب نهاية عام ١٨٨٩م ، من اضطراب عقلي نتيجة ضعفه الجسماني والظروف السيئة التي كان يعيش فيها ، وضغطت عليه النوبات ، فيئس في النهاية من العلاج وأطلق على نفسه الرصاص وتوفي عام ١٨٩٠م .. ويعتبر فان جوخ من عباقرة العصر ، ورائداً للمدرسة التعبيرية في التصوير .



شعر: سعيد فياض

... أشعَث الشَعر أغبَر   سادر حيث يَنظُر
الجَمالات حوله ..   وهو لآه ومدبر
يستوي عنده الدجى   وصباح مُنَور
يَومُه مثل أمسهِ   مَندم ثم مَعثَر ..
وجهُه شبه حَظّه   بالمرارات يَقطُر
مرة تَضحَك المنى   في رؤاه وتُزهر
ومراراً تحوطُه   من مآسيه أنهُر
يَعشَق الليل هارباً   من نَهار يُزمجر
وإذا لَفَّه الدجى   غَيَّب العقل مُسكر
واستُحثَت به خُطى   حيث يَختال مَيسر
ثم يغشى مَرابعاً   كان فيها يُعَسكر
فإذا عاد خائباً   بجُيوب تُصفرُ ..
عاودته مَتاهَة   وضَياع مُدمرُ ..
واحتواه هَلوعُه   وهو بالخَطو يَعثُر
.. حار في أمره الورى   وهو فيه مُحَيَّر !!!





متحف اللوفر

إعداد: عبد العزيز بن سلمة

★ مبنى اللوفر أمامه حدائق الكاروسل ★

يرجع أصل مسمى اللوفر Louvre إلى كلمة « Luvara » التي تعني مجموعة الكلاب المستخدمة في صيد الثعالب. ويقع هذا المتحف في قلب باريس على الضفة اليمنى من نهر السين، وهو اليوم معرض فرنسا الوطني. ويعد من بين أشهر وأغنى وأقدم المتاحف في العالم، ظل لقرون عديدة مقراً رسمياً لملوك فرنسا وأباطرتها.



مباني اللوفر

أنشأ **الملك فيليب أغسطس** Philippe Augustus قلعة وحامية اللوفر في عام ١١٩٠م. ثم استخدمت هذه القلعة التي كانت تحوي بعض الكنوز والوثائق والأثاث الملكي استخدمت سجناً في عام ١٢١٤م. ثم جرت توسعة القصر في الفترة ما بين ١٣٦٠ ـ ١٣٧٠م. تحت حكم **الملك شارلز الخامس** وبذلك أصبحت الحامية محاطة كلية والتي كان الملوك يستخدمونها أحياناً للسكنى. في حين ظل مقر البلاط الملكي في **قصر سانت بول** Saint-Paul الذي يقع شرقي باريس حتى انتقال ملوك فرنسا إلى إقليم **وادي اللوار** Vallée De La Loire وذلك في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر.

في عام ١٥٢٧م، قرب نهاية حكم **الملك فرانسوا الأول** Francois I، كُلِّف **المعماري المشهور «بيير لوسكو** Pierre Lescot» بإعادة بناء اللوفر، فتم نقل مجموعة اللوحات والرسوم التي حصل عليها الملك إلى **قصر فونتانبلو** Fontainbleau حيث بقيت هناك حتى منتصف القرن السابع عشر.

في عام ١٥٤٩م، انتهى من بناء **جناح لوسكو**، وتم تزيينه بواسطة **النحات «جان جوجون** Jean Goujon»، كما تم بناء مقر سكني للملك (المكان الحالي لصالة السبع مداخن) «Salle des sept Cheminées».

ثم كلفت **الملكة «كاترين دو مديتشي** Catherine de Medicis» المعماري **فيلبرت دلورم** Philbert Delorme بتصميم وبناء قصر ريفي لها خارج أسوار باريس يسمى **بالتويليري** Tuileries (المكان الحالي لحدائق التويليري الجميلة شمالي متحف اللوفر).

وأنشئ **المعرض الصغير** Petite Galerie في عام ١٥٦٦م، ويحتل **معرض الأبلون** Galerie D'Apollon وقد بني بأكمله على إثر الحريق الذي شب فيه عام ١٦٦١م، أثناء فترة حكم **الملك هنري الرابع** Henri IV.

وفي الفترة ١٥٩٥ ـ ١٦١٠م، قام المعماريان **لويس متزو** Louis Métzeau **وجاك أندروت دو سرسو** Jacque Androuet Du Cerceau قاما

★ خيول السبق .. لوحة (ديغا) ★

ببناء **المعرض الكبير** Grand Galerie ، وبذلك تم وصل قصر التويليري ببناء اللوفر القديم .
وفي الفترة ١٦٢٤ ـ ١٦٥٤ م ، قام المعماري **جاك لومرسيير** Jacque Lemercier ببناء **بيت الساعة** Pavillon De L'Horloge ، بحيث اتصل بجناح لوسكو .
في عام ١٦٤١ ـ ١٦٤٢ م ، أوكلت مهمة تزيين وزخرفة قوس مدخل المعرض الكبير إلى **الفنان نيكولاس بوسان** Nicolas Poussin ، مستوحياً تاريخ **الإمبراطور هيراكيولوس** ، لكن بعد البدء في التنفيذ توقف المشروع ثم أهمل . وفي الفترة ١٦٥٥ ـ ١٦٥٧ م ، قام **الفنان الإيطالي رومانيللي** Romanelli بتزيين مكان إقامة **الأميرة آن النمساوية** Anne D'Autsiche (الدور الأرضي في المعرض الصغير) ثم قام **المعماري لويس لوفو** Louis Le Vou بإنشاء جناحي الفناء المربع الجنوبي والشمالي .
وفي الفترة ما بين عام ١٦٦٤ ـ ١٦٦٦ م ، أحدث **المعماريان لوفو وفرانسوا دورباي** Francois D'Orbay بعض التوسعات والتغييرات الهامة في قصر التويليري .
وأنشئت **واجهة المتحف المشهور التي تسمى بالكولوناد** La Colonnade في الفترة ١٦٦٧ ـ ١٦٧٠ م ، بواسطة المعماري المشهور **كلود بورول** Claude Perrault وتقع جنوب القصر ، أما الواجهة التي بناها المعماري **لوفو** جنوباً ، فقد اختفت وراء واجهة أخرى بنيت على الطراز الذي بني به الكولوناد .

وباتخاذ ملوك فرنسا **قصر فرساي** Château De Versailles مقراً لإقامتهم أهمل قصر اللوفر طوال فترة امتدت منذ عام ١٦٧٨ ـ ١٧٨٩ م . على إثر ذلك توزعت مجموعات اللوحات الموجودة في قصر اللوفر ، **وقصر غرامونت** Grandmont بين قصور وأماكن إقامة الملوك طوال تلك الفترة .

منذ عام ١٧٢٥ م ، أصبح **معرض الجمعية الملكية للرسم والنحت** يعقد في الصالة المربعة في اللوفر Le Salon Carré ، وظل هذا

★ تمثال نصر ساموترس ★



متحف
اللوفر

التقليد متبعاً حتى عام ١٨٤٨ م .

وتم تغيير الطابق الثاني للفناء المربع في عام ١٧٥٤ م ، بواسطة المعماري **جاك أنج جابرييل** Jacque Ange Gabriel .. وفي عام ١٧٥٥ م ، تم عرض مجموعة لوحات مختارة من المجموعة الملكية على الجمهور في قصر اللكسمبورج Palais De Luxumbourg .. وفي عام ١٧٥٤ ـ ١٧٥٥ م ، تمت إزالة الأحياء القديمة التي كانت تحيط جزئياً بالفناء المربع والكولوناد .

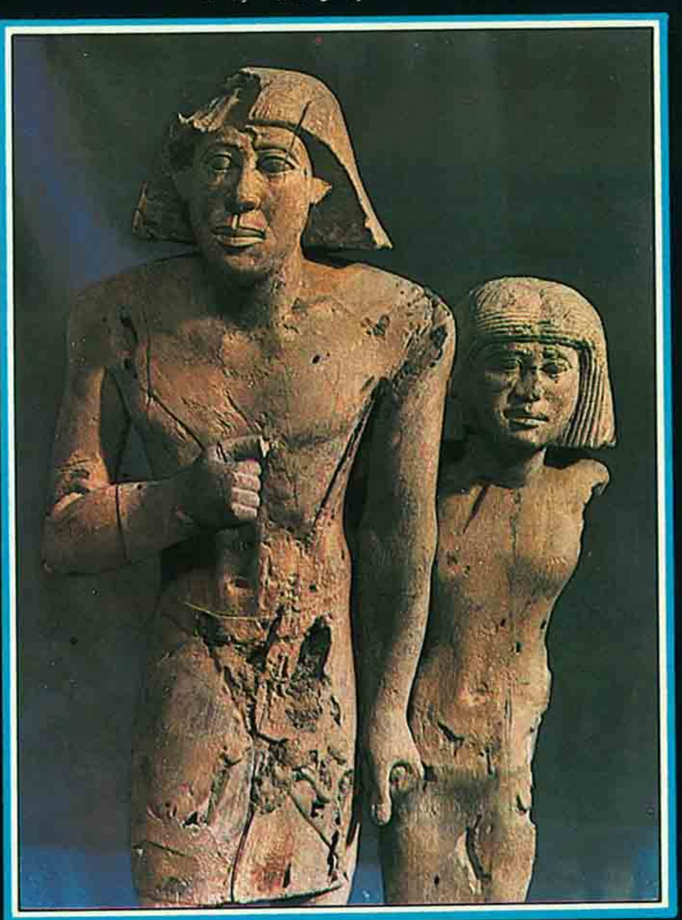
وقام **الكونت انجفيلي** Conte D'Angiviller الذي أصبح مسؤولا عن المباني الملكية بدراسة مشروعات لإقامة متحف داخل المعرض الكبير .. وفي عام ١٧٨٤ م ، كُلِّف **هوبرت روبرت** Hubert Robert الوصي على مجموعات الملك الفنية ، بإجراء الترتيبات لتحويل القصر إلى متحف .

وفي عام ١٧٨٩ م ، أجريت تعديلات في مبنى الصالة المربعة بحيث أضيئت بأكملها وذلك بمناسبة رجوع **الملك لويس السادس عشر** الذي أقام في قصر التويليري .. وبعد قيام **الثورة الفرنسية** في عام ١٧٨١ م ، أصبحت مجموعة لوحات الملك مجموعة وطنية ، وتم الاستيلاء على الأعمال الفنية في الكنائس والأديرة والقصور ، وتلك التي كانت بحوزة المهاجرين ، وبدأت على إثر ذلك الترتيبات لافتتاح المتحف بواسطة لجنة من الفنانين شكّلها مجلس الثورة . وافتتح المتحف المركزي للفنون في عام ١٧٩٣ م ، وصدر مرسوم بإنشاء متحف خاص للوحات والنحوت للمعهد الفرنسي في قصر فرساي .

في الفترة ما بين ١٧٩٦ م ، إلى ١٨٠٧ م ، تدفقت مجموعة أعمال فنية ضخمة على اللوفر إثر حملة **نابليون بونابرت** على إيطاليا ، ووصول مجموعات فنية من ألمانيا وهولندا .

في عام ١٨٠٠ م ، أصبح قصر التويليري مقراً لإقامة الإمبراطور نابليون . وفي عام ١٨١٠ ـ ١٨١٤ م ، قام المعماريان **برسيير** Percier **وفونتين** Fontaine ببناء الجناح الشمالي للوفر على امتداد **شارع الريفولي** Rivoli بعد **معركة واترلو** عام ١٨١٥ م ، وأعيدت الأعمال الفنية التي استولي عليها من ألمانيا وإيطاليا وهولندا باستثناء ما يقارب المائتين من اللوحات الإيطالية التي بقيت في اللوفر .

★ لعائلة مصرية من الآثار الشرقية ★

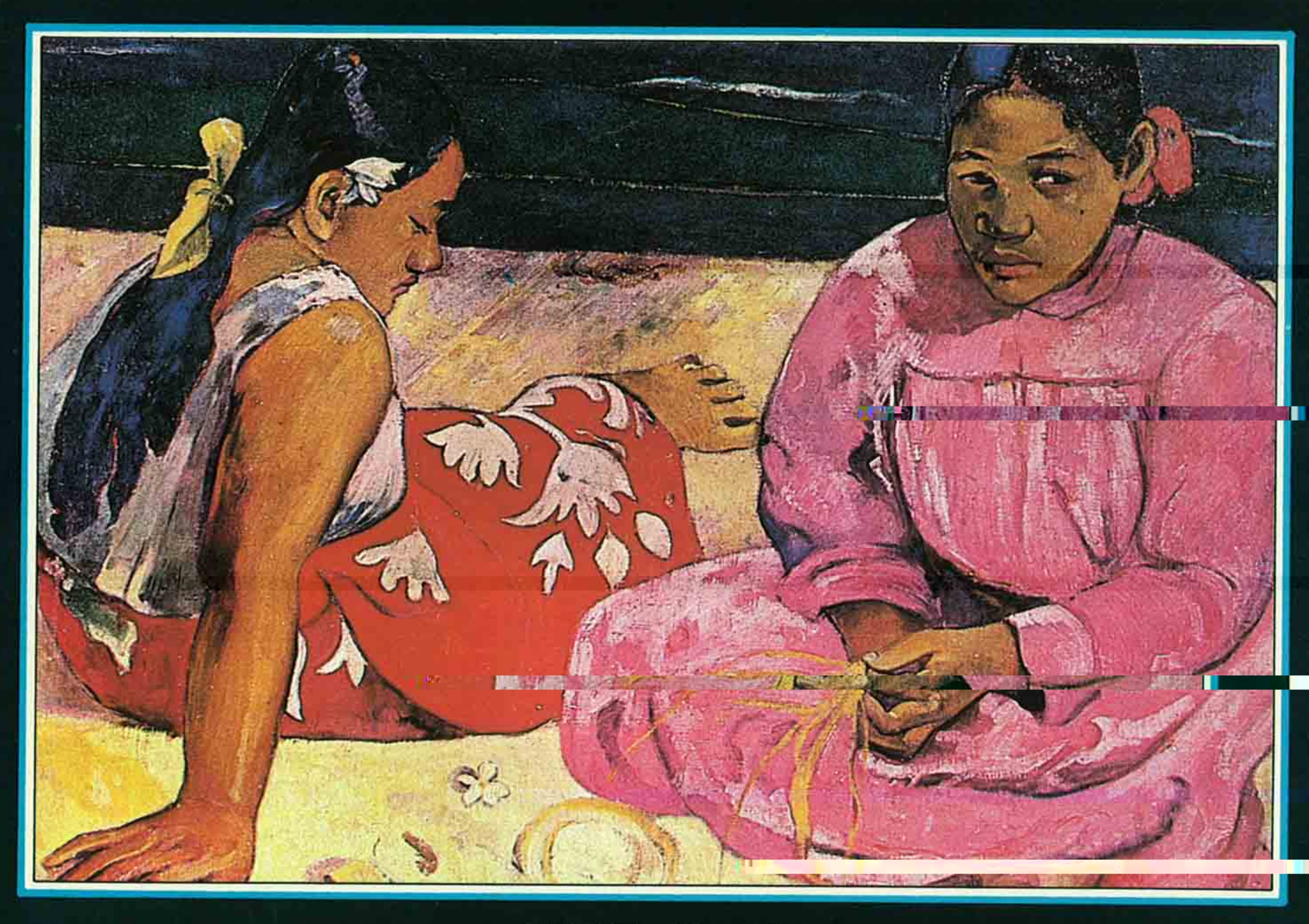


في عام ١٨٢٧ م ، نقل معرض **الملك شارلز العاشر** إلى الجناح الجنوبي من الفناء المربع .. وفي عام ١٨٣٨ م ، دشن **المتحف الإسباني للويس فيليب** Louis Philippe في جناح الكولوناد . غير أنه أعيد إلى **عائلة أورليان** في عام ١٨٤٨ م .. وفي عام ١٨٤٨ م ، قررت الجمهورية الفرنسية الثانية جعل قصر اللوفر (قصراً للشعب) وقصره على العلوم والفنون .. وفي عام ١٨٥١ م ، افتتح **الأمير الرئيس لويس نابليون بونابرت** منشآت وتجهيزات المتحف الجديد ..

وقام **البارون هوسمان** Le baron Haussman بإزالة الأحياء القديمة التي كانت تفصل اللوفر عن قصر التويليري .

وفي الفترة الواقعة بين عام ١٨٥٢ وعام ١٨٥٧ م ، انتهى المعماري **لويس توليوس فيسكونتي** Luis Tullius Visconti من بناء مبنى اللوفر الجديد بعد ما يقرب من ثلاثة قرون من عمل المعماري **لوسكو** Lescot .

وقام **هكتور لوفيويل** Hector Lefuel بوصل هذا المبنى بالمباني الأخرى بحيث أصبح المبنى على شكله الرباعي الحالي .. وأضيفت أجنحة جديدة إلى كل جانب من ساحة نابليون التي احتوت بدورها على أفنية بصالات ضخمة ذات إضاءة تعتمد على انعكاسات النور



★ نساء من تاهيتي .. لوحة (جوجان) ★

الطبيعي .. وفي عام ١٨٦١ ـ ١٨٧٠ م ، أعاد المعماري **هكتور لوفيويل إنشاء مبنى الفلور** Pavillon De Flore وهو الجزء الواقع على ضفة السين ، الذي قام بتزيينه الفنان **جان بابتست كاربو** Jean-Baptiste Carpeaus ، وكذلك إنشاء الجزء الشرقي من المعرض الكبير.

وفي عام ١٨٧١ م ، أثناء فترة حكم اللجنة الرئاسية La Commune أوكلت إدارة المتحف إلى مجموعة من الفنانين من بينهم **جوستاف كوربي** Gustave Courbet ، **وهونوريه دوميير** Honoré Daumier ، **وفيلكس براكموند** Felix Bracquemond . وفي نفس العام نشب حريق هائل في قصر التويليري أتى عليه بأكمله ، ما عدا الأسوار التي ظلت قائمة حتى هدمت عام ١٨٨٣ م ، بينما تم انقاذ الجزء الكائن ما بين **قصر نصر الكاروسل** Arc du Carroucel حتى **قوس النجمة** .

وفي عام ١٨٩٥ م ، استُحدثت **جمعية المتاحف الوطنية** ، وهي منشأة ذات تمويل ذاتي مستقل وظيفتها شراء وإجازة الأعمال الفنية من لوحات ونحوت ونقوش وآثار ومنسوجات . . . ، وهي تدار من قبل **المجلس الوطني للمتاحف** ، تلاها إنشاء **جمعية أصدقاء اللوفر** في عام ١٨٩٧ م .. ومنذ عام ١٩٢٩ م ، بدأ فريق من العلماء تحت إدارة **هنري فرن** Henri Verne بتنفيذ خطة جبارة لإعادة تنظيم مجموعات متحف اللوفر الفنية وبتزيين المعرض الكبير Grande Galerie بأكمله .

مع مستهل عام ١٩٤٥ م ، بدأ الافتتاح المتتابع لجميع صالات المتحف من جديد ، بعد أن كانت قد أخليت من مجموعاتها الفنية طوال فترة الحرب العالمية الثانية .. وفي عام ١٩٥٣ م ، قام الفنان **جورج براك** George Bracque بإزالة لوحات الرسام **مري جوزف بلوندل** Merry-Joseph Blondel من سقف صالة **الملك هنري الثاني** ، وقسمه إلى ثلاثة أجزاء زينت برسوم الطيور المشهورة Les Oiseaux .. وفي عام ١٩٦١ م ، بدئ في افتتاح صالات لوحات القرن التاسع عشر الميلادي الواقعة في الطابق الثاني من الفناء المربع .. وافتتحت صالات المبنى الرئيسي وجناح الفلور بين عام ١٩٦٩ م ،

متحف
اللوفر

و ١٩٧١ م ، كما بدئ في عرض سلسلة من الوثائق والمخطوطات الفنية من ملفات دائرة الرسوم في عام ١٩٧١ م .

وفي عام ١٩٧٢ م ، طبق قانون يسمح بالحيازة ، أي حقوق امتلاك الأعمال الفنية بالطرق القانونية من مالكيها بعد الوفاة .

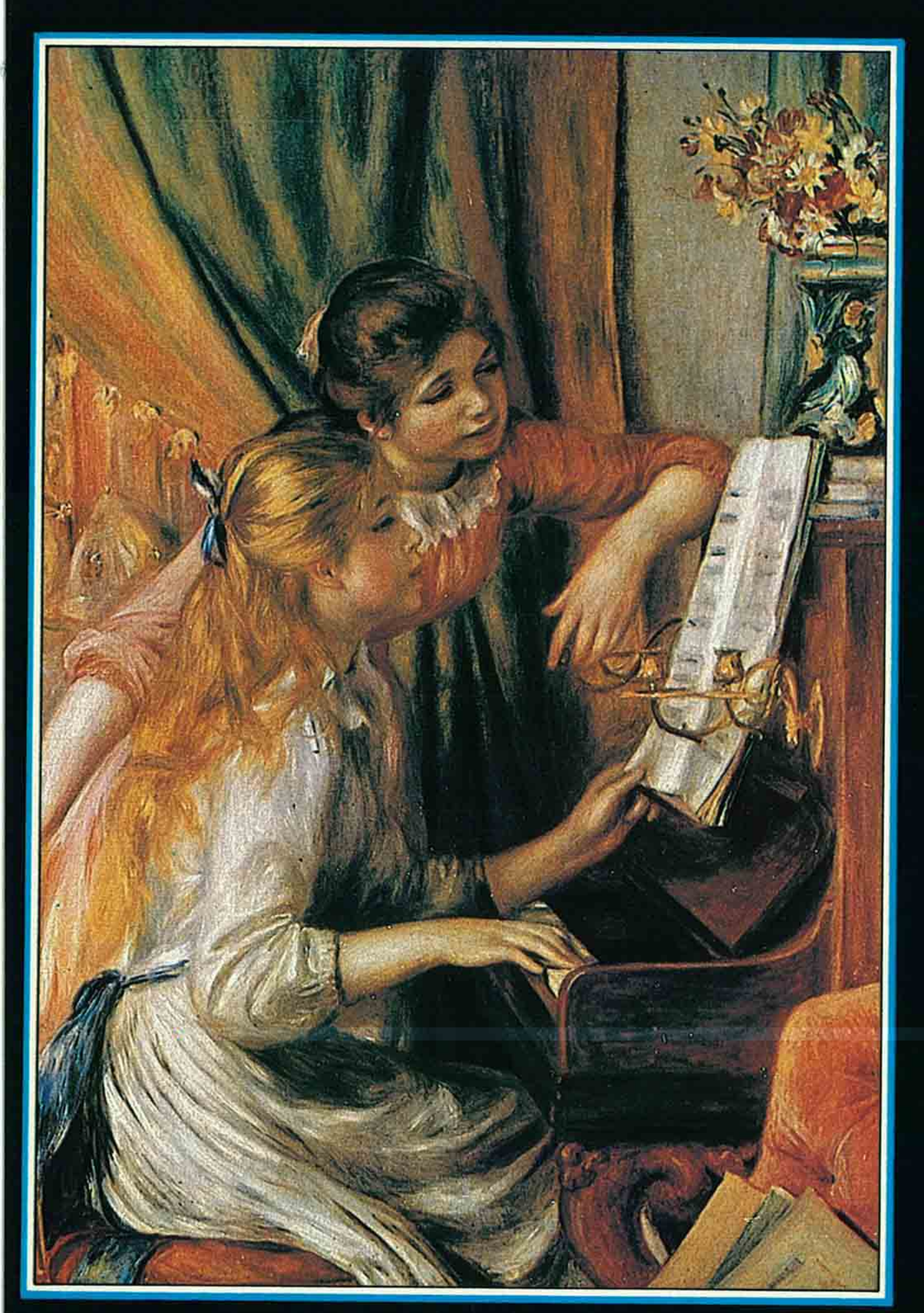
محتويات المتحف

كان المتحف يضم في بداية تكوينه المجموعات الملكية من اللوحات ومجموعات التاج ، منها مجموعات **الملك فرانسوا الأول** التي من بينها لوحة الرسام الإيطالي المشهور **ليونارد دوفانشي** Leonard de Vinci « **الجيكوندة** » « La Joconde » ، ولوحة الرسام **رافاييل** Raphaêl « **العائلة المقدسة** » « La Grande Sante Famille » ، ولوحة رسمها الفنان **تيتيان** Titien **للملك فرانسوا الأول** نفسه . وقد حصل الملك لويس السادس عشر على لوحات ومجموعات أعمال فنية لا تقدر بثمن منها مجموعة الملك شارلز الأول ملك إنجلترا .

وتعد مجموعة اللوحات الموجودة في المتحف من أضخم وأغنى وأنفس المجموعات في العالم ممثلة لكل العصور حتى **عصر الانطباعية** Impressionisme أو العصر الحديث اللذين تعرض لوحاتها بشكل رئيسي في **متحف جو دو باوم** Musée de Jeu-de-Paume أحد المباني الملحقة باللوفر . . كما تعرض فيه أيضاً لوحات مجموعة كبيرة من الرسامين : **فان جوخ** Van Gogh ، **ورينوار** Renoir ، **وجوجان** Gauguin ، **وسيزلي** Sisely ، **ومونيه** Monet ، **وديجاس** Degas ، **ورفاييل** Ravvaël ، **وسيزان** Cezun ، **ومانييه** Manet ، **ودو لا تور** De La Tour ، **وبازي** Bazille ، والكثير غيرهم . أما أبرز التماثيل المنحوتة وأشهرها على الإطلاق فهي **تمثال نصر ساموتراس** La Victoire de Samothrace ، **وتمثال**

★ لقاء العائلة . . لوحة (باريسي) ★





★ عازفة بيانو صغيرة ... لوحة (رينوار) ★

فينوس ميلو « Venus de Mils » .

أقسام المتحف

والمتحف ينقسم إلى ست دوائر مصنفة كالآتي :

(١) دائرة الآثار الإغريقية والرومانية Anti-quités Grecques et Romaines التي كانت أصلاً متحفاً للآثار « Musée des Antiques » افتتح في ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٠٠ م ، ويتكون من مجموعات الملك فرانسوا الأول ، ولويس الرابع عشر ، وضم إليه قسم الآثار المسيحية في عام ١٩٥٤ م .

(٢) دائرة اللوحات والرسوم Peinture : من القرن الثالث عشر حتى العصر الحديث ، وتتألف من مجموعتي الملك فرانسوا الأول ولويس الرابع عشر ، واستكملت موجوداته بلوحات تم شرائها للمتحف ، وملحق بهذه الدائرة **معرض جو دو بوم** Galerie De Jeu de Paume الواقع في حدائق التويليري المجاورة الذي تعرض فيه « لوحات الرسامين الانطباعيين » ، وملحق بها أيضاً **معرض الأورانجري** Galerie de L'Orangerie ، **ومتحف ايوجين دو لا كروا** Eugene De La Croix وبعض المباني الأخرى .

(٣) دائرة النحوت والتماثيل : منذ العصور الوسطى وعصر النهضة حتى العصور الحديثة نشأت عن **متحف النصب والتماثيل الفرنسية لألكسندر لنوار** Alexandre Lenoir الذي يحتوي على أعمال فنية فرنسية ، وإيطالية وبلجيكية وألمانية وإنجليزية .

(٤) دائرة التحف الفنية Objets D'Art ، التي يحتفظ فيها بمجوهرات التاج في معرض الأبولون Galerie D'Apollon الذي بني لتكريم



الملك لويس الرابع عشر، إضافة إلى مجموعات أثاث وأعمال فنية تابعة للملك لويس السابع عشر، ولويس الثامن عشر.

(٥) معهد اللوفر:
يقوم هذا المعهد المتخصص بتدريس التاريخ والفنون بشكل عام، ويسهم في تكوين العاملين والباحثين في المتحف علمياً، ويحتوي اللوفر أيضاً على مكتبة مقصورة على الدراسة العلمية للآثار الفنية، ومعمل للصيانة، وورش لترميم وإصلاح الأعمال الفنية.

(٦) دائرة الآثار الشرقية: Departement des Antiquités Orientalés أسست في عام ١٨٨١م، تغطي موجوداتها حقبة زمنية تمتد إلى ثلاثة آلاف سنة. وأضيف إليها **قسم للآثار الإسلامية في عام ١٩٤٥م.**

ويتبعها ما يزيد على خمسين صالة منها ٢٥ قاعة **لآثار بابل وآشور وسومر وماري،** و ١٥ قاعة **للآثار المصرية والفن الفرعوني،** و ١٠ قاعات **للفن الفينيقي والآرامي والقبطي والفارسي،** وما يقرب من ٧ قاعات **للفن الإسلامي.**

ويوجد بهذا القسم **قانون حمورابي، وتماثيل الأمير جوديا، وحفائر لأرسالقش،** إضافة إلى **الثيران المجنحة** الواردة من حفائر فرس أباد، وحلي ذهبية. كما يوجد تمثال لـ «أبو الهول»

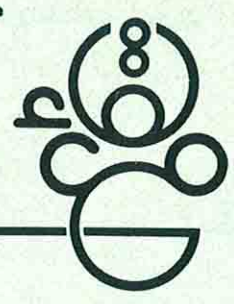


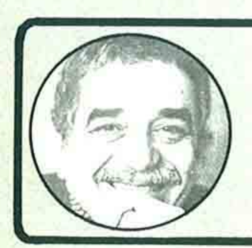
★ نساء في الحديقة .. لوحة (مونيه) ★

من الجرانيت من عهد **الهكسوس،** وتمثال «أوزيريس» مصبوب من البرونز وموضوع في قبو تحت الأرض في اللوفر قريب من أبي الهول، وبضاء إضاءة موجهة Eclairage Zénithal، ومعبد فرعوني صغير، ونماذج مصبوبة من **حجر رشيد،** وغيره من النقوش الفرعونية، كما توجد **أوراق بردي وحلي،** وأثاث (موبيليا)، وتماثيل من أهمها تمثال سيمنحت، وتمثال **القط الفرعوني المشهور،** وتمثالان لعائلة مصرية Couple égyptien. وأهم من ذلك كله **تمثال الكاتب القاعد القرفصاء.** إضافة إلى مجموعة كبيرة جداً من القطع المعمارية القبطية.

وتوجد صالات **للمخطوطات العبرية** التي عثر عليها في **منطقة أريحا بفلسطين،** إلى جانب بعض تماثيل وكتابات من **تدمر ودمشق والإسكندرية،** وتوابيت فينيقية من أشهرها **تابوت الملك أشمون عازار** الذي يحتوي على نقش من أقدم النقوش الفينيقية المعروفة.

وتوجد مجموعة من **النقوش الثمودية من مدائن صالح، والنقوش الصفوية من شمال حايل، والنقوش النبطية من حوران.** إضافة إلى هذا توجد قاعات للفن الإسلامي تحتوي على أسلحة وسيوف وخناجر ومجوهرات وأحجار كريمة، كما أن هذا القسم يحتوي على مجموعة من أهم وأجمل المجموعات في تاريخ **الخزف الإسلامي،** ابتداء من **الباكستان** إلى المغرب عبر العصور الإسلامية المختلفة، وهناك مجموعة من **السجاد** منها **سجادة نادرة لا مثيل لها في العالم أهداها شاه عباس ملك إيران إلى ملك بولندا،** طولها أكثر من اثني عشر متراً في عرض ما يزيد على ثمانية أمتار، سُداها من الكتان الممتاز ولحمتها من الصوف المخلوط بالحرير الطبيعي المجدول بأسلاك من الذهب والفضة بحيث إذا وقع عليها الضوء يرى الناظر إليها ما يشبه الشرر المنبعث منها، **وهي تعتبر أغلى السجاد العجمي قيمة، إذ تقدر قيمتها الآن بأكثر من خمسين مليون دولار،** وأرضيتها من الأخضر الفاتح الموشى بزهور صفراء وزرقاء وحمراء، ولها إطار عريض موشى بالأزهار أيضاً، وفيها ما يقرب من مئتي عقدة في السنتمتر المربع. **وفي نفس هذا القسم قطاعات ونماذج معمارية لأهم المباني الإسلامية القديمة من مساجد ومدارس وقصور وملاجئ للصوفية ودور للبر والإحسان، موضوعة تحت تصرف الدارسين والباحثين.**

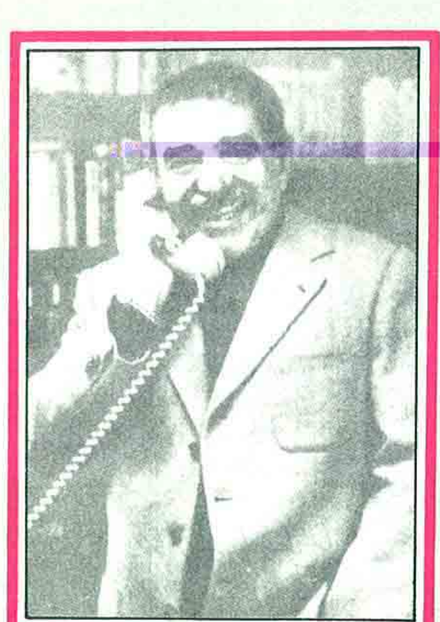




غابريل
غارسيا
ماركيز

ترجمة:
محمود قاسم

كذبة واحدة تفسد مقالاً..!



في عام ١٩٨١م ، أصدر الكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز روايته «قصة موت معلن» .. وبمناسبة ترجمة هذه الرواية إلى اللغة الفرنسية ، أجرى معه الصحفي جان فرنسوا فوچيل حديثاً ننشره بمناسبة حصوله على جائزة نوبل عن عام ١٩٨٢م .

بين الصحافة والأدب

●● **علينا أن نختار مدخلاً إليك : هل نبدأ بالصحفي أم بالأديب ؟**

● لا توجد اختلافات بين الاثنين حسبما أرى . فالمعلومات المستقاة من الصحفي أو الكاتب هي معلومات شخصية . نفس المعطيات يمكنها أن تخرج رواية أو تحقيق صحفي .

●● **لكن هذه المساواة اختلفت فيما بعد ؟**

● فعلاً ، وأنا آسف على هذا . فالكاتب يقدم في إبداعه حرية ما ، مجهولة لدى الصحافة . ويظل هذا النشاط محافظاً بما فيه الكفاية . فهناك قوانين حول التشهير والافتراء ،



ما يمكن أن يكتب في الصحف يظل محدوداً . أنا شخصياً لم آخذ حريتي مع الوقائع عندما كنت صحفياً .

●● ومتى أصبحت كاتباً ؟

● لم أكتب قصة أو رواية أو حدوتة إلا وبها سطر من الحقيقة . لكن الاختلاف بين الصحافة والأدب لا ينبع من هذا . **فالتقرير الصحفي يمكن أن يكون عملاً أدبياً** . فالقارئ هو الذي يبرز الخلاف فيما يقرأ . فكر في أن **واقعة غير صحيحة تكفي أن تفسد مقالا ، وأن حادثاً حقيقياً في رواية يعطي الإحساس أن كل هذه الرواية حقيقية** . لقد دافعت عن « **جانيت كوك** » الصحفية في « **واشنطن بوست** » التي سحبت منها « **جائزة بوليتزر للصحافة** » لأن التحقيق الذي نالت عنه الجائزة يروي حياة طفل صغير أدمن المخدرات ، وأنها قد اختلقت كل هذه القصة . قلت : فليعطوها **جائزة بوليتزر الأدبية** . فإن الجائزة الأساسية المعطاة للتحقيق كانت مزيفة ، لكن الباقي كان حقيقياً . حاولت لقاءها كمعجب بما كتبت ، إنها قادرة على صناعة شيء هام كروائية وكصحيفة وهو « الامتاع » .

الواقع .. والخيال

●● في فرنسا نوع من اللغط يضعك في مصاف كتّاب الخيال ، وليس بين الواقعيين ؟

● ليست المشكلة هي أن تحبس داخل تقسيم أدبي أو فني . ليس هذا أكثر من الإيمان بالواقع اللاتينو ــ أميريكي الأكثر خيالا من أوروبا .. المشكلة هي أنك ــ هناك ــ لا تعرف الإيمان بالواقع . لقد قرأت في صحيفة فرنسية حكاية وقعت على **ساحل مونبلييه** . وقفت امرأة ترتدي الملابس البيضاء على الطريق وهي تريد إيقاف عربة . توقفت سيارة (رينو ــ ٥) بها أربعة أشخاص . جلست المرأة على المقعد الخلفي بين اثنين من الركاب . رام على الجميع صمت طيلة بضعة كيلومترات فجأة قالت المرأة ذات الرداء الأبيض : « حذار . هذا المنحنى خطر » ، واختفت . وكان المنحنى خطراً فعلاً . لكن الركاب كانوا يخشون أكثر هذا الاختفاء المفاجئ . أخبروا ضابط المرور أنهم لم يكونوا سكارى أو مرهقين أو مخدرين . موضوع مفتوح ، ولم يصدق أحد ــ حتى المحللون النفسيون والخبراء ــ الشهود . الفلسفة الديكارتية تعطي كل الأدلة أن هناك سيدة ذات رداء أبيض لا يمكنها أن تختفي من سيارة (رينو ــ ٥) . فالواقع إذن خيالي في أوروبا أكثر من أمريكا اللاتينية . لكن نظام الفكر يختلف .

●● على كل حال فإن شريحة من الواقع لا تكفي لكتابة كتاب ؟

● أو مقال ، يبقى الواقع أقل قوة من الأدب أو الصحافة . يقول لي أصدقائي دائماً : غابو .. سأحكي لك قصة . وسترى أنها رواية . يمكنك أن تكتبها في رواية . وأسمعها . وفي كل مرة تبدو لي فقيرة . فهناك تضارب . إنهم يعتقدون أن الأدب يمكنه أن يضاهي الواقع . **فالأدب واقع محبوك ومهندم وموجّه ومنظّم جيداً** .

●● ماذا تعني بمحبوك ومهندم ... إلخ ؟

● كي أكون واقعياً . حتى وقت قريب . لم أكن أفكر فيه كثيراً . منذ عام تصورت أنني لا يمكن أن أكتب ثانية . ووضعت لنفسي شروطاً كي أبدأ في العمل . وأنه من الواجب أن أصبح شيئاً مستحيلاً . وليس عليَّ سوى أن أستخدم وريقة صغيرة أكتب فيها بعض الأشياء الصغيرة . يناسبني دائماً أن أكون في غرفتي في درجة حرارة معينة تعطي كتبي دائماً نفس درجة الحرارة . لكن أحياناً تصبح الحرارة مثل البرودة . أمر صعب تخيله . ولا يجب أن نتزعج من تباين درجات الحرارة .

●● إذن .. فأنت تضبط حرارة الغرفة التي تكتب فيها ؟

● لا أعرف بالضبط ما هذه الحرارة . لكنني أحسها ، وأهتم بها . فلكي أعمل يجب أن تكون الغرفة دافئة دائماً . أرتدي ثوباً ميكانيكياً وصديرية يمكنني نزعها بسرعة كي آخذ حماماً بارداً .

●● عندما تجد نفسك وسط طقوسك ؟

● ليس هذا فقط . يجب أيضاً أن أكتب على آلتي الكاتبة الكهربية . في الواقع فإن لدي ثلاثاً منها . وأنا شخصياً أميل إلى الآلة . الآلات الثلاث هناك دوماً . إذا عطبت الأولى فيمكنني أن أستكمل على الثانية . وبدون هذا يمكنني أن أنتظر وصول الميكانيكي . وما يحدث أنني أكف عن الكتابة .



عامة فإنني قد توصلت إلى أن كل هوس ليس سوى احتجاجات حتى لا أكتب . ولذا ابتدعت فكرة المقال الأسبوعي . منذ عام ذهبت لأقابل رئيس تحرير «**جريدة الاسبكتادور**» **في بوجوتا**، واقترحت عليه أن أكتب بصفة منتظمة بعض الخواطر في ملحقه المشهور .

●● **إنها نفس اليوميات التي يمكننا أن نقرأها في العديد من الدوريات في أمريكا اللاتينية ومدريد ؟**

● أجل . هذا يضطرني أن أعمل كثيراً . المقال الأسبوعي شيء صعب للغاية . عندما أفكر أنني كنت أكتب يومياً فيما قبل أكثر مما أكتب الآن في الأسبوع . لكن يجب أن أكون حذراً جداً في كل ما أنتجه . فالنقد دائماً أكثر صعوبة بالنسبة لي . ولا أريد أن أسمح لنفسي بخطأ واحد في الإعراب أو أي مغالطة لغوية .

●● **كيف يمكن لهوسك أن يتحمل هذا الكم من الإنتاج الأسبوعي ؟**

● الكتابة الآن أكثر صعوبة مما سبق . لقد وصلت إلى الكتابة في فنادق وعلى أي ورق . وباستعمال آلة كاتبة معارة .

●● **لزوم المهنة ؟**

● أنا صحفي أولا ، وأتصفح أسبوعياً كل المجلات الأمريكية والأسبوعيات الفرنسية الثلاث . ومجلة إيطالية . وأقرأ كل المجلات التي تصدر في أمريكا اللاتينية التي أجد نفسي فيها . وأستلم الموضوعات الرئيسية للصحيفة من كولومبيا . أحياناً يتكدس هذا ، لكنني أتخلص منها دائماً بالقراءة .

●● **يبدو أن هذا النوع من النشاط العادي صحفياً يجعلك سعيداً ؟**

● أنا في حاجة إلى هذا النشاط . وأنا أمارسه يومياً دون توقف . اللهم إلا إذا اضطررت للبدء من جديد . بالنسبة لـ «**قصة موت معلن**» كنت أكتب فيها طوال ستة أشهر . وعندما أنتهي من الكتابة ، فإنني يمكن أن أستريح لسنوات عديدة دون كتابة . فمن العسير أن أبدأ في الكتابة . ولكن الأمر اختلف هذا العام . فإنني أكتب مقالي الأسبوعي بسهولة .

●● **كنت أتصور أن هذا شيء صعب ؟**

● هذا هو الاستمرار . يمكنك أن تعتبر هذا موضوعاً سياسياً أو ثقافياً . يمكنك أن تكتب بورتريه أو أن تقول ما تفكر فيه دون أن تحدد موقفك كاملاً .

●● **هل يمكنك أن تعود إلى كولومبيا ؟**

● اليوم . نعم . كان يجب أن أرحل في مارس (آذار) الماضي لأن أمني أصبح مهدداً . لكنني أدركت أنني إذا عدت فسوف أكون أحسن سجين في البلاد . قد يسبب هذا فضيحة عالمية إذا أصابني مكروه . لكنني لن أقدم هدية عودتي إلى الحكومة العسكرية .

●● **أنت تعرف مساوئ البلاد ؟**

● انتقدت كولومبيا . فأنا جزء منها منذ زمن طويل . لم أكف عن الإقامة بها في فترات طويلة .

قصة موت معلن

●● **كذلك كتبك ترافقك هناك . كل العالم يعرف ماكومبو في كولومبيا . وأنت لم تبين أن هذه المدينة هي أحد الأخطاء الأدبية الجغرافية . فكتابك الأخير «قصة موت معلن» تدور أحداثها أيضاً في نفس المدينة الوهمية ؟**

● الكتاب لا يخص مكاناً ما .

●● **لكن القصة الحقيقية التي استلهمتها تدور في كولومبيا ؟**

● الرواية مستوحاة من جريمة وقعت منذ ثلاثين عاماً في قرية تقع على الساحل الأطلسي ، ولن أقول أكثر من هذا .

●● **إذن .. فهذه القصة لا تجري في**

مواقع

الشوارع : شقيقان يقتلان عشيق أختهما بعد أن اكتشف زوجها ليلة عرسه أنها ليست عذراء ؟

● قلت دائماً إن هذه الرواية تعتمد على حادثة حقيقية ، وإنني لم أشر إلى الأسماء الحقيقية . أنت تعرف اللقاء الشهير بين **هيمنجواي وجورج بلمبتون** مندوب مجلة « باريس ريفيو » ؟ . لقد ألح بلمبتون كي يعرف الأسماء الحقيقية المخفاة خلف شخوصه . واتهمه هيمنجواي أنه يريد أن يشبع فضول الناس . لقد ارتبطت هذه الرواية بالمحامين قبل نشرها . إنها المرة الأولى التي أقوم فيها بعملية حماية قانونية لرواية ، ليس سوى حماية بيضاء دفاعاً عن أشياء لم يطلب مني أحداً أن أغيرها حتى الآن .

●● سألعب لعبة بلمبتون .. أنت تعرف بالطبع أن الصحيفة الكولومبية « الضيا » قد نشرت تفاصيلاً ثمينة حول الجريمة الفريدة التي كان الضحية فيها شخصاً يدعى كاثيانو جنتل ؟

● كتاب هذه المقالات طاردهم شخصان سميا بالقتلة . بعد أن قبضا أربعين مليون بيزو . هذا المبلغ يعد باعثاً طيباً للعمل دون توقف . يعادل المبلغ تقريباً مليون دولار أميركي .

تخبط الكثيرون في هذا العمل الصحفي ، وقالوا إنه ليست الظروف القضائية ، وليست الواقعة التي يرويها كتابي . فالمؤلفون قرأوا الرواية وقد قاموا بواجبهم في أنهم تخبطوا في فهم أن الواقع المرهف أقل أهمية من الرواية . فهؤلاء الذين يقولون إن بطل الرواية يتكلم دون ارتباط بالواقع كأنهم يؤدون دوراً مفتوحاً لشخصيات الرواية . . ويتكلمون عن رائحة الشرف . . ودخائل النفس والحب الأزلي . وهذا ليس سوى إطار إنساني .

●● الإطار يجيء من الأدب ؟

● للكتاب شكل خاصة للغاية . إنه مغلق ومحكم وثمين ومركز على وقائع ما . يمكن أن نحكيه قبل أن ننشره . في الصفحات الأولى ، أقول كل شيء : من قتل . ولماذا . وكل ما يدور . ولا يبقى سوى وقائع الجريمة . مما يسمح لي أن أركز على النص الذي يخلصني من وقائع مادية وإعلامية .

أشكال الأدب

●● طالما أن هناك هموماً كبيرة للحضور الإعلامي ، فكل جملة تطرح معطيات ، يسعى الكثير من النقّاد في كتبهم إلى تحقيق تقارب من خلال أشكال الأدب ، كالنص والصحافة والتحقيق الصحفي ؟

● عندما تكتب كتاباً ، يجب أن يكون هناك قارئ يقرأه حتى النهاية ، ويجب أن نتجنب دائماً العبارة التي تسمح له أن يشتت انتباهه . أنا سعيد للغاية عندما يقال لي إن النص قصير ، وإن الإحساس الذي يلزمه طويل كي يقرأه . هذا يثبت أننا يجب أن نركز على مربع صغير . مثل جريمة بسيطة . يمكننا أن نحفر بعمق شديد .

●● وماذا عن التحقيق في عمل الكاتب ؟

● إننا نستغله مثل التكنيك الأدبي . أعتقد أننا نعود إلى ستة وعشرين أو سبعة وعشرين عاماً حيث مكان الجريمة ، كي نفهم ما حدث . لكن في الواقع لم أقصد مكاناً بعينه . لكني بحثت عن الملف . وعرضت خمسة آلاف ثم عشرة آلاف ثم عشرين ألف بيزو كي أحصل عليه .

●● أهذا شيء صعب ؟

● ليس كثيراً . في الواقع إن ما يحدث يعد غريباً . هذا الكتاب يجب أن يكون كتابي . فكرت في كتابته منذ ثلاثين عاماً في عام ١٩٥١ م . لم أكن قد كتبت رواية واحدة بعد . كنت صحفياً في (برانكاليا) . قتل رجل عرفت القرية كلها بنبأ موته . اغتيل حينما كان عائداً إلى منزله . سقط بجانب الباب الذي كانت تغلقه أمه . ذلك شيء خيالي : رجل قوي له أهميته ، يضرب من جهتين . طلبت مني أمي حينذاك ألا أكتب شيئاً حول هذا الموضوع . فإن هذا سيحاكم أم الضحية لأنها متهمة بإغلاق الباب . ووعدت أمي ألا أكتب طيلة حياة هذه المرأة . ومنذ خمسة أعوام علمت بنبأ وفاتها . فبدأت في التفكير في هذا الكتاب .

●● هل باركت



أمك الكتاب ؟

● لم تتذوقه . لقد ارتكبت خطأ كبيراً عندما كتبت أن أم هذه الضحية قد أغلقت الباب كي تمنع القتلة من الدخول .

●● إذن .. فقد بدأت كتابك هذا في عام ١٩٥١ م ؟

● منذ ثلاثين عاماً . وهذا الكتاب ينخر في رأسي . ولم يعد لديَّ الرغبة أن أبحث في الملف ، وأن أحادث شخصين أو ثلاثة كي يمكنني أن أصل أن كل العالم أصبح قاتلاً ، وأن كل القتلة ليس لديهم الرغبة أن يقترفون إثماً . لقد سحرتني التراجيديا اليونانية دائماً . وفي هذه المرة بدأت أكتب إحداها . إنها جريمة دينية ، وتشاؤمية وليست خيالية وهي جزء من الواقع الذي جسدته في الكتاب .

●● الذي يجب ألا يفوتك هو ما يجب أن يعرفه كل من الصحفي أو الكاتب .

● نعم .. علينا أن نلغي الآلية . فالذي يضع عنصر الحركة في هذه الجريمة هو واقعيتها . حتى بالنسبة لأسرة الضحية . ناس بادروا إلى الموت ولم يفهموه . يجب أن نخفظ هذه التشاؤمية . تصبح الأسماء أقل أهمية بعد ذلك . الأسماء الوحيدة الحقيقية في الكتاب هي أسماء أسرتي . هذه هي الحقيقة اللازمة من خلال المعاينة . تعبر أميريكا اللاتينية اليوم المعطيات السياسية والاجتماعية لقرية يدور فيها القتل .

●● إذن .. فالمعاينة ، هي احتجاج كاتب يكشف عن حياة جزء من هؤلاء الذين يعاشرونه ؟

● إنها قصة جريمة تتعلق بالشرف . في عالم أميريكا اللاتينية الرائع . أعرف أن هذه الرواية يمكنها أن تكون مقنعة للقارئ العادي ، وقد أردت أن أوظفها كي أوسع الدائرة للقراء .

بين الانتشار والتجارة

●● إذن .. أنت تميل إلى الجانب التجاري ؟

● أود أن أسير بعملي إلى نهايته . ليس من المجدي أن نصنع أدباً شعبياً لا يقرأ . لقد وزعت من « قصة موت معلن » ٢٠٠,٠٠٠ نسخة في إسبانيا و ١,٠٥٠,٠٠٠ نسخة في كولومبيا وبيرو والخط الاستوائي وفنزويلا وبانما والمكسيك . بالإضافة إلى ٥٠,٠٠٠ نسخة في جنوب القارة .

●● هذا يعني ١,٣٠٠,٠٠٠ نسخة إذا تجاهلنا المبيعات التي تمت بعد ذلك . أتساءل : هل يوجد روائي آخر في العالم يكتب بالفرنسية أو الإنجليزية ويحقق نفس المبيعات ؟

● كصحفي لا أعتقد . كما أنه من الخطأ أن نؤكد ذلك . لكنني أود أن أصل إلى أن هذه المبيعات الضخمة لها ثلاثة أسباب : أولها انخفاض الأسعار ، ثم طبع أعداد كبيرة . وأخيراً توزيع المكتبات في الخارج . فالمكتبات هي معابد تعرض فيها الكتب . ويجب أن نخرج من المعبد وبيع الكتاب بكولومبيا في المحلات الكبرى (سوبر ماركت) ووسائل النقل العام وعلى أبواب الملاعب الرياضية ودور السينما ، والمعارض . مائة ألف نسخة وزعت في أول مايو (أيار) . فالرواية هي حقيقة مقالا شعبياً . وقد تولى شباب بوغوتا الذين يبيعون السجائر في وسائل النقل عند انتظار الإشارة الحمراء بيعها بدورهم . حيث كانوا ينافسون أسعار المكتبات .

●● هل تجذبك هذه التجارة التي تدور في العراء ؟

● إنها جزء من الأدب الشعبي الذي أود ممارسته . لقد أساء النقّاد كثيراً إلى الأدب . يزعمون أنهم يساعدون الناس في فهم الكتب . فرواية « **دون كيشوت** » يمكننا أن نقرأها . وليس من المجدي أن نتكلم عنها . يكفي أن ننشرها بخط عريض سهل القراءة . وسيدرك كل إنسان أنه كتاب عظيم . لا أود أن أحبس في فضاء وهمي ، أو أن أكتب أدباً كاذباً . لكنني لا أريد أن أكون ملتزماً . فعليَّ أن أضحي كي أصبح أكثر شعبية . فكتابي « **خريف البطريرك** » هو مهادنة أدبية راقية للغاية ، كتبتها من أجل إرضاء نفسي . ولكن ، أنا على وعي أنه يستحق أن يقرأ من قارئ غير عادي . لم يمر « **مائة عام من العزلة** » بهذه المشكلة . فقد وزع في أميريكا اللاتينية على أوسع مجال . ولهذا فأنا أعرف اليوم أنه سوف يحدث الكثير من المزاعم .

بين الأسلوب والتصوير

بقلم: د. علي علي مصطفى صبح

كان النقد الأدبي القديم، ولا زال النقد الأدبي الحديث، وسيظل، لاختلاف الأذواق من عصر إلى عصر، يفتش عن الفواصل بين الأسلوب والصورة ليتمايز كل عن الآخر. وبعد رحلة طويلة في النقد القديم، انتهى عبد القاهر الجرجاني[١] إلى حد التمايز بينهما، فأصبح الأسلوب يقوم على بناء الكلمات بناء قوياً متماسكاً وتركيب الألفاظ تركيباً متلاحماً رصيناً، وتكون الغاية من الأسلوب على مثال جيد من النظم، والنظم هو توخي معاني النحو ووجوهه في بناء الجملة، وعن طريق النظم الجيد تتألف الصورة الأدبية: وعلى ذلك فقد يقع من كاتب أسلوب ضعيف واه، فلا تجد الصورة الأدبية مكانها منه، ويتجرد النظم منها.

في النقد القديم

وقد وضح **ابن خلدون** في مقدمته سلوك الأسلوب عند أهل صناعة الشعر فقال: «إنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها رصاً، كما يفعله البناء في القالب، أو النساج في المنوال، حتى القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي»[٢].

وهذا هو أيضاً حديث النظم في الأسلوب، لأنه عملية تركيب من الألفاظ الملائمة للمعاني الذهنية. والعمل على انتقاء هذه الألفاظ مبني على أساسين هامين: **الإعراب، وألوان الخيال**؛ وتبعاً لدقة النظم، وإحكام الأسلوب، تكون الصورة، ويتألف تركيبها الجيد. ومعنى هذا أن **النظم الجيد والأسلوب القوي، هما** قاعدتا الصورة الأدبية وعن طريقهما الجيد فقط تتألف؛ أما **النظم المضطرب، والأسلوب المهتز**، فلا تقوم عليه الصورة، بل يكون أسلوباً عادياً لا براعة فيه، ونظماً مهلهلاً لا تصوير فيه.

في النقد الحديث

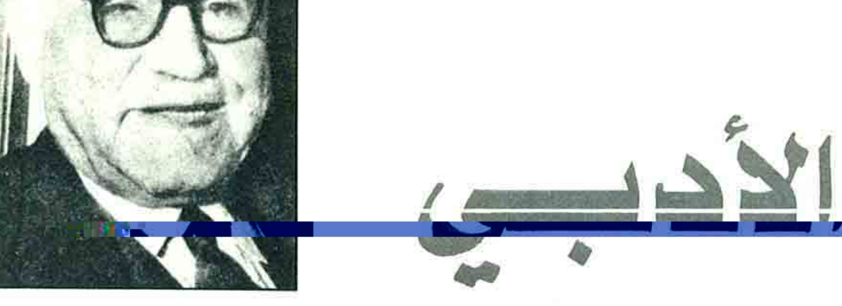
وفي النقد الحديث يقرر البعض: **أن الأسلوب هو الصورة اللفظية، التي يعبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام وتأليفه لتأدية الأفكار وعرض الخيال**. ولا ينبغي أن يتصور الأسلوب من غير العناصر الأدبية، وهي الأفكار والصور الجزئية والعبارة والإيقاع والعاطفة.

وبهذه المقومات تتكون وحدة النص في العمل الأدبي، بحيث لا يتأتى الفصل بين عناصره، ولا يسقط جزء من أجزائه[٣]. والصورة الأدبية هنا فرع الأسلوب، بل هي نتيجة للبراعة فيه، والدقة في بناء التركيب والإحكام في النظم.

ويفرق **أحمد حسن الزيات** بين الأسلوب والصورة، فيرى أن الأسلوب كل لا يتجزأ، يضم الفكرة والصورة معاً، بحيث لو تغيرت الصورة تتغير الفكرة، وإن تغيرت الفكرة تتغير الصورة، فالأسلوب عنده هو:

«**الهندسة الروحية لملكة البلاغة**»، والبلاغة عنده هي التي لا تفصل بين «الفكرة والكلمة، ولا بين الموضوع والشكل، إذ الكلام كائن حي روحه المعنى وجسمه اللفظ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفساً لا يتمثل، والجسم جماداً لا يحس»[٤].

فالصورة تابعة للعمل البلاغي المتكامل، الذي لا يفصل بين الموضوع والشكل. وينص الزيات على الفرق بين الأسلوب والصورة فيقول: «**فالأسلوب إذن هو طريقة خلق الفكرة وتوليدها؛ وإبرازها في الصورة اللفظية المناسبة، هو ذلك الجهد العظيم الذي يبذله الفنان من ذكائه ومن خياله في إيجاد الدقائق والعلائق والعبارات والصور والأفكار والألفاظ**... ولهذا الجهد جهتان: **جهة موضوعية، تتصل بالنظام**، وهو حسن الترتيب وصحة التقسيم، وإحكام وضع القطع في رقعة الشطرنج التي نسميها جملة وفقرة أو فصلاً، أو مقالة، **وجهة أخرى شكلية تتصل بالحركة**، وهي خلق الكلمات والصور، والتأليف بينها على نمط يحدث الحياة والقوة والحرارة والصور والبروز والأثر... وإنما هو [**الأسلوب**] مركب فني من عناصر مختلفة، يستمدها الفنان من ذهنه، ومن



★ أحمد حسن الزيات ★

ذوقه ، تلك العناصر هي الأفكار والصور والعواطف ثم الألفاظ المركبة ، والمحسنات المختلفة »[٥] .

فالأسلوب هو الوسيلة التي تتجسد فيها الفكرة ، في تشكيل من الألفاظ والصور ، بحيث يصير بنية حية وتركيباً فنياً . ويفهم من هذا أن الصورة ليست هي التي تقابل المضمون . . بل هي جزء حي من الأسلوب ، فقد يخلو منها ، وقد يشتمل عليها ، ولذلك جعلت الصورة من عناصر الأسلوب ، بالإضافة إلى الأفكار والعواطف والألفاظ المركبة ، والمحسنات المختلفة .

وعلى ذلك فلا تصلح العناصر السابقة للأسلوب ، لأن تكون عناصر للصورة ، وإنما هي مصادر لها ، وروافد تنميها ، ومنابع تغذيها . وللصورة عناصر أخرى تخالف عناصر الأسلوب ؛ سميتها « **عناصر التصوير الأدبي** » ولها مجال آخر في الحديث عنها .

أنصار « الفن للفن »

وأما الفرق بين الأسلوب والصورة عند أنصار « **الشعر للشعر** » أو « **الفن للفن** » حديثاً ، فهم يحددونه على هذا الوجه : **وهو أن العمل الفني يضم القصيدة التي تنتج موضوعاً معيناً ، قد لا يقصده الشاعر في البداية ، عن طريق وسيلتين هما : المادة أو المحتوى ، والصورة .**

وتأسيساً على ما تقدم فالأسلوب عندهم هو نظام القصيدة ، والصورة هي كسوة المعنى ـ [المادة أو المحتوى أو المضمون] ـ الداخلة في الأسلوب .

ومن هنا قد يكون الأسلوب صالحاً للصورة ، أو لا يكون ، فأنصاره لا يفصلون بين المادة والصورة ، فهما كل لا يتجزأ ، والموضوع عندهم غير الصورة ، لأنه ينبع من القصيدة التي عمادها المادة والصورة[٦] .

وأرى أن الأسلوب في القصيدة مثلاً ، يتركب من معاني الألفاظ مفردة ، ومن دلالات النظم والتركيب على هيئة معينة ، ثم من النغم الذي يحدثه اللفظ لانسجام حروفه ، أو من الإيقاع التي تتجاوب أصداؤه في أجزاء النظم بعضها مع البعض ، ومن تلك الصور والإيحاءات والظلال التي تشعها الألفاظ ، وهي في رباط قوي ، وتلاحم بين معانيها . من كل ما تقدم يتركب الأسلوب ، فإن فقد حلقة من هذه الحلقات نقص وزنه الجمالي بقدر ثقلها ، وأصابه الضعف والتفكك بقدر مكانها .

فلو تفككت عرى الصورة ووحيها في الأسلوب ، ولم تجد سبيلها إليه أصابه هزال النظم الرديء ، وضاعت وسائل العلم الدقيق المحكم في تركيز الأسلوب ، الذي يصبح عندئذ لا يمت إلى الأدب والشعر إلا بأدنى صلة .

الصورة . . وسيلة التخيل

ووضعت حداً لمفهوم الصورة الأدبية حتى تتميز عن الأسلوب ، **والصورة الأدبية هي : [التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي ، لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر ـ أعني خواطره ومشاعره وعواطفه ـ المطلق من عالم المحسات ، ليكشف عن حقيقة المعنى أو المشهد في إطار قوي نام محس مؤثر ، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين] .**

فاللغة والأسلوب هما جوهر الصورة ، وإن استعملا في شتى ألوان الفكر والنشاط الإنساني الآخر ، والصورة تتخذ اللفظ وسيلة للتخيل والتجسيم والتشخيص والتلوين والإيحاء والحركة والأضواء والظلال والإيقاع الرتيب .

واللفظ في الأسلوب حينما يأخذ مكانه منه ومما قبله وبعده ، يحمل شحنات قوية بإيحاءات وأضواء ، يتراقصن جميعاً بالنغم الذي يحدثه وقع الألفاظ المشدودة بعضها إلى بعض ، لتؤلف في النهاية لحناً موحداً في لوحة فنية رائعة من الفن الأدبي الرفيع ، وتلك اللوحة هي الصورة الأدبية التي اتخذت مكانها من الأسلوب الأدبي وقد جاء على غير مثال .

الهوامش

(١) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، ص ٣٦١ ، تحقيق : د . محمد عبد المنعم خفاجي .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٦٦٦ ، المطبعة المشرفية .

(٣) الأسلوب : أحمد الشايب ، ص ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) دفاع عن البلاغة : أحمد حسن الزيات ، ص ٦٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٦) انظر : الأسس الجمالية : د . عز الدين إسماعيل ، ص ٣٩١ ، وفن الشعر : د . إحسان عباس ، ص ١٩٧ ، والنقد الأدبي الحديث ـ والرومانتيكية : د . محمد غنيمي هلال .

بمناسبة الاحتفال
بمرور ٥٠ عاماً
على وفاته

أحْبب الطفل وإن لم يك لك
إنما الطفل على الأرض ملك
هو لطف الله لو تعلمه
رحم الله أمرأ يرحمه

شوقي



شوقي وديوان الأطفال



★ أحمد شوقي ★

بقلم : د. سعد ظلام

قبل أن ندلف إلى عالمي **شوقي والطفل** ببذخهما وثرائهما ، ينبغي أن نعطي فكرة سريعة عن موضوع البحث وعن **دور الشعر في تأديب الطفل** ، وعن شوقي وديوان الأطفال وعن تصوري للبحث والجديد الذي يضيفه .

وموضوع البحث كما يؤخذ من العنوان **هو محاولة استعراض ما نظمه شوقي للأطفال ومعرفة قيمته** ، ومما لا شك فيه أن للشعر دوراً خطيراً ورسالة جليلة الأثر في توجيه الطفل وتربيته وتثقيفه . وإذا كنا قد سمعنا **أبا تمام** وهو يقول :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالي كيف تبنى المكارم

فسعدنا وطربنا ، وصدقناه ، فلنسعد أطفالنا ولنقومهم بما في الشعر من قيم وموسيقى ولغة وعاطفة متخطين آراء جماعة الفن للفن التي لا ترى للشعر رسالة إلا الإسعاد واللذة والإمتاع ، وما أسعدنا بكلاسيكيتنا التي تعني المبادئ وترسي القيم ، وتصوغ بالحب والعاطفة العقول .

وما قيل من أن **أفلاطون** طرد الشعراء من جمهوريته فذلك مما لا يوقف عنده ، لأن أفلاطون لم يجهل دور الشعر في تربية الطفل وبالأخص في مراحله الأولى ، وإنما استبعد فقط الشعر الذي يزيف القيم ويغري بالشر ، والشعر الذي أوغل في الأسلوب الشعري إغراقاً بعيداً ، وأغرق في تهويمات الخيال التي تبعد بالشعر عن قدرة الطفل ، واستبعد أفلاطون الشعر القصصي المليء بالخرافات والأساطير ، فالموعظة الأخلاقية أفضل بالضرورة من الرواية أو المسرحية ذات البناء المعقد[1] .

إنه يعترض على الشعر على أساس أن له تأثيراً سيئاً في الطبيعة البشرية بما يقدمه من نماذج أو تجارب ضارة ، ولأنه يزيف الواقع[2] « أول ما أعيبه عليه هو كذبه »[3] ، ويعترض عليه لأن في الشعر من الأوزان والإيقاع والمؤثرات النفسية ما يصرف الأذهان عن إدراك العلاقات للأشياء[4] .

وفي المراحل الأولى من التعليم يوصي أفلاطون بدراسة الموسيقى ولا سيما الموسيقى المصاحبة للشعر .

لقد كان أفلاطون ينشئ دولة . ومهمة منشئ الدولة هي أن يصوغ القوالب العامة التي يجب أن يصب فيها الشعراء أقاصيصهم ويضع لهم الحدود التي ينبغي أن لا يتعدوها[5] .

ديوان الأطفال

وينتظم شعر شوقي في الطفولة ثلاثة أقسام رئيسية فيدخل في هذا الإطار **القصائد التي نظمها إلى ولديه** ، كما يدخل فيه الشعر الذي يصور الحكايات التي قيلت على **لسان الحيوانات** التي حاكى فيها « **لافونتين** » وهو متخصص في الكتابة للأطفال .

وهذان النوعان وردا في **الجزء الرابع من الشوقيات** (طبعة دار الكتاب العربي بيروت ـ دون تاريخ) تحت عنوان « **الخصوصيات** » . والعنوان لا ينطبق عليها ولا يتعلق بها إلا في الشق الأول منها . كما يدخل تحت هذا الإطار أيضاً ما نظمه شوقي للأطفال وهو الجزء الذي وضعه شارح الديوان في الجزء الرابع تحت عنوان « **ديوان الأطفال** » وهو عشر قصائد تتصل بما قبلها في الفكرة والاتجاه مما يجعلنا نسقط هذه التحديدات وتلك التصنيفات التي وضعها شارح الديوان .

ولشوقي غير هذا قصائد جميلة تتصل بهذا الموضوع وهي (**مصائر الأيام**) ، و (**معالي العهد**) ، و (**رسالة الناشئة**) ، والقصيدتان الأخيرتان كان قد أهداهما إلى **الأمير محمد عبد المنعم الأمير السابق** .

جدة الموضوع

وموضوع البحث جديد على ما أعتقد في بحث شعر شوقي من زوايا متعددة ، ومن خلال مساقط ضوئية مختلفة ، على ضوء معايير نقدية متحددة ووضعت فيه دراسات ، وألفت فيه كتب وبحوث ورسائل علمية كثيرة ، **ولكن ما نظمه للأطفال لم يلتفت إليه أحد التفاتاً واعياً** .

ويأتي هذا البحث في **العام الدولي للطفل** إسهاماً متواضعاً في احتفاء الطفل العربي بعامه الجديد السعيد المبتهج بإذن الله لنقدم كيف كتب شوقي وقدم نفسه للطفل وكيف أسعده ودخل عالمه وابتهج معه بطفولته ، وكيف حاول من خلال تعاطفه معه أن يهذبه ويؤدبه ويقوّمه ويثقفه . وإنها لفرصة نعود فيها لهذا اللون من أدب الأطفال .

والأطفال في هذه المرحلة عادة ما يكونون خياليين أكثر من اللازم ، وللخيال دور كبير في

حياة الطفل ، فأحلام اليقظة جزء من هذا الخيال وهي أساس حياة الطفل الحالية والمستقبلية ، إنه يعيش في عالمها الأسر اللذيذ ، ونجاح المدرسة والتعليم عموماً يكون في إيجاد نوع من التعايش والتفاهم بين هذه الأحلام وعالم الواقع .

وسعة الخيال وحبهم لعالمه يعني أنهم ذووا إحساس ونبوغ ومواهب والعناية بهم تعني ظهور عباقرة في الفنون والعلوم .

وللخيال دور كبير في التذكر ، وهو عالم لذيذ وحياة تعادل الحياة ، أو هي الحياة ، وينبغي استغلال هذا الجانب في الكتابة إليهم لتنمية خيالهم وتوسيع مداركهم وإدخال البهجة عليهم ، والأطفال عادة ما يكونون عاطفيين ، والعاطفة عنصر فعال ضروري لوجودنا وهي أكثر الموروثات بقاء وأكثرها علوقاً بذاكرة الطفل .

إنها عالمه الحالي والمستقبلي وينبغي لمن يكتب للأطفال أن يستغل هذا اللون العاطفي وأن يتعاطف معه .

وينبغي أيضاً لمن يتصدى لأدبهم أن يراعي هذه الأمور الغريزية ، وأن يحسن استغلالها ، وأن يتفاهم مع هذه العوالم في مصادقة واعية رشيدة فيحاول تلبية حاجاتهم في التعرف على الحياة وتعطشهم للمعرفة ، وأن يلبي حاجاتهم النفسية كالأمن والمحبة والنجاح والتقدير والضبط والحرية بكل ألوانها في صور خيالية وعاطفية لذيذة دون اقتحام أو افتعال .

والشعر والقصة والمسرح والكتابة واللعبة هدفها تنمية شعور الطفل بالجمال وخلق آفاق محبّبة تساعده على المشاركة الجماعية والتعاون والعمل الجماعي وتنمية مداركه وقدراته ومن هنا **فالكتابة للطفل رسالة ولكنها رسالة شاقة وسامية** .

وأدب الطفل في وجودنا الأدبي العربي قليل وضئيل حتى صح القول إنه أدب كبار ، وأول من اهتم بأدب الطفل في أدبنا الحديث **رفاعة الطهطاوي** فقد ترجم « مواقع الأفلاك في وقائع تلماك » وهو ترجمة وضعها « **فنلسون** » لتربية **لويس الرابع عشر** لتنمية الإحساس الخلقي عند الأمير الشاب وتبصيره بمسؤوليات الحاكم وواجبات الملك .

كما كتب كتاب « المرشد الأمين للبنات والبنين » وهو فصول في التربية الخلقية ، وجاء **عثمان جلال** فترجم حكايات لافونتين في كتابه « العيون اليواقظ » **وجبران النحاس** سنة ١٩٢٠ م ، في ديوانه « تطريب العندليب » في سبع وتسعين قصيدة ، وكتب **الهراوي** المتوفى سنة ١٩٣٩ م ، دواوين شعرية كاملة منها « سمير الأطفال للبنين » و « سمير الأطفال للبنات » كل كتاب ثلاثة أجزاء . كما كتب كتاباً آخر بعنوان « أغاني الأطفال » أربعة أجزاء ، و « ديوان الطفل الجديد » إلى جانب بعض التمثيليات الصغيرة وكتب أحمد شوقي للأطفال ديوانهم وشعرهم الذي نستعرضه الآن .

وكتب **كامل الكيلاني** للأطفال فأثرى مكتبتهم وكتب لهم أيضاً **علي عبد العظيم والشيخ الصاوي شعلان** .

شعر شوقي للأطفال

قلنا إن شعر شوقي للأطفال ينتظم ثلاثة أقسام رئيسية يبلغ محصولها الشعري ثمانين قصيدة أو زهاءها ويمكن أن ندرس هذا الشعر من خلال إطارين اثنين منعاً للتشعب وتمحيصاً للبحث .

●● **الإطار الأول** : ويمكن أن نطلق عليه **الإطار الإنساني العام** ، ويشمل القصائد ذات النزوع الإنساني والعواطف الإنسانية العامة التي يشترك فيها الناس أجمعون .

ويشمل هذا الإطار القصائد التي قالها شوقي في ولديه « **أمينة وعلي** » وهذه القصائد وإن كانت ذاتية إلا أنها تحمل طابع العموم والاشتراك بين الناس جميعاً كما يشمل قصيدة « **مصاير الأيام** » .

●● **الإطار الثاني** : ويمكن أن نطلق عليه **الإطار التربوي التثقيفي** ، وهذا الإطار يتجه اتجاهاً أولياً إلى إسعاد الطفولة وتثقيفها وبهجتها وإرساء القيم وغرس الفضائل .

الإطار الإنساني العام

وشوقي واحد من الشعراء الذين صوروا عواطفهم نحو الأبناء . وقد حظيت « أمينة » من أبيها بأكبر حظ في هذا الجانب ، فقد كتب إليها وحدها ست قصائد هي : « **يا ليلة** » ، و « **أمينة** » ، و « **طفلة لاهية** » ، و « **الأنانية** » ، و « **لعبة** » ، و « **زين المهود** » .

وقصيدة « يا ليلة » تصور شعور شوقي انتظار طفلته وقد صادف أنها ولدت في ذات الليلة وذات الساعة التي توفي فيها أبوه .

يقول شوقي :

الموت عجلان إلى والدي … والوضع مستعصي على زوجتي
هذا فتى يبكي على مثله … وهذه في أول النشأة
وتلك في مصر على حالها … وذاك رهن الموت والغربة
والقلب بينهما حائر … بلدة أسرى إلى بلدة
حتى بدأ الصبح فولى أبي … وأقبلت بعد العناء ابنتي (٦)

ويقول فيها :

كم خفق القلب لها … عند البكاء والضحك
وكم رعتها العين في … السكون والتحرك
فإن مشت فخاطري … يسبقها كالممسك
ألحظها كأنها … من بصري في شرك (٧)

وفي قصيدة « **لعبة** » يصور شوقي أنه في ليلة عيد الميلاد حاول وهو المسلم أن يتحف طفله بهدية فيذكر أنه عرض على أمينة بندقية حتى تتعود عليها منذ صباها الباكر فتحمي بها سلام نفسها ووطنها في المستقبل ولكنها :

أجابت وما في النطق في وسعها … ولكنها العين قد تُخْبِر
تقول عجيب كلامك لي … أبالشر يا والدي تأمر
تزين لبنتك حب الحروب … وحب السلام بها أجدر
وأنت امرؤ لا تحب الأذى … ولا تبتغيه ولا تأمر (٨)

أما (**علي**) فقد حظي من أبيه بمقطوعتين وقصيدتين ، والمقطوعتان هما : « **أبو علي والزمن الأخير** » وأما القصيدتان فهما : « **أول خطوة** » و « **صاحب عهده** » .

والمقطوعة الأولى قالها شوقي عندما بُشِّر بابنه علي في عفوية ودون إعداد ، وهي فكاهة فيها روح المرح والدعابة وبريق الشعور ، وفيها رد حصيف على **المعري** في موقفه الرافض للحياة :

صار شوقي أبا علي
في الزمان «الترلّي»
وجناها جناية
ليس فيها بأول[9]

و«الزمن الأخير» تحمل بعض اللوم على مجيء علي متأخراً بعد أن انتظره أبوه طويلاً، وتحمل بعض الإشفاق والخوف عليه.

و«أول خطوة» تحمل الفكرة وإشباع رغبة الشاعر في أن يكون «علي» ذا مكانة اجتماعية بكفاحه وصبره وإقدامه:

يا علي إن أوفيـ
ـت على سن الفتوه
دافع الناس وزاحم
وخذ العيش بقوه
لا تقل كان أبي إيـ
ـاك أن تحذو حذوه[10]

أما «مصاير الأيام»[11] فتعتبر بحق من أجمل ما كتب شوقي على الإطلاق. وتبلغ القصيدة ثمانية وستين بيتاً، وتتناول الطفولة بعالمها الخصب وفي نموها السريع إلى الشباب وانعكاس الحياة لظلالها وصورها على هذا القطيع من الأتراب.

وقد تناولت القصيدة الطفولة ببراءتها، ثم جنون الحداثة ونضارة الصبا وكيف تربص الزمن بهذا القطيع واستبد، وتصور إشفاق الشاعر على هذه البراعم، ويذكر فيها أن الحياة، حظوظ وأنها في الوقت نفسه مغامرة:

ألا حبذا صحبة المكتب
وأحبب بأيامه أحبب
ويا حبذا صحبة يمرحو
ن عنان الحياة عليهم صبي
كأنهم نسمات الحياة
وأنفاس ريحانها الطيب
يُراح ويغدى بهم كالقطيـ
ـع على مشرق الشمس والمغرب
إلى موقع ألفوا غيره
وراع غريب العصا أجنبي
ومستقبل من قيود الحيا
ة شديد على النفس مستصعب
فراخ بأيك فمن ناهض
يروض الجناح ومن أزغب
مقاعد من جناح الزما
ن وما علموا خطر المركب

والقصيدة على هذا النحو الجميل من الشعر التزم فيها شوقي بالخط الدرامي وسار معه صعوداً وهبوطاً، ولاحظ كل التأثيرات قوة وضعفاً، نجاحاً وفشلاً.

وقد نجح في تركيب الصورة الأدبية الحسية والصورة النفسية، وأبرز الدقائق في صورتين **صورة الحس الأدبي** الباهر الجميل بتغلغله ونبضه، وصورة **الأدب الحسي** بألوانه وظلاله وأضوائه واشتعال الحركة الخفية المتمثلة في الصورة النفسية، والحركة الحسية المتمثلة في الصورة الحسية أدى الفكرة أجمل أداء.. والإيقاع واللحن المثابر متوائمان متعانقان.

الإطار التربوي التثقيفي

يتناول هذا الجانب ثلاثة اتجاهات رئيسية فهو يتناول أولا ما نظمه شوقي على لسان الحيوان، محاكياً «لافونتين»، وثانياً القصائد التي وضعت في الديوان تحت عنوان: «ديوان الأطفال»، وثالثاً: قصيدتيه «معالي العهد.. ورسالة الناشئة» اللتين نظمهما للأمير السابق محمد عبد المنعم.

أولا: ما نظمه على لسان الحيوان

قلنا إن شوقي حاكى بهذه القصائد «**لافونتين**» وهو شاعر متخصص في أدب الأطفال، وقد نظر لافونتين في هذا إلى الحكايات الشرقية، وبالأخص **كليلة ودمنة** فيما كتب، والكتابة على لسان الحيوان، أو جعل الحيوانات أبطال قصص، ليس جديداً على الأدب العربي، فالقرآن الكريم أسبق إلى هذا العالم، فمن شخوص قصصه وأبطالها **بقرة بني إسرائيل، وعجل السامري، وعصا موسى، والنملة، والهدهد مع سليمان، وثعابين سحرة فرعون، وغراب قابيل وهابيل**، إلى غير ذلك.

وتبلغ قصائد شوقي في هذا اللون خمساً وخمسين قصيدة قالها في أشكال شائعة وتضمنت غايات وأغراضاً مختلفة يتعسر علينا عرضها جميعاً في هذا البحث.

وقد سلك شوقي في هذا المسلك التوجيهي مسالك شتى، ويمكن في تركيز وإيجاز أن نجمل هذه المسالك في اتجاهين:

●● **الاتجاه الأول**: اتجاه تربوي أخلاقي يربي الخلق الإيجابي، كالكرم والحب والطاعة والأمانة والنبل والرحمة، واتجاه سلبي يروض فيه الغرائز ويطهر النفس منها كالحمق والبلادة والكبر والظلم والكذب والرياء والنفاق.

●● **الاتجاه الثاني**: اتجاه تبصيري تجريبي بالحياة وما ينبغي أن يكون عليه الناشئ، وكيف يتعامل مع الأحياء أفراداً أو جماعات، ومع المجتمع الكبير بمشكلاته وعقده وكيف يتعامل مع هذا كله ويكون عضواً نافعاً فيها يؤثر ويتأثر.

الاتجاه الأول

أ - الجانب الإيجابي

حاول شوقي أن يغرس في الطفل بعض الجوانب الخلقية، أو يركز عليها، أو ينميها فيه، فحسن له صفات الأمانة والطاعة، وحب الرأفة والرفق بالحيوان، والنبل والعفو عند المقدرة[12].

فقصيدة «**سليمان والحمامة**»[13] تؤكد على صفة الأمانة، وقصيدتا «**الأسد والضفدعة**» و«**الجمل والثعلب**»[14] تدعوان إلى النبل والعفو عند المقدرة، وقصيدتا «**الدب في السفينة**»[15]، و«**فار الغيط وفار البيت**»[16] تحبب الطاعة إلى الطفل، و«**ضيافة قطة**» تجعل الصغير يرفق بالحيوان. وتحكي القصيدة الأخيرة تجربة خاصة حدثت مع الشاعر فقد أزعجته قطة بالليل، لكنه عندما ظفر بها لم يؤذها بل أحسن ضيافتها وضيافة صغارها:

فلم أزل حتى اطمأن
جأشها ومرت
أتيتها بشربة
وجئتها بكسرة
وصنتها من جانبي
مرقدها بسترتي
وزدتها الدفء فعر
مت لها بمجمرتي
ولو وجدت مصيداً
لجئتها بفأرة

ب - الجانب السلبي

وقد ركز فيه على تطهير النفس من الحسد والظلم والكذب والفخر والحمق. فقصيدة «**الكلب والببغاء**»[17] تطهر النفس من الحسد والحمق، فالكلب حسد الببغاء على صوته الحسن

وطلب أن يراه فلما أظهره الببغاء عضه الكلب :

فأخرجت من طيشه لسانها
فعضه بنابه فشانها
ثم مضى من فوره يصيح
قطعته لأنه فصيح
وما لها عندي من ثأر يعد
غير الذي سموه قدماً بالحسد

وقصائد « اليمامة والصياد »[18] و « الحمار والجمل »[19] و « الغراب والاتان »[20] و « الثعلب وأم الذئب »[21] و « الثعلب والحمار »[22] كل هذه القصائد تطهر النفس من الحمق والبلادة ، وتحذر من كثرة الكلام دون موجب .

فالصياد في « اليمامة والصياد » حام حول الروض يبحث عن صيد فلم يجد حتى همَّ بالرحيل ، لكن اليمامة لحمقها برزت له فعرضت نفسها للهلاك .

و « الحمار والجمل » قررا الهرب من عناء العمل لينعما بالحرية ، فلما انطلقا إلى البادية أحس الحمار أنه غير مؤهل للحرية وغير مخلوق لها ، فطلب من الجمل أن يرجعا وتعلل بأنه نسي القيد الذي هو سبب زلته .

والذئب في « الثعلب وأم الذئب » مات من أثر عظمة وقفت في حلقه وقد ذهب الثعلب يعزي أمه :

فأجابت يا ابن أختي
كل ما قد قلت حكمة
كأبي الغالي ولكن
قولهم مات بعظمة
ليته مثل أخيه
مات محسوراً بتخمة

والحمار في مقطوعة « الثعلب والحمار » رمى صاحبه أرضاً وذهب إلى الثعلب يستفتيه :

طرحت مولاي أرضاً
فهل بذلك عار
وهل أتيت عظيماً
فقال لا .. يا حمار

و « سليمان والهدهد »[23] تطهر النفس من الكذب فالهدهد قد اشتكى من حبة بر قتلته فعرف سليمان أنه سرق هذه الحبة من النملة :

ما أرى الحبة إلا
سرقت من بيت نملة
إن للظالم صدراً
يشتكي من غير علة

و « نديم الباذنجان »[24] تكشف رياء المرائي ونفاق المنافق وتطهر النفس من هذا الخلق الآثم ، والقرد والسفينة تطهر النفس من الكذب ، فالقرد ادعى أن في السفينة خرقاً وكذب على سيدنا نوح فلما تيقن من في السفينة أنه كاذب واشتهر بذلك لم يستمعوا إلى استغاثته لما طلب النجدة ولما هم بالغرق وهكذا .

الاتجاه الثاني

الاتجاه التبصيري بالحياة

وقد حاول أن يعظم في نفس الطفل معاني الطموح ، ويحمسه للعمل ويبصره بعواقب الأمور ، وينصحه باختيار الأصدقاء والأعوان ، ويدعوه إلى التأني وعدم العجلة ، وأن الاتحاد قوة .

فقصيدة « السلوقي والجواد »[25] دعوة إلى الهمة العالية ، فالسر في الحيوان وفي الطير همتها ونفسها لا قوتها وضخامتها :

السر في الطير وفي الوحش لا
في عظم سيقانك يا ذا السداد
ما الرجل إلا حيث كان الهوى
إن البطولة قادرات شداد
أما ترى الطير على ضعفها
تطوي إلى الحب مئات البلاد

و « فأر الغيط وفأر البيت » تقرر أنه لن ينال المعالي إلا المؤهل لها ، و « **النملة والمقطم** » تربي في الطفل روح الإقدام والطموح ، وتحذره من الخوف ، فالنملة حاولت الصعود إلى المقطم ولكن دب إلى قلبها الخوف فيبست ولم تستطع الصعود ولا النهوض :

ثم قالت وهي أدرى
بالذي قال وأعلم
ليتني لم أتأخر
ليتني لم أتقدم
ليتني سلمت فالعا
قل من خاف فسلَّم
صاح لا تخش عظيماً
فالذي في الغيب أعظم

و « حكاية الخفاش ومليكة الفراش »[26] تربي في الطفل ألا يخدع بالقشور ، ويقف عند الجمال الظاهري ، و « **الثعلب والأيك** » دعوة إلى اليقظة والنعمة ، وأولاها دعوة إلى العمل والسهر لحماية الوطن ، و « **الكلب والقط والفأر** » تعود الطفل على عدم الوثوق بالعدو ، و « **الغزال والكلب** » تربي في النفس حب المعالي ، و « **الفأرة والقطة** » دعوة إلى الشجاعة والتجلد أمام الأحداث .

وهكذا ما زال شوقي بكل ما يُبصِّر الطفل بالحياة ، ويعوِّده على مجابهتها ، ويبذر فيه القوة والتجلد والطموح وتنبيهه لوضع رجله في الطريق في أمان وطموح .

ديوان الأطفال

ويتألف هذا الديوان من عشر قصائد ، فيها أربع يمكن أن تلحق بالجانب التثقيفي وهي « **الهرة والنظافة** » والهدف منها تعويد الطفل النظافة . وقصيدة « **الرفق بالحيوان** » ، الغرض منها الرفق بالحيوان ، و « **ولد الغراب** » تربي في الأطفال الحرص على ألا يسبقوا زمانهم ، و « **الوطن** » تحبب الأطفال في أوطانهم ، وتربي فيهم هذه العاطفة النبيلة .

ويبقى بعد ذلك قصائد « **الجدة** » و « **الأم** » و « **المدرسة** » و « **النيل** » و « **نشيد مصر** » و « **نشيد الكشافة** »[27] .

وقصيدة الجدة تقوي صلة الأطفال بجداتهم وتحببهم فيهن . ولكي يقربها شوقي قدمها على لسان طفل ويصور الشاعر كيف أن الأب غضب يوماً عليه ومشى إليه يود تأديبه فاحتمى بجدته :

فلم أجد لي منه
غير جدتي من مهرب
فجعلتني خلفها
أنجو بها وأختبي
وهي تقول لأبي
بلهجة المؤنب
ويح له ويح لهذا الـ
ولد المعذب
ألم تكن تصنع ما
يصنع إذ أنت صبي ؟

وكذلك قصيدة الأم[28] .

أما قصيدة « **المدرسة** »[29] فإنها تشوق التلميذ إلى المدرسة وتحببه فيها وتقربها منه وتكسر حاجز الخوف والرهبة بينها وبينه .. وقد قدم الشاعر الفكرة على لسان المدرسة نفسها :

أنـا البـاب إلى المجـد
تعـال ادخـل على اليُمْن
غـدأ تـرتع في حـوش
ولا تشبع مـن صـحني
وألقـاك بـإخوان
يـدانوك في السـن
تـناديهم بيـا فـكري
ويـا شـوقي ويـا حسـني
وآبـاء أحبـوك
ومـا أنـت لهـم بـابن

و « النيل »[30] تقدم للطفل المصري صورة من التعرف على هذا الشريان الحيوي الذي تبدع يداه حياة المصريين ، وكذلك « نشيد مصر » عرفان بواجب مصر كوطن لأبنائها .

و « نشيد الكشافة » حفز لإرادة الفتيان وتأكيد على أن يبنوا أنفسهم بالإرادة والخلق والتضحية .

الاستنتاج

عرض شوقي الجوانب التربوية والتهذيبية والتثقيفية في صورة بسيطة قريبة من عقل الطفل وقلبه في لغة بسيطة وأسلوب سهل ، وقد قدمها في صورة خيالية عاطفية ، وفي أشكال من الحوار والقصص على لسان الحيوانات التي يحبها ونجح في ذلك .

واستطاع أن يؤكد على نوازع الخير ، وأن يروض الجوانب الشريرة فيه ، وأن يبصره بجملة من الخبرات ، ويثقفه بجملة من المعلومات ، وأكد على بعض جوانب الأسرة كالأم والجدة باعتبارهما مصدري الحنان ، وهو لهذا **اختار الأوزان السهلة ونوع القوافي بتنوع الفكرة** ، وأكد على بعض الجوانب الأخلاقية ، وإن كان لم يؤكد على دور الدين في تعميق وتأصيل ، وليس ذلك إهمالا لدور الدين من شوقي وإنما لأنه أفرد للدين في التربية جوانب من قصيدتي « **معالي الأمور** » و « **رسالة الناشئ** » وقد نجح في استخدام الرموز في قصصه فاستخدم أبطال القصص استخداماً حسناً واختارها اختياراً جيداً .

فالكلب مثل للوفاء ، والحمامة مضرب المثل في الوداعة والألفة والسلام ، والثعلب مثال للمخادع الماكر والمحتال الماهر ، والنملة مثال التفاهة والعمل في نفس الوقت ، والفأر مثل في الضعة ، والأرنب مثل للخور والضعف .

وقد نجح شوقي في توظيف هذه الأوصاف في نفاذ إلى الغرض ونجاح في القصد ، لكنه عندما أراد أن يأتي بشخصية تمثل النفاق أصدق تمثيل لم يجد إلا الإنسان .

ولكن أسلوب شوقي جاء عالياً بعض الشيء عن مستوى الطفل مرتفعاً عن إدراكه مما أضاع القصد أو أخل به .

أما قصيدة « **معالي العهد** »[3] فقد كتبها إلى **الأمير السابق محمد عبد المنعم** حيا فيها مولده ، ثم توجه إلى الجيل الجديد فبصره بالحياة ، وأزجى إليه جملة من المعارف والأفكار والنصائح والوصايا التي يبني على ضوئها تجربته .

وقد بدأ القصيدة بالدعاء للجيل الجديد وذكر أن هناك سبيلين لا بديل عنهما لمن يريد النهوض والتقدم هما : **العلياء والدين . ويرى أن الدين في الخير والأمان والضمان** ، ويوصي باقتباس الدين من **الكتاب والسنَّة** رأساً في توهج واشتقاق قصده ، وأن يأخذ معه المعارف والعلوم ، وأوصاه أن يثق بنفسه في كل الشؤون ، وأن يثبت على المبدأ والدأب والكفاح ، وألا يتطرق اليأس إلى قلبه .

ويمكن تقسيم القصيدة إلى قسمين :

- **القسم الأول يتناول التكوين الذاتي والنفسي للطفل .**
- **القسم الثاني تناول تعامله مع الحياة والأحياء .**

أما رسالة الناشئة فتقع في إحدى وتسعين قصيدة وقد أهداها أيضاً إلى الأمير السابق محمد عبد المنعم .

ويبدو أنه حاكى فيها « **مغامرات تلماك** » وقد بدأها بحمد الله وشكره وإجلال الأنبياء ، وتناول في القصيدة أفكاراً كثيرة تتعلق بتربية العقل والتربية الوطنية والتربية السلوكية وتربية النفس وتهذيبها وتربية الروح وتربية الجسم .

والقصيدة عامرة بالتوجيه وقد شملت كل جوانب الطفل ، لكنها جاءت في صور نصائح مباشرة يطول بنا البحث لو استعرضناها .

بقي أن نقول إن شوقي بتوجهه لهذا العمل وجّه كثيراً من الكتَّاب إلى الكتابة للطفل قبل **كامل الكيلاني** وغيره ، ولهذا الشعر أثر كبير في تغذية المواهب وتفتحها وتثقيف العقول وتهذيب النفوس وغرس العلم ، وهناك شيء له خطره وهو تكوين قاموس لغوي ناضج للطفل عن طريق هذا المحفوظ الشعري الذي يحدث لو أحسنا عرض هذا الشعر للطفل مرة ومرة في صورة شائقة مزودة بالرسوم والألوان والخط الكبير .

وإن مثل هذه الألوان من **شعر الطفل** هي التي تمهد في وقت مبكر إلى تكوين الملكات اللغوية ، والسلائق الشعرية ، والشغف بالأدب ، وأول محفوظ من الشعر يظل يستهوي الإنسان ترديده ويبعث فيه خواطر مبهمة تظل تلح عليه تريد الإعراب والإفصاح . **إن مصدر شغفنا بالشعر هو تلك الأناشيد والأغنيات الجميلة التي قرعت آذاننا في فجر حياتنا الأول منذ كنا في المهد ، من ذلك الفم الندي ذي الصوت المملوء حناناً وعطفاً .. صوت الأم ، وهي تتغنَّى** بالتعابير الراقصة وتواظب عليها في حنو ونغم حتى كان صوتها في أذهاننا أكثر انطباعاً من أي شيء آخر .

الهوامش

(١) جمهورية أفلاطون : دراسة وتقديم الدكتور فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٤م ، ص ١٦٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .
(٣و٤) من ص ٢٤٤ ـ ٢٥٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ .
(٦) الشوقيات ، ص ٤ وص ٩٧ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٨ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .
(١١) الشوقيات ، ص ٣ ـ ص ١٤٧ ، تحت عنوان جانبي : « متفرقات » .
(١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥) الشوقيات ، ص ٤ ـ ١٦٨ ـ ١٧٠ ـ ١٧٥ ـ ١٦٢ .
(١٦) ص ١٣٣ .
(١٧) ص ١٢٣ .
(١٨) ص ١٧٤ .
(١٩) ص ١٧٢ .
(٢٠) ص ١٧٥ .
(٢١) ص ١٧٩ .
(٢٢) ص ١٨٩ وص ١٨١ .
(٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .
(٢٤) ص ١٢١ .
(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .
(٢٦) ص ١٤٤ .
(٢٧) ص ١٨٩ .
(٢٨) ص ١٩٢ .
(٢٩) المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .
(٣٠) المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .
(٣١) المصدر نفسه ، ص ٤ ، وص ٣٢ ـ ٣٧ .



من المكتبة السعودية

يسعد مجلة «الفيصل» أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية.. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة، وبين القراء في الوطن العربي الكبير.

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي.

ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من [illegible] والله الموفق.

● الكتاب: التاريخ العربي وبدايته.

● المؤلف: أمين مدني.

● الناشر: تهامة – جدة – سلسلة (الكتاب العربي السعودي ٤٥) في (٤٢٢) صفحة، الطبعة الثانية – (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

قارئ هذا الكتاب لا شك يحس المجهود الكبير الذي بذله الأستاذ أمين مدني في تأليفه، وقد استهدف به أن يكون عملية تأصيل لعهد التطور والانطلاق الذي تمرّ به المملكة العربية السعودية. ومن ناحية أخرى يكون كشفاً علمياً لغيابات التاريخ القديم، ولا أقول مجاهله لأنه – فيما نعرف – مطروق دائماً ومعروفة معالمه، وإن تكن هذه المعرفة مضطربة.

فلقد تصدّى لكتابة تاريخ العرب الكثيرون: بعضهم تعجّل فجانبه الصواب، وبعضهم الآخر تبع هواه – وفيهم مستشرقون وشعوبيون – فأخطأوا الجادة، ثم فئة تحمست للعرب – بعد أن صاروا خير أمة أخرجت للناس – ونسبت إليهم كل فضل فجاوز ما يقتضيه العلم من تحرٍّ ورقة وأمانة.

ويبدو لمن يتقصّى مادة [illegible] – وهي تبدأ بتعريف التاريخ وتقف عند الفراعنة – أن جامعها المعلّق عليها حرص على أن يربأ بها عن سقطات الآخرين. وربما أصبح بصنيعه هذا واحداً من الذين وضعوا أيديهم على بعض مفاتيح التاريخ الإسلامي، وإذا كان القدماء بداية فهي بداية موغلة في القدم وتضرب في صميم الأساطير، ومع ذلك فتلك الأساطير ليس عارية من بعض الحقيقة. ولقد قررت النتائج المتأخرة أن مصادر التاريخ العربي تتفق مع المصادر الأخرى المعتمدة حول أمرين:

أولهما أن الحقيقة التاريخية القديمة تحمل عدة من الخوارق والإحالات مما يجعلها لافتة للنظر – على الأقل – وإلا فلا بد من الاحتراز فيها، ولكن ينبغي ألا تُهمل.

والأمر الثاني أن ما جرى فوق أرض الجزيرة العربية – وتلك تسمية مجازية أو جغرافية قاصرة – لا يبدأ بالألف الثانية قبل الميلاد حيث كان إسماعيل بن إبراهيم الخليل يقوم بعملية تطوير فكري عمراني بمعونة جرهم الأولى – وكان اليمانيون إذ ذاك وعمالقة مصر والشام قد قطعوا شوطاً أو أشواطاً في مضمار التحضر والتمدين – وإنما يبدأ قبل ذلك بعالم ما قبل الطوفان. وقد لعبت فيه العقيدة دوراً أساسياً لا يمكن نكران تأثيره. وإلا فهل نكتفي بالقول إن التاريخ المحقق – مثلاً – يضع كلاً من هود وصالح داخل إطار العربية البائدة ضمن من ورث الأرض بعد نوح دون اعتماد الصراع العقديّ أساساً؟.

إن الحديث عن صراع الأديان – فيما يطلق عليه الآن سياسياً الشرق الأوسط – يؤلف جزءً خطيراً في تاريخ شبه الجزيرة، وحضارة اليوم فيها مرتبطة على نحو ما بمد إسلامي هو في جوهره نسخ وإعادة تقويم لما عُرف في مصر واليمن والشام والعراق من عقائد.

إن الدول العربية التي تواصل الآن مسيرتها نحو التقدم تتيه على العالم بالكلدانيين والكنعانيين والفينيقيين والهكسوس وعاد وثمود ثم سبأ وحمير. وفي رأي الأستاذ أمين مدني أن الشعوبيين وكتّاب التوراة عمدوا إلى تشويه طبيعة العلاقات التاريخية بين بعض هذه الدول وبعضها الآخر، وبينها كافة، واليهود



★ أمين مدني ★

أو الصهاينة خلفاء الصليبية والتترية .

ولما كانت رحلة البحث طويلة ـ لأن المادة نفسها هائلة ـ عمد المؤلف إلى تجزئتها ، ومن ثم وقف وقوفه الخاطف عند ديانة المصريين القدماء ، معلناً بذلك نهاية الجزء الأول . وأما الثاني فلا مكان له في هذا المجلد الذي يعنى ببداية التاريخ العربي فقط، وهكذا رأى نقطة الانطلاق . والأجزاء التالية تتضمن موضوعات أخرى طرحت في جزئين مستقلين ، وثمة جزءان أيضاً لا يزالان في علم الغيب .

وفيما قصد إليه يسجل المؤلف ـ بإدراك دقيق ـ إن إهمال أحداث الجزيرة العربية أو عزلها بشعوبها أمر بالغ الخطورة ، لأنه إهمال لدورها فيما تحتفظ به إثبات ما قبل التاريخ ، وليس من الضروري على أي حال أن يبدأ بآدم ثم نعقّب بإدريس . لأن ما قبل الطوفان يوقع في براثن التخمين والشطط، وقد أعطانا حمزة الأصفهاني في كتاب تاريخ سنى ملوك الأرض وكذلك بروسوس الإغريقي أرقاماً لا يمكن قبولها لتحمل محمل الصدق . وقد افترض المؤلف ـ مع تسليمه بخرافية تاريخ تلك المرحلة ـ أن إدريس عليه السلام بابليّ وكان صاحب شريعة . ولم يفترض مع المتخصصين في حضارة مصر القديمة أنه هو أوزيريس الذي ذكر بلوتارك المؤرخ في كتابه « إيزيس وأوزيريس » أنه بعد أن عمر مصر في الألف الرابعة قبل الميلاد على الأقل ، خرج في رحلة إلى بلاد الشرق ـ الجزيرة العربية ـ يهدي الناس فيها ويعلّمهم الحكمة والفلك والحساب ! .

كما افترض أنه إذا كانت للعراق ومصر حضارة في عصور ما قبل الطوفان ، فإن قلب البلاد العربية وجنوبها قدما حضارة أقدم . وما وجد من آراء مستندة إلى نتائج أركيولوجية وأنثروبولوجية لا يدحض هذا الافتراض قط، وإن يكن يميل إلى تأكيد « تعاصر » مراكز الحضارات العتيقة ، وإلى اعتمادها أسلوب التقارض في عملية التأثير والتأثر المعروفة . ومع ذلك لا نظن أننا نحتاج بعد ذلك ـ فيما يتصور المؤلف ـ أن نؤكد أن آدم عليه السلام هو الذي وضع أساس البيت الحرام لتقوم أول حضارة إنسانية تقوم على الزراعة ، لأن سيدنا إبراهيم إنما وفد على وادٍ غير ذي زرع ليرفع على أساس آدم صرح الكعبة المشرفة .

إن أخشى ما نخشاه أن يتوسع الدارسون في فهم الأسلوب القرآني وهو الواقف دائماً عند الحقائق الأساسية الكبرى ـ فيقع الشطط فيما ينبغي أن يفصل فيه من تفصيلات على أساس أن الاكتشافات تقول فيها كذا ، والقرآن الكريم قال فيها من قبل كذا ! .

والمؤلف بعد ذلك يمضي فيتحدث عن دول ما قبل التاريخ أو ما قبل الطوفان ليقدر أن ما يسمى بنهاية ما قبل التاريخ هو بداية التاريخ . على أساس أن إنسان ما بعد الطوفان واصل المسيرة نحو البناء ، وأسهم في المسيرة شعبنا العربي ، وإن يكن تاريخه ـ في أصقاعه المختلفة ـ لم يبدأ في عام واحد بالرغم من اعتبار رفع إبراهيم لأساس البيت المكي بداية عامة قد يختلف حول تحديدها اختلافاً محدوداً لا يجاوز مطلع الألف الثانية قبل الميلاد .

وثمة كان استقرار قبل مجيء الجاهلية الأولى بنعرتها القبلية ، وتعددت الأديان وتناقضت حتى لقد كان لا بد من ظهور سيدنا إبراهيم ، لا ليمدّن الشعوب العربية وإنما ليردها إلى التوحيد ـ بعد اضطرابه بذهاب إدريس ونوح ـ فنجح واختلف من بعده الناس : فعرفوا الوثنية بتعدد صورها في مختلف العصور ، وظلت قائمة برغم ظهور اليهودية فالمسيحية .

ولما كان التاريخ هو الحضارة ، فقد ناقش المؤلف أسبابها ، من حيث فكر ، عارضاً للغة من منطلق أن لسان جرهم الأولى كان لسان مضر وإياد ، وهو عربي تختلف خطوطه وأبجديته . ولعل التدوين بالخط المسماري ـ وكان قد انتشر في أنحاء الجزيرة ـ جَنَى شيئاً على اللغة العربية الأم ، ومن جراء ذلك تبلبلت الألسنة في العراق . ومع ذلك استمر ثلاثة آلاف سنة ، أي إلى القرن الأخير الذي سبق الميلاد ، وكان ثمة خط سومريّ وخط آخر مصري ، ثم خط فينيق كنعاني قال المؤرخون الثقاة عنه إنه أخذ من الفراعنة قاعدة الاختزال . على أن البحث هداه إلى مجموعة خطوط أخرى عرفها الحجاز وإن تكن بعيدة عنه بأصولها كاللحيانية والصفوية التي





★ عبد الله العباسي ★

يقال إن الثمودية أصلها. وأما العبرية فهي بخطوطها مشتقة من الكنعانية، وبها اتصلت النبطية والسريانية، مع التدمرية بخطوطها.

هذا ولم يغفل الباحث حقيقة أن حضارة العرب – ربما ككل حضارة – هي أدبية سدى ولحمة: فقرر أن الشعر عريق عراقة لغته.

ولما كان يرى أن في الحجاز تعارفت الثقافات باحتكاكها، قرر بمجاوزة غير مقبولة إطلاقاً أن الحجاز كان مهد الشعر ومسكن النابهين فيه. وقد خالف بذلك الحقيقة التي تقرر أن الشعر نَبَت في البادية، ولعل ابن سلام – من أجل ذلك – جعل الطبقة الأولى في كتابه «طبقات فحول الشعراء» من البادية قبل أن يصل إلى شعراء القرى كمكة المكرمة والمدينة المنورة. كما جرى وراء الجاحظ عندما ظن أن أقدم شعر عربي إنما كان في القرن الخامس الميلادي، اللهم إلا إذا كان يقصد بعض الشعر الذي أجمع أصحابه فيه على لغة واحدة من لغات الجزيرة المختلفة.

وأما معالم المجتمع فيوفيها الباحث حقها من العناية، ويعتمد ما أشار إليه القرآن الكريم في ركوب الجاهليين البحر – وقد قال عمرو بن كلثوم «ووجه البحر نملؤه سفينا» – بجانب الزراعة حتى في البادية، والاتجار. وأما في الجنوب والشرق فثمة السدود والقصور والمعابد والتماثيل والثروة والترف، وكل هذا بتفصيلاته قد لا تختلف عنه تفصيلات القصص التي تروى عن إرم ذات العماد في الشمال. وقد ثبت فعلاً أن الحضارة الإسلامية في عمان عاصرتها حضارة اليمن، كما عاصرتها الحضارة السومرية في العراق القديم، وقام الكنعانيون الذين انتشروا في الأحساء وقطر ودلمون – أي البحرين – قبل هجرتهم إلى سورية بعمليات الإشادة والتعمير، وخلفهم طسم وجديس ووبار. وكل هذه الدول تأثر بالوثنية اليمنية، ومنها شاعت عقيدة الثالوث الفلكي – الشمس والقمر والعُزّى إلى الزهرة – وإن يكن ثمة من يقرر أن عقائد الشرق المطلّ على الخليج تأثرت بمعتقدات الرافدين في أكثر العصور. وبالقدر نفسه تأثرت سورية مثل تأثرها بمعتقدات المصريين القدماء، وذلك إبان تعرضها للغزوات من الشرق والغرب بجنوبه: فوقعت في تيارات الأعاصير السياسية الهوجاء، ولقد جاء الإسلام فأنهى الصراع الديني وحدّ من غلواء الصراع السياسي.

وأما حضارة مصر في وادي النيل – وهي جزء عربي – فيؤكد المؤلف أن لحضارة شبه الجزيرة فضلاً عليها. وهذا رأي من الآراء التي اشتجرت حول عمليات التأصيل، ولكن المؤكد أن لحضارة المصريين القدماء طابعاً غلب على ما استُرفد من شبه الجزيرة، والمؤكد أيضاً أن مصر كانت يوماً – في أثناء حكم العمالقة – جزءً من الجزيرة العربية، وتاريخ العرب فيها بدأ من القرن العشرين قبل الميلاد!.

هذه خلاصة ما جاء في ذلك الكتاب القيّم «التاريخ العربي وبدايته» وإذ نطرحه أمام القارئ هنا، فإنما ليرى أي مجد صنع لنا من قديم، وأي حاضر يصنع طالما اعتمد قديمه فحاوره وفهم منه واتكأ عليه وهو يأخذ بالجديد.



● الكتاب: رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر).

● الشاعر: عبد الله عبد الوهاب العباسي.

● الناشر: تهامة – جدة – الكتاب الخمسون من سلسلة الكتاب العربي السعودي عام ١٤٠٢هـ، في ١١٥ ص.

ديوان شعر يقدّمه شاعر الرحلة مع الشوق، تقمصته روح ابن بطوطة – مع أنه يكتب له – أو فلنقل هو الذي تقمصها لينظر من خلالها بنظرات القاضي العاقل إلى الكون ومخلوقات الله فيه، وأنّى حطّ رحاله حاول أن يجهد ويشتاق كما حاول أن يمزق أقنعة الزيف:

فنرى ألوان العالم في ساعتها الأولى
نتعلم منها الحكمة والصبر قليلا
نستلهم منها الحبّ أصيلا

حتى وهو غريب – ولا بُدّ أن يكون غريباً – يغدو موقفه من التجربة الشعرية كلها موقفاً شبه تصوّفي، أو مقاماً من مقامات الوجد

الـذي استعاض عنـه بـالشوق . وهو يؤمن إيماناً لا يتزعزع بأنه واصل إلى الخير حتماً من حيث هو أصل الكون ، والتاريخ نفسه ـ بغضّ النظر عن تجربة العقيدة ـ يؤكد ذلك . ربما منذ رفع إبراهيم ـ عليه السلام ـ قواعد البيت أو على الأقل عندما يقصد هو إلى الصخرة ليصلي ويتذكر عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ برغم الرعب الذي ينشره هولاكو الراكب أكتاف الشر ، ثم يجوب أنحاء العالم ـ في رحلة معرفة واكتشاف وتقويم ـ قارناً في صفحاته الماضي والحاضر ومستشرفاً المستقبل أيضاً !

على أن تجربة عبد الله العباسي أعمق من هذا وأخصب ، واختياره لابن بطوطة ـ وقد تمثل رحلته ـ إطار مرن . لأنه النموذج القادر على الانتقال في الزمان والمكان أنّى شاء ، ولأنه القلب أو العقل الذي يستقطب حركات التاريخ بنوازع البشر وبالإرادة الفاعلة التي تبغي الكشف والتعرّف .

وهكذا يصبح هذا الإطار ـ أو هذه البنية كما يقول الأسلوبيون ـ قاعدة مزدوجة . في جانب التعرّف حيث إن إنسان العصر أصبح مسلوب الحكمة والصبر ـ على ما يقول الشاعر في الرسالة الثالثة ـ وفي جانب آخر العشق أو الوجد أو الحب أو ما شئنا مما يؤلم ولا يني يطلب ، ومما يهدم ولا يزال يشيد ، ومنذ البداية قيل له :

قتل جدودك في الأندلس العشق

ويا ويل العشاق الشعراء

ومع ذلك فالعشق عنده ركيزة ، وحسبه من مجد العالم إذا أطيح هو به أن يبق شعره :

لم يبق لنا مما تركوه إلا الشعر

لكن هذا النوع من الإسقاط إنما يتحرك على المستوى العقلي لا الشعوري ، ويظل للشعور ـ مع ذلك ـ موضع أو مواضع . لأن الرسائل في جوهرها مواقف احتجاج ومواقف إشادة ، أي تاريخ للدوافع الإنسانية التي تريد تدمير العالم يمثلها الطغيان أو الطاغوت أو فرعون أو الدجالون أو ما قد يجاوز الهموم العارضة التي تلامس أسباب الكون إلى الهموم الوجودية التي يواجه بها الشاعر دُنى فقدت معانيها الطيبة وأهدافها الخيّرة .

والشاعر من هذا المنطلق يقوم بدورين : أولهما هجائي أو نقضي على أساس أن ما يراه حقيقة هو في تمثلات التاريخ تافه وخائن وغادر ، وثانيهما عبثي ـ على نحو ما ـ ينزع بقلق عن التفاهة والخيانة والغدر إلى مواجهة الاختيار الصلب الحاسم والصارم ، وهو تأكيد جوهر الوجود قاطبة .

ورابع تلك الأسطر هو بؤرة العبثية التي أعنيها ، وحيث القمر المندثر والليل المختنق الأنفاس وزمن الآلام والمخافر يوجد دائماً ما يرحل من أجله ويستمر في رحلته حاملاً في قلبه أسراره .

وأمام مأساة من هذا النوع ، نسأل : أية قيم يمكن أن نسترفدها من رسائل العباسي ؟

من جانب قيمة الابتكار ، وهي من أعظم ما يخلفه شاعر في حياته . وبهذا الابتكار واجهنا بعالمه الشعري ـ وهو بطبيعة الحال مجاز كله ـ وكان قوامه صوراً نجح إلى حد مقنع في تشكيلها وتأليفها .

ومن جانب آخر نجد الخيبة أو الإخفاق الذي يتردد على طول الرسائل وعرضها ـ وكثيراً ما تختلط به تعثر الحب ـ شيئاً يدعونا إلى التأمل ، وأي شعر تأملي يعني الوصول بالمتلقي إلى حالات الوجد أو الاشتهاء الفني ، وتلك حسنة تحسب للشاعر من غير شك .

ثم هناك الصراع وقد اتشح بوشاح الصوفية التي لا تقارن بما شاع من تهويمات الشبلي مثلاً أو شطحات الحلاج ، وإنما تقاس بكل نمط يرفض الواقع أو يجابهه بكل ما فيه من لا معنى وسَلْب . وبعبارة أخرى يشجبه بجرية وبلا خوف ـ برغم تشاؤمه ـ لأنه يؤمن بالميلاد المتجدد :

قمرك تحجبه السحب الداكنة . . .

وقمري ينفض عنه غبار السفر . . .

ونرحل كي نلقاه

خذني عبر الريح المتجهة غربا

خذني كي أنعم بسناه

ولماذا هذه الريح بالذات ؟ المعنى في بطن الشاعر ، لكننا نعرف أنه نجح بكل تأكيد في تقديم تشكيل شعري محدث نرجو أن يتبعه بأخيه الحالم بالأجواء الأسطورية والضارب في سحر الماضي الذي يجاوز التاريخ .




جهاد
الشيخ البشير الإبراهيمي
عن اللغة العربية والإسلام
في الجزائر
(١٨٨٩م) (١٩٦٥م)
بقلم: د. تركي رابح

كان الشيخ البشير الإبراهيمي، وعبد الحميد بن باديس، ورفاقهما من رجال الحركة الإصلاحية الإسلامية السلفية التي تبلورت فيما بعد في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣١ – ١٩٥٦م) يؤمنون إيماناً لا تشوبه شائبة باللغة العربية، ووجوب إحيائها، ونشرها بين كافة أبناء الجزائر، بعد أن عمل الاستعمار على محاولة محوها في الجزائر.

وقد ناضل الإبراهيمي وابن باديس ورفاقهما في جمعية العلماء منذ بداية الثلاثينات من هذا القرن من أجل تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي تحت الشعار التالي:

الإسلام ديننا – والعربية لغتنا – والجزائر وطننا – ضد الفرنسة والتنصير – والاندماج والتجنيس – التي كانت فرنسا ورجال التبشير المسيحي يحاولون فرضها على الجزائريين طوال عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر (١٨٣٠ – ١٩٦٢م). لذلك عمل الشيخ البشير الإبراهيمي على بعث اللغة العربية في الجزائر، وخصص لها حيِّزاً كبيراً في كتاباته الغزيرة المادة، البليغة الحجة والأسلوب. كما خصص لها حيِّزاً كبيراً من وقته لتعليمها لأبناء الجزائر.

لقد كان الإبراهيمي يؤمن إيماناً مطلقاً بأن اللغة العربية هي وعاء الإسلام وحافظة قرآنه وتراثه، وأن **المحافظة على اللغة العربية في الجزائر تعني بقاء الإسلام في الجزائر، وبقاء العروبة في الجزائر**، وأن محاولة فرنسا القضاء عليها إنما يستهدف عروبة الجزائر وإسلامها في الدرجة الأولى.

من هنا كان الشيخ البشير الإبراهيمي (١٨٨٩ – ١٩٦٥م) ورجال الإصلاح الإسلامي والسلفية في الجزائر بصفة عامة من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣١ – ١٩٥٦م) يواصلون ليلهم بنهارهم في العمل على نشر اللغة العربية بين أبناء وبنات الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء وبعد تأسيسها أيضاً، ودعوة فرنسا إلى جعلها لغة رسمية في التعليم، والإدارة في الجزائر.





★ الإمام عبد الحميد بن باديس ★

وبالمقابل كان الاستعمار الفرنسي يبذل أقصى جهوده منذ دخوله إلى الجزائر في يوليو (تموز) عام ١٨٣٠م، حتى خروجه من الجزائر مطروداً مهزوماً في عام ١٩٦٢م، لطمس معالم اللغة العربية لا في التعليم فقط ولكن في الإدارة وحتى في الحديث العادي بين جماهير الشعب الجزائري.

وقد أصدر قراراً في عام ١٩٣٨م، يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر لا يجوز تعلمها وتعليمها إلا على هذا الأساس. وهذا ما يفسِّر لنا تلك الحرب الصليبية التي شنها رجال الاحتلال الفرنسي والمبشرون المسيحيون وهم الطليعة الأولى للاستعمار الأوروبي في الأقطار العربية والإسلامية، على اللغة العربية والدين الإسلامي، والقرآن الكريم، والثقافة العربية الإسلامية، طيلة وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر (١٨٣٠ – ١٩٦٢م).

لقد كان الاستعمار والمبشرون يعتقدون جازمين بأن نجاحهم في القضاء على اللغة العربية، سوف يسهل لهم بدون شك القضاء على الإسلام، وبالتالي إيجاد أندلس جديدة في الجزائر، ثم إلحاقها إلحاقاً نهائياً بفرنسا، فيما وراء البحر الأبيض المتوسط. إذن، فاللغة العربية هي المقوم الرئيسي للشخصية الوطنية العربية في الجزائر، ولذلك كان الصراع محتدماً على أشده، وعنفوانه بين رجال التعليم العربي الحر من جهة، وبين الإدارة الاستعمارية ورجال التبشير المسيحي من جهة أخرى، طيلة قرن واثنتين وثلاثين سنة (١٨٣٠ – ١٩٦٢م).

يصور لنا الشيخ البشير الإبراهيمي هذه الحرب الصليبية التي شنتها فرنسا على الإسلام واللغة العربية في الجزائر بعد الاحتلال فيقول: «مشكلة العروبة في الجزائر أساسها وسببها الاستعمار الفرنسي[١]، وهو عدو سافر للعرب، وعروبتهم ولغتهم، ودينهم الإسلام»... ثم يقول: «وبيان ذلك مع الإيجاز، أن **الاستعمار الفرنسي صليبي النزعة، فهو – منذ احتل الجزائر – عامل على محو الإسلام لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم، وعلى محو اللغة العربية لأنها لسان الإسلام، وعلى محو العروبة، لأنها دعامة الإسلام، وقد استعمل جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك، ظاهرة وخفية، سريعة ومتأنية، وأوشك أن يبلغ غايته بعد قرن من الزمن متصل الأيام والليالي في أعمال المحو، لولا أن عاجلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣٠ – ١٩٥٦م) على رأس القرن بالمقاومة لأعماله، والعمل على تخييب آماله**»[٢].

وهذا ما يفسر السبب الذي من أجله اتجه رجال الرعيل الأول من قادة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر إلى التعليم العربي الإسلامي دون الاتجاه مباشرة إلى تكوين الأحزاب السياسية على غرار ما كان يفعله معظم قادة الجزائر منذ مطلع القرن الحالي الميلادي.

لقد رأى هؤلاء الرجال بثاقب بصيرتهم أن إنقاذ الجزائر من خطر الفرنسية، والتنصير، إنما يكون عن طريق واحد فقط، هو العمل على إحياء اللغة العربية، حتى تعود لها مكانتها في الجزائر كلغة ثقافة وعلم، وأدب، وإحياء الإسلام، عن طريق تطهيره من الخرافات، والأساطير التي شوهت معالمه حتى أصبح إسلاماً جامداً يبعث على الخنوع والاستسلام، وصارت فرنسا تطلق عليه اسم «الإسلام الجزائري» تفريقاً بينه وبين الإسلام في مختلف الأقطار الإسلامية الأخرى. وكان قصد رجال الحركة الإصلاحية السلفية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ١٩٣٠ – ١٩٥٦م) من تطهير

الإسلام من مختلف الشوائب التي علقت به هي العودة به إلى نقاوته الأولى في عهد الصحابة والتابعين حتى يصبح في العصر الحديث قوة روحية دافعة للجزائريين على الثورة ضد واقعهم الفاسد من ناحية، وضد المحتل الغاصب لبلادهم من ناحية أخرى، كما كان الإسلام قوة روحية هائلة للمسلمين في العصور الإسلامية الأولى دفعتهم إلى أن يصبحوا القوة السياسية والحربية والاقتصادية والدولية الأولى في العالم كله على امتداد قرون عديدة.

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي محللاً هذا الاتجاه التي سارت فيه الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى تحت عنوان «أثر أعمالي وأعمال إخواني في الشعب الجزائري» ما يلي:

«أثر أعمالي في الشعب بارز لا ينكره حتى أعداؤنا من الاستعماريين وخصومنا من إخواننا السياسيين، فمن آثارنا بث الوعي واليقظة في الشعب حتى أصبح يعرف ما له وما عليه، ومنها إحياء تاريخ الإسلام وأمجاد العرب، التي كان الاستعمار يسد عليه منافذ شعاعها، حتى لا يتسرب إليها شيء من ذلك الشعاع، ومنها تطهير عقائد الإسلام، وعباداته من أوضار الضلال، والابتداع، وإبراز فضائل الإسلام، وأولها الاعتماد على النفس، وإيثار العزة والكرامة، والنفور من الذلة، والاستكانة أو الاستسلام، ومنها أخذ كل شيء بالقوة، ومنها العمل. هذه الكلمة الصغيرة التي تنضوي تحتها جميع الفضائل، ومنها بذل المال والنفس في سبيل الدين والوطن، ومنها التمسك بالحقائق لا بالخيالات والأوهام. فكل هذه الفضائل كان الاستعمار يغطّيها عن قصد لينساها المسلمون على مر الزمان، بواسطة التجهيل وانزواء العقل والفكر، وقد أصبح الشعب الجزائري بفضل جمعية العلماء، وما بذلناه من جهود في محو الرذائل، التي مكّن لها الاستعمار، وتثبيت الفضائل التي جاء بها الإسلام، ولو تأخر وجود الجمعية عشرين سنة أخرى لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا، ولو سلكنا سبيلاً غير الذي سلكناه، في إيقاظ الأمة وتوجيهها في السبيل السويّ لما قامت هذه الثورة (ثورة نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٤م) الجارفة في الجزائر التي بيّضت وجه العرب والمسلمين».



★ جمال الدين الأفغاني ★ ★ الإمام محمد عبده ★

ثم يقول: «ولو نشاء لقلنا إننا أحيينا اللسان العربي، والنخوة العربية، وأحيينا دين الإسلام وتاريخه المشرق، وأعدنا لهما سلطانهما على النفوس، وتأثيرهما في العقول، والأرواح، وشأنهما الأول في الاتعاظ والأسوة، فأحيينا بذلك كله الشعب الجزائري فعرف نفسه فاندفع إلى الثورة يحطّم الأغلال، ويطلب بدمه الحياة السعيدة، والعيشة الكريمة ويسعى إلى وصل تاريخه الحاضر[٣]، بتاريخه الغابر».

الحركة الإصلاحية ومدرسة التجديد الإسلامي

وتتفق الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر التي على رأسها **ابن باديس، والإبراهيمي، والميلي، والعربي التبسي** وغيرهم مع الاتجاه العام لحركة التجديد الإسلامي في المشرق في الارتكاز على إحياء الإسلام في النفوس عن طريق تطهيره من البدع، والضلالات، والخرافات مما يترتب عليه الارتقاء بعقول المسلمين، ومستوى تفكيرهم العام، وهذا هو طريق النهضة الذي يقود إلى الحضارة. **يقول جمال الدين الأفغاني في بيان الأمور التي تتحقق بها سعادة الأمم، وهي في رأيه محصورة في أربعة هي:**

(١) صفاء العقل من كدر الخرافات، وصدأ الأوهام... فإن عقيدة وهمية لو تدنّس بها العقل، لقامت حجاباً كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة الواقع، ويمنعه من كشف نفس الأمر، ولذلك كان أول ركن بني عليه الإسلام هو صقل العقول بصقال التوحيد، وتطهيرها من لوث الأوهام.

(٢) أن تكون نفوس الأمم، مستقبلة وجهة الشرق طامحة إلى بلوغ الغاية منه، بأن يجد كل واحد من نفسه أنه لائق بأية مرتبة من مراتب الكمال الإنساني، فالناس إنما يتفاضلون بالعقل والفضيلة.

(٣) أن تكون عقائد الأمة، وهي أول رقم ينقش في ألواح نفوسها مبنية على البراهين القوية، والأدلة الصحيحة خالية من التقليد والانحراف.

(٤) أن يكون[٤] في كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الأمة، لا ينون في تنوير عقولهم بالمعارف الحقة، وتحليتها بالعلوم الصافية، ولا يألون جهداً في تبيين طرق السعادة لهم والسلوك بهم في جوادها.

أما الإمام محمد عبده فيلخص طريقته في التجديد الديني والفكري للمسلمين في الأمور الثلاثة التالية:

(١) تحرير فكر المسلمين من قيود التقليد المميتة حتى لا يخضع العقل لسلطان آخر غير سلطان البرهان، ولا يتحكم فيه زعماء الدين والدنيا على السواء.

(٢) اعتبار الدين صديقاً للعلم، ولا موضع لتصادمهما إذ لكل منهما وظيفة يؤديها، وهما حاجتان من مستلزمات البشر لا تغني إحداهما عن الأخرى.

(٣) فهم الدين على طريقة **السلف الصالح** قبل ظهور الخلاف بين المسلمين أو المذاهب الإسلامية، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، وهي **القرآن الكريم[٥] والسنّة النبوية المطهرة.**



إن هذا الخط الذي سارت فيه الحركة الإصلاحية السلفية إنما كانت ظروف الجزائر الخاصة تحتمه ، فهذه الظروف كانت تختلف عن ظروف كثير من البلدان العربية والإسلامية التي وقعت تحت قبضة الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث . فليس هناك بلد عربي أو إسلامي ألحق إلحاقاً كلياً بدولة الاستعمار مثل الجزائر ، وليس هناك بلد عربي أو إسلامي أنكر عليه المحتل الغاصب جنسه ولغته وقوميته مثل الجزائر ، لذلك فإن اتجاه الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر إلى التركيز على إحياء اللغة العربية ، وبعث الدين الإسلامي بعثاً جديداً في صورة حية مشرقة كان اتجاهاً عملياً وحيوياً في قضية التحرير الوطني العام لأنها كانت الرد الطبيعي على السياسة الاستعمارية الصليبية التي سلكتها فرنسا في الجزائر ، ومن هنا يمكن القول إن الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر لم تكن الدوافع التي خلقتها هي التأثير الخارجي وحده ، بل لعبت ظروف الجزائر الخاصة دوراً هاماً في إيجادها وتوجيهها في الاتجاه الذي سارت فيه ، نحو التجديد الإسلامي ، والبعث الثقافي العام ، المرتكز على اللغة العربية ، مما أدى إلى إحياء الوطنية الجزائرية وتأججها في نفوس الجزائريين والنشاط الوطني العام في البلاد وفي النهاية إلى قيام ثورة التحرير الكبرى في عام ١٩٥٤ م ، بعد أن نضجت كل الظروف داخلياً وعالمياً ، على أساس حضارة الجزائر العربية الإسلامية وهذا كذلك ما يفسر لنا التركيز الكبير الذي يبدو في كتابات ابن باديس بصفة عامة ، وكتابات الشيخ الإبراهيمي بصفة خاصة على اللغة العربية والإشادة بها ، وبيان أصالتها في الجزائر .

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي تحت عنوان « **اللغة العربية في الجزائر** » : « اللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة ، بل هي في دارها وبين حماتها ، وأنصارها ، وهي ممتدة الجذور مع الماضي ، مشتدة الأواخي مع الحاضر ، طويلة الأفنان في المستقبل ، ممتدة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام ، على ألسنة الفاتحين ، ترحل برحيلهم ، وتقيم بإقامتهم ، **فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية ، لا تريم ولا تبرح ، ما دام الإسلام مقيماً لا يتزحزح** . ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس ، وتنساغ في الألسنة واللهوات ، وتنساب بين الشفاه والأفواه ، يزيدها طيباً ، وعذوبة أن القرآن بها يتلى ، وأن الصلوات[6] بها تبدأ وتختم » .

وقال في مقال آخر بعنوان « التعليم العربي » : « اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية ، ومن ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية وهذه اللغة على الأمة الجزائرية ، حقان أكيدان : كل منهما يقتضي وجوب تعلمها ، فكيف إذا اجتمعا ، حق من حيث إنها لغة دين الأمة بحكم أن الأمة مسلمة ، وحق إنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية الجنس ، ففي المحافظة عليها المحافظة على جنسية ، ودين معاً . ومن هنا نشأ ما نراه من حرص متأصل في هذه الأمة على تعلم العربية »[7] .

وقال في مقال آخر : « وإن العربية هي لسان العروبة الناطق بأمجادها ، الناشر لمفاخرها وحكمها ، فكل مدع للعروبة فشاهده لسانه ، وكل معتز بالعروبة فهو ذليل إلا أن تمده هذه المضغة اللينة بالنصر والتأييد ، فلينظر أدعياء العروبة ، الذين لا يديرون ألسنتهم على بيانها ، ولا يديرون أفكارهم على حكمتها في أية منزلة يضعون أنفسهم »[8] .

ويطول بنا الحديث جداً إذا رحنا ننقل النصوص الكثيرة التي كتبها الشيخ البشير الإبراهيمي عن اللغة العربية . فهو عندما يكتب عن هذه اللغة ، يكتب عنها بدم قلبه لا بالحبر العادي . ولذلك بذل في سبيل تعليمها ونشرها الشطر الأكبر من حياته ، وكان قلمه عندما يكون في موقف الدفاع عن العربية والإسلام ، أقوى ما يكون ، وأعنف وأشد ما يكون ، حتى كأنه السيف المصلت على رقاب أعداء العروبة والإسلام ، بات وقاطع يصيب منهم المحز وينزل على رؤوسهم كالصاعقة .

وفاته وحزن الجزائر عليه

هذا وقد وافته المنية بعد استقلال الجزائر في عام ١٩٦٢ م ، حيث توفي في منزله بحي حيدرة بالعاصمة يوم الخميس ١٩ محرم سنة ١٣٨٥ هـ ، الموافق ١٩ مايو (أيار) عام ١٩٦٥ م ، عن عمر يناهز السادسة والسبعين عاماً . ودفن في مقبرة « سيدي محمد » بحي بلكور بالعاصمة . وقد خرج الآلاف من أبناء الشعب الجزائري لتشييع جنازته إلى مقرها الأخير . كما حضرت وفود من مختلف أنحاء القطر للمشاركة في تشييع الجنازة ، ورثاه العلماء والشعراء وأجهزة الإعلام ، وبكته الجزائر كلها كما بكاه تلامذته الكثيرون وعارفو علمه وفضله في المشرق والمغرب العربيين ، وفي البلاد الإسلامية غير العربية . رحمه الله رحمة واسعة ، ووفق تلامذته الكثيرين إلى متابعة رسالته في نشر العلم والإصلاح الإسلامي والوطنية الصادقة .

الهوامش

(١) انظر مشكلة العروبة في الجزائر ، محاضرة للشيخ البشير الإبراهيمي في ندوة الأصفياء ، ص ٢٠٤ ، دار مصر للطباعة ، عام ١٩٥٥ م .

(٢) انظر مشكلة العروبة في الجزائر ، محاضرة للشيخ البشير الإبراهيمي في ندوة الأصفياء ، ص ٢٠٧ ، دار مصر للطباعة ، عام ١٩٥٥ م .

(٣) مجلة « مجمع اللغة العربية » ، بالقاهرة ، ص (١٥٠ ــ ١٥١) ، العدد (٢١) ، عام ١٩٦٦ م .

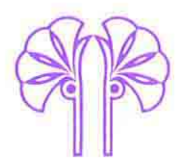
(٤) انظر « رسالة الرد على الدهريين » ضمن كتاب « الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني » إعداد محمد عمارة ، ص (١٧٣ ــ ١٧٤) ، دار الكتاب العربي ، بالقاهرة ، بدون تاريخ .

(٥) انظر الدكتور محمود قاسم « الإسلام بين أمسه وغده » ، ص (١٧٨ ــ ٢٠٩) ، وكذلك تاريخ الإمام محمد عبده ، جـ ١ ، ص ٩٧٤ ، ط ١ ، مطبعة المنار ، عام ١٩٣١ م .

(٦) البصائر ، عدد ٤١ ، عام ١٩٤٧ م .

(٧) البصائر ، عدد ١ ، عام ١٩٤٧ م .

(٨) البصائر ، عدد ٢ ، عام ١٩٤٧ م .

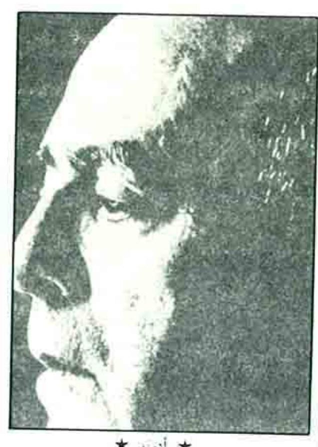


العلاقات الاجتماعية للمراهق

بقلم: د. مالك سليمان مخول

تتزايد أهمية العلاقات الاجتماعية للناشئ بتقدمه من الطفولة إلى المراهقة، وذلك بسبب تشعب تلك العلاقات من جهة، وازدياد تأثيرها على مجمل حياته وسلوكه الشخصي من جهة ثانية.

فالمراهقة باعتبارها جسر الانتقال من الطفولة إلى الشباب ومرحلة التحولات النمائية الحاسمة تكسب علاقات الناشئ بأقرانه، وعلاقاته الاجتماعية بصورة عامة، طابعاً خاصاً وتجعلها أكثر شمولا وعمقاً. وبانتهاء المراهقة والانتقال إلى مرحلة الرشد ينخرط المراهق في عالم الكبار، ويصبح كل الراشدين أقراناً له.

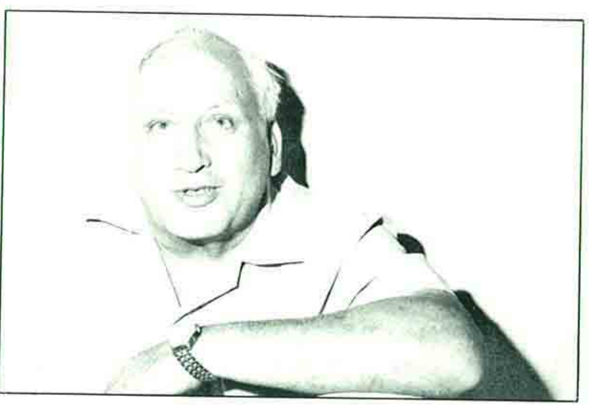

★ أدرنو ★

فعلى المراهق النازع تجاه الرشد أن يجد مكانه في مجتمع لا يضم أقرانه المراهقين فحسب، بل أشخاصاً يزيدونه في السن زيادة كبيرة في بعض الأحيان، ويلعبون الأدوار المختلفة التي ينيطها بهم المجتمع.

إن أداء المراهق لدوره الجديد كرديف مكافئ لأشخاص يختلفون عنه في العمر، يتطلب تغيراً جذرياً في الدور السابق الذي اعتاد أن يؤديه في طفولته. إلا أن غالبية المراهقين تئن تحت كابوس



★ فوكس ★


★ سارجنت ★

عطالة دورها الطفلي القديم كما يؤكد «هولنغورث».

ويرجع جانب كبير من عجز المراهقين عن تحقيق التغير في الدور إلى التعارض بين انشغال المراهق في إجراء التغيير المذكور، وبين استمرار أهله في معاملته كطفل، وفي الحفاظ بصورة ما على اتكاليته السابقة. **والمراهق نفسه يتمزق بين الرجوع إلى أهله طلباً للدعم العاطفي الذي اعتاد التمتع به كطفل، وبين الانطلاق في مجاهل استقلاليته الواعدة يكتشفها خطوة خطوة.**

اتجاهات النضج الاجتماعي

يميل الكثير من الباحثين لتعريف **النضج الاجتماعي** بتعداد الخصائص التي يعتقد أنها تميز الفرد الناضج من الناحية الاجتماعية. والخاصتان البارزتان للنضج الاجتماعي، في رأي أولئك الباحثين، هما: «**الارتياح**» في المواقف الاجتماعية و«**غلبة المشاعر الجماعية**» عند الفرد على غيرها من المشاعر. ويؤكد «**ويتزمان**» في هذا الصدد أن قدرة الفرد على تحمل المسؤولية هي المؤشر الأساسي للنضج الاجتماعي، وذلك على اعتبار أن القدرة على تحمل المسؤولية تتطلب من الفرد أن يهتم بالعالم الذي يعيش فيه ويقوم بدوره الخاص في البيت ويسهم في الفعاليات الاجتماعية المختلفة ويتجاوز المصلحة الشخصية الضيقة.

إن المراهق يتميز عن الطفل **بنزوعه الواضح لممارسة التوجيه لخصوصيات حياته أو لشؤونه الخاصة**. ويرادف النضج الاجتماعي، بهذا المعنى القدرة على الاختيار وعلى احتفاظ الفرد بالأشياء لذاته.

ولا شك أن المشاركة في الأنشطة الاجتماعية المختلفة يمكن أن تكون مؤشراً هاماً للنضج الاجتماعي شريطة أن تكون هذه المشاركة «**طوعية**» ونابعة من إرادة الفرد وليست نوعاً من الاستحواذ عليه.

أهمية فئة الأقران

يغدو الاستحسان **والتقبل الفئوي** أشد القوى تأثيراً في شخصية الناشئ عند تحوله من الطفولة إلى المراهقة. فالفئة التي ينتمي إليها الناشئ تؤثر تأثيراً كبيراً في تشكيل «صورته» عن ذاته ونظرته العامة إلى العالم. ويشير **لافلين** (١٩٥٤م) في هذا الصدد إلى أثر فئة الأقران في تشكيل فكرة الناشئ عن العدل والظلم، وفي تحديد ما يجب عليه لبسه أو فعله أثناء أوقات فراغه. **فقد يتحمل المراهق إزعاج الثياب التي يلبسها بسبب خضوعه لضغوط فئة الأقران.**

وينظر المراهق عادة إلى تقبل فئة الأقران باعتباره غاية في ذاته.. فإذا تعرض للرفض من قبل تلك الفئة فقد يتحول إلى «**انسحابي**» أو **معاكس**، وليس من المستبعد أن يمارس الكثير من ضروب السلوك غير السوي. ومن المعلوم أن صحبة القرين للفرد مسرة في حد ذاتها، وأن **الاستحسان الفئوي** يعطيه تأكيداً بقيمته وأهميته. وفي حالات عديدة يميل بعض الناشئة للتضحية بكل شيء في سبيل كسب الاستحسان الفئوي والمحافظة عليه، وهذا مما يشكل ضرباً من الاستسلام المطلق لفئة الأقران ومحقاً لذاته.

صفات المراهق المحبوب

جردت صفات المراهق المحبوب ونظيرتها للمراهق المرفوض من بعض أو سائر أعضاء فئة الأقران. والقوائم المذكورة قد تمكون مضللة لأن الشخص بمجمله، وليس بعض صفاته أو مجموعها، هو الذي يجذب الآخرين إليه أو ينفرهم منه. وعلى أية حال فقد حددت الصفات التي ترتبط بالمراهق المحبوب على النحو التالي: **التعاطف مع الآخرين، الحرية والعفوية والحيوية، والمرح، والعدالة، والروح الرياضية.**

وقد أشار **جيدنفز** (١٩٤٧م) في دراسته للتقبل الاجتماعي إلى أن المراهق الذي تتقبله فئته يجمع الناس معاً بطريقة بناءة، ويبدي اقتراحات جيدة بصدد مختلف الفعاليات، ويستطيع التخطيط والتصميم، ويبدع حلولا تساعد الفئة على استخدام الوقت بشكل مثير. وأكدت أغلب الدراسات قيام ميل في فئة الأقران لحب الشخص الرياضي وتقديره، بصرف النظر عن «الصفات» السابقة.

وقد وجد أن الترابط بين الذكاء والتقبل في **المتر الاجتماعي** منخفض جداً (**لافلين** ١٩٥٤م)، وتبين أن بالصغار ميلاً لتقبل أقرانهم الذين يشبهونهم وإلى رفض الأقران المختلفين عنهم. وقد أشارت نتائج **كوهلسن وكوليستر** (١٩٥٢م) إلى أن سيئي التكيف الفاشلين في دراستهم، **وهم من المرفوضين اجتماعياً في الغالب**، كانوا أقل جاذبية من أقرانهم، وسيئي الهندام، وعلى جهل بالمهارات الاجتماعية، ويعاني المرفوضون المعزولون في أعماق حياتهم الخاصة من تقلب المزاج والكآبة وضعف الثقة بالذات ومن مشكلات وأوضاع حرجة في أوساطهم الأسرية والمدرسية.

الهوة بين التكيف الشخصي والتكيف الاجتماعي

ربما كان الناشئ الذي يتقبله أقرانه شخصاً سعيداً يتمتع بحياته الفردية وعلاقاته الاجتماعية خلافاً لمن ترفضه فئته فيغلب الشقاء على حياته الخاصة والاضطراب والتذمر على علاقاته الاجتماعية. إلا أن من الصعب التأكيد بأن الشعبية تقود صاحبها دوماً إلى السعادة، أو أن من ينال نقطاً مرتفعة في «المتر الاجتماعي» يستغل أقصى طاقاته. وقد أشار «**فوكس وسيغال**» إلى خطأ الزعم القائل بتصاعد نمو التكيف الشخصي للفرد لمجرد حصوله على نقط مرتفعة في «المتر الاجتماعي» «**فأكثر الأشخاص المتصادقين يمتلكون عادة الصفات والاهتمامات ذاتها، ويحكم عليهم الآخرون بالشعبية والنجاح، بغض النظر عما إذا كان هذا التكيف الاجتماعي الظاهري يعكس تكيفاً شخصياً حقيقياً**». (**فوكس وسيغال، ١٩٥٤م**).

لقد أشار الباحثون إلى عجز التكيف الاجتماعي المستنتج من سلالم الشعبية عن أن يؤدي بالضرورة إلى التكيف الفردي. فقد يبدو المرء فرداً تتعطش الجماعة إلى عضويته فيها لما له من شعبية وتقبل، إلا أنه يعاني في واقعه الداخلي **من ضرب من الارتجاج في توازن المقومات المكونة لوجوده الفردي**. ومن يتحمل المشاق لتأكيد شعبيته قد تعوزه الثقة بالنفس، إذ إن الذي يستميت لإثبات ذاته في الجماعة إنما هو شخص تقتله مشاعر قوية من «**الزعزعة**» **والضعف وتدهور القيمة في عين ذاته.**

وقد وجد **نورتواي** (١٩٤٧م)، أن الأكثرية الساحقة من الذين نالوا نقطاً عالية في «المتر الاجتماعي» تعاني من اضطرابات نفسية خطيرة. فالتقبل من جانب الأقران لا يعكس دائماً التقبل من جانب الذات، والرفض من جانب الآخرين لا يستدعي بالضرورة رفضاً للذات.

ويظهر أن حسني التقبل من الأطفال لا يحترمون رفاقهم من ضعيفي التقبل الذين يلتحقون لأول مرة بفصولهم المدرسية . أما بالنسبة لموقف حسني التقبل الاجتماعي من أندادهم الشعبيين فهو إيجابي (نورتواي ١٩٤٧م) . والنتيجة المستخلصة من الدراسات السابقة هي أن الشخص القادر على كسب القبول والاستحسان من جانب أقرانه قد يحمل أكثر الاتجاهات الاجتماعية قيمة وأهمية ، ويخلق لنفسه ، بالتالي ، فرصاً كبيرة لتحقيق التكيف الفردي والاجتماعي معاً بصورة ملائمة . إلا أن كسب ثقة الفئة لا يعكس في حد ذاته تكيفاً شخصياً ملائماً ، وخاصة عندما يكون هذا الكسب محاولة للهرب من توترات شخصية وصراعات داخلية مريرة .

التنافس .. والقيمة النمائية

يعد التنافس مظهراً أساسياً للعلاقات داخل فئة الأقران . ولكل مراهق أسلوب في التنافس ينبعث من حاجاته الخاصة ويتحدد بالأهداف التي يجهد لتحقيقها . ويبدأ أغلب الناشئة خلال مرحلة ما قبل المدرسة بمقارنة أنفسهم بالآخرين . ويحاول الكثير من أبناء السنة الرابعة تخطي الآخرين فيما يفعلون أو مساواتهم على الأقل . ويرجع الجانب الكبير من إدراك الطفل لذاته إلى مقارنته لتلك الذات بالآخر .

ومن المعلوم أن مفاهيم الطفل بصدد « **من هو ؟** » و « **من سيكون ؟** » و « **ماذا يستطيع أن يفعل ؟** » تتحدد على ضوء ملاحظته للآخرين واستخدام معاييرهم بصورة ما في تقويم مظاهر نشاطه الذاتي . والتنافس باعتباره تأكيداً للذات في عالم الآخرين أمر لا مناص منه إذا كان للطفل أن يبقى على جذوره الاجتماعية ويحافظ على وجوده مع الآخرين . **والتنافس في المدرسة والملعب ظاهرة بناءة تبعث البهجة في نفوس المشاركين بها . وعن طريق التنافس يندفع الناشئ في تجارب جديدة تجره إلى اكتشاف الإمكانات الدفينة فيه .**

ومن حق المربي أن يشك في ظهور الإشارات المرضية للاتجاه التنافسي لدى الناشئ إن اكتسحت هذا الأخير رغبة جامحة في غرف كل شيء لجانبه ، واندفع بتأثير محرض قوي لينال القسط الأكبر من اهتمام الآخرين أو شعر بالمرارة نحو من يتنافس معهم وبالغضب من نفسه إن هو خسر ، أو تخطاه هؤلاء . ومن علائم عدم الاستواء أيضاً أن يسعى المتنافس لإفناء الخصم أو السيطرة عليه أو إذلاله .

وعلى العموم فإن الاتجاه التنافسي إذا استحوذ على صاحبه وأصبح الموجّه الأساسي لسلوكه **فسيكون دليلاً على عدم الاستواء ويعرقل المسار النمائي للناشئ** . إلا أن الهرب من المواقف التنافسية والامتناع عن ممارسة أي نشاط تنافسي يعد بدوره دليلاً على عدم الاستواء . فقد يرجع خوف المراهق من مقارنة ذاته بالآخرين والتنافس معهم إلى استسلامه لهم وتخليه عن حقه في تأكيد ذاته . كما أن الامتناع عن التنافس قد يكون نتيجة رغبة عارمة في النجاح والسيطرة تجعل صاحبها يخشى الخسارة المدمرة ، فيعمد إلى الهرب من التنافس تجنباً لمشاعر الإحباط المدمرة المرتبطة بالفشل .

والواقع أن من الصعب إقامة حدود فاصلة ودقيقة بين الاتجاهات التنافسية السوية والشاذة . إلا أن سلامة الاتجاهات التنافسية تتأكد إذا ما كان التنافس تلقائياً ، منتجاً ، بناءً ، تتخطى فيه زخات الحياة مرارة الإحساس بالهزيمة عند وقوعها . ويزداد التنافس أهمية إذا غلبت فيه الاتجاهات الودية على الرغبة في الانتقام والسيطرة والعبث بمصالح الآخرين .

المكانة الاجتماعية والاقتصادية للمراهق

يعي الناشئ ببلوغه سن المراهقة العديد من جوانب المكانة الاجتماعية والاقتصادية لأسرته . وقد أبانت أغلب الدراسات وعي المراهقين للمكانة الاجتماعية والاقتصادية لأسرهم وتحسسهم لانتماءاتهم الطبقية . فما إن يصل المراهقون سنتهم الدراسية الثامنة حتى يعوا دلالات الرموز الاجتماعية شأنهم في ذلك شأن الراشدين .

وقد عرض **ستاندلر** على الناشئة مجموعة من الصور تعرض بيوتاً للأثرياء والفقراء ، ومحياً صيفياً ، وأحواض سباحة عامة ، وأشخاصاً من مهن مختلفة . ولوحظ أن أطفال الصف الأول **تعرفوا على بعض الصفات المميزة للأشخاص من أصحاب المهن والأوضاع الاقتصادية المختلفة** . وتدرج الصغار في وعيهم ، فاستطاع أبناء الصف الثامن أن **يعوا الترابط بين دخل الفرد ومكانته الاجتماعية** . هذا وقد وجد « ستاندلر » أن تعلم الرموز الاجتماعية يشكل جزءاً من سياق نمائي واسع يشمل انقلاب الفرد عضواً في فئة اجتماعية واكتسابه للمعايير السائدة في تلك الفئة .

إن الناشئة يبدون خلال سنوات المراهقة وعياً متزايداً ببنية المجتمع الذي يعيشون فيه وتنظيماته الفئوية المختلفة . ويذكر المراهق بصورة أعنف ، مما سبق له في طفولته ، بأصله العرقي ، وبالأصول القومية والدينية لوالديه ، وبالمستوى الاجتماعي والاقتصادي الذي ينتمي إليه . وهذا كله يضع المراهق على تماس مباشر مع مجتمع الراشدين ، ويعرفه على تناقضاته ، ويدخله إلى ساحة الصراع المرير والتضحية بالكثير من أجل تأكيد ذاته .

وقد قلل الباحثون من أهمية الأثر الذي يتركه **الوضع الاقتصادي** الذي يعيش فيه الناشئ على احتكاكه الاجتماعي ، وخططه المستقبلية ونظرته للحياة . واختلف هؤلاء في تقدير مدى الأثر الذي يتركه الوضع الاقتصادي للناشئ في نمط حياته وتوقعاته المستقبلية .

وفي دراسة **هولينغشاد** (١٩٤٩م) لبلدة في الوسط الغربي الأمريكي أشار (٥٠٪) من المبحوثين إلى أنفسهم كأمريكيين ، وروى **الباقون قصصاً تدور حول تحدر أسرهم من مختلف البلدان الأوروبية وانتمائهم لطوائف دينية مختلفة** . ولم تقتصر العوامل المؤثرة في البنية الاجتماعية للبلدة على الحالة الاقتصادية للوالدين بل تعدتها لتشمل المكانة التربوية والأصول الوظيفية والدينية وطبيعة السكن .

وقد أظهرت الدراسة أن ٦١٪ من اللقاءات العاطفية بين الجنسين **تمت بين أفراد ينتمون لطبقة واحدة** وأن **٣٥٪** منها **تمت بين أفراد ينتمون لطبقات اجتماعية متجاورة** يصعب فيها العزل وإقامة الحدود الفاصلة .

وفي دراسة أخرى طريفة لستاندلر (١٩٤٩م) **لوحظ أن هناك فروقاً فئوية وطبقية كبيرة في مجالات الصداقة والتعاون داخل المدرسة وخارجها** . فقد مالت اللقاءات ضمن المدرسة لأن تكون أكثر ديمقراطية من نظيرتها خارج المدرسة .

وأخيراً أشارت نتائج **سارجنت** (١٩٥٣م) إلى تضاؤل أهمية الفروق الطبقية والفئوية في المناطق الصناعية والتجارية . فلم يكن سكان تلك المناطق يتشبثون بانتماءاتهم الفئوية والطبقية بخلاف سكان المناطق الريفية الذين كانوا عرضة لتمزقات طبقية وفئوية واضحة ومدمرة .

الطبقة الاجتماعية وأساليب تربية الناشئة

وجد هولينغشاد علاقة بين الانتماء الطبقي ، وأسلوب ممارسة الوالدين لتنشئة أبنائهم . فقد أولى الآباء من الطبقات الدنيا **أهمية ضئيلة للمدرسة** ، وكانوا يشجعون أبناءهم على الدراسة والتحصيل بصورة محدودة ، بخلاف الآباء من الطبقات العليا . كما عانى معلمو أبناء الطبقات الدنيا الكثير من تشكي الأهل بصدد ضبط صغارهم ، وعملهم المدرسي ، خلافاً لأساتذة أبناء الطبقات العليا فنادراً ما كان آباء تلاميذهم يشكونهم لهم .

وتباينت الأساليب التربوية من طبقة لأخرى في البلدة الواحدة (**دافيز** ١٩٥٤ ، **هافيغهارست** ١٩٦٦ م) . فقد مال الآباء من الطبقات العليا إلى تحمل مسؤوليات كبرى بصدد **نظافة الأولاد ، والعناية بهم ، وأمنهم ، وإلى قمع العدوانية والعراك واستخدام اللغة البذيئة في الحوار** . وعول الآباء من الطبقة العليا على **الجوانب النفسية لتنشئة الصغار ، في حين مال الآباء من الطبقة الدنيا إلى تأكيد الجوانب الجسدية . هذا وقد مال الآباء من الطبقة المتوسطة أكثر من الطبقتين العليا والدنيا للاهتمام بالاتجاهات ، وعادات العمل ، والقيم التي تلقنها المدرسة للناشئة .**

المكانة الاقتصادية والاتجاهات الأخلاقية للمراهقين

يطرح الأثر الذي تلقيه الظروف الاقتصادية على عادات المراهق ، ومفاهيمه الخلقية ، وسمات شخصيته ، أسئلة في غاية الأهمية . وتشير الكثير من الدراسات الغربية في هذا المجال إلى التسلط النسبي لأبناء الطبقات الدنيا مقابل تسامح أبناء الطبقات العليا ، كما تشير إلى أن إدراك أبناء الطبقات الدنيا للمفاهيم الأخلاقية يتحدد غالباً بقطبين أساسيين ومتناقضين هما : **الخطأ والصواب** أو **الخير والشر** . ويتميز هؤلاء الفقراء ـ حسب تلك الدراسات ـ بأنهم **أقل تسامحاً وأكثر اتهاماً** من أبناء الأغنياء بصدد أمور عديدة مثل الوشوشة في الفصل ، والرد في وجه الوالدين ، والسرقة ، على حين أن أبناء الطبقات العليا يميلون للاعتقاد بوجود سبل أخرى غير العقاب للانحرافات السلوكية المذكورة .

وفي رأي هولينغشاد (١٩٤٩ م) أن تربية أبناء الطبقات والفئات العليا والمثقفة ، هذه التربية التسامحية التي لا تركن إلى القصاص ، كثيراً ما تنمي في الناشئة الحرية في الاستفسار عن المعاني الخاصة بالخطأ والأسباب الداعية له .

التعصب الفئوي

تتشكل لدى أغلب الناشئة في مرحلة المراهقة اتجاهاتهم من مختلف فئات المجتمع الذي يعيشون فيه . والواقع أن المراهق يكتسب خلال نموه العادي شعوراً قوياً « **بالانتماء** » للفئة التي نشأ فيها ، على حين أنه يبقى نفسه على مسافة من أبناء سائر الفئات الأخرى . ويمكن اعتبار تمايز الناشئ بفئته عن سائر الأعضاء في الفئات الأخرى ضرباً من التعصب الفئوي . وما من شك في أن التعصب في حدوده القصوى يخلق مصاعب اجتماعية ونفسية كبيرة تعيق النمو النفسي للفرد وقد تدفعه للشذوذ . ويغدو التعصب الفئوي خطراً عندما ترافقه مشاعر الكراهية ، والحقد ، أو الخوف والقلق من إحدى الفئات الاجتماعية .

ويعاني الكثير من المراهقين من تعصب اكتسبوه في عمر مبكر . ومن المحتمل أن يكتسب الناشئ في سياق نموه العادي مشاعر قوية من « الانتماء » للفئة التي نشأ فيها ومشاعر أخرى تتراوح بين **اللامبالاة والاستهجان** نحو الفئات الاجتماعية الأخرى . ويشعر المراهق برابطة قوية تشده إلى من يشاركونه المنشأ العام المشترك ، وهذا ما يدعوه إلى إقامة الحدود بينه وبين أعضاء الفئات الأخرى . وقد تكون ممارسة الفرد لأدنى ضروب السلوك المميزة لشخصيته وذلك مثل انتقائه لأطعمته وللأنغام التي تطرب أذنيه تعبيراً عن انتمائه الفئوي . . إلا أن هذا النوع من الانتماء الفئوي لا يؤدي إلى خلق الاتجاهات التعصبية عند الفرد إذا لم ترافقه عناصر من طبيعة أخرى **كالاحتقار والكراهية والخوف** .

وقد يكون التعصب خاصاً ، فيكره البيض الزنوج دون أن تكون لهم أية اتجاهات عدوانية ضد الفئات أو القوميات الأخرى . إلا أن من ينساق في تعصبه ضد فئة بعينها ، قد يعم اتجاهاته التعصبية بحيث تشمل فئات أخرى . **فمن يتعصب ضد فئة فقد يتعصب ضد كل الفئات** . وقد طبق **أدورنو** ورفاقه (١٩٥٠ م) **سلم البعد الاجتماعي** لقياس التعصب الفئوي ضد مختلف الفئات القومية . واستخدم الباحث ثلاث فئات ليس لها وجود على الاطلاق .

إلا أن الترابط بين نقط التعصب ضد الفئات الفعلية وبين نقط التعصب ضد الفئات الخيالية كان **مرتفعاً** ، الأمر الذي دعا « **أدورنو** » إلى القول **إن المرء ضرب من نزوع طبيعي أو بينة انفعالية تدفعه للشعور بالكراهية ، أو بالتعاطف مع بعض أجزاء المجتمع الإنساني** .

ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن لظاهرة تشابك اتجاهات الفرد نحو ذاته باتجاهاته التعصبية نحو الآخرين تطبيقات عملية هامة في مجال التربية ، إذ تفرض على المربي الذي يعمل على تحسين العلاقات الفئوية بين الناس ، البدء بتغيير اتجاهات المتعصبين نحو ذواتهم ، وهي خطوة تبشر بخير عميم في مجال العلاقات الفئوية . إلا أن نتائج الدراسات بصدد تغيير اتجاهات الذات كخطوة لتغيير العلاقات الفئوية ما زالت متعارضة ولا تمكن من إصدار حكم على درجة عالية من الحزم .

المصادر

1- Adorno, T.W.E. Frenkel-Brunswick, D.J. Levinson and R.N. Sanford, 1950, The Authoritarian Personality New York: Norton.

2- BonneY, M.E., 1947, «Sociometric Study of Agree ment Between Teacher Judgments and Student Choices; ir Regard to the Number of Friends Possessed by High Schoo Students», Sociometry, 10, 133-146.

3- Davis, A., 1954, «Socialization and Adolescen Personality», 198-216, in 43 d Yearbook of the Nationa Society for the Study of Education, Part I; Adolescence N.B. Henry (ed). Chicago: University of Chicago Press.

4- Hollingworth, L.S., 1958, Psychology of the Adoles cent. New York: Appleton-Century.

5- Kuhlen, R.G., and E.G. Collister, 1952, «Sociometric Status and Personal Problems of Adolescents», Sociometry, 10, 122-132.

6- Nerthway, M.L., and B.T. Wigdor, 1947, «Rorschach Patterns Rolated to the Sociometric Status of School Children», Sociometry, 10, 186-199.

7- Sargent, S.S., 1953, «Class-Consciousness in a California Town», Social Problems, I, 23-27.

8- Stendler, C.B., 1949, Children of Brasstown. Urbana, University of Illinois Press.

9- Tryon, C.M., 1939, Evaluation of Adolescent Presonality by Adolescents. Monographs of the Society for Research in Child Development, 4, No 4.

وداع الوداع

شعر: محمد صيهود النايف

إني أزف إلى أطياف نسريني
أنشودة الأمس تُبكيها وتُبكيني
إني أذكُرها قد صار موعدنا
يوم الوداع غداً جرحاً سيُدميني
بالأمس كنت كصبح في نضارته
كالبدر يبسم بين الحين والحين
واليوم ضلل ليل البعد مركبتي
واسترسل الحزن يسري في شراييني
والتاع قلبي وما فادت مكابرة
لدمعة ناشدته قد تُسليني
يا مربع الطيب، يا لحناً أردده
عند الصباح ويا نفح الرياحين
يا مبسم الورد في ساعات مولده
يا ملمس اللوز يا أحلى بساتيني
هذا الوفاء..! هجرتم دون موصلة
تروي غليل فؤاد صار يؤذيني
دع الملامة يا قلبي فإن بها
ناراً تأجج في الأضلاع، تكويني
ليت البعاد يُنسيني محبتها
لا السواريات ولا الأيام تُنسيني
إني سأحيا مع الذكرى لعل بها
طيباً يخفف آلامي، يُسليني
ذكرى أعانقها.. كالشمس أعشقها
فيها أغاني الهوى، فيها أفانيني
ذكرى كنسمة صيف في قساوتها
ذكرى كتغريد طير كالتلاحين
ذكرى كموجة بحر ما إذا ارتطمت
في مركبي الطفل... لي ربُّ ينجّيني
إني أنشد رحالي كي أودعكم
يا منهل الروح، يا حُبًّا بتشريني
غداً سأرحل لا عين تسامرني
في ظل واحتها العذراء تحميني
إني سأبحر ملتاذاً بأشرعتي
فرب أمواج هذا البحر ترميني
حيث التأسّي على ساعات مولدنا
مثل الفطيم فنار الوجد تظميني
غداً سأبحر والأيام مركبتي
إني سأبحر في دنيا الملايين
غنيت باسمك جرحاً لا يموت غداً
ردي التودد في الميعاد غنّيني
حتى نظل مع الذكرى نسامرها
دوماً نعيش معاً دنيا المُحبِّين[1]

الهوامش

(١) كسرت النون للضرورة الشعرية والواجب فتحها.





الإعلام في الت

تتأثر اللغة في تطورها وارتقائها بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى أربع طوائف :

● **أولها** : انتقال اللغة من السلف إلى الخلف .

● **وثانيها** : تأثر اللغة بلغة أخرى .

● **وثالثها** : عوامل اجتماعية ونفسية وطبيعية لحضارة الأمة وتعلمها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها ، وثقافتها واتجاهاتها الفكرية ومناحي وجدانها ونزوعها ، وبيئتها الجغرافية وما إلى ذلك[1] .

● **ورابعها** : عوامل أدبية مقصودة تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة وما تبلغه معاهد التعليم والمجامع اللغوية ، وما إليها في سبيل حمايتها والارتقاء بها .. وهلم جرا[2] .

وحينما ننظر في هذه العوامل جميعاً ، نجد أن الإعلام يقوم بدور القاسم المشترك الأعظم بينها ، نتيجة ليسر تبادل الإعلام ، وإدخال الآلة لترى وتصغي وتتكلم للإنسان ، وحول هذه الآلات نهض عدد من أكبر المؤسسات الإعلامية وهي وسائل الاتصال الجماهيرية ، وكذلك الوسائل التعليمية كالإذاعة التعليمية ، والتلفاز التعليمي والأفلام التعليمية ودوائر المعارف[3] .

ولم تعد الحاجة إلى المعرفة والتدريب مقصورة على الطفولة . لذلك أنشئت معاهد تعليم الكبار والمعاهد المتخصصة للمتعلمين (**في الزراعة مثلاً**) . وليس **للمجتمع غنى عن الخدمات الإعلامية فهي ما تزال مطلوبة ، وإن تكن قد زادت تعقيداً[4] .**

انتقال اللغة من السلف .. إلى الخلف

أما انتقال اللغة من السلف إلى الخلف ، فإنه يخضع من ناحية التطور إلى عوامل جبرية لا اختيار للإنسان فيها ، ولا يد له على وقف آثارها أو تغيير ما تؤدي إليه . ولو أن بعض أجهزة الإعلام هنا أيضاً قد نمت وتعقدت واتخذت طابعاً رسمياً .. بحيث أصبح في مقدورها أن تجعل لغة الكتابة مواكبة للتطور اللغوي تمثل حالة الحياة اللغوية في الأمة ، فتسعى أجهزة الإعلام إلى تضييق مسافة الخلف بينها وبين لغة المحادثة ، لأن هذه اللغة الأخيرة في تطور مطرد .

فكأن الإعلام يقف في مفترق الطرق بين لغة الكتابة ، ولغة المحادثة ، يساعد على التطور ، ويمسك لغة المحادثة لئلا تبعد عن لغة الكتابة ، فلا تصبح كل منها غريبة عن الأخرى ، كما حدث في **فرنسا وإيطاليا ورومانيا وإسبانيا والبرتغال** ؛ أيام أن كانت لغة الكتابة فيها هي اللاتينية ، **وما كانت عليه بلاد العرب ـ وما تزال تعاني ـ من مشكلة العلاقة بين لهجات المحادثة ، واللغة العربية الفصحى المتخذة كلغة كتابة .**

وهكذا تنتقل اللغة من السلف إلى الخلف ، ويحتفظ المجتمع برصيده من المعرفة ، ونشأ **فن**



تنمية اللغوية

بقلم: د. عبد العزيز شرف

الطباعة حتى ضاعفت الآلة ما يكتب الإنسان بأرخص وأسرع ما يستطيع الإنسان نفسه أن يفعل .

حول هذه الآلة نهضت كل مؤسسات الطباعة والنشر والمدارس العامة . وطورت الآلات فيما بعد حتى لا يتقيد ما يمكن أن يراه الإنسان بالمكان أو الزمان ، فاخترعت الآلات التي تجعل الإنسان يسمع على بعد مسافات هائلة ، وكذلك قامت شبكات الهاتف الكبرى والتسجيل الصوتي والإذاعة . ولما انضمت آلات الاستماع إلى آلات المشاهدة وجد الأساس للأفلام الصوتية والتلفاز[٥] .

وبعبارة أخرى اكتشف المجتمع فيما بين أيام القبيلة وعهد الحضارة العصرية ، كيف يشارك في الإعلام وكيف يختزنه ، متخطياً بذلك المكان والزمان ليصون اللغة من الضياع وليزيد كَمَّ المجتمع الفعال من العشرات إلى الملايين .

هل توجد وسائل الإعلام بعض الهياكل والأشكال الأخرى للغة ، أم أن الهياكل والأشكال الأخرى للغة هي التي توجد مرحلة معينة من تنمية الإعلام ؟ .

هذا سؤال لا طائل من ورائه . فالذي لا شك فيه أن لكل منهما تأثيراً قوياً على الآخر : **التطورات الجديدة في لغة المجتمع تؤثر على الاتصال** . المهم هو أن مستوى معيناً ، ومرحلة معينة من تنمية الاتصال لا بد أن يصاحب مرحلة معينة ومستوى معيناً من التنمية اللغوية بوجه عام . فإذا ما بلغت هذه اللغة الإعلامية أشدها ، واكتمل نموها ، ووضحت دلالات مفرداتها ، وتعددت وجوه استخدامها ، وتشعبت بها فنون القول ، وقويت على تأدية حقائق الحياة العصرية ، أخذت تؤدي وظيفتها في تقريب المستويات اللغوية ، وتصبح هي لغة الكتابة .

تأثر اللغة باللغات الأخرى (أثر وكالات الأنباء)

إن أي احتكاك يحدث بين لغتين أو لهجتين ـ كما يذهب إلى ذلك علماء اللغة[٦] ـ يؤدي لا محالة إلى تأثر كل منهما بالأخرى .

ولما كان من المتعذر ـ ولا سيما بعد نهضة الإعلام وتزايد تداوله ـ أن تظل لغة ما بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى ، لذلك كانت كل لغة من لغات العالم عرضة للتطور المطرد عن هذا الطريق . على أن أكبر عوامل الاحتكاك تتمثل في وكالات الأنباء العالمية التي تقدم خدمات إعلامية ضخمة ، ويمتد توزيعها في مدى بعيد ، لما تملكه من تسهيلات في وسائل الاتصال والإرسال ونحو ذلك .

وقد كان لوكالات الأنباء أثرها في اللغة العربية تأثراً بترجمة البرقيات الإخبارية ، فنجد الأفعال الأجنبية تتسرب إلى اللغة العربية . ومثال

ذلك «إن حشد الجنود التركية على حدود سورية (**يشكِّل**) خطراً على هذه البلاد» وفعل (**يشكِّل**) هو ترجمة حرفية دخلت لغة الصحافة والسياسة واستقرت فيها استقراراً تاماً. ومن ذلك قول بعض الصحفيين «**وهنا قفزت طائفة كبيرة من علامات الاستفهام**» معبراً بذلك عن معنى الغرابة أو التعجب، وقول آخر: «**فكان عليَّ أن أضع أعصابي في ثلاجة بعد سماعي هذا الكلام**».

ومن ذلك يتبين أن وكالات الأنباء قد أتاحت فرصة الاحتكاك بين اللغة العربية وبعض اللغات، ولم يكن تأثرها بالمفردات فحسب، وإنما انتقل التأثير إلى القواعد والأساليب كذلك، وإن كانت اللغة العربية قد صبغت معظمها بصبغة اللسان العربي حتى ليبدو بعيداً عن أصله.

ومن مظاهر التأثير في التراكيب المستمدة من طبيعة تعبير اللغات الأجنبية شيوع استخدام الجمل الاسمية وتناثرها وكأنها وحدات مستقلة. فهذه هي طريقة التعبير الأوروبي، تماماً بالجمل الاسمية المستقلة، التي تجعل النقط والوقفات فقرات متتالية.

وعلى ذلك فإن اتساع نطاق تداول الإعلام يتيح بين اللغات فرصاً للاحتكاك اللغوي، وفي ذلك ما يدفعنا لكي نعيد للغتنا تأثيرها النفّاذ في اللغات، كما كانت قديماً؛ فأخذت منها اللغات الأوروبية: **الليمون الموصلي** (وهو نسيج خاص ينسب إلى الموصل) **والزعفران، والشراب والسكر، الكافور والقنوة** (عسل قصب السكر المجمد)، **والقهوة، والقطن، والكرفة، والكمون والدمشقي** (نسيج ينسب إلى دمشق) وما إلى ذلك، مما يتبين معه أن إنشاء وكالة أنباء عالمية، تابعة تبعية مباشرة لجامعة الدول العربية، تلتزم الحيدة في نشر الأخبار، وتبني لغتها الإخبارية على اللغة العربية وحدها دون غيرها أمر جدير بالنظر فيه.

اللغة والتنمية الاجتماعية

تتأثر اللغة أيما تأثر بحضارة الأمة، وشؤونها الاجتماعية، فكل تطور يحدث في ناحية من نواحيها يتردد صداه في أداة التعبير.



ومن هنا فإن الاتصال بالجماهير جاء امتداداً ونتاجاً للنهضة الصناعية ليشمل:

أ ـ **الإنتاج الكمي: للكلمات والظلال والأصوات.**

ب ـ **التوزيع الجغرافي الواسع: وبدونه لا يكون للإنتاج الكمي أي معنى.**

جـ ـ **التوزيع بالقطاعي عن طريق محطات البث التلفازي والإرسال الإذاعي، والصحف والمسارح والمكتبات والمدارس**[٧].

وعلى ذلك، فإن الاتصال بالجماهير، من أهم المظاهر الحضارية، التي تسهم في رقي تفكير الأمة وتهذيب اتجاهاتها النفسية، والنهوض بلغتها، وسمو أساليبها، وتعدد فنون القول فيها، ودقة معاني مفرداتها، وإدخال مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة وما إلى ذلك.

والاتصال الجماهيري يسهم بذلك، ويقدم هذا التطور إلى الجماهير في المسرح والمدرسة والنادي، بحيث تصحبه اللغة في الطريق وفي السوق والبيت.

وعن هذا الطريق يسهم الاتصال الجماهيري في عمليات التنمية، وانتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة، الأمر الذي يهذب لغتها ويسمو بأساليبها، ويوسع نطاقها، ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة، ويكسبها مرونة في التعبير والدلالة.

وعلى ذلك فإن عملية التنمية في المجتمع تقتضي زيادة سريعة في أعداد المتعلمين، وفي الخدمات التعليمية وتوسيع نطاقها، وفي وسائلها الإعلامية التي تستخدم لإثارة التعطش إلى مزيد من الإعلام لتشجيع الناس على تعلم القراءة والكتابة، التي تصبح كما يقول **ليرنر** في عبارة (**المحرك الهام في تطوير كل مظهر من مظاهر الحياة.. المادة الشخصية الأساسية التي تعد بمثابة اللبنة الأولى في البنيان العصري كله**).

وفي المسح الذي قامت به **جامعة كولومبيا** عن التنمية في **الشرق الأوسط** قال الأميون المتجاوبون عن مواطنيهم غير الأميين «**إنهم يعيشون في عالم آخر، وهذه هي في الجوهر الوظيفة التعليمية لأجهزة الاتصال الوطنية، عندما تبدأ الدولة في التنمية، أن تفتح الباب على مصراعيه للجميع، باب العالم الأكبر بمعرفته الفنية العصرية وشؤونه العامة**».

وربما كان أكثر الطرق عمومية لوصف ما يقوم به الإعلام المتداول الواسع النطاق في أمة نامية، هو أن تقول إنه يهيئ المناخ للتنمية الوطنية. فهو ييسر خبرة الخبراء حيث تقوم الحاجة إليها، ويقدم المنبر للمناقشة والقيادة ولتخطيط السياسة، وهو يرفع المستوى العام للتطلعات. تبدأ عملية التحول العصري عندما يكون هناك دافع (**يدفع ابن الفلاح لأن يريد أن يتعلم القراءة، حتى يحصل على عمل في المدينة**). لا يمكن أن يحدث التغيير في يسر وكفاية كبيرة إلا إذا أراد الناس التغيير، وبصفة عامة فإن الإعلام الذي يتزايد تداوله هو الذي يضع بذرة التغيير حين يتسع أفقه، وهو الذي يهيئ المناخ لوحدة الأمة ذاتها، فيجعل كل إقليم يلم بالأقاليم الأخرى، بأناسه وفنونه وعاداته وسياساته، ويجعل القادة الوطنيين يحدثون الشعب، والشعب يحدث القادة كما يحدث نفسه، ويجعل الحوار فيما يتعلق بسياسة الدولة ميسوراً على نطاق البلد كله، ويجعل الأهداف الوطنية والمنجزات الوطنية ماثلة دائماً في أذهان العامة[٨].

وعلى ذلك فإن أثر الإعلام في التنمية اللغوية، مرتبط بأثره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فالاتصال اللغوي الإعلامي أساس لكل عملية اجتماعية، لأنه في الحقيقة تجسيد لتفاعل المجتمع مع نفسه.

فالحضارة الإسلامية، لأنها كانت تقوم في بعض جوانبها على الاتصال الإعلامي، منذ نزول القرآن الكريم، وعلى تفاعل

المجتمع الإسلامي مع نفسه ، أوجدت توافقاً وانسجاماً بين حضارة الأمة الإسلامية ولغتها العربية ، التي تمكنت عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي من أن تكون مرنة التعبير واسعة الثروة في المفردات ، سهلة القواعد عذبة الأصوات ، سهلة النطق ، خفيفة الوقع على السمع ، تقل في كلماتها الحروف غير المتحركة ، بينما تكثر أصوات المد الطويلة (الألف ، الياء ، والواو) والقصيرة (الفتحة ، الكسرة ، الضمة) . ولا يكاد يجتمع في مفرداتها ولا في تراكيبها مقاطع متنافرة ، ولا يلتقي في ألفاظها ساكنان .

والأمة العربية اليوم تستعيد خصائصها وتتحرر من بقايا التأثير الأجنبي الذي كان هدفه طمس معالم الحياة العربية ومحو خصائصها الأصيلة ، والجانب اللغوي جانب أساسي من جوانب التنمية ، ومقوم من أهم المقومات في الحياة العربية ، والكيان العربي ، والرابط الموحد بين العرب ، والمكون بنية تفكيرهم ، والصلة كذلك بينهم وبين كثير من الأمم .

لقد تردت اللغة العربية إلى ما تردت إليه الحياة في سائر مجالاتها الأخرى في **عصور الانحطاط** التي استمرت عدة قرون ، فضاعت من اللغة مزية الدقة التي عرفتها العربية في عصورها السالفة ، وأدى ذلك إلى تداخل معاني الألفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم ، وفقد الفكر العربي الوضوح حين فقدته اللغة نفسها ، واتصفت بالغموض ، وانفصلت عن معانيها في الحياة وأصبحت عالماً مستقلاً يعيش الناس في جوه بدلا من أن يعيشوا في الحياة ومعانيها .

وقد انتهت عصور الانحطاط إلى الالتقاء أو الاصطدام بالحضارة الأوروبية ، وانفتحت أمام العرب آفاق جديدة كانت نتيجة ضروب من التفاعل وأنواع من المواقف والمشكلات والأزمات ، ومن جملتها مشكلة اللغة .

ومن أشهر الدراسات في هذا الصدد دراسة **دانيل ليرنر (زوال المجتمع التقليدي : التحول العصري في الشرق الأوسط)** .

وقد وجد ليرنر أن هناك علاقة متبادلة بين مقاييس النمو الاقتصادي ومقاييس النمو الإعلامي . . بمعنى أنه كلما زاد الدخل القومي للفرد والتحضر والتصنيع ، زاد أيضاً تعلم القراءة والكتابة ومعه توزيع الصحف ، وكذلك التسهيلات الإذاعية وعدد أجهزة الإذاعة ، وكل المقاييس الأخرى لوسائل المشاركة .

الإعلام والتنمية في اللغة

تبدو حركة التنمية المقصودة في مظاهر كثيرة ، من أكبرها أثراً في التطور اللغوي الأمور الآتية :

(١) تداول الإعلام بين الدول ، وتأثر الصحفيين والكتّاب بأساليب اللغات الأجنبية ، واقتباسهم أو ترجمتهم لمفرداتها ومصطلحاتها ، وانتفاعهم بأفكار أهلها وإنتاجهم الأدبي والعلمي والإعلامي .

فأكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية في عصر **بني العباس** يرجع إلى انتفاع الأدباء والعلماء باللغتين **الفارسية والإغريقية** . فقد أخذوا في ذلك العصر يترجمون آثارهما ويعقبون عليها بالشرح والتعليق ، ويستغلونها في بحوثهم ويحاكون أساليبها ، ويقتبسون منها عدداً كبيراً من المفردات العلمية وغيرها ، ويمزجونها بمفردات لغتهم ، عن طريق تعريبها تارة ، وعن طريق ترجمتها تارة أخرى ، فاتسع بذلك متن اللغة العربية وازدادت مرونة وقدرة على تدوين الآداب والعلوم .

ويرجع كذلك أكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية في العصر الحاضر ، إلى انتفاع الصحفيين والأدباء والعلماء **باللغات الأوروبية الحديثة** ، ومحاكاتهم لأساليبها ، وتعريبهم أو ترجمتهم لألفاظها ومصطلحاتها واستغلالهم في مؤلفاتهم ومترجماتهم لمنتجات أهلها في شتى ميادين الحركة الفكرية[٩] .

(٢) إحياء الإعلام ورجاله لبعض المفردات القديمة المهجورة للتعبير عن معان لا يوجد في المفردات المستعملة ما يعبّر عنها تعبيراً دقيقاً . فكلمة «**القطار**» مثلاً كانت تطلق في الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم في النقل ، ولكن تغيّر الآن مدلولها الأصلي تبعاً لتطور المواصلات ، فأصبحت تطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية .

وقد كان لإحياء هذا اللفظ قصة طريفة ، بطلها رئيس تحرير إحدى الصحف المصرية في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ، الذي جاءه خبر سقوط الآلة البخارية التي تجر عربات السكة الحديدية في الليل أثناء مرورها فوق أحد الجسور ، فلم يجد للتعبير عن هذه الآلة أوفق من كلمة «**القاطرة**» وذاعت الكلمة وتقبلتها الأذواق ، واطرد استعمالها حتى اليوم .

(٣) إيجاد الإعلام لألفاظ جديدة ، للتعبير عن أمور لا يوجد في مفردات اللغة المستعملة ما يعبّر عنها تعبيراً دقيقاً ، وقد أجاز **مجمع اللغة العربية بالقاهرة** الالتجاء إلى هذه الطريقة حيث دعت إلى ذلك ضرورة . . ذلك أنه لا يوجد في مفردات اللغة (متداولها ومهجورها) ما يعبّر تعبيراً دقيقاً عن الاصطلاح المواد التعبير عنه .

ويستعان عادة في تكوين هذه الألفاظ بالقياس والاشتقاق والقلب والإبدال والنحت والارتجال والاقتراض .

ويبين مما تقدم أن اللغة كظاهرة اجتماعية عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها : أصواتها وقواعدها ومتنها ودلالاتها ، وأن تطورها هذا لا يجري تبعاً للأهواء والمصادفات وإنما يخضع في سيره لقوانين اجتماعية مطردة النتائج ، ويصبح الإعلام أهم هذه القوانين الاجتماعية في تنمية اللغة وتطورها ، ذلك أن الإعلام نفسه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة المجتمع وما يمتاز به من خصائص ، ويسير عليه من نظم ويسلكه من مناهج .

الهوامش

(١) تشترك هذه العوامل جميعاً في أنها من مقومات الحياة الاجتماعية ، ولذلك جعلها الدكتور علي عبد الواحد وافي طائفة واحدة ، على الرغم من اختلافها في أنواعها .

(٢) د. وافي : علم اللغة ، ص ١٧٣ .

(٣ و ٤) ولبور شرام : أجهزة الإعلام ، ترجمة محمد فتحي ، ص ٦٠ .

(٥) شرام : أجهزة الإعلام ، ص ٦٠ .

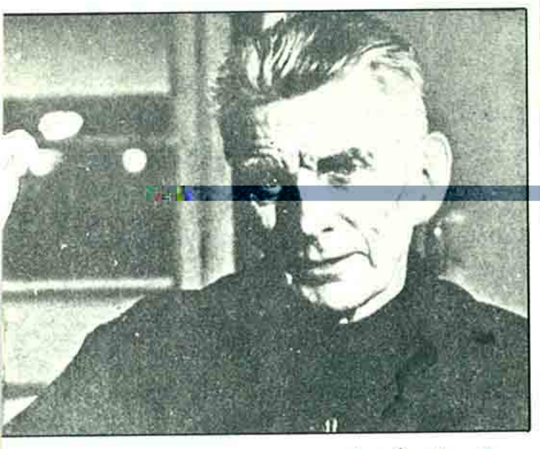
(٦) وافي : (علم اللغة) ، ص ١٧٥ ـ صفحات ١٣٨ ـ ١٥٣ .

(٧) إريك بارنو : الاتصال بالجماهير .

(٨) شرام : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٩) وافي : (علم اللغة) ، ص ١٩٦ .

الأدب العصري



★ صموئيل بيكيت ★



★ بروست ★

ظاهرة التغيير من الظواهر الثابتة في تاريخ الأدب على مدى العصور المتعاقبة وفي مختلف أنحاء العالم . ومهما حاول بعض الأدباء التمسك بطرائف جيلهم فإن طرائف العصور التالية لا تلبث أن تحل محلها وأن تأخذ موضعها تحت تأثير عوامل كثيرة منها قابلية الناس للتذوق ، ومشاعرهم في الملل من تكرار نفس الظواهر والملامح الأدبية ، وتغير إيقاع الحياة في التقدم والتطور ، وسرعة درجة الزيادة في المعارف والمعلومات التي تؤثر بدورها على طبيعة العمل الفني ومعدن الفكرة الفنية التي يقدمها صاحب العمل .

ومن المسلّم به أن الأدب لا يمكن أن يستمر على حال واحد شأنه شأن كل الظواهر الحية . وتعبير الإنسان عما يشعر به وعما يتمنى أن يوصله للناس يختلف من إقليم لإقليم ومن عصر لآخر . فاللغة نفسها تتطور مع استواء أدواتها ودقة مدلولاتها وأصالة عباراتها . والمعاني أيضاً يجري عليها التغيير فلا تبقى على حال واحدة . فاللغة كائن حي والمعنى دلالة متحركة . وما يناسب أبناء البادية أو أبناء الريف لا يناسب أهل الحضر . والتصورات نفسها تتبدل وفقاً لمستلزمات الحياة العملية واكتشافات العلوم من عصر إلى عصر .

ولا ينبغي أن نربط قيمة العمل الأدبي بمعايير التغير ذاتها . فلا يقال مثلاً إن **محاورات رينان** أفضل وأجمل من **محاورات أفلاطون** لأن كلًّا من هذه المحاورات مرتبط بجماليات عصره وبيئته . وما يصلح لهذا لا يصلح لذاك . والقيمة التاريخية في حد ذاتها تلعب دورها في إسباغ معنى الجمال على العمل لانتمائه إلى فترة بالذات . ولغة **الأصفهاني** مختلفة عن لغة **ابن المقفع** أو لغة **الجاحظ**، ولكن كل منها له حلاوته ومذاقه . ولغة **امرئ القيس** مختلفة عن لغة **عمر بن أبي ربيعة** وعن لغة **أبي العلاء المعري** ، ولكن قيمة التعبير هنا وهناك ترجع إلى تكوين كل شخص وطبيعة كل واحد منهم وثقافته . فالتشبيه والاستعارة والكناية ومدلولات الأشياء وحقيقة الانطباع والاستحسان والاستهجان . . كل أولئك يختلف من كاتب لآخر ومن شاعر لآخر .

وقد تحدث مشادات ومساجلات بين رجال الأدب والنقّاد حول مفهوماتهم عن الأدب وتصوراتهم عما هو أفضل . وقد يتبادل أصحاب المدارس أو الحقب المختلفة ألواناً من السخرية أو الانتقاد . ولكن هذه لا تؤثر عادة في تقدير الناقد الأدبي لمميزات كل حقبة وكل مجموعة في حد ذاتها . وانقسام الشعراء والأدباء إلى مدارس وجماعات لا يؤثر في إلغاء إحداها إلا بمقدار ما في أعمال بعضهم من القدرة الأكبر على التصور والبراعة في الأداء والشمولية في الفهم . يضاف إلى ذلك أحكام الصناعة ذاتها والاستجابة لروح العصر ، والفطنة إلى دقائق العمل الفني في جمالياته المقبولة .

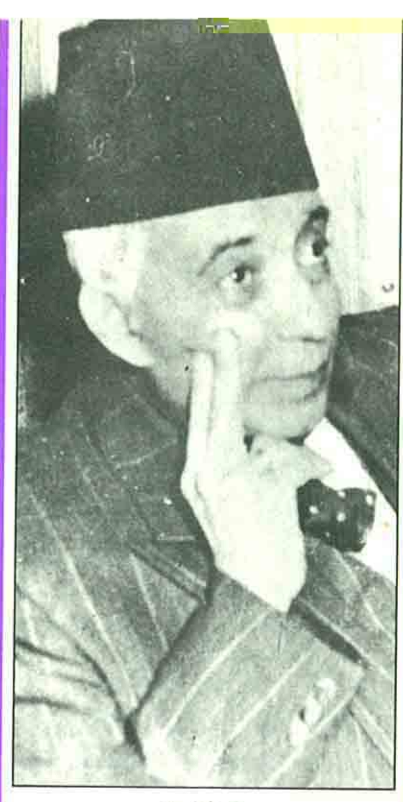
وهذه الجماليات ذاتها تتغير فما كان عيباً في العمل الفني قد يصبح فضيلة أو ميزة في غيره ، وما هو موضع استحسان عند جماعة قد يصير مادة للفكاهة والتندر عند غيرهم . ولولا ذلك ما شهدنا التحولات الكبرى في تاريخ الآداب وفنون التصوير والموسيقى . فمن ذا يجرؤ على كتابة الرواية اليوم على طريقة **ديكنز وبلزاك وألكسندر ديماس** . ومن ذا يستطيع أن يعد اللوحة الفنية على طريقة **روبنز أو رمبرانت** . ولا يعني ذلك أن هذه الأعمال قد فقدت قيمتها الجمالية ولكن معناه أن تقدير هذه الأعمال مرتبط بالتجربة التي عاشها الفنان وبرؤيته وبأصول أعماله الفنية التي راعاها واستطاع أن يبتكر من خلالها . ثم إن كل فنان أو أديب أو مصور قد يتقن جانباً يحسن تحقيقه فتصبح أعماله ذات طابع فريد في العمق وفي الأصالة أو في الذاتية أو في الأداء السطحي لحقائق الحياة أو في اصطياد الغرائب والمفارقات أو في الإدهاش والمفاجأة . ومن الروائيين من يحسن البناء الهندسي أو التقرير التاريخي ، أو التحليل الوجداني أو التلقائية والبداهة أو الحركية الحديثة أو الأسرار والألغاز . ومنهم من يستطيع أن يستجمع في أعماله خيوطاً وأطرافاً من هذا كله كأنه يقترب من رؤية الانسجام الكوني الذي يجمع بين أطراف المتناقضات جميعها .

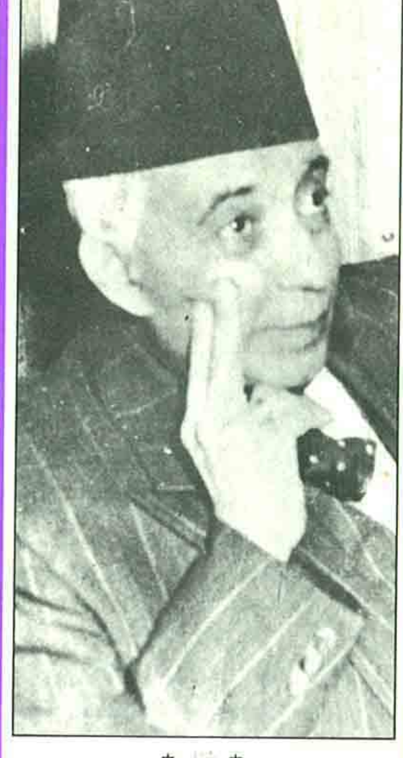
ومن المقالات الممتعة التي كتبها **إبراهيم عبد القادر المازني** في سنة ١٩٢٣ م ، في كتابه «**حصاد الهشيم**» فصله عن الأدب ينهض في عصور المشادة لا عصور اللين والدعة . وهو يقصد بذلك أن الأدب يمتلئ بالحركة بظهور المعارك الأدبية والمساجلات بين الأدباء ويفسد بالخمول والسكون بين رجال الأدب . وكان المازني نفسه في ذلك الوقت من أقطاب الحركة الجديدة في الأدب ومن





★ د. زكي نجيب محمود ★





★ مازني ★

★ بلزك ★

بقلم : د. عبد الفتاح الديدي

أهم العاملين في حقل الشعر والنثر على السواء .

ويحس القارئ من مجمل فصول كتابه أنه يحرص على تغيير رؤية الأديب بأكملها في الأدب والفن والنقد من أجل تحرير هذه الصناعة من القيود التي فرضتها عوامل التخلف العلمي والحضاري . ويعتز بشرح الجوانب الأصيلة الممتازة في أشعار **المتنبي وابن الرومي** ويهتم بإبراز العناصر القوية الناهضة الجميلة في أشعار المتقدمين والمبرزين في فن الشعر شرقاً وغرباً .

وفي ذلك المقال الذي أشرنا إليه يحاول المازني ألا يبالغ في تقدير غلبة إحدى المدارس الأدبية على سواها لأنه يدرك في قرارة نفسه أن نجاح أصحاب أحد الاتجاهات ليس سوى مقدمة في سلسلة التتابع الجاري بين النزعات الأدبية على مدى التاريخ الطويل . ولذلك يقول في احتراس : لو شئنا وكان ذلك يلائم مزاجنا ويليق بمهمة النهضة بالأدب وتحريره لباهينا بالمذهب الجديد وبفوزه على صنوف الاستبداد التي همت به وعالجت خنقه . فقد خرج من كل ما خاض من المعارك إلى هذه الساعة صادقاً تام الاتزان مبرءاً من عيبين على وجه الخصوص . . مجال الماضي البائد وطيش الانتقال وما يغري به من التعلق بالتطرف ومجاوزة المدى المعقول والحد الطبيعي . لقد فاز المذهب الجديد على هذه وغيرها من صنوف العنت ولكن العراك لم يستثر العواطف الدنيا ولا شيئاً من الشهوات المرذولة أو الطغيان الذي يحيل النصر في آخر الأمر شراً من الهزيمة . وذلك كما يقول المازني لأن دعاة هذا المذهب يفهمون الحرية الأدبية على حقيقتها ويبغون الحقيقة وحدها ولا ينشدون سوى تنبيه خير ما في الطبيعة الإنسانية ولا يطلبون أن يرفعوا نير الجهل ويفكوا القيود العارقة ليستبدوا بغيرهم ويضعوا العقبات كأسلافهم في سبيل النفوس الناشئة السائرة على الدرب .

ويستخلص المازني من ذلك كله **أن فترات الأدب الساكنة فترات طراوة ودعة لا تحفز النفوس ولا تستثير قواها الكامنة وعلى النقيض من ذلك فترات المشادة والمساجلة التي تحرك أعمق أعماق النفوس وتزخر كل اتجاهاتها وتبتعث رواقدها .**

وتبدو بعض النظرات الأدبية ثابتة في نظر الناس ثبوت الطود . ولكنها إذا تعرضت للنقد والتحليل بدت أقل ثباتاً بكثير مما كانت عليه عندهم . فما دام الأدب يخضع لمقومات الفن الخالص والفن بطبيعته متقلب متغير كان الأدب ذاته متغيراً في تشبيهاته وجناسه وألوان البديع التي يحتوي عليها . بل يصل الأمر في التغيير إلى حد تجديد أشكال التعبير ذاتها واختيار المعاني والأغراض .

وكان **وصف الأطلال** في الماضي حقيقة ثابتة عند شعراء الجاهلية كما نلمس ذلك في قول امرئ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا
نبكي الديار كما بكى ابن حذام

ولكننا لا نلبث أن نرى شعراء **العصر العباسي** يتخلصون من هذه الضرورة الشعرية على نحو ما أثبت ذلك **أبو نؤاس** في سخريته المشهورة :

قل لمن يبكي على رسم درس
واقفاً ما ضر لو كان جلس

وهكذا كان يجري التغيير والتطور في جملة مفهومات الأدب وخصائصه . والعرب أدركوا حقيقة التغيير في الأدب منذ وقت مبكر واكتشفوا طريقة اتقان الصناعة الأدبية ووسيلة تجويدها وترقيتها . فهم لم يستسلموا للوضع القائم في طرق التعبير منذ **الجاهلية** . وما إن استقرت لهم المدينة



بعد **الإسلام** حتى بدأوا بسليقتهم يبحثون عن كيفية البرهنة على أن هذا العمل الأدبي يتميز بخصائص أدبية رفيعة ومميزة . وما هي الخصائص الرفيعة والمميزة في الأدب وما هي الأسباب التي تجعلنا نستحسن القصيدة أو المقامة أو الكتابة الأدبية ؟ .

فشرعوا في تأسيس **علم النقد** وظهر كتاب طبقات الشعراء **لمحمد بن سلام الجمحي** المتوفى عام ٢٣٢ هـ . والبيان والتبيين **للجاحظ** المتوفى عام ٢٥٥ هـ . والشعر والشعراء **لابن قتيبة** المتوفى عام ٢٧٦ هـ . وقواعد الشعر **لثعلب** المتوفى عام ٢٩١ هـ .

وهنا أحس العرب أنه لا بد من استخراج المعايير التي يحكمون على ضوئها بجمال الشعر وروعته في الأداء . شعر جمهور الأدب بأن الخبرة في تأمل الأعمال الشعرية لا تنتهي إلا بتقرير القواعد والأصول التي يحكمون على هداها بجودة العمل الأدبي . فمهما كان استحسان الذوق الأدبي أو النقدي للعمل فامتداحه لا يتيسر إلا بجانب موضوعي تسجله تلك القواعد العامة وتؤكده الأصول والأحكام . والاحتكام إلى علم الناقد وحكمته لا يكفي في إيجاد الثقة وضياع الزلل والزيغ . أو كما قال **أبو العلاء** :

وما العلماء والجهال إلا
قريب حين تنظر من قريب

فما السبيل إذن إلى استخراج تلك القواعد ؟ وفي الفترة التالية اهتدوا إلى أن السبيل إلى ذلك هو « **المفاضلة والموازنة** » . فالناقد لا حق له في أن يضع الأصول لما يجري حوله من عقله مباشرة . والأدب صناعة حرة يبتكرها الأديب ابتكاراً دون أن يخضع في ذلك إلى قواعد عقلية وإنما يهتدي إليها بسليقته الفنية وحساسيته المرهفة . فإذا أردنا أن نقرب له الحقائق لكي يتعرف على أصول حرفته وجب أن نستخلص الأصول من الأعمال الفنية السائدة ذاتها لكي لا نرهق الفنان بدعوته إلى اخضاع صناعته لشروط بعيدة عن متناول يده من ناحية ومن ناحية أخرى لكي تكون أصول الصناعة من ابتكار الفنان نفسه ولا تكون ثمرة تفكير نقدي مبالغ فيه .

وعندئذ ظهر عند العرب شيء يدعى « **الموازنات** » . وهذه هي الطريقة المثلى لتحديد الخصائص المميزة للأعمال الفنية ولوضع الأصول الأساسية الثابتة لإجادة الابتكار في مجال الأدب .

فألف **القاضي الجرجاني** المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ، كتابه عن الوساطة بين المتنبي وخصومه . وكتب **الآمدي** المتوفى سنة ٣٧١ هـ ، كتابه عن **الموازنة بين أبي تمام والبحتري** . ومن أهم المصادر التي تستحق الإشارة هنا كتب **المختارات الشعرية** التي انتقاها الأدباء والنقّاد لخصائص معينة استحسنوها في أدب أصحابها أو لظهور مميزات فريدة فضلوها دون غيرها . وقام بعضهم بتسجيل تلك الخصائص المميزة التي اتصفت بها تلك الأعمال الشعرية وكأنهم قاموا باستخلاصها بأنفسهم حرصاً على نفع من يريد أن يتتبع محاسن الشعر أو من يريد أن يهتدي بها في صناعته . ويكفي أن ننظر في **ديوان الحماسة لأبي تمام أو ديوان الحماسة للبحتري** لنعرف أن العرب حرصوا على اكتشاف أصول الفن الشعري بالطريقة العملية السليمة المؤكدة التي تجعل قواعد العمل الفني مجموعة من العناصر الموضوعية التي لا تقبل الجدال على الأقل في أساسياتها وفي وقتها . واعتاد أستاذنا **الدكتور زكي نجيب محمود** أن يشير إلى أن دراسة الاختيار للأعمال الشعرية الواردة بديوان الحماسة كفيلة بأن تعرفنا على أسرار فنية واجتماعية وفكرية لا حصر لها .

والواقع أن الفن عموماً وفن الشعر على الخصوص يلتمس أصوله التي نعرف منها الجودة أو عدمها من الفنون القائمة ذاتها ومن التجارب المؤداة على ألسنة الشعراء أنفسهم . والفن تجربة حرة يستطيع الفنان أن يقوم فيها بالتركيبات على النحو الذي يستهويه . ولكن المعايير الثابتة المستخرجة من أعمال الفنانين أنفسهم قادرة على أن ترده إلى الصواب . **وكثيراً ما يسأل الشباب : ماذا نفعل لنجعل عملنا جديراً بالثناء ؟** . وفي كل مرة يسمعون نفس الإجابة : العبرة بأن تكتب أولا وأن يجرى تصحيح ما تكتب وأن تقارن بين أعمال سواك من الأسلاف والمعاصرين لتعرف طريقك الذي تبدع فيه .

وفي العصر الحاضر تجرى على يد النقّاد مقارنات دائمة بين الأعمال الأدبية الروائية والشعرية فيقول الناقد مثلاً إن الرواية قد تغيرت تماماً . وبعد أن كان الروائي يحرص على تحليل مشاعر أبطاله على طريقة **بروست** صار اليوم أقرب إلى انكار الشخصيات داخل رواياته من أجل الاهتمام بالحدث والمفاجأة . وكان الروائي يشرع في وصف دقائق التفصيلات في المشاهد التي تحيط بشخصيات الرواية فإذا به اليوم يقتصر على ذكر بعض المعالم ذات الأهمية الفعالة بالنسبة إلى الحركة الدائرة . ومن يقرأ **بلزاك وهمنجواي** يحصل على فوارق هامة من هذا القبيل بين الكاتبين . وانهدم المكان الذي كان سلطان الروايات في القرن التاسع عشر ، وعند بعض الروائيين العرب وصارت الأماكن خالية من مدلولها القديم .

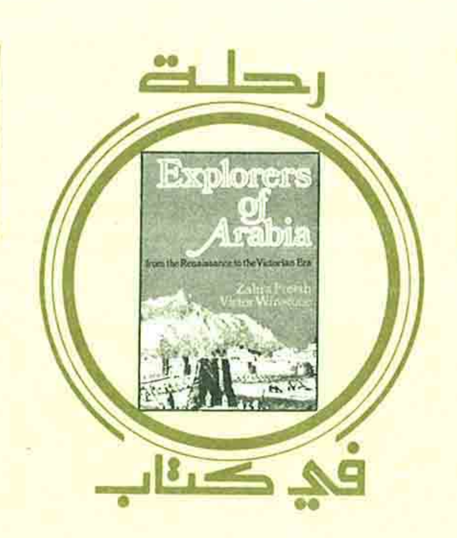
وشاع على الأقلام اليوم التعريف بأعمال **هنري ميلر** الروائية ومدى تأثيرها على كتّاب الرواية من أمثال **لورنس ديرل** مؤلف رباعية الإسكندرية . وأهم ظاهرة عند هذا الأخير أنه يصف نفس الشخص في نفس الرواية بأوصاف متناقضة كأن يقول عن الشخص إن عيونه عسلية في البداية ليعود في موقف آخر بعد ذلك ليقرر أن عيونه زرقاء . وبدأت هذه الموجة تعم معظم الروايات الحالية في أوروبا فتصف بطلها بأوصاف مقررة في موقف وتستبدلها بأوصاف أخرى مغايرة في موقف آخر كأن حقيقة الشخص لا تهم في الرواية بقدر ما يهم إحساس الكاتب عنها وإن بلغت في الموقفين حد التناقض .

وبالمقارنة يقال بين النقّاد إن **صمويل بيكيت** ذو نزعة عدمية **وسنو** ذو اتجاه ليبرالي واتجاه عقلاني في آن معاً . **وأيريس ميردوك** تجعل الغرابة في كل الأمور هي القاسم المشترك الأعظم . **ووليم جلودنج** يستأثر بالقلوب والعقول معاً . أما **ميشيل بيتور وناتالي ساروت وألان روب جرييه** فهم حصيلة التراث الفلسفي الفرنسي السائد في النصف الأول من القرن العشرين بما فيه من ظاهرية وسيريالية .

وهذه المقارنات بأشكالها المختلفة هي التي تكشف لنا مقومات العمل الأدبي ومكوناته والقواعد الجديدة بأن تظهر خلال الأعمال الأدبية . وقد أجهدنا بغير شك أن نظل نتابع الأعمال الأدبية لتذليل صعوباتها وتقريب مفهوماتها من المؤلفين العرب الذين يطرقون هذه المجالات . ولكن الأمل في أن ندرك جميعاً أن المقارنة وحدها هي سبيلنا إلى التحكيم . ومن الممكن أن يعكس العمل الأدبي أكثر من وجه وأكثر من طابع . لكن الأفضلية دائماً لما قال عنه المازني فيما تقدم من رأيه هنا إن العبرة بما يضطلع به الأديب من أعباء من أجل تغذية الفكر الأدبي بالروافد الصحية القادرة على إشباع وجدان القارئ وتوفير المتعة الحقة لديه بما يجعله ينتصر للعمل الخصب الجاد ويبتعد عن مزاعم الأدعياء .

تأليف :
زاره فريث ، وفكتور وينستون
عرض وتعليق :
د. عبد الوهاب علي الحكمي

رحلة



في كتاب

مكتشفو بلاد العرب

منذ عهد النهضة حتى العصر الفيكتوري

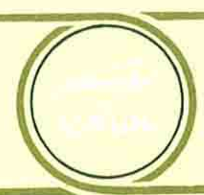
الكتاب الذي بين أيدينا يصور رحلات تسعة من المغامرين الذين جابوا أرجاء الجزيرة العربية من جنسيات أوروبية مختلفة ، والذي يجمع بين هؤلاء التسعة أن أغلبهم دخلوا **مكة والمدينة** تحت أسماء إسلامية مستعارة ، وأن **مجموع الرحالة الأوروبيين الذين ترحلوا في الجزيرة العربية ما بين ١٥٠٣ م ، إلى ١٩٤٨ م ، يبلغ حوالي ستة وخمسين رحالا حسب الإحصائية التي وردت في ص (٢٩٩ ـ ٣٠٠) من هذا الكتاب .**

يتكون هذا الكتاب الذي تبلغ مجموع صفحاته ٣٠٨ صفحات من تسعة فصول ومقدمة ، وكل فصل يحلل مغامرة كل رحال من هؤلاء التسعة رحالة حسب ما ذكروه في مؤلفاتهم .

لودفكو فاريثا الإيطالي

Lodovico Varthema

جاب بلاد العرب بين ١٥٠٣ م ، وعام ١٥٠٨ م ، بعد أن وصل **فاريثا** إلى بلاد الشام ، صحب قافلة الحجيج الشاميين التي انطلقت من **دمشق** يوم ٣ أبريل (نيسان) عام ١٥٠٣ م ، تحت اسم مستعار باسم **ياسين** . يقول إن القافلة تكونت من خمسة وثلاثين ألف جمل



وأربعين ألف رجل وعدد لا يستهان به من الخيول . انطلقت قافلة الحج الشامي حسب ما يقص علينا فاريثما في كتاب سجل فيه رحلاته والذي طبع في **ميلانو** في عام ١٥١٩م ، مارة **بحوران وقبائل بن شاكر** .

عندما تصل القافلة بين **تبوك ومدائن صالح** تهب عليها جماعة من البدو تطلب تعويضاً لبعض المياه الذي استعملته القافلة . تعرض القافلة ألف ومائتين قطعة من الذهب ، لكن هذه القبائل تطلب المزيد لذلك فإن القافلة يغرر بهم وتقتل منهم ما يقرب من ألف وخمسمائة شخص وتهرب . في برنامج الراحة يذكر فريثما أن الجمال كانت تحط الرحال للشرب بعد سفر ثمانية أيام متواصلة . وهكذا تسير القافلة حتى تصل إلى المدينة بعد خمسة عشر يوماً . يقول إنه في حدود أربعة أميال خارج المدينة يقوم الحجاج بغسل وجوههم وتغيير ملابسهم قبل دخول **المسجد النبوي الشريف** .

بعد أن يصف فاريثما **قباء وعين الزرقاء** يعطي الوصف الآتي للمسجد النبوي الشريف في تلك الفترة :

« إنه مربع الشكل ، ويبلغ حوالي مائة خطوة طولا وثمانين خطوة عرضاً . الدخول إليه من بابين . في الجوانب مغطى بثلاثة عقود محمولة بحوالي أربعمائة عمود من الطوب الأبيض . ويوجد حوالي ثلاثة آلاف لمبة معلقة . قبة مدورة تبلغ حوالي خمس خطوات معقودة من كل الجوانب ، ومغطاة بقماش من الحرير ، محمولة بقضبان من النحاس والتي شدت حولها بقوة ترى من الجانب الآخر للمسجد ، كما أنها ترى من خلال خزانة من الجانب الأيسر باب القبة التي يدخل إليها من باب ضيق . على كل جانب من البيبان يوجد مجموعة من الكتب في جانب عشرين كتاباً ، وفي جانب آخر خمسة وعشرين كتاباً ، تحوي تراث محمد وأصحابه (اعتقد أنه يقصد مصاحف القرآن الكريم) في داخل هذا الباب (لا يذكر أي باب بالتحديد) المقبرة ، قبر تحت الأرض حيث دفن محمد مع أصحابه » . ص (٢٨) .

بعد أن يتحدث فاريثما عن المزور الذي زورهم المدينة يصف رحلة مضنية إلى مكة حيث يصف رياح الشمال والرمال ، **وجبل ورقان** ، ويبدو من وصف فاريثما لهذا الجبل أنه **جبل النور** حيث يذكر أن **النبي (صلى الله عليه وسلم)** كان يتعبد بهذا الجبل عند دخول مكة يقول إنه وجد بمكة ما يقرب من ستة آلاف بيت مبنية بناء مثل تلك البيوت الموجودة في **روما** .

دخل مكة يوم ١٨ مايو (أيار) ١٥٠٣م ، حيث يذكر أنه دخل مكة من الناحية الشمالية ، ويقدم وصفاً للجانب الشرقي من حيث دخل فيصف **منى وعرفات** حيث شاهد أماكن شرب مخصصة لقوافل الشام والعراق ومصر .

ويصف فاريثما **الحرم المكي** بالتالي : « يوجد في وسط المدينة معبد يشبه في الشكل معبد روما الضخم ، أعني المدرج ، مثل المسرح ولكنه ليس من الرخام الذي يشبه المدرج له ثمانون وعشرة أو مائة باب معقودة . فدخل إليه بنزول حوالي اثنتي عشرة درجة ، وفي الرواق تباع المجوهرات والأحجار الكريمة . عندما تتعدد المداخل نجده مقفلاً من أعلى والجدران المطلية بالذهب تشع من كل جانب بفخامة لا تقارن . في المكان المنخفض من المعبد (أي في الأمكنة المغطاة بالمقصورة) يوجد عدد لا يحصى ولا يعد من الرجال . يوجد من خمسة إلى ستة آلاف رجل يبيعون المراهم الحلوة وروائح معينة وبودرة حلوة التي تستخدم للرش على أجساد الموتى . تجعل الإنسان يعتقد أن هذه الرائحة الحلوة تفوح وتفوق كثيراً على الروائح من دكاكين العطارين » . ص (٣٣) .

يصف بعد ذلك شكل **الكعبة** والمطوف وفي وصفه **لبئر زمزم** يذكر أنه يوجد ثمانية رجال يسحبون زمزم في الدلو من البئر ويذكر أن الحجاج يغتسلون بماء زمزم قبل الصعود إلى منى وعرفات . بعد عودته من الحج يجتمع بأحد المماليك في أحد الأسواق الذي يتعرف عليه المملوكي بأنه مسيحي ويأخذه معه إلى البيت حيث يختفي هناك هارباً من قافلة الحج الشامي ، يذهب بعدها إلى **جدة** ، ثم إلى **جيزان** ، ثم إلى **عدن** ، حيث يسجن في **اليمن** ، وبعد إطلاق سراحه من السجن يذهب إلى **إيران** ، ومن ثم إلى **الهند** ، ثم يعود إلى **إيطاليا** .

جوزيف بتسي الإنجليزي

أما الإنجليزي **جوزيف بتسي** الذي طبع كتابه في عام ١٧٠٤م ، تحت وصف حقيقي وصادق لدين وعادات المحمديين :

True and Faithful Account of The Religion and Manners of Muhammadans.

فله قصة عجيبة من المغامرة فنظراً لأنه ولد في **إيكستر** ، أصبح من عشاق البحر مثل أغلب البريطانيين في الجانب الغربي من البلاد . وقد أبحر مع سفينة وعمره ما زال خمسة عشر عاماً حيث أسرت هذه السفينة بما فيها وبيع جميع ركابها في **الجزائر** . أصبح خادماً لسيده الذي عندما خرج بغارة من إحدى الغارات قامت زوجة السيد ببيع بتسي إلى جزائري آخر . نوى هذا الجزائري الحج وسافرا سوياً إلى **مصر** في طريقهم حيث أصبح بتسي مسلماً ، وقد كان عنيداً في إعلان إسلامه . أقام ما يقرب من

أربع سنوات فتعلّم العربية والتركية مما سهل عليه الملاحظة ، وكان دقيقاً في وصفه لمكة والمدينة كما سوف نرى . ركب بتسي مع سيده الجزائري الذي نوى عتقه بعد إنهاء فريضة الحج بمكة ، من **السويس إلى رابغ** ثم إلى **جدة** ثم بالجمال إلى **مكة** . بتسي الذي جاء مكة عام ١٦٨٤ م ، أو عام ١٦٨٧ م ، يقول إنهم عندما قدموا إلى مكة صحبوا المطوف بعد الوصول ودخلوا من **باب السلام** ، وأخذوا يقلدون المطوف ويقول عندما نظروا إلى الكعبة وبعد الطواف وصلاة ركعتين ذهبوا إلى السعي بين الصفا والمروة . يقول بتسي إن الحجر الأسعد هذا كان اسمه ولكن من كثرة ذنوب الناس أصبح أسود ويسمى **الحجر الأسود** . ويكتب وصفاً دقيقاً للصعود إلى منى ثم إلى عرفة ، وبعد إلى مزدلفة والعودة إلى منى ورمي الجمرات والذهاب إلى مكة . وأقام بتسي بمكة حوالي شهرين أدى خلالها فريضة الحج ووصف الطواف خاصة بعد صلاة المغرب حيث يكثر روّاد الحرم وأشار إلى أن أبواب الحرم تبلغ حوالي اثنين وأربعين باباً

★ كارستن نيبور ★



وصعد إلى جبل النور ، ووصف **غسيل الكعبة** من قبل الشريف بالزمزم والماء . يرحل بعد ذلك إلى المدينة حيث يدفع حوالي ستة جنيهات استرلينية لأجرة الجمل ، ويمكث بالمدينة ثلاثة أيام واصفاً قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) والمسجد النبوي يعود بعد ذلك إلى مصر .

لقد امتاز بتسي بدقته في الملاحظة ودقة المعلومات والموضوعية التي كان ينقلها في كتابه فيما يلي وصفاً دقيقاً ليوم عيد الأضحى المبارك بالنسبة للحجاج والأعمال التي ينبغي أن يقوم بها الحاج في ذلك اليوم ويلاحظ دقة معلوماته في قوله :

« بعد رمي السبع الحصوات في اليوم الأول يشتري الحاج الأغنام للأضحية . يعطى اللحم للفقراء والمعدمين وللأصدقاء الباقي يأكلونه بأنفسهم . بعد ذلك يحلقون رؤوسهم ، ويخلعون الإحرام ، ويسلمون على بعضهم البعض بالتحيات قائلين « **العيد بركة عليكم** » . الثلاثة أيام الباقية تقضى في الفرح والزينة والأعمال النارية . هم متكلين الآن بأن ذنوبهم محيت ، وعندما يموتون سوف يذهبون مباشرة إلى الجنة إذا لم يعودوا إلى معصياتهم ، وإذا حافظوا على وعدهم في المستقبل وعملوا الصالحات فإن الله سوف يجزيهم الحسنة بعشر أمثالها .

خلال هذه الأيام الثلاثة كل حاج يستطيع سوف يذهب إلى المسجد الكبير (يعني الحرم) جارياً معظم الطريق وعندما يصلون إلى الكعبة سوف تتفجر عيونهم بالبكاء وبعد الطواف المعتاد والصلوات يعودون نشطين إلى منى » . ص (٥٥) .

نيبور .. الألماني

أما الرحالة **كارستن نيبور الألماني الأصل** فقد قدم إلى **الجزيرة العربية** في رحلة علمية استكشافية مع أربعة علماء آخرين في بعثة علمية أرسلها **الملك فردريك الخامس ملك الدانمارك** ، وقد انطلقت هذه الرحلة من **كوبنهاجن** يوم ٤ ينساير (كانون الثاني) ١٧٦١ م ، إلى **الإسكندرية** ثم إلى **جدة** ، ثم انطلقت من جدة إلى اليمن في أكتوبر (تشرين الأول) ١٧٦٢ م . لقد مات جميع أفراد هذه البعثة ولم يعد إلا نيبور الذي عاد إلى الدانمارك بعد غياب دام حوالي ست سنوات . لقد أصدر مشاهداته عن الجزيرة العربية في كتاب ظهرت الطبعة الإنجليزية الأولى منه تحت عنوان « **رحلات إلى بلاد العرب** Travels in Arabia » في منتصف عام ١٧٩٢ م .

ورغم أن نيبور قضى أغلب وقته في اليمن إلا أنه أعطى وصفاً للجزيرة العربية كما أثنى على **دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**

الذي أخبرنا بأنه ظهر في **العيينة** ودرس في **البصرة وبغداد** ، وسافر إلى **بلاد فارس** ، ولما كان نيبور مسؤولا من قبل ملك الدانمارك والأكاديمية العلمية للبحث عن تعدد الزوجات في الجزيرة العربية ، فإن نيبور اعترض بشدة على الفكرة التي تقول إن المرأة تعامل مثل العبد ويقول **إن المرأة العربية تتمتع بقدر كبير من الحرية ومن القوة في أسرتها** » ص (٨٧) .

يقول نيبور عن التجارة في نجد :

« سكان هذا القطر الواسع يشبهون العرب الآخرين في صفاتهم وأخلاقهم . لقد علمت أن سكان نجد يتبادلون التجارة فيما بينهم ومع جيرانهم ، ولذلك فإنه ليس من المستغرب بأن الأوروبي سوف يسافر بأمان في أبعد المناطق النائية في بلاد العرب » . ص (٨٦) .

بوركهارت .. السويسري

أما **جين لويس بوركهارت السويسري الأصل** الذي عاش في **لندن** وألف كتبه فيما بعد باللغة الإنجليزية فقد وصل إلى جدة في يوليو (تموز) ١٨١٤ م ، ولما كان **محمد علي باشا** موجوداً في الطائف في تلك الفترة بسبب حروبه في الجزيرة العربية فقد اتجه بوركهارت إلى الطائف لتقديم نفسه لمحمد علي باشا بواسطة طبيبه الأرمني الخاص **بوسري** . سافر بوركهارت إلى الطائف عن طريق مكة التي جاءها من الجانب الشرقي ووصل الطائف عن طريق **جبل الهدا** بعد ثلاثة أيام من سفره من جدة . تسلق بوركهارت جبل الهدا الذي يقول إن سكانه من **هذيل** ، ووصف مساكنهم الحجرية التي أعجبه نظافتها حيث قضى ليلة بها وأعجب بجو البلاد والبساتين العامرة بها والتي تحوي أشجار فواكه متنوعة منها العنب بصورة خاصة . سافر بوركهارت من الطائف إلى مكة مع قاضيها بعد أن سمح له محمد علي باشا بذلك ودخل إلى مكة في نهاية شهر سبتمبر (أيلول) حيث يوافق نهاية شهر رمضان . لقد أعجب بوركهارت بهذه الرحلة مع هذه المجموعة حيث قضى أغلب الوقت في التسلية والترفيه والأحاديث والنكات المتبادلة ، وأحرم من **وادي محرم** ، ونزل جبل الهدا وبعد ذلك قابلتهم عواصف وأمطار وسيول شديدة . وحتى بعد انجلاء الأمطار والسيول قابلهم في الليل سحاب ، وأنه بصعوبة أوصلتهم الحمير إلى عرفة بسبب الصعوبة في السير على الطمى .

يصف بوركهارت **وقت الإفطار في شهر رمضان بالحرم المكي** في ذلك الوقت فيقول : « يجتمع الحجاج في مجموعات كبيرة في المسجد للعبادة . كل شخص يحمل في منديله قليل من التمر وقطعة من الخبز والجبن أو بعضاً من العنب ويضعه أمامه منتظراً اللحظة التي يرفع أذان صلاة المساء وهي اللحظة التي يفطر فيها الصائم . خلال هذه اللحظة من الترقب يقدمون بأدب لجيرانهم بعضاً من طعامهم ويأخذون طعاماً من الآخرين . بعض الحجاج حتى يحصلوا على سمعة بأنهم من المحسنين يذهبون من رجل إلى آخر ويضعون ما معهم من لقيمات من الطعام ويأتي الفقراء لالتقاط الطعام من الأشخاص الذين وضع أمامهم . حالما يبدأ الإمام بقول الله أكبر يسرع كل شخص لكي يشرب من دورق الزمزم الذي وضع أمامه بعد أن يكون قد أكل شيئاً ما حتى يؤدي الصلاة مع الجماعة . بعد ذلك يعودون إلى منازلهم لتناول طعام العشاء ويعودون لزيارة المسجد للاشتراك في صلاة المساء الأخيرة » . ص (١٠٢) .

ويقيم بوركهارت في مكة حتى يؤدي فريضة الحج الذي كان أول يوم فيه يوم ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨١٢ م ، وقد أطلقت المدافع عند فجر ذلك اليوم ، ثم يورد وصفاً دقيقاً لمناسك تلك الفريضة ، ويبين أنه في تلك السنة مات كثير من الحجاج بسبب شدة الحرارة ويقول بوركهارت إنه اشترك بنفسه في محاولة إنقاذ حياة أحد الحجاج المغاربة الذي طلب أن يبلل جسمه بماء زمزم قبل الموت . وبعد إتمام فريضة الحج يسافر بوركهارت إلى جدة حيث يقيم بها مدة من الزمن ويعود بعد ذلك إلى مكة حيث يطوف بنواحي مكة ويشتكي من كثرة الروائح بسبب كثرة الجمال المذبوحة والأغنام التي تركت بعد أداء الأضاحي والفدية من قبل الحجاج .

يصل بوركهارت إلى المدينة يوم ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٨١٥ م ، فيورد وصفاً في كتابه « رحلات في بلاد العرب Travels in Arabia » الذي ظهر في لندن في عام ١٨٢٩ م ، للمسجد النبوي بما فيه مدافن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وأبو بكر ، والروضة ، ومدافن المدينة والمناطق الزراعية المحيطة بها ومناطق الزيارة من أمثال **جبل أحد** الذي زاره ووصف **موقعة أحد** الشهيرة ومدفن **حمزة عم النبي** (صلى الله عليه وسلم) .

غادر بوركهارت المدينة إلى مصر يوم ٢١ أبريل (نيسان) ١٨١٥ م ، عن طريق ميناء ينبع ، وفي رحلته من المدينة إلى ينبع يصف العواصف الرملية التي واجهتهم ويذكر نزوله بالصفراء وبدر الحنين حتى يصل ينبع يوم ٢٨ أبريل (نيسان) . توفي بعد ذلك بوركهارت بالقاهرة في أكتوبر (تشرين الأول) ١٨١٧ م ، وهو ما يزال ابن اثنين وثلاثين عاماً وترك خلفه كتابه « رحلات في بلاد العرب » و « ملاحظات حول البدو والوهابيين Notes on the Bedouins and the Wahabis » و « الأمثال العربية Arabic Proverbs » .



★ ريتشارد بيرتون ★

بيرتون

أما **ريتشارد بيرتون** الذي ترجم **ألف ليلة وليلة** إلى اللغة الإنجليزية، وأصدر في عام ١٨٥٥ م، كتابه «**حج إلى المدينة ومكة** A Pilgrimage to Al-Medinah and Meccah». فيشك في صدق نواياه العلمية بسبب تعصبه الصليبي الواهم وميوله السياسية. وقد عمل قنصلاً لبلاده بعد عودته من الحجاز في **البرازيل وسورية**. وقد قام بهذه الرحلة بعد أن ساعدته **الجمعية الجغرافية الملكية** على تعلم العربية، وقد طلب مساعدة بالإضافة إلى إجازة لمدة ثلاث سنوات من **شركة الهند الشرقية** التي كانت وسيلة للاستعمار البريطاني. الملاحظ أن بيرتون الذي زار المدينة في عام ١٨٥٣ م، ثم زار مكة في نفس العام وصعد إلى منى يوم ١١ سبتمبر (أيلول) ١٨٥٣ م، ركز على وصف العادات الاجتماعية والمواقع الجغرافية حيث نجد في كتابه الكثير من الكلمات التي تدل على عادات اجتماعية مثل شكدف، لثام، جنبيه، مشعاب، كوفية، مزور، مطوف، سويك، منبر، حجرة، زائر.. إلخ. كذلك يصف قبائل الحروب والحوازمة ويصف طبائع وعادات وأشكال وأجسام البدو مثل قولهم «إنهم قصار أقوياء. لم أر فيهم عملاقاً أو قزماً ولا سميناً. أحرار وسطاء، أصحب عزيمة وتصميم وقوة وحساسية مع رقة روح واعتزاز بالكرامة» ص (١٤٢ ـ ١٤٣).

أما الوصف الجغرافي فقد وصف ينبع والوجه والمدينة وبئر عباس. وعند سفره من المدينة إلى مكة أشار أنه توجد أربع طرق من المدينة إلى مكة طريق غير جبلي، طريق وادي القرى، **ودرب زبيدة الشرقي**. والطريق الشرقي الذي سلكه بيرتون في رحلته من المدينة إلى مكة.

وليم جيفورد بلجراف

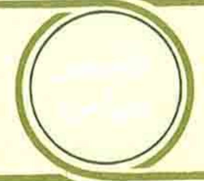
William Giffard Palgrave

الذي أصدر في حوالي ١٨٦٤ م، كتابه «**رواية شخصية لرحلة عام إلى وسط وشرق الجزيرة العربية** The Personal Narrative of a Year Journey Through Central and Eastern Arabia».

فلقد زار وسط وشمال الجزيرة العربية **والقصيم والزلفي**، ثم اتجه إلى **الرياض** حيث أقام بها حوالي ستة أسابيع بحجة أنه طبيب، وفي ضيافة **الأمير فيصل**. دخل بلجراف الرياض مع شخص يدعى **بركات ابوعميس**، ثم يصف الرياض «**بأنها عاصمة نجد وقلب الجزيرة العربية. إنها قلب القلب**» ص (١٧٨).

يصف الرياض عند دخوله بقوله «كبيرة ومستديرة الشكل، ومتوجة بقلاع عالية وجدران قوية للدفاع. عدد كبير من الخزانات من بينهم يظهر عمود الحصن القوي والغاضب غير المنسق للأمير فيصل. من حولهم السهل الذي طوله حوالي ثلاثة أميال والمغطى ببحر من النخيل والبساتين الناضجة إن صوت عجلات المياه تصلنا حيث توقفنا حوالي ربع ميل من أقرب جدار للمدينة» ص (١٧٨).

بعد إقامة دامت ستة أسابيع قرر بلجراف على إثر اكتشاف حقيقته الهرب من الرياض بمساعدة أبو عيسى وخادم يدعى مبيريك، هربوا والناس في الصلاة، واتجهوا إلى جنوب شرقي المدينة حتى وصلوا إلى مكان مغطى بالكتل الصخرية، وانتظروا هناك حتى حلول الليل ثم فر بلجراف مع بركات، واتجه بعد ذلك إلى **الهفوف والأحساء** ومن ثم إلى **قطر**.





★ جيفورد بلجراف ★

جورماني .. الإيطالي

الإيطالي الرحالة **كارلو جورماني** Carlo Guermani الذي أصدر في عام ١٨٦٤ م، كتاب الخمسة الذي يورد فيه صفات **الخيول العربية** في شمال الجزيرة العربية وزار **خيبر وبريدة وحائل والجوف**، وسجل مشاهداته في كتاب طبع في عام ١٨٦٦ م، بعنوان «**شمال نجد** Northern Najid» وقبل ذلك في عام ١٨٦٥ م، ظهر الكتاب في طبعة مختصرة بالألمانية. انطلق جورماني في يوم ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٨٦٤ م، مع شخص اسمه **محمد الجزاوي** وأربعة من قبائل الشامري من فلسطين وجلب معه إلى أوروبا وباريس عدداً من الخيول، وأغلب ملاحظاته حول الحروب بين القبائل في تلك المنطقة.

تشارلز دوتي

Charles M.Doughty

الذي جاب شرق وغرب ووسط الجزيرة العربية فقد سجل في كتابه «**رحلات في الصحراء العربية** Travels in Arabia Deserta» ما شاهده في جزيرة العرب لعامين قضاهما في سفر متواصل داخل الجزيرة العربية ما بين عام ١٨٧٦ م، إلى عام ١٨٧٨ م. لقد امتاز بوصفه لسلوك وعادات وطبائع الناس، ووصف **مدينة عنيزة** وأهلها وصفاً دقيقاً نتيجة لحسن الاستقبال والحديث مع بعض التجار المعروفين بتلك المدينة. يقول دوتي إنه بعد أن قابل **الأمير زامل** الذي أحسن استقباله وأكرمه تظاهر بأنه طبيب بالمدينة. اتصل به شخص يدعى **عبد الله الكنيياني**[1] وطلب من دوتي أن يزور أمه المريضة. ودار بينهما الحديث التالي بعد أن طلب من دوتي أن يمكث بمنزله:

«ألست أنت إنجليزي؟ من أي بلد أنت أخبرت الناس المتعصبين سكان هذه المدينة؟ أنا قضيت سنوات في البلاد الأجنبية ولقد سكنت في بومباي التي هي تحت الحكم الإنجليزي.. أخبرني ولكن لا تقل هذا للناس الجهلاء. شاهد دوتي مكتبة عبد الله بمنزله وشاهد بالمكتبة موسوعة عربية طبعت في بيروت. هذا المطلع الغني الواسع الأفق من التجار يعتبر نموذجاً خاصاً لسكان عنيزة» ص (٢٥٦).

ويذكر دوتي أنه التقى بعد ذلك بأسرة **عبد الله البسام** حيث أقام بمنزلهم الذي يدل على الغنى والتحضر وذكر أن آل البسام يمتلكون منزلا كبيراً بجدة ووكالة تجارية. ثم تناول الطعام معهم حيث يقدم على كرسي مرتفع مع مشهيات وفواكه متنوعة» ص (٢٥٧).

الليدي آن بلنت

Lady Anne Blunt

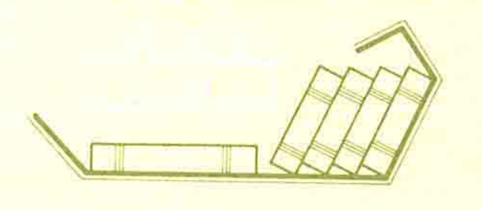
زارت نجد في عام ١٨٧٩ م، مع زوجها **ويلمفرين ساكون بلنت** Wilfrid Scawen Blunt، فقد سجلا رحلتها في كتاب «**حج إلى نجد** Apilgrinage to Najid». وقد قامت **دار اليمامة للترجمة والبحث والنشر** بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية.

إن بلنت التي انحدرت من أسرة أرستقراطية إنجليزية ذهبت للبحث عن الخيول العربية وسجلت ملاحظاتها ومشاهداتها بصور رومانسية شاعرية كيف لا وهي حفيدة **اللورد بايرون**. تقول في كلمات كتبتها على **جبل شمر**:

«إنه مثل الحلم أن أكون جالسة هنا أكتب مذكراتي على صخرة من جبال شمر. عندما أتذكر منذ سنوات مضت عندما قرأت ذلك الوصف الرومانتيكي للمستر بلجراف الذي لا يصدق أحد بأن تكون دولة مثالية في قلب الجزيرة العربية وكيف في البعيد جداً بل غير حقيقي. كل ذلك يظهر كيف في سفرتنا الأخيرة نسمع عن نجد وحائل وهذا جبل شمر الذي يتكلم بحبه من قبل كل الذين يعرفون هذا الاسم. أشعر بأننا حققنا شيئاً لا يستطيع كل فرد أن يحققه. ويصرح ويلفرد الآن بأنه سوف يموت سعيداً حتى ولو قطعت رأسانا في حائل» ص (٢٧٩ ـ ٢٨٠).

الهوامش

(١) هكذا أورد اسمه في الكتاب ص ٢٥٦ EL-Kenneyny، ولكن الاسم الحقيقي هو الخنين.



التخطيط والتنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية

تأليف : د . أحمد العلي الصبّاب

عرض وتلخيص : عبد السلام هاشم حافظ

موضوع الكتاب هو حديث الساعة ، ومنذ أكثر من خمسة عشر عاماً ، وبلادنا تعايش التخطيط والتنمية على أعلى مستوى كمنهج حياة وعمل دائب للتطور في جميع المجالات .

ومؤلف الكتاب **الدكتور أحمد العلي الصبّاب** ـ هو مدير مركز البحوث والتنمية ورئيس قسم إدارة الأعمال بكلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبد العزيز ـ وهو إذا كتب في موضوع (**التخطيط والتنمية الاقتصادية في المملكة العربية السعودية**) إنما يتناول بحثاً من تخصصاته وكخبير ممارس يستطيع الاستعراض الوافي والشروحات المطلوبة في هذا الباب ، بل إنه لضع النقاط على الحروف ـ كما يقال ـ مشيراً ومعقباً ومشاركاً في الإعداد والإيضاح . . لهذا كان كتابه هذا دقيقاً ومركزاً في الأبحاث التي عالجها مع التطلعات البعيدة إلى نشدان حياة أفضل ومستقبل أروع .

جاء الكتاب ـ قرابة مائتي صفحة ـ في بابين رئيسيين : شغل **الباب الأول** نحو ربع الكتاب ، بينما شغل **الثاني** ثلاثة أرباعه . . وانقسم الباب الأول إلى فصلين كل فصل دار على مبحثين : فتناول الفصل الأول جوانب التخلف الاقتصادي والتنمية الاقتصادية ، فنتعرف على المظاهر الأساسية لتلك الجوانب التي تكاد تنحصر في ثلاثة أمور :

(١) انخفاض مستوى الدخل الحقيقي للفرد .

(٢) تخلّف طرائق الإنتاج وانخفاض مستوى الإنتاجية .

(٣) البطالة .

ثم نرى من **أسباب التخلف الداخلية في المجتمعات النامية** : عدم كفاية رؤوس الأموال . والمشكلة السكانية . وانتشار الأمية . ثم القيم السلبية في المجتمع بما فيها سلبية المثقفين وعدم تحديد الأهداف ووضوح الرؤية تجاه المشكلات .

ومن **أسباب التخلف الخارجية** : سيطرة الدول المتقدمة . والتخصص في إنتاج المواد الأولية وانهيار أسعارها حتى في معدلات التبادل .

بعد ذلك يتحدث المؤلف عن **الخصائص الأساسية للبنيان الاقتصادي السعودي** وميزته ، والاختلافات بينها وبين ميزة اقتصاديات الدول النامية في البنيان الاقتصادي . . ومشكلة رؤوس الأموال . واختلاف الإنتاج البترولي عن الإنتاج الزراعي . وبعد شيء من الاستطراد

★ د . أحمد العلي الصبّاب ★



يقول المؤلف في حديثه عن (**طبيعة المشكلة السكانية**) : « ومن الممكن بشكل عام أن تعتبر المملكة العربية السعودية بلداً متقدماً إذا أخذنا في الاعتبار متوسط نصيب الفرد من الدخل ـ مع ما يؤخذ على هذا المعيار من اعتراضات كثيرة ـ ولكن بالمقاييس الأخرى ما زال الاقتصاد السعودي في حاجة إلى قطع شوط طويل في مضمار التنمية ، فما زالت القاعدة الإنتاجية غير البترولية في اقتصاد المملكة تحتاج إلى الوقت الطويل لنموها وتنويعها ، والسبيل أمام المملكة القضاء على العقبات التي تعوق مسيرة التنمية هو العمل على الاستخدام الأمثل للطاقات المتاحة بالمجتمع السعودي لتحويل الغنى المالي إلى غنى اقتصادي حقيقي » .

وبعد الحديث عن (جوهر مشكلة التخلف الاقتصادي) يأتي المبحث الثاني عن نظريات التنمية الاقتصادية وآراء بعض الاقتصاديين فيها . . ثم يأتي الفصل الثاني ليتحدث عن التخطيط الاقتصادي بأنواعه الثلاثة من حيث المركزية والشمول والبعد الزمني كخطة طويلة الأجل أو متوسطة أو قصيرة . ثم عن عمليات إعداد وتنفيذ الخطة متوسطة الأجل : كالعمليات السابقة على إعداد الخطة . وعمليات إعدادها وتنفيذها .

وإذا جئنا إلى **الباب الثاني من الكتاب** نتعرف على **التخطيط والتنمية في بلادنا المملكة العربية السعودية** بمناطقها الأربع التي تبلغ مساحتها (٢,٢٤٠,٣٥٠) كيلومتراً مربعاً ، فنستمع للمؤلف وهو ينقل عن التقرير السنوي العام **لمؤسسة النقد العربي السعودي** عام ٩٢ ـ ١٣٩٣ هـ : « ولقد أخذت حكومة المملكة العربية السعودية على عاتقها تحقيق تنمية اقتصادية شاملة لينعم المواطنون بمزيد من الرخاء والازدهار ، وقد حددت لنفسها أهدافاً متكاملة مستعينة بفرص التنمية الفريدة التي تتيحها الموارد المالية المتزايدة ، فتحرص الدولة على إيجاد صرح قوي

من المرافق الأساسية والاجتماعية والاقتصادية اللازمة لتحقيق نمو مطرد وسريع لكافة قطاعات الاقتصاد خاصة قطاعات الزراعة والصناعة والتعدين، وتهدف الدولة إلى بناء قاعدة إنتاجية متنوعة وتحقيق توزيع عادل للدخل ورفع مستوى المعيشة لكافة قطاعات السكان حتى يتمتع كل فرد بنصيب عادل من الرخاء المتزايد في البلاد».

ويأتي الحديث عن (**بنيان الاقتصاد السعودي**) وملاحظة أربع مراحل لتطوره منذ نحو ربع قرن، حتى المرحلة الثالثة على عهد **الملك فيصل (رحمه الله)** ثم المرحلة الرابعة (التي شهدت تضاعف أسعار البترول وإيراداته من (٢,٣٤٠) مليون دولار عام ١٩٧٣م، إلى (٢٢,٥٧٣) مليون دولار في العام التالي ١٩٧٤م، مما أعطى التنمية الاقتصادية دفعة قوية وأتاح أمام المملكة العربية السعودية تلك الفرصة التاريخية التي نعيشها اليوم، للتقدم في جميع المجالات، وتم الانتهاء من خطة التنمية الأولى، ووضعت خطة التنمية الثانية للسير قدماً على طريق التنمية الاقتصادية الرشيدة).

وها نحن في عام ١٤٠٢هـ، نساير تحقيق خطة التنمية الثالثة.

ويشير المؤلف إلى أنه يمكن تقسيم اقتصادنا إلى قطاعين رئيسيين:

١ ـ قطاع البترول: وهو متقدم ومصدر لتراكم رأس المال وتحويل الفائض إلى القطاعات الأخرى.

٢ ـ قطاع الزراعة والصناعة والخدمات، وهو يتميز بعجز ويحتاج إلى عملية تمويل ويستخدم فائض القطاع الأول).

ثم يتجه المؤلف إلى الحديث عن تطور أجهزة التخطيط والتنمية في المملكة وما انعقدت لها من لجان وجلسات وما حدثت من عوائق حتى (إعادة تنظيم مجلس التخطيط) ثم تنسيق العمل التخطيطي في القطاعات المختلفة ومتابعة تنفيذ مراحل الخطة، ومن ثم كان **تحويل (الهيئة المركزية للتخطيط) إلى وزارة للتخطيط في عام ١٣٩٥هـ.**

ويطالعنا الفصل الثاني باستعراض خطة التنمية الأولى بالمملكة: (١٣٩٠ ـ ١٣٩٥هـ) ثم الفصل الثالث عن **خطة التنمية الثانية ١٣٩٥ ـ ١٤٠٠هـ**، ومراحل المتابعة والتنفيذ والمنصرفات الهائلة.

أما الفصل الرابع فيتناول الحديث عن (التطورات والمنجزات) ويبتدئه المؤلف بقوله: «من خلال الاستعراض السابق لخطط التنمية الأولى والثانية في المملكة، تتضح لنا الاستراتيجية الأساسية للتنمية في المملكة التي تجسدت في العمل على استخدام الطاقات الكامنة في المجتمع السعودي استخداماً أمثلاً والقضاء على الأسباب التي تقف دون هذا الاستخدام الأمثل عن طريق ثلاثة محاور رئيسية: التنمية الصناعية، التنمية الزراعية، تنمية الموارد البشرية. وفي ظل إطار من الحرية الاقتصادية والرعاية الاجتماعية طبقاً لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف».

ويواصل المؤلف حديثه حتى يتناول بالشرح مكانة الصناعة في الخطة الثانية ومشاريعها المتعددة في العديد من مناطق المملكة، ثم نعرف بأن عدد المشروعات الصناعية وصل إلى حوالي (٨٩٠) مشروعاً بنهاية الخطة الجارية، بالإضافة إلى **المجمعات الصناعية الرئيسية للبتروكيمائيات والصلب في الجبيل وينبع** وتوسعات أخرى في الصناعات التحويلية.

وهكذا يتواصل الاستعراض بالأرقام والبيانات فنتعرف على وسائل تشجيع **القطاع الخاص** في المجال الصناعي، وعن دراسات معهد **الأبحاث والتنمية الصناعية**، وخدمات **مركز الأبحاث والثروات المعدنية السعودية** والعلاقات في مجال الصناعة بالدول العربية. وعن التنمية الزراعية نتعرف على الكثير، إلى أن قال المؤلف: «ومن الجدير بالذكر أن الدراسات الاقتصادية أوضحت أن **المملكة تمثل المركز السادس بين الدول العربية التي بها موارد زراعية غير مستغلة وقابلة للاستغلال**».

وكما سبق أن أشار المؤلف إلى جدوى الإعانات المتصلة من الدولة لبعض المواد الغذائية، كذلك يشير إلى الدعم بالإعانات الزراعية في أرجاء المملكة سواء للأفراد أو الجماعات. ونتعرف كذلك على برامج تنمية المجتمع في بلادنا وعلى الوحدات الاجتماعية والصحية والتعليمية والزراعية.. ونشهد استطلاعاً عن (**مشروع الفيصل**) **للإعداد وتوطين البدو** عام ١٣٨٦هـ، وتشكيل هيئة لهذه الأقسام: الإنتاج الزراعي والحيواني وصيانة الآليات والآبار وتأمين المياه والخدمات الإدارية والمحطة الكهربائية.. وهذا المشروع (يقع جانبي وادي السهبا من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بعرض يتراوح ما بين ١ ـ ٣ كيلومترات بدون انحناءات رئيسية وبطول ٤٠٠ كيلومتر، ويحمي منطقة المشروع بكاملها سياج من السلك الشائك توجد به بدايتان). كما جاء في أواخر الكتاب الذي ينهي المؤلف استعراضاته بالحديث فيه عن تنمية القوى البشرية وأهدافها وسياساتها وأوضاعها وبرامجها.. وحتى على مستوى التحصيل العلمي للقوى العاملة وتطور اعتمادات التعليم في ميزانية الدولة.

وفي الكلمة الأخيرة (تلخيص وخاتمة) نقرأ عبارة للمؤلف كتعقيب مناسب تقول: «بقيت نقطة واحدة تستحق الإشارة إليها وقد ألمح إليها الكتاب عند الحديث عن معوقات التنمية، تلك النقطة هي الحاجة إلى مزيد من تفاعل المثقفين مع خطط وبرامج التنمية حتى تتكامل كل أدوات الدفع ووسائله».

وبعد، فإنه من غير شك بأن المستقبل ـ كما يقول المؤلف ـ مشرق زاهر لهذه المملكة السائرة على نهج سليم في كل شيء... والتفاؤل كبير بأن تحقق التنمية النجاح المنتظر بإذن الله.



ميلاد الجزر بين النار والجليد

٢

بقلم: د. مظفر صلاح الدين شعبان • مهندس. سمير صلاح الدين شعبان

★ جزيرة بورابورا في بولينيزيا الفرنسية . تعتبر هذه الجزيرة قمة بركان خامد وهي محاطة كلياً بالجروف المرجانية ★

عند الحديث عن الجزر لا يتمالك الإنسان نفسه من تذكر ظروف ميلادها الحامية ، وانبثاقها من تحت قاع المحيط بشكل صخور مصهورة . إن ميلاد الجزر محفوف بالنار والعنف ، فهي وليدة حركات الصخر المصهور في باطن الأرض . ومع أنه يصعب علينا أن نصدق أن هذه الجزر الجميلة التي تسلب الألباب بمشاهدها الساحرة قد تمخضت عن بركان مزمجر تحت الأرض ، إلا أن الحقيقة تبقى ذاتها سواء شئنا أم أبينا ، وهي أن معظم الجزر نشأت بهذه الطريقة ، أو كانت قمماً في سلاسل جبلية تحت الماء كشفتها القوى المؤثرة في الأرض بمرور الزمن .

ميلاد جزيرة

في السابعة من صباح ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣م ، لاحظ ربان إحدى سفن صيد الأسماك قرب شواطئ آيسلندة ، دخاناً يتصاعد من سطح البحر . اعتقد الربان أن النار قد شبت في إحدى السفن المنكوبة ، فاتصل بالراديو طالباً النجدة من الموانئ القريبة ، ثم اقترب بحذر من السفينة المحترقة لمد يد العون . وعندما اقترب صيادو الأسماك إلى حد كاف من موقع الحريق انكشفت لهم الحقيقة : كان أحد البراكين ينبثق من قاع البحر فوق سطح الماء ، وخلال ساعات معدودة تعالت أعمدة الدخان في السماء إلى ارتفاع بلغ ٣٦٥٠ متراً .

خلال الأيام والأسابيع والشهور التالية ، توافد الصحفيون والعلماء من مختلف أصقاع العالم لمشاهدة أحدث الجزر البركانية ودراستها . أمطرت طائراتهم وقواربهم الصغيرة بوابل من بخار الماء والرماد البركاني . وخلال أقل من شهر كان على الجزيرة متسع من اليابسة لاستضافة طاقم جريء من العلماء الفرنسيين لفترة وجيزة . نشأت هذه الجزيرة على بعد ١٠ كم أمام الشاطئ الجنوبي لآيسلندة وأطلق عليها اسم « **سورتسي** » .

انبثقت سورتسي من سلسلة جبلية مغمورة تحت مياه البحر أطلق عليها اسم « **سلسلة وسط الأطلسي** » تمثل ممراً بشكل خط منكسر من شمال الأرض إلى جنوبها على طول قاع المحيط الأطلسي . هذه السلسلة تمثل الحدود الفاصلة بين لوحين متحركين تحت قاع البحر . في هذه المنطقة التي يتباعد فيها اللوحان يتسرب الصخر المصهور (ماغما) عبر قشرة الأرض إلى السطح مولداً بركاناً يقذف المواد من باطن الأرض إلى خارج قشرتها ، التي يغمرها المحيط الأطلسي في هذه المنطقة .

خلال السنوات الثلاث التالية توالت الانبثاقات البركانية فوسعت سطح الجزيرة لتبلغ حوالي ٢٫٥ كم٢ . ورغم ذلك فقد اكتشفت البذور الأولى للنباتات فيها بعد أشهر معدودة من ميلاد الجزيرة . ويقوم العلماء بمتابعة دراسة الأحياء التي تظهر على الجزيرة وهم يراقبون تطور الجزيرة نفسها ويراقبون باهتمام بالغ أية دلائل تشير إلى احتمال تجدد النشاط البركاني فيها .

والجدير بالذكر ، أن المحيط الهادي أكبر محيطات الأرض ، وهو يحتوي أنواعاً متباينة من الجزر الشهيرة بجمالها وغرائبها . في القسم الجنوبي الأوسط منه تقع **جزيرة موريا** التابعة لبولينيزيا الفرنسية وهي تتميز بوجود جبال مسننة كحد المنشار ، كما تبرز فيها قمم حادة مطلة على البحر باستعلاء . وقد شكلت الشعب المرجانية « كاسر أمواج » طبيعي قام بحماية شواطئها من غضبات المحيط ، وهو يحيط بها إحاطة تامة تقريباً . هذه الحماية شكلت « حاضناً » طبيعياً لعدد كبير من الأحياء البحرية .

تشبه جزيرة موريا أخواتها في بولينيزيا الفرنسية في كونها القمة الكشوفة لبركان قديم ، ارتفع بالتدريج من قاع البحر بفضل « الإمداد » الذي يصله من الصخور المصهورة (الماغما) من باطن الأرض .

من ناحية أخرى ، تقع الجزر تحت رحمة العوامل الجوية المتغيرة بين البرودة والحرارة والأمطار والرياح وغيرها التي يطلق عليها اسم « **عوامل التعرية** » التي تمثل « مبرداً » حاداً في تغيير تضاريس جميع المرتفعات على الأرض .

تدل الدراسات أن البركان الذي تمخض عن موريا الجميلة قد لاذ بالصمت وخمد منذ مليوني سنة . فهل تلتزم الجزر الأخرى بهذه القاعدة أم أن بعضها يشذ عنها ؟ .

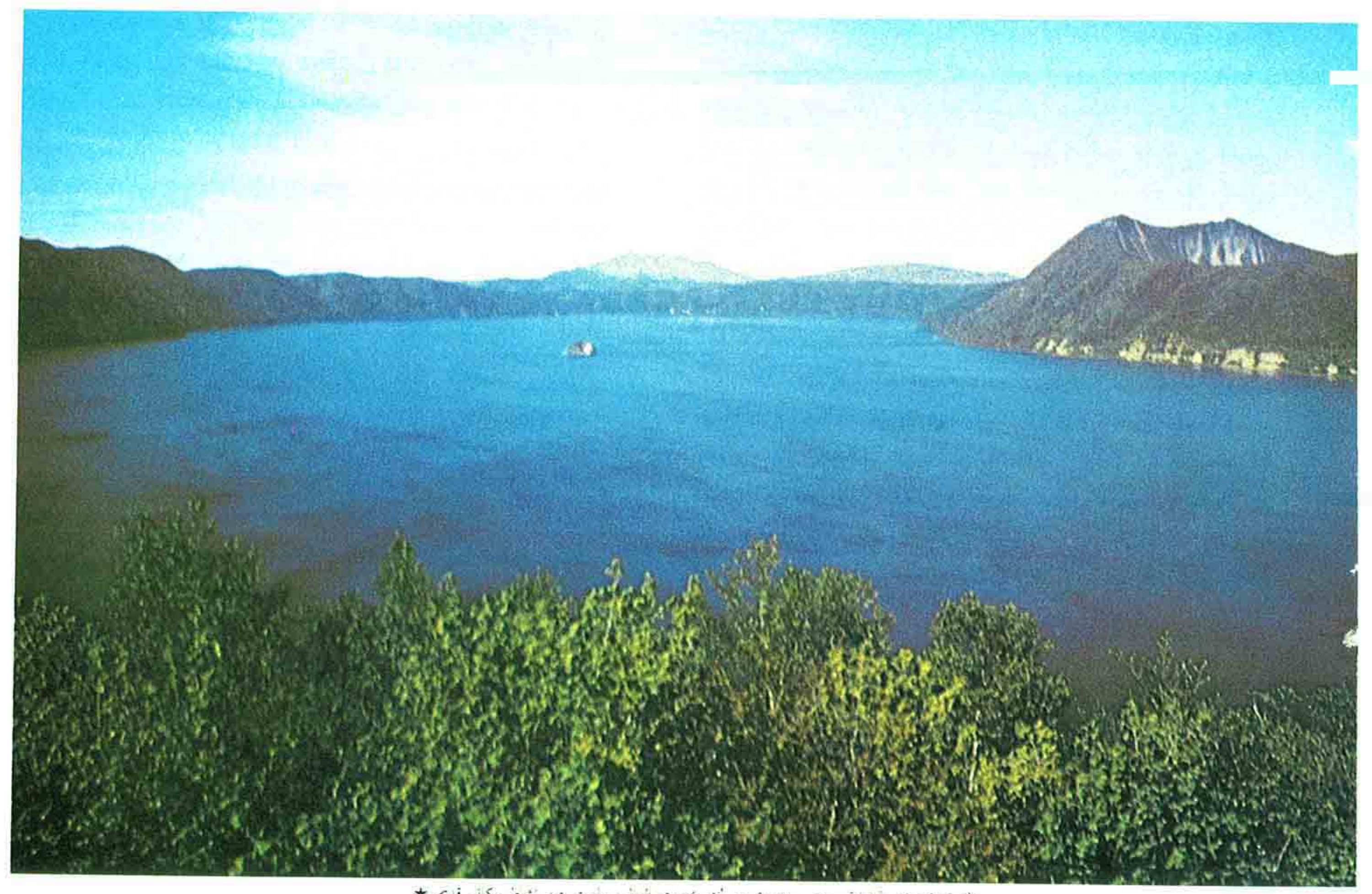


★ شلالات ماندراكا في مدغشقر ★

البركان المثالي

تتكون **الفيليبين** من عدد كبير من الجزر أكبرها جزيرة لوزون التي يقبع على نهايتها الجنوبية الشرقية **جبل مايون** ، أكثر البراكين في العالم تناسقاً وانتظاماً .

يمثل جبل مايون ـــ بالإضافة إلى انتظامه الزائد ـــ نموذجاً فريداً من البراكين التي تنمو ببطء عن طريق بناء « مخروطه » طبقة بعد الأخرى . وهذا يسمح بالتعرف على طريقة نمو البراكين تحت سطح الماء بالتدريج حتى « تمد رأسها » فوق سطح الماء . فعندما يثور البركان بدون عنف زائد تخرج من فوهته الصخور المصهورة ، وتتوزع على مختلف أنحاء المخروط البركاني مثل إناء يطفح بالماء الذي فيه ، وتتجمد عند ملامستها الهواء وجسم المخروط . في انفجار لاحق يقذف البركان الرماد والحمم البركانية التي تغطي الطبقة القديمة . في



★ بحيرة ماشو اليابانية ، وهي واحدة من أنقى بحيرات العالم ، ولدت عن نشاط بركاني قديم ★

مرحلة تالية تتدفق الصخور المصهورة على الطبقات التي تحتها وتغطيها بغلاف « متجانس السماكة » . . . وهكذا تستمر العملية فينمو المخروط البركاني من جهة ، ويكون نموه كامل التناظر ، وتصبح سفوحه متشابهة .

الليل البركاني

كانت « **جزيرة كراكاتوا** » من المشاهد المميزة للمنطقة الفاصلة بين **جزيرتي جاوا وسومطرا** في أندونيسيا ببركانها الذي يرتفع حوالي ٨٢٠ متراً فوق سطح البحر . لكن الأمور انقلبت رأساً على عقب في صيف ١٨٨٣ م ، فقد دبت الحياة فجأة في أوصال هذا البركان ، مما جعله على ألسنة الناس في جميع أنحاء العالم .

بدأت الكارثة في ٢٠ أيار (مايو) عام ١٨٨٣ م ، عندما « زأر » جبل كراكاتوا من الأعماق وسمعت « زمجرته » على بعد يزيد عن ٢٠٠ كم ، مطلقاً أثناء ذلك نفثة قوية من البخار والرماد والحمم البركانية . . . لكن ذلك لم يزد عن كونه « البداية » .

في ٢٧ آب (أغسطس) هز كراكاتوا واحداً من أرهب الانفجارات التي عرفها التاريخ المدون . فقد بلغ الانفجار قوة وصل دويه معها إلى أواسط **أستراليا** على بعد حوالي ٣٥٤٠ كم . وفجأة اندفع في السماء عمود أسود من البخار والرماد قدر بعض المشاهدين ارتفاعه بـ ٨٠ كم ، أدى توزعه في السماء إلى إحلال الليل في وضح النهار ساعات طويلة . بعدها بقليل طغت على الجزر المجاورة أمواج لا يعرف لها مثيلاً ، يزيد ارتفاعها عن ٣٠ متراً فأهلكت على الفور حوالي ٣٦٠٠٠ شخص في جزيرتي جاوا وسومطرا .

في ٢٨ آب (أغسطس) كان كراكاتوا قد أطلق ما حجمه ١٩ كيلومتراً مكعباً من الأنقاض والرماد والصخر المفتت ، حملتها الرياح فحجبت الشمس عن مناطق كثيرة من العالم ، يروي بعضهم أنها استغرقت أكثر من سنة كاملة . وبعد أن نضب معينه من (الماغما) انهار مخلفاً وراءه فوهة كبيرة قطرها ٦,٥ كم ممتدة إلى عمق قدره ٢٧٥ م ، تحت سطح البحر .

بعدها ظل بركان كراكاتوا هادئاً حتى عام ١٩٢٧ م ، ظهر على إثر نشاطه الجديد مخروط بركاني جديد في قعر الفوهة الأصلية أطلق عليه اسم « آناك كراكاتوا » (أي كراكاتوا الابن) وقد نما هذا الابن وترعرع حتى « مد رأسه » فوق سطح الماء إلى ارتفاع ١٥٠ متراً في عام ١٩٥٢ م .

ولكن ، هل يكون ميلاد الجزر مريعاً دائماً ؟ .

الجزيرة ابنة البحيرة

على طول الشاطئ الغربي للولايات المتحدة الأمريكية ، وبالضبط بين شمال ولاية كاليفورنيا وشمال ولاية واشنطن توجد سلسلة جبلية بركانية يزيد طولها على ١١٠٠ كم . قبل حوالي مليون سنة بدأ جبل مازاما بالارتفاع تدريجياً مع كل انبثاق بركاني بما يستقر على سفحه من صخور مصهورة حتى بلغ ارتفاعه قبل ٧٠٠ سنة ٣٦٠٠م .

وتماماً مثلما حدث في كراكاتوا فقد قامت « الأم » التي ولدته بتدميره في عام ٤٦٠٠ قبل الميلاد لتخلف وراءه فوهة كبيرة قطرها ١٠ كم وعمقها حوالي ١٢٠٠ م . استمر النشاط البركاني بعدها مولداً مخاريط بركانية قليلة الارتفاع .

بدأت الأمطار والثلوج الذائبة بملء بحيرة « كراتر » هذه التي لا مدخل ولا مخرج للماء فيها ، وعمقها ٥٨٩ م ، وتحيط بها جروف صخرية ترتفع فوق سطحها حتى ٦٠٠ م . ثم نما في قاع البحيرة مخاريط جديدة تمكن أحدها من « استنشاق » الهواء الطلق . وقد أطلق عليه اسم « الساحر » لأن شكله يشبه قبعة الساحر بينما بقي مخروطان آخران مغمورين بانتظار فرصة سانحة .

جزيرة تحت الثلج

جزيرة شبيتس بيرغن (أي القمم الحادة) هي إحدى جزر أرخبيل سفالبارد الذي يبعد حوالي ٦٤٠ كم إلى الشمال من يابسة النرويج في المحيط المتجمد الشمالي ، وهي تقارب مساحة سويسرا .

على الرغم من وجود بعض السهول على أطراف جزيرة شبيتس بيرغن وشواطئها ، إلا أنها تحوي في الداخل عدداً كافياً من القمم الحادة التي تجعلها تستحق لقبها بجدارة . وقد نشأ تسنن القمم الجبلية وكثير من الوديان عن الحت الجليدي في العصر الجليدي الأخير الذي ولى قبل حوالي ١٠٠٠٠ سنة ، بالإضافة إلى كثير من الخلجان المتعرجة .

★ جزيرة موري (البولينيزيا الفرنسية) ، إلا أن ولادتها تعود إلى ماض بركاني عاصف ★



المياه الدافئة التي تجلبها التيارات البحرية في شمال الأطلسي تعدل قسوة المناخ على سطح الجزيرة . ومع ذلك فإن الموقع الشمالي المتطرف للأرخبيل بأكمله يجعل اليابسة كلها عبارة عن « شواطئ متجمدة » وخاصة في فصل الشتاء أو تنخفض درجة الحرارة إلى ٤٠° تحت الصفر ، ولا تلوح الشمس الباهتة إلا لحظات قليلة عند الظهر . وعلى العكس ، بين نيسان (أبريل) وآب (أغسطس) فإن النهار طويل جداً ولا تغيب الشمس مطلقاً في أواسط الصيف وترتفع درجات الحرارة حتى تبلغ ١٠° مئوية . عندها يذوب الجليد السطحي وتتحرر طبقات التربة العليا من الجليد وتفتح الموانئ للملاحة البحرية .

وخلال وقت قصير جداً تتفتح براعم متنوعة كثيراً من الزهور البرية . وفجأة يجد « سكان » المنطقة الدائمون من الدببة والغزلان والثعالب أنفسهم أقلية بين العدد الهائل من الطيور المهاجرة ، التي تتغذى بأسراب الحشرات العملاقة . الصقور تبني أعشاشها في الجروف الصخرية ، وتصطاد الأسماك على طول الشاطئ . بعدها تغطس الشمس وتحتجب وراء الأفق ثانية . وقبل أن يمضي على ذلك وقت طويل تُغلق شبيتس بيرغن ثانية وترزح تحت سكون الشتاء المتجمد .

أكبر جزيرة في العالم

غرينلاند ـ هي أكبر جزر العالم على الإطلاق ـ . ومعظم أجزاء هذه الجزيرة القاسية ، العذراء يقع ضمن الدائرة القطبية الشمالية . في هذه البيئة القطبية يبقى ٨٥٪ من سطح الجزيرة مغطى بطبقة دائمة مستمرة من الجليد . تبلغ السماكة المتوسطة للجليد حوالي ١٥٠٠ متر ، إلا أن « **قبعة الثلج** » هذه يصل ارتفاعها في بعض المواقع إلى ٤٣٠٠ م ، وهي تحتوي على ١٠٪ من مجموع الثلج الموجود في العالم بأسره .

من ناحية أخرى فإن الجليد في حركة دائمة بشكل أنهار ثلجية . بعض هذه الأنهار يتدفق بسرعة عظيمة قد تصل حتى ١٠٠ م يومياً .

حالما تصل الأنهار الثلجية إلى البحر فإنها تتحطم مولدة جبالاً ثلجية عملاقة ، ترتطم بالماء بعنف ، ثم تسبح مبتعدة ببطء . وبصورة عامة فإن عدد الجبال الثلجية التي تقذفها غرينلاند سنوياً يتراوح بين ١٠٠٠٠ و ١٥٠٠٠ . وهكذا تقذف غرينلاند في البحر ما يعادل ٥٢٠ كيلومتراً مكعباً من الجليد سنوياً علماً أن الجبال الثلجية تسبب غرق كثير من السفن في شمال المحيط الأطلسي ، وهي تمثل عائقاً تكنولوجياً كبيراً لاستخراج النفط من الآبار البحرية المواجهة لشواطئ كندا الشمالية ـ الشرقية .

وهكذا فإن الثلج الذي يسقط على غرينلاند يجد طريقه ـ ربما ببطء ولكن بصورة مؤكدة ـ إلى البحر ثانية حيث يذوب ، ويرجع إلى دورة الماء في الطبيعة إذ يتبخر ويسقط مرة ثانية على سطح غرينلاند .

الرف الجليدي

بين عامي ١٨٣٩ و ١٨٤١ م ، حاول **الرحالة البريطاني جيمس كلارك روس** الوصول إلى **القطب الجنوبي** انطلاقاً من نيوزيلندة في المحيط الهادي . ومع أنه تغلغل ضمن خليج واسع من الجليد ـ أطلق عليه فيما بعد اسم **بحر روس** ـ إلا أنه لم يتمكن من الاستمرار في رحلته جنوباً ، فقد صده « حصن » مرتفع من الجليد العائم يحمي مسافة طويلة من شاطئ قارة

القطب الجنوبي . وقد أطلق على هذا الحاجز الطبيعي فيما بعد اسم «**رف روس الجليدي**» .

رغم محافظة الرف على موقع ثابت تقريباً إلا أن حالته أبعد ما تكون عن الثبات . فبمرور الزمن يتشقق هذا الجدار وتنهار بعض لبناته بشكل جبال ثلجية عملاقة تنزلق في الماء ، وتمخر عباب البحر شمالا . الناقلات النفطية العملاقة تبدو أشبه بنملة أمام فيل إذا ما قورنت مع الجبال الثلجية هذه التي يتراوح طولها عادة بين ٣٢ و ٤٨ كم ، وبعضها يزيد على ذلك .

نار تحت الرماد الثلجي

حاول روس جاهداً تجاوز هذا الحاجز العملاق من الثلج الذي يقارب فرنسا مساحة . وفي أثناء محاولته اكتشف بالقرب من إحدى نهايات الرف جزيرة جديدة (أطلق عليها فيما بعد اسم **جزيرة روس**) . أهم ما يميز هذه الجزيرة قمتان مغمورتان بالثلوج تخفيان تحتها مخروطين بركانيين : أحدهما خامد ، والآخر نشط .

يبلغ قطر فوهة البركان المنبثقة من «حوض الثلج» ٨٠٠ متر وهي تحتضن بحيرة تغلي فيها الصخور المصهورة عوضاً عن الماء . عند حواف البحيرة يوجد العديد من المخاريط البركانية الصغيرة التي تنفجر مرتين أو ثلاث مرات يومياً ، مطلقة قنابل من (الماغما) التي «ترتعد» أوصالها الدافئة . وتتجمّد فوراً لدى ملامستها الهواء البارد .

تنشط نوافير المياه الحارة قرب حافة البركان ، وفيها ينبثق بخار الماء بشكل نافورة في النقاط التي يتجمع فيها بشكل جيوب تحت سطح الأرض . هذه النوافير تحاط فوهاتها بجدران عالية من الجليد . وفي بعض المناطق الأخرى فإن الأبخرة المنطلقة تحفر في الثلج «كهوفاً جليدية» .

ما هذه النوافير؟ وهل لها شبه بينابيع المياه المعدنية الحارة ؟ .

فيما يلي سنستعرض بعض الأمثلة على «أثر النار» التي تعتبر واحدة من أشهر عجائب الطبيعة على أرضنا .

منارة البحر الأبيض المتوسط

تأجج الانبثاقات المتواصلة في سماء الليل **جعلت بركان سترومبولي** الإيطالي يستحق بجدارة لقب «**منارة البحر الأبيض المتوسط**» . يقبع بركان سترومبولي في أقصى شمال جزر ليباري الواقعة شمالي صقلية . هذا البركان يستمر في الانبثاق منذ فجر التاريخ المدون ، وهو من أكثر البراكين انتظاماً في العالم ، ويمكن التنبؤ بسلوكه بسهولة . فكلما مرت ١٥ ــ ٤٥ دقيقة

★ سحب من الغاز والبخار تتصاعد من جزيرة وايت النيوزيلندية ★



تطلق قمة البركان سحباً من بخار الماء و « جداول » من الحمم البركانية في السماء .

إلا أن انبثاقات سترومبولي ضعيفة و « لينة » إلى حد أنها قلّما تهدد المزارعين وسكان القرى في الجزيرة . ينطلق مخروط البركان من شاطئ البحر مباشرة ليصل إلى ارتفاع قدره ٣١٧٠ متراً ، فيقارب بارتفاعه جبل أتنا في صقلية ، أعلى البراكين في أوروبا كلها .

الانبثاق الأول الذي ولّد سترومبولي بدأ قبل حوالي مليوني سنة . واليوم تحتوي فوهة البركان على بركة من الصخور المصهورة . يتبرد السطح الخارجي للبركة حتى يبدأ بتشكيل قشرة صلبة على السطح « تخنق » ما تحتها . إلا أن تجمع الغازات تحت القشرة يزيد ضغطها بالتدريج حتى يصبح قادراً على نسف القشرة بانفجار صغير . وقد اعتاد الأهالي على بركانهم فهم لا يخشونه إلا عندما يصمت ، لأن ذلك يعني أن الضغط بداخله يرتفع إلى درجات عالية جداً تهدد بانفجار كبير . ففي عام ١٩٣٠ م ـ مثلاً ـ صمت البركان فترة طويلة ، بعدها انفجر فجأة مطلقاً سحابة على هيئة الفطر ، ارتفعت فوق القمة حوالي ٣ كيلومترات رافعة معها صخوراً عظيمة الحجم . وقد حدث انفجار عملاق آخر عام ١٩٥٤ م . ورغم ذلك فإن القاعدة الأساسية الناظمة لسلوك سترومبولي هي : صمته يمثل إنذاراً بالخطر المحدق .

الينبوع الذي يغلي

منذ القرون الوسطى اشتهرت آيسلندة بالعدد الكبير من الينابيع المعدنية والنوافير الساخنة ، وأكثرها إثارة هي **غيزير** التي اتخذت أصلاً من اشتقاق الكلمة الإنكليزية التي تعبر عن الينابيع الحارة المنبثقة . ورغم أن نبع غيزير فقد تفرده في العصور الحديثة ، إلا أن العديد من ينابيع المياه الحارة يحافظ على « فقاعاته » في منطقة الحرارة الجوفية نفسها في جنوب غربي آيسلندة . فبمعدل كل ٤ ـ ١٠ دقائق يقذف نفثة من الماء الغالي إلى ارتفاع يصل إلى ٣٠ متراً في السماء .

تنتج هذه الانفجارات عن تذبذب سوية الماء في الحوض الذي يحضنها . وعندما تزداد الحركة المتداخلة في الماء ، يرتفع مستوى الماء ليشكل قبة (انظر الشكل) ، بعدها ينفجر بشكل عمود من البخار مصحوب بقطرات صغيرة من الماء . سحب البخار ترتفع وتتلاشى ، لكن قطرات الماء ترجع إلى الحوض كي تساهم في الانبثاق التالي .

حلقة النار

إن إلقاء نظرة سريعة على خارطة البراكين الرئيسية في العالم توضح فوراً أن غالبيتها العظمى تتوضع حول حدود المحيط الهادي . فاعتباراً من السلاسل الجبلية في أميركا الجنوبية يمتد خط من البراكين شمالا حتى يصل إلى الاسكا . ثم يرسم هذا الخط قوساً كبيرة لتتابع طريقها جنوباً عبر جزر غرب المحيط الهادي حتى تتجاوز نيوزيلندة .

وتقدم **نظرية « انزياح القارات »** التي سبق ذكرها تفسيراً لذلك . تقترح النظرية أن البراكين نتجت عن الحركات المتولدة عن توسع قاع البحر . في شرق المحيط الهادي تم إضافة حزام من المواد الجديدة باستمرار إلى قشرة الأرض عند قاع البحر . وهذا يسبب بدوره تحريك الأجزاء القديمة من القشرة شرقاً وغرباً مثل سيور ناقلة عملاقة . وهذا يدفع الألواح المتحركة إلى التصادم فينزلق أحد الألواح تحت الآخر بعنف .

تؤدي هذه « الاصطدامات » إلى كل من الزلازل والانبثاقات البركانية العنيفة . عندما يلتقي لوح محيطي مع لوح قاري (من اليابسة) عندها تتشكل الجبال عن طريق لي (ثني) طبقات الصخور وتراكم الصخور المصهورة . عندما تنزلق الألواح المتحركة تحت البحر ـ كما هو الحال في اليابان وأندونيسيا ـ عندها تنشأ سلاسل مقوسة من الجزر البركانية وتبرز من قاع البحر . في الفقرات التالية سنحاول تتبع القسم الغربي من حلقة النار .

ينابيع الوحل

لو نقبنا في العالم كله لما وجدنا موقعاً مشابهاً لمدينة بيبو في كثرة ينابيعه الحرارية الجوفية وتنوعها . قرب هذه المدينة الواقعة في شمال شرقي جزيرة كيوشو اليابانية يوجد أكثر من ٣٥٠٠ نبع حار ونافورة . تطلق هذه الينابيع مجتمعة ما يعادل ٥٥٠٠ متر مكعب من الماء يومياً ، وهي شاهد حي على النشاط البركاني قريب العهد نسبياً .

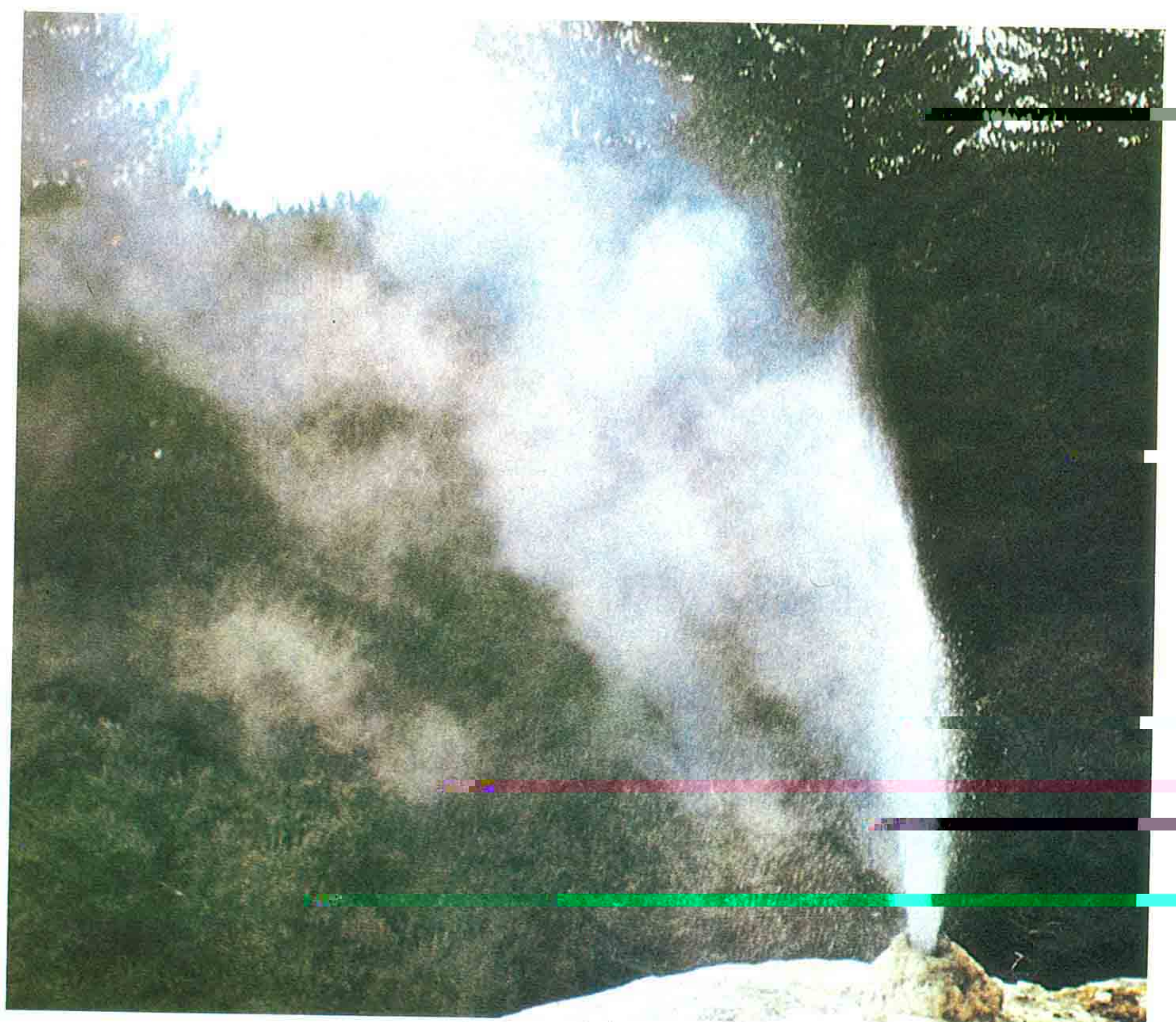
أكثر الانبثاقات غرابة في بيبو تأتي من « **جيفوكوس** »(*) ، ويطلق عليها أيضاً اسم « **جهنم الحامية** » . برك الماء الغالي هذه تطلق تركيبات متنوعة من الغازات ، والماء الساخن ، والفلزات المعدنية ، ويصحب ذلك غالباً أصوات انفجارية مرتفعة . أكبرها هو « أومي جيفوكو » الذي يحتوي رواسب تعكس ألوان السماء . وعلى العكس فإن « تشينويكي جيفوكو » مملوء بالماء بلون خضاب الدم الأحمر . ويظهر هذا اللون نتيجة لعمليات الأكسدة (أي الاتحاد مع الأوكسجين) . أما « بوزو جيفوكو » فإنه يصدر فقاعات من « الوحل » بينما يطلق « تاتسوماكي جيفوكو » نفثات من البخار المضغوط بصورة دورية منتظمة كل ١٧ دقيقة .

لا تمثل بيبو منطقة سياحية فقط ، بل تستخدم مياهها الحارة في علاج بعض الأمراض وفي تدفئة المسابح العامة والمباني الحكومية والمستنبتات الزجاجية وحتى المنازل في عصر بهظت فيه أسعار النفط خاصة والطاقة عامة ، خاصة في اليابان التي تستورد جل حاجتها من النفط ومصادر الطاقة الأخرى . أحد المختبرات الجامعية في المدينة تخصص في دراسة الينابيع الحارة ، حيث يقوم الباحثون بدراسة الإمكانات الأخرى للاستفادة من كل من الطاقة الجوفية والطاقة البركانية في اليابان وفي دول العالم الأخرى .

جيمي المزمجر

لعل نيوزيلندة من أكثر متاحف الجزر تنوعاً بما تحفظه من آثار قوى الطبيعة المختلفة بين أرجائها . أمام شاطئ نورث أيلند اكتشف أحد الرحالة البريطانيين في عام ١٧٦٩ م ، جزيرة صغيرة أطلق عليها اسم « **الجزيرة البيضاء** » ، ربما لأنها كانت مغطاة بطبقة من الرسوبيات بيضاء اللون في ذلك الحين . لا يزيد اتساع هذه الجزيرة الصغيرة عن ٣٢٥ هكتاراً وترتفع فوق مياه المحيط الهادي الزرقاء إلى ٣٢٨ متراً .

وعلى الرغم من صغرها فإن الجزيرة البيضاء تحتوي على كثير من الدلائل على استمرار النشاط البركاني في فوهتها الواسعة . **فهي** كلها لا تعدو كونها الجزء البارز من بركان تحت الماء . برك الوحل تصدر فقاعات بدون انقطاع .



★ نافورة حادة في ريكروازيف (نيوزيلندة) ★

أحواض الماء تغلي ونفثات من بخار الماء والغاز تصفر عبر الشقوق الصخرية . أكبر هذه الفتحات يعرف باسم «جيمي المزمجر» ، الذي يطلق نفثات البخار المصحوبة بصوت يثير الهلع في النفوس .

ومن المعتقد أن «جيمي المزمجر» يقوم بدور «صمام أمان» يسمح للغاز المتجمع بالتسلل دون حدوث انفجار بركاني . ففي عام ١٩١٤م ، مثلاً فشل جيمي المزمجر بالقيام بهذه المهمة ، وتجمعت كمية كبيرة من الغاز تحت ضغط مرتفع . عندها «نظف» حنجرته بشكل انفجاري مفاجئ سبّب انهيار جزء من الفوهة وسقوطها ، كما تم إلقاء منجم استخراج زهر الكبريت إلى البحر .

الينابيع الحارة الانبثاقية

تنتج نوافير المياه الحارة في حال وجود الصخور الجوفية المصهورة (ماغما) القريبة من سطح الأرض . عندما يتغلغل الماء من سطح الأرض إلى باطنها فإنه يسخن في الشقوق الموجودة في الصخر الحار ويشكل بخاراً يبقى محبوساً فيرتفع ضغطه بالتدريج حتى يصبح قادراً على الانبثاق وشق طريقه عبر أحد الشقوق الضيقة .

بالطبع ، قد تؤدي عملية الانبثاق إلى انخفاض ضغط البخار ، مما يفقده القوة التي تدفعه إلى الأعلى . عندها يتوقف الانبثاق ريثما يرتفع الضغط إلى الحد المطلوب . وعند بلوغه تنبثق نافورة البخار مرة أخرى . وهكذا توجد بعض نوافير البخار التي تنبثق بصورة دورية منظمة تتراوح دوراتها بين عدة دقائق وعدة ساعات .

لماذا تغلي الينابيع الحارة وتنبثق النوافير؟ .

تنتج كل من الينابيع والنوافير الحارة ــ مثل تلك الموجودة في نيوزيلندة ــ من تجمع المياه الجوفية بكمية كافية بالإضافة إلى مصدر للحرارة وممر مناسب للنفوذ إلى سطح الأرض . وتوجد عادة في المناطق البركانية ، حيث توجد مستودعات الماغما المصهورة أو تلك المتبردة ببطء بالقرب من سطح الأرض . يسخن الماء الواصل من سطح الأرض إلى جوفها عبر الشقوق الموجودة في

الصخر . فإذا توفر ممر واسع للوصول إلى سطح الأرض ، عندها يغلي بصورة مستمرة بشكل حوض أو ينبوع ساخن .

من ناحية أخرى تتميز النوافير الحارة بالانبثاق الانفجاري للبخار والماء الحار . عندما يمتلئ أنبوب النافورة بالماء ، يسخن الماء نتيجة احتكاكه مع الصخور الحامية ، لكنه لا يغلي بصورة فورية . فالماء في أعلى الأنبوب له وزن يضغط على الماء الموجود في أسفله مما يرفع درجة غليان الماء . وأحياناً يتم بلوغ هذه الدرجة المرتفعة ، عندها يتحول بعض ماء الأنبوب إلى بخار مما يسبب تناثر الماء من قمة الأنبوب . انخفاض الضغط المطبق على الأنبوب يخفض درجة حرارة غليان الماء في قعر الأنبوب فيتحول هذا الماء فوراً إلى بخار مرتفع الحرارة . يتمدد البخار أثناء تبخره فيطرد جميع الماء الموجود في الأنبوب بانبثاق انفجاري . يعقب ذلك فترة هدوء حتى يقوم الماء بملء الأنبوب مرة أخرى . وتبدأ دورة جديدة من الانبثاق مرة أخرى . . . وهكذا دواليك .

حقل النوافذ

تماماً مثل جنوب غربي آيسلندة ، فإن نورث أيلند في نيوزيلندة مشهورة بالعديد من الينابيع والنوافير الحارة . في القسم الشمالي من الجزيرة هناك عدة مناطق تكثر فيها المياه الحارة ، إلا أن منطقة الحرارة الجوفية وأكاريواريوا تستأثر باهتمام الزوار . ورغم احتوائها على عدد من الينابيع الساخنة وبعض أحواض الوحل الغالي ، فإن الاهتمام الرئيسي ينصب على النوافير الخلابة للمياه الحارة المسماة بـ « سهل النوافير » وهو مجموعة من النوافير تنبثق من مدرج كبير مؤلف من أكسيد السيليسيوم . الدرجة تتشكل من فلزات معدنية كانت ذائبة في الماء المتصاعد بشكل بخار . مجموعة أخرى من النوافير اسمها « ريش أمير ويلز » تصدر نفثات من الرذاذ يصل ارتفاعها إلى ١٢ متراً .

في هذه الجزيرة أيضاً **النافورة الحارة « بوهوتو »** وهي أكبر النوافير

★ كهف نبتون في سردينيا . هذا الكهف مغطى جزئياً بمياه البحر ، وهو يعتبر إحدى عجائب تشكلات الأرض والبحر ★



الحارة النشيطة في نيوزيلندة كلها وتولد نفثات يصل ارتفاعها إلى ٣٠ متراً. بوهوتو تتصرف بشكل عشوائي تماماً لا يمكن التنبؤ به. في عام ١٩٢٦ م، انبثقت ٦١٣ مرة، ولكن منذ نيسان (أبريل) عام ١٩٣٢ م، وحتى حزيران (يونيو) عام ١٩٣٤ م، لم يولد أي عمود من الماء. وبينما تستغرق النفثة المتوسطة ٢٠ دقيقة فإنها استمرت في أحد الأيام في الانبثاق أكثر من ١٢ ساعة متواصلة.

النوافير الحارة التي تتغذى من خزان مشترك من الماء شديد السخونة تظهر تناغماً وإيقاعاً مثيراً في انتظام دورات نشاطها. وقبل أن يثور بوهوتو مباشرة يبدأ الماء في نبع الماء الساخن المجاور بالغليان والطفح. بعدها عندما تنبثق النافورة ينخفض مستوى الماء في النبع (الخزان). وبالطريقة نفسها يبدأ «ريش أمير ويلز» بالانبثاق قبل عدة ساعات فقط من انبثاق بوهوتو ثم يهمد مباشرة قبل أن يبدأ بوهوتو.

سكان قرية موري المجاورة لمنطقة الحرارة الجوفية يستخدمون الينابيع الحارة في الاستحمام وغسل الملابس وفي الطبخ. وهم يحافظون عليها جيل بعد الآخر. سكان المدينة المجاورة روتوروا بدورهم استأنسوا الطاقة الجوفية المتاحة بكثرة في تدفئة المنازل بالإضافة إلى العديد من الاستخدامات الأخرى.

جدار بحري من «الجث»

من يزور **جزيرة «موين» في الدانمارك** يجد أن معظمها يتشكل من السهول التي ترتفع بالتدريج حتى تنتهي بهاوية مطلة على بحر البلطيق من ارتفاع يصل إلى ١٤٠ متراً. هذا الجدار الصخري الأبيض أو «الجرف» يتلقى الأمواج الغاضبة منذ آلاف السنين. لقد هاجمته مياه البحر بقسوة وشوهته وجعلته متعرجاً وكأنه يتلوى من الألم.

يتكون هذا الجرف الشاقولي تقريباً من نوع طري من أنواع الحجر الكلسي هو الحوار الذي ترسب مع بقايا الكائنات البحرية قبل حوالي ٧٠ مليون سنة، ثم لعبت قوى الطبيعة دورها في رفعه فوق سطح البحر. أثناء العصر الجليدي قامت الأنهار والكتل الثلجية العملاقة بتشويه شكل الطبقات العليا من الحوار وشققته إلى قطع كبيرة انفصلت بالتدريج مخلفة وراءها «جدراناً» متعامدة تقريباً مع اتجاه الأمواج ومستوى بحر البلطيق.

سبب ارتطام الأمواج بالجرف مع تتابع المد والجزر انهيار بعض قطع الصخر الحواري وسقوطها إلى قاعدة الجرف وتجمعها هناك. وهكذا فإن طبقات الحوار التي تكون جرف موين تتعرض لتغيرات مستمرة، وإن كانت بطيئة. الطبقات التي ترسبت من العصر الجليدي تنحدر في المنخفضات، كما تسقط الصخور من آن لآخر. الأمواج بدورها «تقص أرجل» الجرف وتغير مظهرها باستمرار.

كيف يقوم البحر بمهاجمة الجرف ونخره؟ السواحل الصخرية تتآكل بصورة رئيسية نتيجة الحث الميكانيكي الذي تقوم به كل من الأمواج المرتطمة بالشاطئ وتيارات المد والجزر. ورغم ذلك فإن بعض العمليات الأخرى تساهم أولا في إضعاف بنية الصخور. فالملح الموجود في ماء البحر يخرب بعض أجزاء الصخر مما يؤدي إلى تفتيته. ماء البحر بدوره يدخل ضمن الأخاديد المحفورة في الصخر ويساهم في توسيع الفتحات. في الأقاليم الباردة يتجمد الماء المتغلغل فيكبر حجمه أثناء التجمد «فيفلق» الصخر.

كذلك تساهم أحياناً بعض النباتات وإفرازات الحيوانات في عملية التفتيت وزرع الحفر الصغيرة في الصخر.

إلا أن الأمواج المرتطمة تقوم بالدور الرئيسي في عملية التخريب. **فهي** تصدم الجرف بقوة عظيمة وتخرب قاعدته وعند تخريب جزء كبير من قاعدة الجرف، قد تسقط الصخور العليا التي بقيت «معلقة في الهواء». الصخور الساقطة حادة الأطراف تدفعها الأمواج أحياناً على الجرف الأساسي فتسرع الانهيار، كمن يستخدم إزميلاً في عملية حفر.

هذه القوى المتساندة لا تنخر الجروف فحسب، بل تشكل العامل الأساسي في إعادة تشكيل اليابسة مثل الرؤوس، الكهوف، الألسنة البحرية وغيرها. وهذا ما دفعنا إلى استعراض كيفية حدوث عملية النخر لأنها واسعة الانتشار في مختلف أنواع الجزر. طبعاً يختلف التأثير من موقع إلى آخر حسب تركيب الصخر ومقاومته للحت وكذلك في طبقات الصخور الأفقي أو العمودي، وقوة الأمواج في تلك البقعة من البحر.

الأمواج تحفر نفقاً

لكن... ماذا سيحدث لو هاجمت الأمواج شاطئاً صخرياً مقاوماً للحت فيه «ثغرة» ضعيفة من الصخور الطرية؟ من البديهي أن لا ترحم الأمواج العاتية هذا العضو الضعيف بل تستمر في القضاء عليه شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى طبقات قوية تتصدى لها.

هذا بالضبط ما صنعته أمواج البحر الأبيض المتوسط قرب الحافة الشمالية الغربية **لجزيرة سردينيا الإيطالية** عند رأس كاكسيا الملتحم مع أحد الجروف. قامت مياه البحر بحت هذا الجرف عصوراً مديدة وتسللت تحت الجرف مذيبة جزءً من الحجر الكلسي الذي يستند عليه الجرف، لذا توجد في هذا الجرف «كهوف» عديدة أجملها وأشهرها جميعاً هو «غار نبتون» المسمى على شرف إله الماء الروماني. كان هذا الغار جافاً في البداية، لكن مياه البحر غمرته عندما ارتفع منسوبها بعد ذوبان الكتل الثلجية في نهاية العصر الجليدي الأخير.

بمقدور الزائر أن يلج الكهف بقارب صغير ليجد أن مياه البحر قد صنعت بحيرة يبلغ طولها ١٢٠ متراً ويصل عرضها إلى ٥٠ متراً، كما يتدلى من السقف عدد كبير من «النوازل».

نسف سقف الغار

قد يحدث أحياناً أن تصادف الأمواج صخوراً ضعيفة تشكل جبهة واسعة، عندها لن تكتفي بحفر نفق تحت الجرف، بل تتابع زحفها في جميع الاتجاهات مدمرة ما يعترضها من هذه الصخور «أرضها وسماؤها» على حد سواء. وبالنتيجة فإن مياه البحر الزرقاء ترسم «خليجاً» وكأنه لسان البحر يلعق الصخور الطرية ببطء ولكن بصورة أكيدة.

نغادر غار نبتون ونتجه شمالا فنصل إلى الشاطئ الغربي لجزيرة كورسيكا الفرنسية المشهورة بجمال شواطئها. وأكثر ما يلفت النظر على شواطئها الغربية تلك السلسلة المتتالية من الخلجان، فما يكاد أحدها ينتهي حتى يبدأ الخليج التالي. ومن أكثر هذه الخلجان روعة **خليج بورتو** الذي تحتضنه مجموعة من الجبال المتعرجة ذات الانحدار الشديد.

الخليج مثلث الشكل تقريباً . يبلغ عرضه عند مدخله ٨ كيلومترات يتسع ليصل إلى ١١ كيلومتراً عند حافته المتصلة بالبر . يحتضن الخليج مجموعة من الصخور البلورية القديمة تتشكل بصورة رئيسية من أنواع مختلفة من الغرانيت التي رفعتها البراكين قبل حوالي ٣٠ مليون سنة . وفي الحقبة ذاتها تقريباً تشكل غرب حوض البحر الأبيض المتوسط .

ماء السماء

عند الحديث عن الجزر السابقة اقتصرنا على استعراض أثر ماء البحر وأمواجه على شواطئ الجزر وتشويهها فحسب . أليس لماء السماء دور يلعبه في رسم صور الجزر ؟ .

إن أي ذكر للحياة يثير في الذهن صورة الماء المتدفق أو الهاطل ، فالماء أصل كل شيء حي على الجزر أو على اليابسة على حد سواء . ويتلخص دور الماء الهاطل من السماء بإذابة فلزات الأرض ويقدمها سهلة المنال إلى جذور النباتات .

نقترب من الحدود الأميركية ــ الكندية على شاطئ المحيط الهادي فتواجهنا أكبر الجزر المقابلة لأميركا الشمالية في المحيط الهادي : **فانكوفر** التابعة لمقاطعة بريتيس كولومبيا الكندية . يلفت النظر في هذه الجزيرة تنوع تضاريسها : شواطئ صخرية وجيوب بحرية تتغلغل في البر مسافات طويلة . وجبال تكللها الثلوج ، وبحيرات وأنهار عذراء . إلا أن أكثر ما يثير الاهتمام تلك الغابات الكثيفة التي تذكر بالغابات الاستوائية العذراء بفضل أمطار الجزيرة الغزيرة وشتائها المعتدل اللطيف . اعتدال شتاء جزيرة فانكوفر ــ رغم وقوعها على خط العرض ٥٠ شمال خط الاستواء ــ يرجع إلى التيارات البحرية الدافئة التي تسبح فيها الجزيرة .

أكثر المناطق إثارة هي **غابة «كاثدرال غروف»** حيث تنمو الأشجار مثل الأقلام وتسمو بشكل متوسط إلى ارتفاع ٦٠ متراً وكأنها أبراج أو أعمدة شاهقة في كاتدرائية مبنية في قلب الغابة ، وهذا هو سبب التسمية . من ناحية أخرى فإن الجزر بركانية المنشأ ، لذا فهي شديدة الخصوبة . فإذا حصلت على كمية كافية من الأمطار عندها تسمو وترتفع سعياً «لمعانقة» الضوء الذي لا تتمكن من تركيب غذائها بدونه . غزارة الأشجار في كاثدرال غروف تمنع الضوء من الوصول إلى أرض الغابة إلا في حالات نادرة جداً . لذا لا تتمكن النباتات القصيرة من العيش على أرض الغابة . إلا أن الكائنات الدقيقة مثل البكتيريا والأشنيات تعطي جذوع الأشجار وأغصانها لونها الأخضر المميز الضارب إلى الزرقة ، في هذه البيئة الرطبة المساعدة لنموها .

معظم **أشجار كاثدرال غروف** دائم الخضرة ، تغطيه أوراق برية شبيهة بأوراق الصنوبر . بعض هذه الأشجار عمره أكثر من ٨٠٠ سنة ، أطولها ٨٣ متراً ، وهذا يعادل ارتفاع بناء حديث مكون من أكثر من ٢٠ طابقاً . الإحاطة بأضخم جذوع الأشجار هنا يتطلب تعاون ٦ رجال لأن قطر هذه الشجرة يقارب ٩ أمتار .

بين السماء والأرض

نعبر المحيط الهادي إلى الغرب ونصل إلى «**هوكايدو**» : الجزيرة الشمالية في اليابان . وفي أقصى شمالي الجزيرة يقع بصرنا على واحدة من أنقى البحيرات وأصفاها في العالم (**بحيرة ماشو**) . يحيط بهذه البحيرة «الهلالية» سفوح شديدة الانحدار كثيفة الغابات .

ربما يرجع سبب صفاء الماء ونقائه إلى عدم وجود نهر يرفد البحيرة ويغذيها ، وكذلك لا يوجد نهر يسحب ماءها . فكيف تبقى نسبة الماء فيها ثابتة الارتفاع تقريباً ؟ الماء الهاطل من السماء يعادل تقريباً كمية الماء التي تفقدها البحيرة عن طريق التبخر والتسرب إلى باطن الأرض .

تغطي **بحيرة ماشو** مساحة قدرها ٢٠ كيلومتراً مربعاً ويصل عمقها إلى ٢١٢ متراً . هذه **البحيرة خالية من الأحياء عملياً** ، وحيث إنها تسقى بماء السماء فحسب ، لذا فإن ماءها رائق شديد النقاء ويمكن رؤية الأجسام الغاطسة فيها حتى عمق قدره ٤٠ متراً تحت سطح الماء .

الهدير

قد لا تمد السماء الأرض ــ في بعض المواقع ــ بالماء الرقراق ، وإنما تقصفها بالثلج المندوف الذي تراكم بشكل هائل خلال العصر الجليدي الأخير . يؤدي تراكم طبقات الثلج فوق بعضها إلى زيادة العبء المحمل على أكتاف الطبقات السفلى فتنضغط متحولة إلى جليد قاس يشبه «المبرد» . يتوضع كثير من هذه الكتل الثلجية ــ عند تشكله ــ على مرتفعات جبلية منحدرة . ولا بد أن يأتي موعد انحدارها إلى قاع الوادي . ينتج عن ذلك في كثير من المواقع «أنهار ثلجية» تسبب حتاً عنيفاً للصخور والمنحدرات التي تمر عليها .

في آيسلندة ساهم أحد هذه الأنهار الثلجية في ميلاد أكبر شلالات آيسلندة ضمن «سرير» من الصخور البركانية البازلتية . «**ديتيفوس**» هو أجمل شلالات آيسلندة يقرع الأذن بهديره ويسحر العين بالضباب الخفيف الذي يطلقه تيار الماء المرتطم بالصخور على عمق ٤٤ متراً قبل أن يتلوى قليلاً ثم يشق طريقه إلى البحر .

الأرخبيل المتجمد

هل يقتصر تأثير الجبال الثلجية على شق مجرى نهر أو صنع شلال ؟ من يبحث في المناطق الباردة يجد أن العصر الجليدي الأخير ترك بصمات أصابعه على مختلف التضاريس في البحار والبحيرات والجبال والأنهار وغيرها . ومن الطبيعي أن تكون هذه الآثار أوضح كلما توغلنا في الدائرة القطبية المتجمدة باتجاه القطب الشمالي .

تقع **جزر لوفوتين** ومجاوراتها التابعة لمجموعة فيستيرالين ضمن الدائرة المتجمدة الشمالية إلى الجنوب الغربي من ساحل النرويج الشمالي . أقنية ضيقة جداً فقط تفصل أقصى الجزر شمالا عن اليابسة . تتكامل الجزر مع بعضها وكأنها صورة واحدة ممزقة إلى أجزاء ، تفصل بينها هذه الأقنية الضيقة الملتوية . هذه الجزر في الحقيقة ما هي إلا القمم الطافية لسلسلة جبلية كانت متصلة باليابسة في الأزمنة الغابرة ، بينما كانت الأقنية الفاصلة بينها عبارة عن وديان شقتها الأنهار الثلجية ثم طغى البحر على هذه الوديان وحولها إلى خلجان .

من يقترب من الأرخبيل من ناحية **خليج فست** الضيق يواجه مشهداً

لا ينسى : يرى أمامه حاجزاً جبلياً مستمراً ــ ظاهرياً ــ ينبثق فوراً من سطح الماء ليبلغ ارتفاعاً يزيد عن ٩٠٠ متر . هذا الحاجز المسنن أطلق عليه اسم **«جدار لوفوتين»** .

في أقصى جنوب مجموعة الجزر تقع واحدة من أكثرها إثارة اسمها **«موسكينيسوي»** . يبلغ طول هذه الجزيرة حوالي ٣٥ كيلومتراً وعرضها ١٠ كيلومترات وهي مليئة بالقمم المسننة الحادة التي تفصل بين أجزائها الخلجان الضيقة العميقة . معظم الجبال يطل على البحر بميل كبير وكأنها الجدران أو الجروف . المناطق السهلية القليلة موزعة على المدرجات الساحلية التي تنشأ عليها قرى صيادي الأسماك . ومن أجملها **قرية رايني** التي تمثل أكبر مستوطنة في موسكينيسوي .

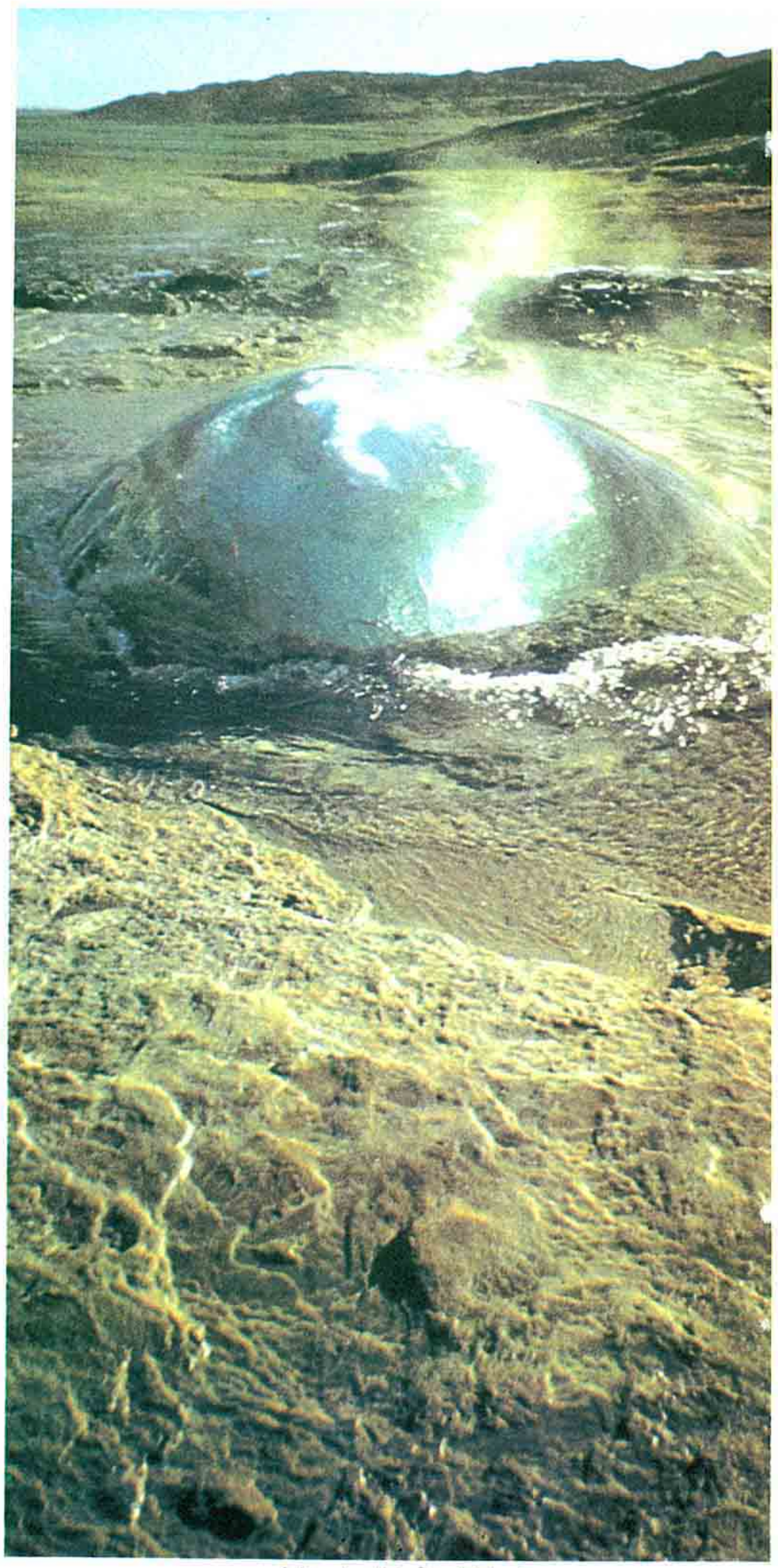
تمثل رايني كذلك قاعدة لهواة تسلق الجبال الذين يجدون في تنوع تضاريس موسكينيسوي تحدياً متجدداً ، علماً أن أعلى قمة فيها ترتفع إلى ١٠٣٤ متراً بصورة مباشرة مطلة على البحر . كانت الجزيرة مغطاة بقبعة من الثلج في العصر الجليدي . فقد «تفككت» وتجزأت تحت وطأة أنهار ثلجية كبيرة انحدرت بسرعة على السفوح الجبلية متجهة نحو البحر . بالإضافة إلى حفر الخلجان الضيقة العميقة التي أعادت رسم شواطئ الجزيرة ، فقد قامت الأنهار الثلجية بالتهام قواعد الجبال وحفرتها بشكل منخفضات مقوسة . والنتيجة هي هذه القمم المسننة التي تصل بينها حواف شديدة الانحدار حادة كالموسى .

تقع هذه الجزيرة على بعد ١٦٠ كيلومتراً شمالي خط الدائرة القطبية الشمالية وتكون في قمة الجمال بين أيار (مايو) وتموز (يوليو) ، عندما تستحم في أشعة شمس منتصف الليل . يبقى قرص الشمس ٢٤ ساعة يومياً فوق الأفق ولا يغيب إطلاقاً خلال هذه الفترة . وبالعكس يخيم الظلام الحالك على الجزيرة في الشتاء عدة أسابيع متواصلة .

وحتى في ذلك الوقت فإن جزر لوفوتين تبقى مليئة بالدأب والنشاط . في الشتاء ــ بين كانون الثاني (يناير) ونيسان (أبريل) ــ من كل عام تهاجر أعداد كبيرة من أنواع الأسماك من البحار القريبة من القطب جنوباً ويستقر كثير منها على شواطئ هذه الجزر وعلى مقربة منها . في هذا الموسم يلتقي صيادو الأسماك من جميع أنحاء الشواطئ النرويجية لاقتسام الغنائم . جو هذه الجزيرة معتدل ــ رغم وقوعها في الدائرة القطبية ــ لأن التيارات البحرية تنقل إليها المياه الدافئة من المناطق الحارة في أواسط الأطلسي .

وبعد ..

ارتبطت محاولات استكشاف الجزر والتعرف على تنوعها ــ في الماضي بشكل خاص ــ بالمغامرة والرغبة في إشباع فضول الإنسان وبحثه عن التحدي أو مواقع الاستجمام . إلا أن العصر الحالي يتميز بتسخير العلم ــ أكثر فأكثر ــ في خدمة الإنسان وتطلعاته .. ومن أهم هذه المشاريع التكنولوجية الدراسات التي تجريها **المملكة العربية السعودية** لدراسة إمكانية إذابة الجبال الجليدية في قارة القطب الجنوبي التي تختزن تسعة أعشار المياه العذبة الموجودة على كوكبنا ، ونقل الماء بناقلات النفط إلى الصحارى العطشى .



★ ستروكـكور (آيسلندة) . قبل تشق النبع الحار، يتجمع الماء بـخوض على شكل قبة ثم ينطلق على شكل نفاثة من البخار والماء الساخنين ★

الهوامش

(★) كلمة «جيفوكو» باليابانية تعني البقع الساخنة أو الانبثاقات الحارة .

تليفزيون المعصم

إنها ساعة رقية **تحتوي على التاريخ والمنبه وساعة الإيقاف** .. إنها تبدو للوهلة الأولى كالساعات العادية الأخرى الحديثة .. لكن هذه الساعة تختلف بالفعل عن أي ساعة ففيها **جهاز تليفزيون** أبيض وأسود يعمل بالنظامين VHF (الذبذبة العالية جداً) و UHF (الذبذبة فوق العالية)، كما أن **بها جهاز راديو** أيضاً يعمل بموجة FM .

إن هذه **الساعة ـ**

نظارات للعميان

ريموندو باكو .. طالب يبلغ من العمر ١٧ عاماً .. أعمى حقاً رغم أنه يرى بنسبة تسعة في المائة ... وكان يستخدم في الماضي **نظارات تليسكوبية** ليتمكن من الرؤية، وكانت هذه النظارات تكبر الأشياء بمقدار خمس مرات ليستطيع رؤيتها بوضوح .. والمشكلة في هذه النظارات أن مجال الرؤية ضيق بها، إذ لا يستطيع أن يرى إلا الأشياء التي تقع مباشرة أمامه كالذي ينظر من خلال أنبوب ضيق .. ولكن هذه المشكلة تم حلها الآن، إذ قام **الدكتور ويليام فاينبلوم** وزملاؤه في **كلية بنسلفانيا للبصريات** باختراع نوع من النظارات الطبية غير المألوفة تقوم بتكبير الأشياء، وتوسيع مجال الرؤية، وفي نفس الوقت سوف تتيح الرؤية الطبيعية لكثير من الذين يعيشون في عالم الظلام .. وتدعى هذه النظارات .. **(عين النحلة)** .. ويقول المخترع الذي يبلغ من العمر ٧٧ عاماً إنه استوحى الفكرة من النحلة ذات العين المركبة التي تستطيع الرؤية في جميع الاتجاهات. وقام الدكتور **فاينبلوم** بتصميم النظارة بحيث تتكون كل عين من ثلاث عدسات تتجه كل واحدة منها في اتجاه معين، وهكذا تتاح الرؤية الكاملة بواسطة العدسات الست، كما أضاف المخترع ١٢ منشوراً زجاجياً PRISM وعشرات من العدسات الصغيرة لتعطي مستخدمها نظرة بانورامية مجسمة كالعين الطبيعية تماماً ..



ووضع هذه العدسات والمناشير يختلف من شخص إلى آخر، كل حسب حالة الإبصار لديه، والمشكلة التي يعاني منها، والمسافة بين عينيه .. لذلك يجب تصميم هذا النوع من النظارات لكل شخص على حدة .. ولهذا فهي تكلف ما بين ثلاثة آلاف إلى ستة آلاف دولار (أي حوالي عشرة آلاف إلى عشرين ألف ريال سعودي) .. والعيب الوحيد في هذه النظارات وزنها الثقيل وحجمها الكبير نسبياً .. لكنه لا يعادل جزءً بسيطاً من استرداد نعمة البصر .. ويأمل المخترع تحسين هذه النظارة وتقليل حجمها ووزنها في المستقبل .

الراديو ـ التليفزيون الجديدة تزن أقل من أونصتين .. ومن أجل هذا الغرض أنتجت الشركة المصنعة شاشة خاصة جديدة بدلا من الشاشة التقليدية الموجودة في التليفزيونات العادية وهي أنبوبة الأشعة الكاثودية .. والشاشة الجديدة تتكون من الكريستال السائل.

كما أن **الهوائي** مدمج في سماعات الأذن التي سوف تتيح لحامل الساعة سماع ورؤية البرامج في أي وقت وأي مكان .. **وتستمد الساعة طاقتها من بطاريتين صغيرتين** بحجم AA توضعان في الجيب .. وهذه الطاقة تكفي لمشاهدة البرامج لمدة خمس ساعات متواصلة.

وتمثل شاشة التلفزيون أكبر إنجاز في مجال التقدم التقني، وتقول الشركة المصنعة إنها احتاجت إلى عشرين مهندساً خبيراً لتعبئة ٣٢ ألف وحدة ميكروسكوبية من الوحدات اللازمة لإظهار الصورة في هذه الشاشة الصغيرة .. وسوف تباع الساعة في الأسواق اليابانية بحوالي ٤٠٠ دولار أميركي، أي حوالي ١٤٠٠ ريال سعودي.

أقدم بذرة

كان ثلاثة من العلماء يبحثون عن الأحافير المتحجرة للنباتات المنتجة للبذور .. ولم يذهب جهدهم سدى، إذ وجدوا **أقدم بذرة تم اكتشافها على ظهر الأرض حتى الآن في غرب ولاية فرجينيا الأميريكية ..** والبذرة لنبات **السرخس، ويبلغ عمرها ٣٤٩ مليون سنة ..** وهي أقدم بحوالي خمسة ملايين سنة من أقدم بذرة تم اكتشافها من قبل في **ولاية بنسلفانيا الأميريكية ..**

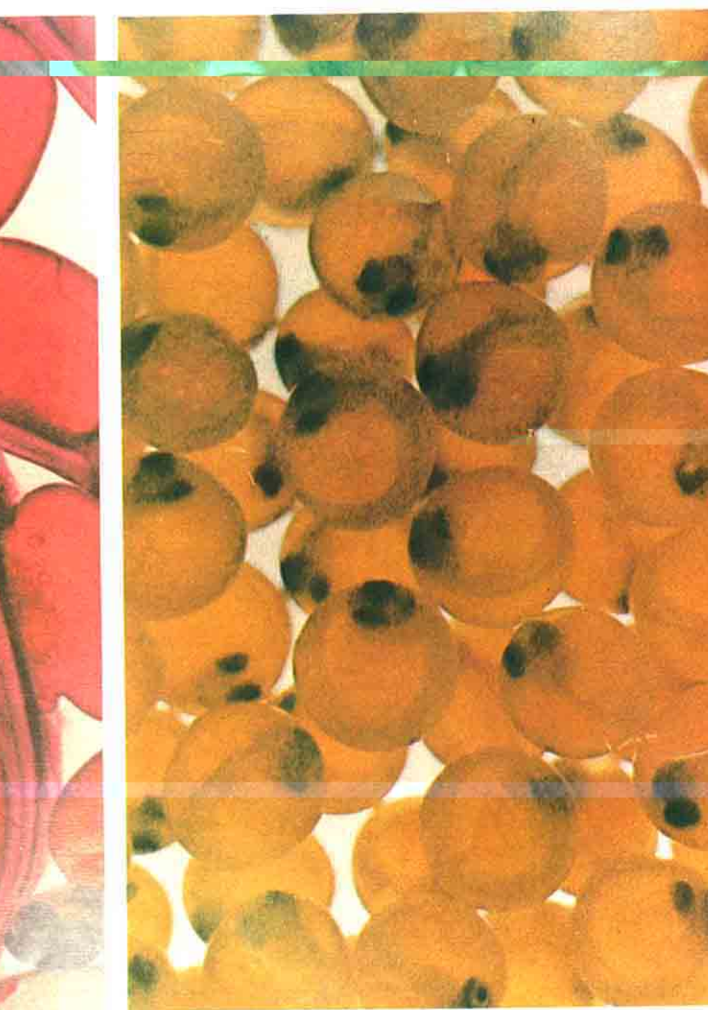


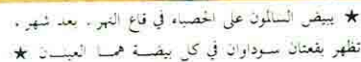


نقل الجينات الوراثية في النبات

أجرى عالمان من **ولاية ويسكنسون الأميريكية** تجربة فريدة في مجال «**الهندسة الجينية**» .. إذ قاما باستخدام إحدى أنواع البكتيريا التي تصيب النباتات كوسيط في هذه التجربة .. والعالمان هما «**جون كمب**» من وزارة الزراعة الأميريكية و «**تيموثي هول**» من جامعة ويسكنسون، قاما بنقل جينات تم اختيارها من نبات الفول إلى نبات عباد الشمس، وبتحليل الجينات المختلطة وجدوا أن جينات أخرى جديدة تكونت وهي عبارة عن خليط من الجينات الوراثية للفول وعباد الشمس .. ومن شأن هذه التجربة أن تفتح صفحة جديدة في مجال الهندسة الجينية، إذ يمكن استخدامها في المستقبل لزيادة المحاصيل النباتية وذلك بمساعدة النبات نفسه على زيادة منسوب محتوياته من البروتين وهذا يعطيه قيمة غذائية جديدة كبيرة، كما أن هذه الطريقة سوف تزيد من قدرة النبات على تثبيت الأزوت الموجود في التربة والاستفادة منه .. ومن المعروف أن البقوليات فقط (ومنها الفول) هي التي تعمل ذلك في الطبيعة .. وإدماج جيناتها في النباتات الأخرى، سوف يساعد هذه النباتات على تثبيت الأزوت وبالتالي التقليل أو الاستغناء عن تسميد التربة، مما يقلل الكلفة الاقتصادية للمحاصيل الزراعية.

**





★ يبيض السالمون على الحصباء في قاع النهر . بعد شهر ، تظهر بقعتان سوداوان في كل بيضة هما العينان ★



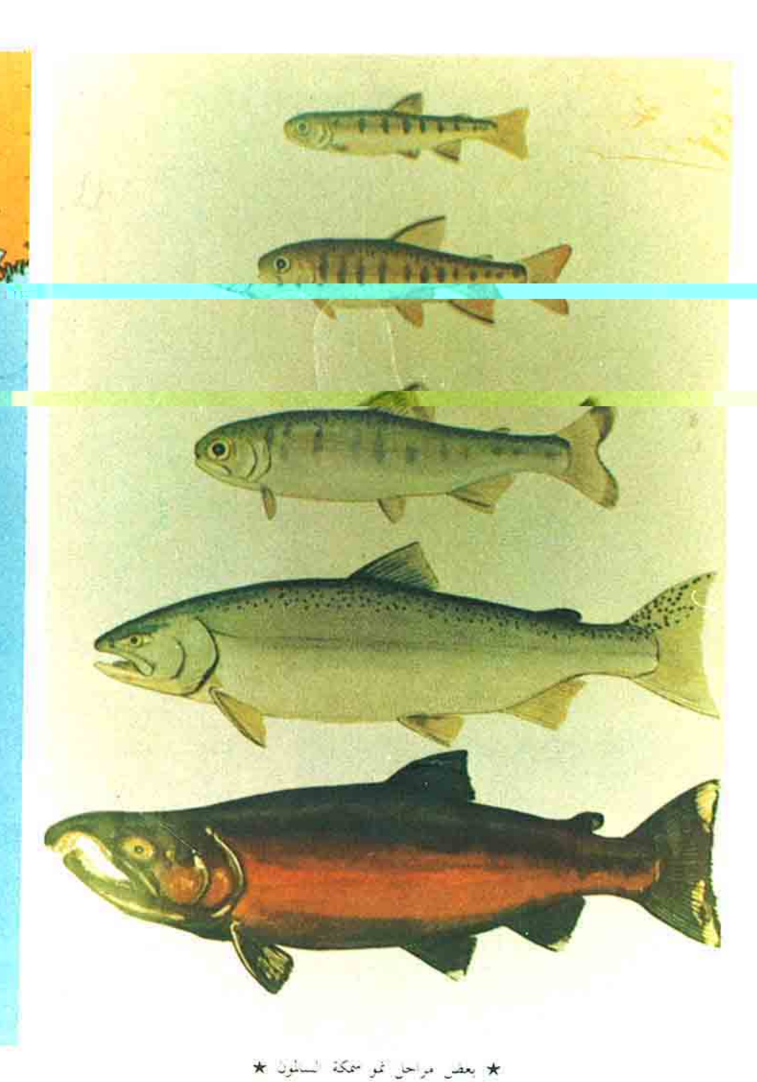
★ يفقس البيض ، ويتحول إلى يرقة صغيرة لا تزال عالقاً بها كيس المح الخاص بها ★

●●● السالمون .. ورحلة

هذه أسماك لها تاريخ طويل ، مرتبط ببزوغ شعاعات الحضارة على سواحل النصف الشمالي للكرة الأرضية . ففي تلك البلاد ، وفي ظلام العصور السحيقة ، عرف الإنسان الأول أسماك السالمون ، فبدأ بناء الثقافات والحضارات . فعلى هذه الأسماك اعتمد الإنسان ، كما أنها كانت مصدر إلهام للعديد من الفنون الشعبية المتوارثة : أغاني ، ورقصات ، وحفر ، ورسومات ، وأساطير . وفي اللغات القديمة التي كانت سائدة في تلك الأنحاء ، أفردت لأسماك السالمون مظاهر الاحترام والترحيب . وقد وصلت هذه المظاهر إلى حد أن الموت كان عقوبة من يلقي الفضلات والقاذورات في الأنهار ، حيث تقضي أسماك السالمون السنين الأولى من حياتها .

وكان ثمة اعتقاد بأن للسالمون ـ كمخلوق ـ صفة الخلود . . . فقالت الأساطير والحكايات الشعبية القديمة إن أسماك السالمون مخلوقات خالدة ، تأتي من « قرى » قاصية أو من تحت الماء ، حيث تقدم لحومها هدية إلى قاطني اليابسة . وهي تتمكن من تجديد حياتها بعد ذلك . ولمساعدة الأسماك في ذلك ، كان سكان تلك البلاد يلقون بهياكل وذيول الأسماك إلى النهر ، لكي يسهل على الروح أن تعود إلى قرية السالمون البعيدة ، وينمو لها لحم جديد ، وتستمر رحلة الخلود .

وكانت الشعائر التي تقام من أجل السالمون عبارة عن إشارات وحركات تحمل معنى الامتنان والاحترام لهذه المخلوقات غير العادية . ويبدو من طول هذه الشعائر ، وما يصاحبها من تحريم ، أنها كانت معدّة تضرعاً لتنجح الأسماك في دخول النهر ، لتستمر دورة الحياة . ومن الابتهالات التي كان يرددها سكان جزيرة فانكوفر القدماء ، ترحيباً بأسماك السالمون :



★ بعض مراحل نمو سمكة السالمون ★

★ الخطوط الملاحية التي تتبعها أسماك السالمون في هجراتها بالمحيط الأطلنطي ★

الموت والميلاد !!

بقلم: رجب سعد السيد

« أوه . . أيتها المخلوقات الخارقة للطبيعة . أوه . . أيتها المخلوقات العائمة . . إنني أشكرك لأنك دائماً تحضرين إلينا . ليكن قدومك طيباً دوماً ؛ فأنت تحضرين طوعاً لتكوني طعاماً لنا . . إلخ » .

ولا تزال هذه الأسماك تحتفظ بأهميتها كأحد الأنواع عالية القيمة الاقتصادية . **ويبلغ حجم الإنتاج السنوي الحالي من السالمون في المحيط الهادي حوالي ٤٠٠ ألف طن متري** ، كلها ـ تقريباً ـ من إنتاج أنهار الاتحاد السوفياتي وشمال القارة الأمريكية . . ويقسم هذا الإنتاج بين كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية وكندا واليابان .

وقد نقص إنتاج أساطيل صيد السالمون اليابانية من ١٥٠ ألف طن إلى ٩٠ ألف طن ، وذلك حسب اتفاقيات دولية . وبالرغم من أن الأنهار اليابانية لا تشارك في إنتاج السالمون بنسبة تذكر ، إلا أن مصايد اليابان من أكثف مصايد السالمون في المحيط الهادي .

الهجرة العجيبة

وأول ما يذكر اسم السالمون ، تتوارد إلى الذهن تلك الرحلة أو الهجرة العجيبة التي يقوم بها خلال دورة حياته ، والتي تعد ـ في طبيعتها ـ لغزاً لم يقطع العلماء فيه بإجابة محددة حتى الآن .

إنها أسماك تولد في الأنهار (مياه عذبة) ، ولكنها لا تلبث أن تهجر هذه الأنهار ، كأنما لديها إحساس دفين بأنها ستضيق بها ، فتأخذ طريقها إلى البحر المتسع (مياه مالحة) ، حيث يتم نموها حتى تصل إلى النضج الجنسي التام ، فتقفل راجعة إلى مواطنها الأولى لإنجاز مهمة التناسل ، والموت على أرض الوطن ! .

وتعتمد أسماك السالمون في العالم ـ كظاهرة طبيعية ـ على الأنهار الموجودة في نصف الكرة الأرضية الشمالي . . منها تخرج في أطوار حياتها الأولى لتجوب البحار الشمالية حيث تختلط أسماك السالمون من مختلف الجنسيات . ثم لا تلبث هذه الأسماك ـ مدفوعة بغريزة الرغبة في البقاء ـ أن يجتذبها الحنين إلى الموطن ، فيكون

السالمون .. ورحلة الموت والميلاد

اتجاه عودتها إلى نفس النهر محل ميلادها . فكل نوع من أسماك السالمون مهيأ بشكل مثالي للانتفاع بالملاذ الأصلي الخاص به . . فهذه الأسماك على علم تام بخواص المنبت : تفريعات النهر ـ نوعية الحصباء التي تفترش قاعه ـ وأيضاً نوعية مياهه . . . فهذه هي مكونات البيئة التي ستضع فيها السمكة بيضها ، والتي ولدت هي ذاتها فيها . من أين لها بهذا العلم ؟ . هذا هو سر هذه الأسماك . . وضعه فيها الخالق العظيم ، لتقدم لنا هذا النموذج العجيب من عجائب المخلوقات . . ويكتفي العلم بالقول : إنها شفرات وراثية . . و « ميل » طبيعي .

وبعض أنواع السالمون ـ مثل النوع القرمزي ـ يتجه إلى البحر قبل أن تكتمل له صفات السمكة اليافعة . . فالنهر بالنسبة له ليس أكثر من طريق تعبره السمكة في هجرتها . بينما أنواع أخرى يتحتم عليها أن تقضي سنتين أو أكثر من عمرها في المياه العذبة ، حتى يشتد عودها ، وتتهيأ فسيولوجياً لاستقبال بيئة المياه المالحة (البحار) ، ثم تبدأ رحلة الهجرة .

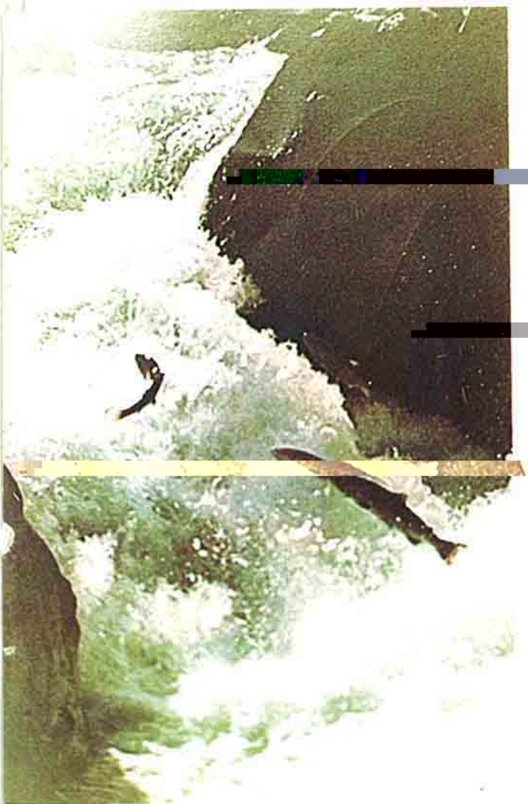
وفي بداية الرحلة ، تكتسب الأسماك الصغيرة المهاجرة لوناً فضياً . وما إن تترك مياه النهر وراءها ، حتى تتلقفها نوعية جديدة من المياه ، وسط بين مياه النهر ومياه البحر من حيث درجة الملوحة . . هي مياه المصبات . فهذه ، إذن ، خطوة انتقالية ، تتيح للأسماك المهاجرة فرصة للتأقلم تدريجياً على ملوحة مياه البحر . هذا بالإضافة إلى أن هذه المناطق تكون عالية الخصوبة ، فيتوفر بذلك الغذاء اللازم للأسماك خلال المدة التي توجد فيها في المصبات ، والتي تصل إلى عدة شهور .



★ سفينة مجهزة بالخيط والشص لصيد السالمون ★

بعد ذلك تنطلق الأسماك إلى البحر بسرعة كبيرة . وهي تسير في خط مرسوم ، لا تكاد تحيد عن **منطقة الإفريز القاري** . ثم لا تلبث أن تترك خطها الملاحي الموازي للقارات ، وتتجه إلى المياه العميقة . وهذه المرحلة من حياة السالمون هي أهم مراحل النمو السريع المتواصل . . . وخلالها أيضاً ، تجتاز أهم مناطق مصايد أعالي البحار ، حيث تتهددها أخطار عمليات الصيد المكثفة التي قد تعرض تجمعاتها للدمار .

وفي بداية تحول أسراب السالمون في المياه العميقة ، يكون اتجاهها إلى الشمال ، حيث المياه القطبية الباردة الخصبة . ثم تلتف خارجة من هذه المياه إلى مياه **المحيط (الهادي والأطلنطي)** . ففي المحيط الهادي ، تتجه الأسماك القادمة من آسيا صوب الشرق ، بينما القادمة من شمال أميركا تتجه صوب الغرب . أما في المحيط الأطلنطي ، فتتجه الأسماك القادمة من شمال أميركا إلى الشرق ، بينما القادمة من أوروبا والاتحاد السوفياتي تتجه إلى الغرب . وتختلط كل جنسيات السالمون في كل من المحيطين ، وتتحرك إلى الجنوب في بداية الشتاء ، ثم تصعد إلى مياه الشمال مرة أخرى مع مقدم الصيف . . . وهكذا تقضي عدة سنوات من عمرها في مياه المحيط . وخلال سنوات المحيط هذه تكون الأسماك قد وصلت إلى



★ تسبح أسماك السالمون في رحلة العودة ضد تيارات النهر ★

مرحلة النضج الجنسي ، ويكون الحنين إلى المياه العذبة في الأنهار حاضنة البيض والصغار !! .

صيد السالمون

وتصاد أسماك السالمون قبل انتهاء رحلة العودة بقليل ، وبالقرب من شواطئ الموطن



★ سفينة لصيد السالمون مجهزة بالشباك ★



★ النهاية . . بقايا سمكة السالمون ، متحللة على ضفة النهر . . وقد أدت دورها في الحياة ! ★

الأصل . وتخضع عمليات الصيد هذه لقوانين وشروط مقيدة ، بحيث تسمح لكمية كافية من السالمون بأن تنجو من الشباك وتنهي رحلتها ليتم التوالد وتكتمل الدورة ، وتستمر حياة أسماك السالمون . والكمية التي يسمح لها بالهروب من الصيد لتنجز مهمة استمرار الحياة محسوبة ومحددة . فمثلاً . . نهر (أدامز) في **كولومبيا البريطانية** ، يحتاج إلى مليون ونصف المليون من أسماك السالمون لتغطي قاع النهر في فترة التكاثر التي تستمر حوالي السنة .

وبعد أن تتوقف الأسماك عن الترحال تماماً ، ويستقر بها المقام في موطنها الأول ، تقيد عمليات الصيد أو تحرم تحريماً كاملاً . . وذلك لأن الكمية الموجودة من الأسماك في النهر في هذا الوقت هي المخزون الطبيعي الأساسي الضروري لاستمرار بقاء أسماك السالمون في النهر . فإذا حدث أن تعرض هذا المخزون للنقصان ، بواسطة أعمال الصيد المكثف مثلاً ، فإنه يصعب تعويضه ، ويحتاج الأمر إلى عشرات السنين ليعود النهر موطناً للسالمون مرة أخرى . وثمة أنهار قليلة معروفة نضب مخزونها من أسماك السالمون منذ أكثر من خمسين عاماً ، ولا تزال تحاول استعادة صفتها كبيئة حاضنة لأسماك السالمون التي هربت منها نتيجة لسوء الإدارة ، وعدم توفر الظروف المناسبة لحماية المخزون الأساسي الضروري لاستمرار دورة الحياة .

وفوق المساحات التي تضع فيها الأسماك بيضها في قاع النهر ، لا بد أن تتوفر بعض الاحتياطات ووسائل الحماية . . فمثلاً ، يكون من الضروري متابعة أعراض الأمراض التي قد تصيب الأسماك في هذه الفترة الهامة من حياتها . كذلك ، يمثل الازدحام فوق العادي خطراً آخر يواجه الأسماك المقبلة على التوالد ، لذلك يلزم تنظيم تجمعات الأسماك ، والتحكم في تعدادها ، حتى يكون حجمها مناسباً لإمكانات البيئة .

والآن . . . فإن الأسماك المهيأة للتوالد تكتسب ألواناً مميزة لهذه المرحلة ، وتدل على تمام النضج الجنسي . وتعمد الإناث إلى إعداد ما يشبه الأعشاش بين حصى القاع النظيف . ويصل عمق العش إلى قدم أو قدمين ؛ وفيها تدفن **البيض** الذي لا يلبث أن يتم تلقيحه بواسطة الذكور المتأهبة .

ويبقى البيض الملقح في الأعشاش التي توفر له الحماية من مخاطر برودة الشتاء ، ومواسم الجفاف الجليدي ، وفيضانات الربيع . وأيضاً تسمح الأعشاش للبيض بالحصول على الأوكسجين الكافي الذائب في تيارات الماء الذي يتخلل الحصيات التي تبني العش .

وبالرغم من هذه الاحتياطات الأمنية ، فإن النسبة من البيض التي يكتب لها الحياة والاستمرار لا تزيد عن ١٠ ٪ إلى ٢٠ ٪ . وقد تبدو هذه النسبة مخيبة للآمال ؛ ولكن إذا علمنا أن **الأنثى الواحدة تضع ثلاثة آلاف بيضة** ، فإن خروج ٣٠٠ يرقة تعطي للنهر ٣٠٠ سمكة سالمون . . يعني خيراً وفيراً .

وتخرج هذه الأعداد لتستمر بين سنتين وخمس سنوات في كل من النهر والبحر . فإذا افترضنا أن نسبة ما يكتب له البقاء من هذه الأسماك خلال مخاطر حياة النهر ورحلة الهجرة ٢ ٪ ؛ فمعنى هذا أن كل سمكة أنثى تعطي ٦ سمكات تنجح في الرجوع إلى الوطن الأم ، وتعاود الكرّة في مهمة استمرار الحياة وبقاء النوع .

وزيادة في عمليات التأمين ، تسمح **قوانين الصيد في النهر** للصيادين أن يأخذوا أربعاً من هذه السمكات ، ويتركوا سمكتين فقط تحلان محل والديهما على قاع النهر .





رحلة عبد اللطيف البغدادي

عبد اللطيف البغدادي عالم بغدادي كبير كان واسع الثقافة، درس الفلسفة والطب وعلوم الدين واللغة، وترك مؤلفات كثيرة في كل فن، ولد سنة ٥٥٧ هـ ـ ١١٦١ م، وطاف بالشام ومصر، وأقام في ربوع مصر فيما بين «٥٩٧/٥٩٩ هـ ـ ١٢٠٠/١٢٠٢م هـ».

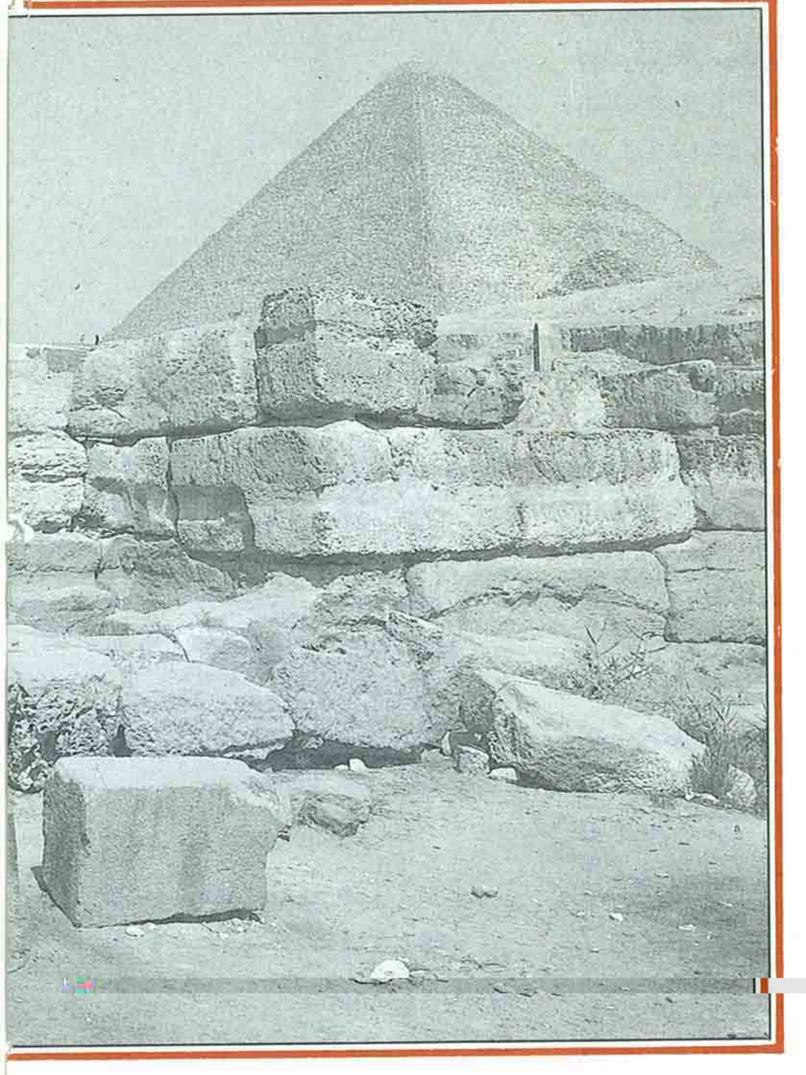
جال **عبد اللطيف البغدادي** في ديار مصر في تلك المدة وقد بالغ في وصفها وضمن هذا الوصف في **كتابه [الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر]**. والكتاب طرفة من طرف الرحلات، فإن البغدادي كان ناقداً بصيراً، وعالماً فيلسوفاً، فلم يصف ما شاهده فقط، بل درسه ومحصه، وقد نُشر الكتاب وترجم من قبل العديد من المستشرقين.

ومما قاله في وصف مصر:

«إنها واد تكتنفها الجبال والصحاري، والنيل ينساب فيها، يتشعب بأسفل الأرض، وجميع شعبه تصب في البحر الأبيض، وللنيل خاصتان: طول مسافته وفيضانه في نهاية الصيف. وأرض مصر رملية، ولكن يأتيها النيل بطين أسود فيه دسومة كثيرة، وكل سنة يأتيها بطين جديد، ولهذا تزرع جميع أراضيها ولا يراح شيء منها كما يفعل في العراق».

وتحدث «البغدادي» عن **مشاهداته لآثار مصر العجيبة حديث العالم المحقق، وكأنه عالم عصري من علماء الآثار، وقد خصص الفصل الرابع من كتابه للحديث عن تلك الآثار، ونحن نعرض طائفة من أقواله يصف فيها الأهرام وأبا الهول**؛ يقول:

«ومن الآثار القديمة **الأهرام**، وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها، وهي كثيرة العدد جداً، وكلها ببر **الجيزة**، وعلى سَمْت مصر القديمة وتمتد في نحو مسافة يومين، وفي «**بوصير**» منها شيء كثير، وبعضها كبار وبعضها صغار، وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس، وأما الأهرام المتحدث عنها المشار إليها الموصوفة بالعظم فثلاثة أهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة «**الفسطاط**»، وبينها مسافات يسيرة، زواياها متقابلة نحو المشرق، واثنان منها عظيمان جداً وفي قدر واحد، وبهما أولع الشعراء وشبهوهما بنهدين، قد نهدا في صدر الديار المصرية، وهما متقاربان جداً، وأما الثالث فينقص عنهما بنحو الربع، وجدناه صغيراً بالقياس إلى الآخرين، فإذا قربت منه وأفردته بالنظر هالك مرآه وحسر الطرف عند تأمله.. وقد سلك في بناية الأهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان، ولذلك صبرت على ممر الزمان، بل على ممرها صبرها الزمان، فإنك إذا تبصَّرتها وجدت الأذهان الشريفة قد استهلت فيها والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها والأنفس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها، والملكات الهندسية قد أخرجتها إلى الفعل مثلاً هو غاية إمكانها، حتى إنها تكاد تحدث عن قومها وتُخبر بحالهم وتنطق عن علومهم وأذهانهم، وتترجم عن سيرهم وأخبارهم.. وخبرنا أن في



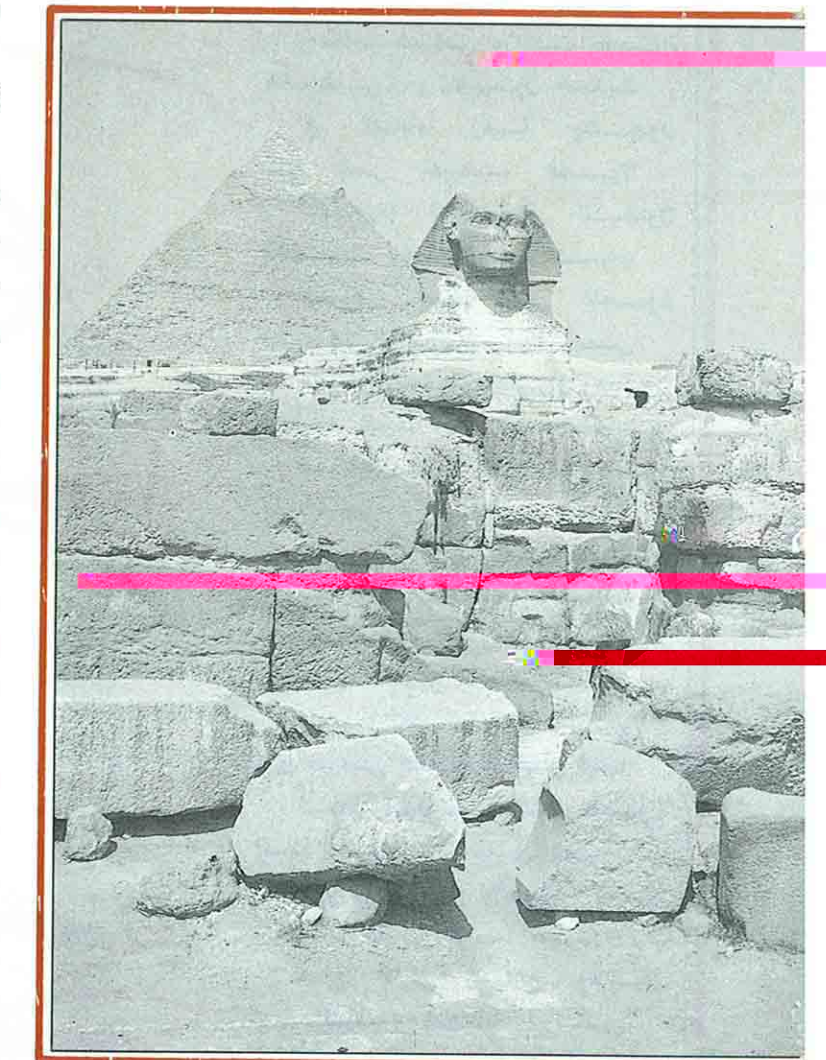




القرية المجاورة لهما قوماً قد اعتادوا ارتقاء الهرم بلا كلفة ، فاستدعينا رجلاً منهم ورضخنا له بشيء فجعل يصعد فيها ، كما يرقى أحدنا في الدرج بل أسرع .

وهذه الأهرام مبنية بحجارة جافية ، يكون طول الحجر منها ما بين عشرة أذرع إلى عشرين ذراعاً وسمكه ما بين ذراعين إلى ثلاث ، وعرضه نحو ذلك ، والعجب كل العجب في وضع الحجر على الحجر بهندام ، ليس في الإمكان أصح منه ، بحيث لا تجد بينها مدخل إبرة ولا خلل شعرة ، وبينها طين ، كأنه الورقة لا أدري ما صنفه ولا ما هو ، وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم القديم المجهول الذي لم أجد بديار مصر من يزعم أنه سمع بمن يعرفه ، وهذه الكتابات كثيرة جداً . . . . » .

ويستمر عبد اللطيف البغدادي في الحديث عن الأهرامات وما حولها من مداخن ، وعن أطوالها والمساحات المبنية فوقها وكلها يمكن الإفادة بها الدراسات الأثرية .



وما قاله عن أبي الهول :

« . . .وعند هذه الأهرام بأكثر من غلوه « مقدار رمي سهم » صورة رأس وعنق بارزة من الأرض في غاية العظم ، يسميه الناس **أبا الهول** وفي وجهه حمرة ودهان أحمر يلمع عليه رونق الطلاوة ، وهو حسن الصورة مقبولا ، عليه مسحة بهاء وجمال ، كأنه يضحك مبتسماً ، وسألني بعض الفضلاء ما أعجب ما رأيت ؟ فقلت تناسب وجه أبي الهول فإن أعضاء وجهه كالأنف والعين متناسبة ، والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ نظام التناسب في الأعضاء مع عظمها » .

وينتقل « البغدادي » في الحديث إلى مكان آخر وهو « **عين شمس** » واستظهر أنها كانت بيت عبادة ، وتحدث عن صورها وتماثيلها ومسلتها المشهورتين ، ووصف المسلة بأنها :

« قاعدة مربعة ، طولها عشر أذرع في مثلها عرضاً في نحوها سمكاً قد وضعت على أساس ثابت في الأرض ، ثم أقيم عليها عمود مربع مخروط ، ينيف طوله مائة ذراع ، يبتدئ من قاعدة ، لعل قطرها خمس أذرع ، وينتهي إلى نقطة قد ألبس رأسها بقلنسوة نحاس إلى ثلاثة أذرع منها كالقمع . . . » .

كما تحدث « البغدادي » عن « **الإسكندرية** » وعمود السواري بها ووصفه وصفاً دقيقاً ، ثم تحدث عن « **منف** » التي كان يسكنها الفراعنة وقال فيها :

« هذه المدينة مع سعتها وتقادم عهدها وتداول الملك عليها واستئصال الأمم إياها من تعفيه آثارها ومحور رسومها ، ونقل حجارتها وآلاتها وإفساد أبنيتها وتشويه صورها ، مضافاً إلى ما فعلته فيها أربعة آلاف سنة فصاعداً نجد فيها من العجائب ما يفوت فهم المتأمل ، ويحصر دون وصفه البليغ الملسن . . . » .

ولم يفت « البغدادي » أن يعطينا وصفاً دقيقاً للنباتات والحيوانات التي صادفها ، والمأكولات التي ذاقها ، والعادات والرسوم التي شاهدها ، والتي يمكن أن تساعد في دراسة التاريخ الاجتماعي لتلك الحقبة ، وكان وصفه وصفاً دقيقاً وصف عالم فيلسوف .



عيون

شعر: د. عبدو مسّوح



قيل: سحر.. وقيل: فيها فتون
قلت: حسبي قد عذبتني العيون
كلما سددت سهاماً تلاشى
حاجز شاهق وزالت حصون
لهف قلبي... وللعيون حديث
في ثناياه رهبة وشجون
كلما فسَّر الحبيب فصولا
ساورته فيما يرجّي الظنون
قتلتنا.. ونحن بعد شباب
فعرفنا ماذا تُسر الجفون
إيه شهل العيون يسقيك دمعي
فعيوني عند الفراق عيون
لم يعد بعد أمر عينيك شيء
مستحيل... إذ كان ما لا يكون
كل شعر لم يستجب لنداء
الحب لغو وكل قول هجين
حسبوا الشعر دعوة والتزاماً
أيغني الهزار وهو سجين؟
علمينا يا عين يوم التلاقي
عندما تفتكين ماذا نصون؟
نحن صرعى الغرام إذ ليس فينا
شاعر أمهلت صباه المنون
إنما الحب شعلة في دمانا
فهو في الروح والعظام كمين
يا عيوناً نضل فيها حيارى
هاج قلبي لواعج وحنين
كلما قارب النجاة شراعي
غرقت قبل مبتغاه السفين

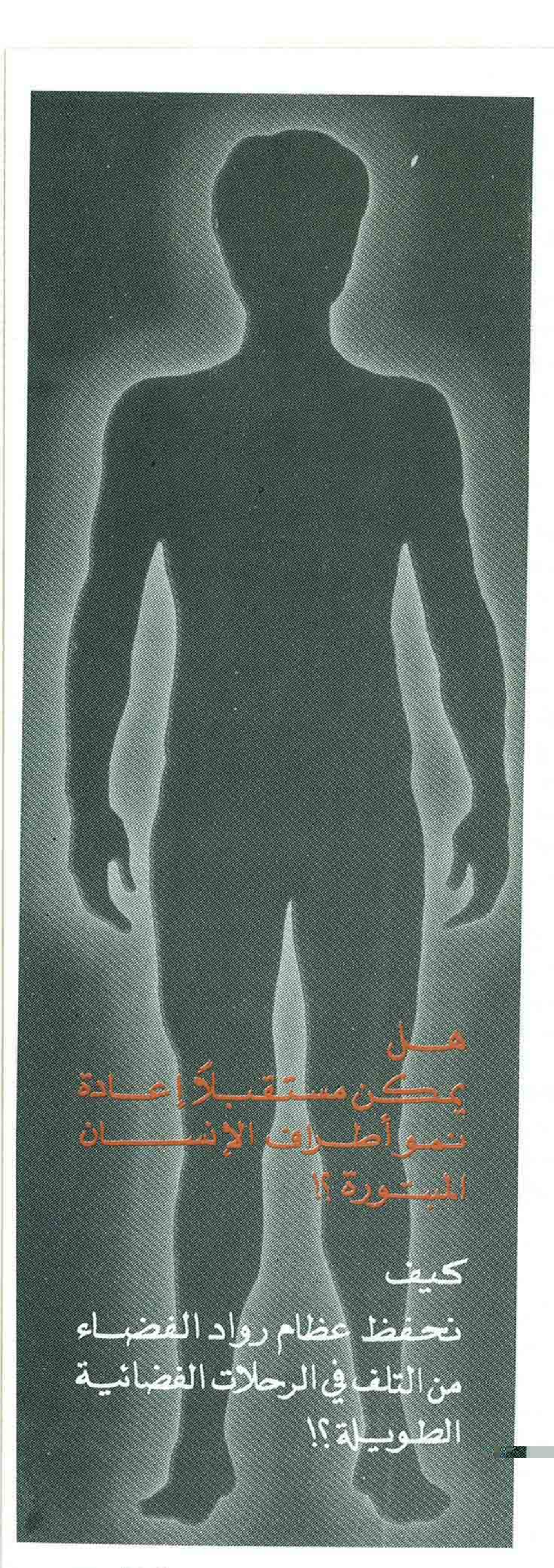
ثورة علمية عملية جديدة تدعى:

كهرباء جسم الإنسان!

بقلم: حسام جميل مدانات

تصور أننا سنتوصل يوماً إلى التحكم في خلايا أجسامنا، فنأمرها أن تنمو بسرعة أو ببطء، أن تُغيّر شكلها أو وظيفتها، أو أن تنظم نفسها على شكل أنسجة أو أعضاء جديدة، لتحل محل أنسجة أو أعضاء تالفة. وتصور أن هذا يمكن أن يحصل بدون أي عملية جراحية، وبدون حقن أية مادة كيماوية في الدم!.

إن هذا الحلم هو ما يعمل العلماء على تحقيقه حالياً!.



هل يمكن مستقبلاً إعادة نمو أطراف الإنسان المبتورة؟!

كيف نحفظ عظام رواد الفضاء من التلف في الرحلات الفضائية الطويلة؟!

لقد اكتشفوا طريقة يتدخلون بواسطتها في شبكة الاتصالات الداخلية بين خلايا الجسم ، بحيث يتمكنون من نقل رسائل معينة بلغة تفهمها هذه الخلايا . وهذه اللغة تتركب من إشارات كهربائية ، وهي اللغة العالمية التي يمكن للكائنات الحية بواسطتها تنظيم نموها وتطورها وتعويض خلاياها باستمرار .

إننا نرتدي جميعاً رداء غير منظور ، إنه عباءة كهربائية تغطينا من أخمص القدم إلى قمة الرأس . ومنذ لحظة حدوث الحمل ، تبدأ التيارات الكهربائية بالسريان في خلايا الجنين الصغير ، لتوجّه عملية تطور الجنين حتى لحظة الولادة . وعندما تقوم سحلية بصنع ذيل جديد بدل ذيلها المقطوع ، فإن تيارات كهربائية تسير عبر الطرف المجروح ، كما لو كانت تكرر عملية نمو عضو في الجنين . وعندما يتم نمو هذا الوضع تخمد هذه التيارات الخاصة . ولكن كل كائن حي يحتفظ بهالة كهربائية حول جسمه ، مثل حقيبة يحملها معه وحوله منذ الولادة وطيلة حياته . وأية اضطرابات في هذا المجال الكهربائي يؤدي إلى ظهور أعراض مرضية .

إن هذه الفكرة هي الأساس في **طريقة العلاج الصينية بالوخز بالإبر** ، فعندما يوخز الجسم أو يجرح ، فإن التيارات الأولية في الجسم ، تسري بقوة حتى يتم شفاء الجرح .

والكهرباء الحيوية ليست بالأمر الجديد ، فقد اكتشفها **لويجي جلفاني** في القرن الثامن عشر ، عندما لاحظ ارتجاف أرجل ضفدعة أثناء تشريحها عند لمسها بواسطة قضيبين معدنيين . ولكن إدراك الدور الهام للكهرباء في السيطرة على العمليات الحيوية في الخلايا ، لم يتم إلا حديثاً . وكان لهذا الإدراك دور هام في تبنّي أسلوب جديد في العلاج الطبي . إذ يمكن للأطباء تعديل التيار الداخلي للجسم باستعمال تيار خارجي . وبهذه الطريقة ، فإنهم يعتقدون أننا سنتوصل يوماً ما إلى جعل الجسم يقوم بصنع طرف مبتور ، أو بإصلاح حبل شوكي معطوب ، أو بإيقاف نمو سرطاني في خلايا الجسم .

« ستُصبح الكهرباء وسيلة علاج شائعة وأساسية مثلها مثل الجراحة أو استعمال الأدوية اليوم . وفي حالات كثيرة قد تُغني عنها » .

هذا الرأي **للدكتور « باسيت »** ، من مركز كولومبيا الطبي في نيويورك . وقد كان **أول من قام باستخدام الكهرباء لعلاج كسور العظام في الحالات التي لم تصلح فيها أية طرق أخرى .**

وتتلخّص طريقة الدكتور « باسيت » في وضع ملفات كهربائية حول الجرح ، ثم يقوم بتمرير تيار متردد في الملفات ، وهذا بدوره يولّد تيارات صغيرة جداً في العظام . وهو يرى أن المرضى يفضّلون هذه الطريقة ، لأنها تُنجيهم من مبضع الجراح ، ولا تضطرهم للبقاء في المستشفى تحت العلاج .

وإذا وُصفت الملفات الكهربائية لعلاج مريض ، فإن من الممكن تثبيتها على جسمه ، ويستطيع أن يأخذها معه للبيت . وإذا وضعها على جسمه لفترة اثنتي عشرة ساعة يومياً ، فإن الكسر في العظام سيلتئم خلال أربعة إلى ستة أشهر . وهذه الطريقة لا تُثير أي شعور بالألم . . ولا يشعر المريض بالتيار الكهربائي ، فتأثيره يُشبه تأثير « لمبة نيون » على من يقف بجانبها ، سوى أن التيارات العلاجية تكون منظمة بطريقة خاصة .

وماذا غير علاج العظام بالكهرباء ؟

حتى الآن ، فإن التطبيق الوحيد الذي استعملت فيه هذه الطريقة عملياً ، كان علاج العظام . وهي طريقة وافقت عليها **دائرة الغذاء والدواء الأميركية** . ولكن « باسيت » ينتظر أن تنتشر هذه الوسيلة العلاجية لتُستعمل في حالات أخرى . ومن دراساته على الحيوانات استنتج « باسيت » ، **أن الكهرباء يمكنها أن تُضاعف من نمو الأعصاب الطرفية الموجودة في الأطراف .**

وعادة إذا أُصيبت الأعصاب ، فإن من النادر أن تقوم بعلاج نفسها ، فإذا قُطع عصب رئيسي في حادث ، فإن سنوات طويلة من العلاج قد تلزم لاستعادة جزء بسيط من السيطرة العصبية العضلية عن طريق هذا العصب .

ولم يتم تطبيق العلاج بالكهرباء على الأعصاب في الإنسان إلا على مريضين حتى الآن . ولكن « باسيت » يُبدي تفاؤلاً من النتائج ، فقد أثارت الكهرباء الأعصاب ، لتنمو مثلما حصل في حيوانات التجارب المخبرية .

وهو يعتقد **بأن الكهرباء ستكون وسيلة فعالة في المستقبل لعلاج إصابات الجهاز العصبي المركزي . مما قد يفيد في علاج ستة ملايين أميريكي مصابين في أجهزتهم العصبية .**

الحيوانات الراقية

كيف يمكن للكهرباء أن يكون لها هذه التأثيرات الهامة ؟ إن الخلايا في الجسم تتأثر بالتيارات الخارجية مثل تأثرها بكهرباء الجسم نفسه ، وكل ما لزم هو معرفة طبيعة هذه الكهرباء الداخلية ، وطريقة عملها . إن العلماء يقومون فقط بدور المُقلّد للطبيعة .

ومنذ بداية هذا القرن ، بدأ عدد من الباحثين دراسة التيارات الكهربائية التي تنتجها عدة كائنات حية تتراوح من بذور النباتات إلى الأجنة . ولكن علماء اليوم يجدون بمتناولهم أجهزة كهربائية وإلكترونية متقدمة ومعقدة تمكنهم من تحقيق نتائج واكتشافات أكبر وبطريقة أسرع .

ومن روّاد دراسة كهرباء الجسم واستعمالها في العلاج ، **الدكتور « بيكر » من مستشفى سيراكوز الأميريكي** . وقد بدأ أبحاثه بعد الحرب العالمية الثانية ، بدراسة رائدة حول **استخدام الكهرباء في علاج الجروح** . فعندما يُصاب الجسم بجرح ، فإن الخلايا المصابة تفقد أيوناتها المشحونة على الفور ، وهذه تخرج على شكل تيار كهربائي صغير . وبقيامه بقياس جهد هذا التيار ، فقد اكتشف « بيكر » أحد الأسرار المذهلة للطبيعة ، واستطاع أن يقدّم تفسيراً لقدرة السحلية على تجديد أجزاء مقطوعة قد تبلغ ثلث جسمها ، بينما لا يستطيع الإنسان أن يتحمّل جرحاً يصيب أحد أعضائه الحساسة . واستنتج أن استخدام تيار شدته عدة أجزاء من المليار من الأمبير ، قد يكفي لتعويض الإنسان مما حرمته منه الطبيعة نتيجة التطور ، بينما وفّرته لحيوانات أخرى مثل السحلية .

وعن طريق قطب كهربائي مزروع في جسم فأر ، فقد تمكن من حفز جسم الفأر على إعادة تكوين رجله الأمامية المقطوعة التي نمت حتى مفصل الكوع . لم يكن الجزء الذي نما من جديد كاملاً ، ولكنه أظهر دلائل على تنظيم دقيق للأنسجة ، من عضلات وعظام وغضاريف وأعصاب .

ثم قام باحث آخر من **كلية الطب في جامعة « كنتاكي » في الولايات المتحدة** ، بإجراء التجربة على ضفدع قطع طرفه الأمامي . والضفدع ، كما هو معروف ، ليست لديه القدرة على تجديد أعضائه المقطوعة . ولكن التجربة على الضفدع ، احتوت تعديلاً على تجربة « بيكر » ، حيث تم تحريك القطب الكهربائي باستمرار ، مع نمو الرجْل الجديدة ، ليكون القطب دائماً في نهاية هذا الطرف الجديد النامي باستمرار . وفي النهاية حصلت الضفدع على رجل جديدة كاملة وطبيعية .

لقد تمسّك « بيكر » خلال أكثر من عشرين عاماً ، بنظرية مبتكرة تقول : إن الحيوانات الراقية سواء كانت ضفدعاً أو فأراً أو إنساناً ، لا تستطيع أن تقوم بتكوين أعضاء جديدة بدل الأعضاء المقطوعة ، لأنها لا تنتج في جسمها ما يكفي من الكهرباء لإثارة الخلايا لتكوين براعم لهذه الأعضاء ، وهكذا ، إذا وُضعت خلايا الجسم في وسط كهربائي مناسب ، مثلما يحصل في حالة السحلية **أو السمندر** Salamander ، فإنها ستقوم بتوليد أنسجة متميّزة جديدة .

ويقول : لقد حان الوقت ليقبل المجتمع الطبي ،

فكرة أن القدرة على النمو التعويضي لأعضاء الجسم الإنساني يمكن أن تُعطى للإنسان من جديد. وينطبق هذا على جميع أنواع الأنسجة، من الدماغ إلى الحبل العصبي إلى الأصابع والأطراف الكاملة إلى الأعضاء الأخرى. وإذا تمكنّا من تحديد ميكانيكية الإثارة والسيطرة لتوليد أنسجة وأعضاء جديدة في السمندر، فليس هناك من سبب يمنع من تطبيق نفس الميكانيكية على الإنسان للحصول على نفس النتائج.

معجزات في نخاع العظم

لم يتقبّل المجتمع الطبي رأي «بيكر» إلا بعد تردّد طويل ومعارضة شبه عامة. وهذا موقف ليس بالمستغرب. لقد اعتبر كثير من الأطباء آراء «بيكر» نوعاً من الهرطقة والدجل، حتى عام ١٩٧٣م، عندما نجحت تجربته على الفأر. فقد كانت فكرة، أن تيارات كهربائية ضعيفة يمكنها أن تخلق طرفاً جديداً بدل الطرف المبتور، فكرة أقرب إلى الشعوذة منها إلى الطب. لقد افترضت نظرية «بيكر» بأن خلايا الثدييات قادرة على القيام بإنجازات غير عادية، حيث إن عملية إعادة توليد الأعضاء، هي في جوهرها عملية ولادة جديدة.

عندما ينمو طرف جديد لحيوان السمندر، فإن كريات الدم الحمراء الموجودة في مكان الجرح، تفقد وظيفتها الطبيعية المتخصصة، وتتحول إلى وضع بدائي، مثل خلايا الجنين. وتكون قابلة للتشكل من جديد، معطية أنواعاً جديدة متنوعة من الخلايا. وتُدعى هذه الكتلة من الخلايا التي لا تمتلك شكلاً محدداً «بالبلاستيما» (وتعني الأساس البدائي لعضو قبل تكوينه). وعندما تنمو **البلاستيما** في الحجم، تبدأ هذه الخلايا المتشابهة بالتمايز والتخصص، وتقوم بإنتاج جميع أنسجة الجسم المكونة للعضو الذي سيتكون من جديد.

ولم يحلم أحد من قبل، بأن خلايا الثدييات ستقوم بعمل مشابه، فكريات الدم الحمراء في الثدييات تختلف عنها في الزواحف (التي تنتمي إليها السحلية والسمندر). إذ إنها في الثدييات لا تحتوي على نواة. وعدم وجود النواة يعني ببساطة عدم قدرة هذه الخلايا على توليد خلايا جديدة، إنها لا تحتوي على الجينات الوراثية المتواجدة عادة في النواة.

ولكن عندما مرّر «بيكر»، تيارات ضعيفة في مكان الطرف المبتور للفأر، فقد لاحظ تكوّن «البلاستيما»، أي الخلايا التي ستقوم بتوليد أنسجة جديدة. وتمكّن «بيكر» سريعاً من حلّ اللغز في أصل هذه الخلايا. إنها لم تتولد من كريات الدم الحمراء، وإنما من خلايا ذات أنوية في نخاع العظم. ولهذا الكشف مغزى خطير وعميق، إنه يعني أن الثدييات لم تفقد نتيجة تطورها، القدرة على إعادة توليد أعضائها، وإنما فقدت عامل التحكّم في هذه القدرة في إحدى مراحل تطورها. وتشير الدلائل أن الكهرباء هي هذا العامل المُسيطر في القدرة على إعادة توليد الأعضاء. ولكن عدداً من الألغاز يبقى قائماً:



★ قياس الجهد الكهربائي لفأر في أحد المختبرات ★

★ لماذا تستطيع بعض الكائنات أكثر من غيرها توليد أعضاء جديدة؟.

★ ما الذي يولّد التيارات الكهربائية في مكان الجرح؟.

إن أصحاب العلاج بالوخز بالإبر على الطريقة الصينية Acupunctune، قد انتبهوا لوجود المجال الكهرومغناطيسي المحيط بالجسم. ويقوم ممارسو هذه الطريقة في دول شرق آسيا، منذ عدة سنوات، بالكشف عن التغيرات في هذا المجال الكهرومغناطيسي، للتعرف على مواقع المرض في الجسم. وقد حاول «بيكر» أن يكشف عن مصدر هذا المجال الكهربائي في الجسم. وخلال خمس سنوات، قام بقياس الجهد الكهربائي على سطح الجسم لحيوانات عديدة تراوحت من السحلية إلى الإنسان، ولاحظ دائماً أن المجال الكهربائي يتبع نفس اتجاه المسارات الرئيسية في الجهاز العصبي.

ومنذ بداية الخمسينات، كان معروفاً وجود علاقة غامضة بين الأعصاب وعملية تولّد الأعضاء. وكان **الدكتور «سنقر» من كليفلاند**، قد بيّن أن حوالي ثلث الكتلة الخلوية المولّدة للعضو الجديد في السمندر، يتكون من الخلايا العصبية. وبقيامه بنقل خلايا عصبية جديدة إلى مكان طرف مقطوع لضفدع، فقد حصل على نمو جزئي للعضو المبتور. هل يعني هذا أن الأعصاب هي التي تولّد الإشارات الكهربائية اللازمة لبدء تكوين الكتلة الخلوية المولدة للعضو، والمسماة «بالبلاستيما»؟.

ليحصل «بيكر» على الجواب اليقين، فقد قام بقياس دقيق للجهد الكهربائي على أطراف الألياف العصبية نفسها. لقد كان المعروف حتى ذلك الوقت أن الأعصاب تنقل الإشارات الكهربائية عن طريق سلسلة من النبضات السريعة تتحرك عبر الحبل العصبي. ولكن «بيكر» اكتشف أن الخلايا المحيطة بالأعصاب، تحمل تياراً كهربائياً متصلاً. وهو يعتقد أن هذا التيار هو المسؤول عن المجال الكهربائي الذي يحيط بالجسم. ويبدو أن أية اضطرابات في هذا المجال، والناتجة مثلاً عن حدوث جرح في الجسم، ستكشفها الخلايا في مواضع الجسم الأخرى. وهكذا تبدأ عملية تعويض الخلايا التالفة، مما سيؤدي لالتئام مكان الجرح. وإذا كانت الكتلة العصبية في مكان الجرح كبيرة بما فيه الكفاية، فإنها ستولّد جهداً كهربائياً كافياً لبدء نمو عضو جديد. وهذا ما يحصل في الحيوانات الدنيا، أما في الثدييات، فإن التيار المتولّد لا يؤدي إلا إلى تكوين خلايا تغلق مكان الجرح.

لقد اصطدمت نظرية «بيكر» هذه بالنظريات الشائعة والمقبولة حول عمل الجهاز العصبي. ولم يكن بالأمر السهل القضاء على الشعور العام بالتشكك، وحتى بالسخرية، الذي واجهه به العلماء الآخرون. ولكن لا أحد يشك الآن في الأهمية العملية والنظرية لآراء «بيكر». وقد أدى تعاونه مع عالم آخر «**بيسيت**»، إلى تطوير الطريقة الكهربائية لمعالجة كسور العظام. وقد يحصل العالمان بفضل هذه الطريقة في العلاج على **جائزة نوبل في الطب**، حيث كانا قد رُشّحا لها في العام الماضي.

والتئام الكسور في العظم يعتبر مثالا على قدرة الإنسان على تعويض الأنسجة التالفة، وعلى إعادة تكوين العضو المصاب. ويتكوّن في هذه الحالة كتلة الخلايا المولّدة أو البلاستيما. ويكون مصدر الكهرباء هو خلايا العظم التي تصبح مشحونة ومستقطبة كهربائياً، إذا حصل شظي أو كسر في العظم. فالتركيب البلوري للعظم، يحول الجهد الميكانيكي على العظم إلى جهد كهربائي، مما يؤدي لتكوين البلاستيما في مكان الكسر.

ويجري الآن استخدام العلاج بالكهرباء لكسور العظام في العديد من العيادات في الولايات المتحدة وخارجها. وتبلغ نسبة النجاح حالياً ٨٥٪ ولكن «بيسيت» يأمل أن يتوصل في المستقبل إلى نسبة تقارب ٩٨٪.

العلاج أثناء الرحلات الفضائية

إن الملفات الكهربائية سهلة الاستعمال، الأمر الذي سيُمكّن روّاد الفضاء الذين يمكثون فترة طويلة في المركبات الفضائية، من استعمالها لمنع إصابتهم بما

يسميه علماء **وكالة الفضاء الأميركية** «بنخر العظام الفضائي ـ astro-osteoporosis ـ»، إذ بعد قضائهم فترة طويلة في الفضاء، يصاب الروّاد بنقص في كمية الكلس في عظامهم، تؤدي إلى أن تصبح عظامهم رقيقة هشة ومسامية. وعندما عاد الروّاد السوفيات من رحلتهم الطويلة بعد ١٧٥ يوماً في الفضاء في **مركبة الفضاء ساليوت ـ ٦**، لم يكونوا قادرين على المشي إلا بصعوبة، كأنهم من الرخويات التي لا تملك العظام. ويجب أن يخضع الروّاد لفترة علاج وتدريب، للقضاء على هذه الأعراض التي هدّدت بالقضاء على مستقبل مشروع استكشاف الفضاء.

ولكن نخر العظام الفضائي، ليس مرضاً بمعنى الكلمة. إنه مثال رائع لتكيّف الإنسان على ظروف المعيشة في عالم انعدام الجاذبية. ففي هذه الأجواء لا يحتاج الإنسان لعظام قوية وكبيرة لحمل أجسامهم التي فقدت وزنها. ولا تتعرض العظام لأي ضغوط أو جهد. وانعدام هذا الجهد الميكانيكي يؤدي إلى انعدام تكوين الجهد الكهربائي الناتج عنه عادة، والذي يساعد على حفظ اتزان نسبة الكلس في العظام.

*** ما هو دور الملفات الكهربائية في علاج هذا الوضع؟.**

إنها تُعطي المجال الكهربائي اللازم للمحافظة على التوازن الطبيعي للعظم، وللقضاء على التكيّف لوضع انعدام الوزن الذي ليس إلا مرحلة مؤقتة يعيشها روّاد الفضاء.

ويركّز «بيسيت» اهتمامه حالياً على مسألة إصلاح العطل في **النخاع الشوكي**، الذي يسبّب شللاً جزئياً أو كلياً. وكان سابقاً قد اكتشف طريقة غير كهربائية لحفز الجهاز العصبي المركزي على النمو. فبعد أن سبّب خراباً في النخاع الشوكي لقط، قام بلف منطقة العطب بغطاء مسامي، سمح لآلاف الألياف العصبية بالنمو من خلال مساماته. ولكن الطريقة لم تساعد في علاج الشلل من النصف السفلي لجسم القط. وكان سبب ذلك، أنه أثناء الوقت اللازم لنمو هذه الأعصاب، فإن الخلايا العصبية في أعضاء الجسم، تكون قد كوّنت ارتباطات غير طبيعية مع الخلايا المجاورة، مما أتلف النظام العصبي في هذه الأعضاء.

ومن التجارب الناجحة الأخرى في مجال العلاج بالتيار الكهربائي، ما قام به **الدكتوران «بوكر، وشنغ» من جامعة «هاوارد» في واشنطن** عندما عالجا ضحايا الحروق بالنبضات الكهربائية. وأفاد العلاج في تخفيف الانتفاخات حول مكان الحرق وفي الإسراع بالشفاء.

إنه أمر معتاد في الطب أن يتم استغلال مادة علاجية، أو طريقة علاجية بنجاح قبل أن يتم فهم طبيعتها تماماً، أو تفسير سر تأثيرها. والعلاج بالكهرباء أحد الأمثلة على هذه القاعدة. فما يزال يحيط بهذه الطريقة هالة من الغموض والغرابة. فالكهرباء تثير عدة تغيرات سحرية على مستوى الخلية. وما كان على العلماء إلا استكشاف هذه الرسائل الكهربائية التي تتبادلها الخلايا، وفك ألغازها. ثم قاموا بتقليد الخلايا بعد أن تعلموا لغتها، وقاموا بمخاطبتها بهذه اللغة بدون أن يفهموا حتى الآن كنه هذه اللغة أو قواعدها تماماً. **لماذا تُغيّر الخلايا من تصرفها ومن وظائفها نتيجة تغيّر المجال الكهربائي في محيطها؟.**

كلمات اللغة بين الخلايا: الأيونات

ما زالت الألغاز عديدة، ولكن بعض المبادئ العامة قد أصبحت واضحة. فعلى مستوى الخلايا تتم الاتصالات عن طريق الأيونات، مثل أيونات الصوديوم والكالسيوم والمغنيسيوم. هذه الأيونات تُمثّل التيار الكهربائي، وهي تتحرك عبر الغشاء الخلوي ذو النفاذية الاختيارية. وانتقال الأيونات، يسبّب بدء سلسلة من التفاعلات الكيماوية داخل الخلية. وهذه التفاعلات قد تُطلق في النهاية حرية العمل لجزيئات الحامض النووي منقوص الأوكسجين DNA. وهو ما يكوّن الخطوة الأولى في سبيل تكوين خلايا جديدة من أجل تعويض الخلايا التالفة أو لتحقيق النمو.

لقد وُجد أنه يلزم نفس المستوى من التيارات الكهربائية لتحقيق السيطرة على أية خلية. يجب أن يقع تردّد وشدة التيار ضمن مجال معين حتى نضمن استجابة الخلايا، لخلق حوار معها. ويبدو أن كمية التياري أي الأيونات المتحركة تقرر (بالإضافة إلى عوامل أخرى)، إن كانت الخلية ستنشط جينياً (الجين: وحدة الوراثة في الكائن الحي) وتتكاثر أو أنها ستبقى خامدة. وقد تقرر شدة تيار الأيونات، فيما إذا كانت الخلية السرطانية ستتحول إلى خلية طبيعية، أو أن خلية عظم ستتحول إلى خلية غضروفية. لكن الإجابة على هذه الأسئلة ما زالت موضوع البحث.

علاج السرطان بالكهرباء

يقوم **العالمان «سميث، بيلا»**، بدراسة تأثيرات الكهرباء على النمو السرطاني للخلايا (Lymphoma). ولقد تمكّنا من تحديد نبضات كهربائية معينة قادرة على وقف نمو الورم السرطاني اللمفاوي. بينما أدى استعمال مجالات كهربائية أخرى إلى تحويل هذه الخلايا السرطانية إلى **خلايا ليفية** ـ Fibroblast ـ، وهي نوع من خلايا الأنسجة الرابطة الموجودة في جميع أنحاء الجسم.

إن الأبحاث في مجال علاج السرطان بالكهرباء، ما زالت في أطوارها التجريبية، لكن العلماء متفائلون، اعتماداً على نتائج تجاربهم حتى الآن على الحيوانات. ويبدو أن كل نوع من السرطان يتطلب تحديد النبضات الكهربائية المناسبة لعلاجه.

ويعتقد «بيلا»، بأن **المجالات الكهرومغناطيسية**، قد تكون قادرة على تغيير نشاط وطبيعة عمل الدماغ. وقد أوضحت تجارب قام بها في هذا المجال، بأن **القدرة على التعلّم وقوة الذاكرة، يمكن زيادتها باستعمال الكهرباء**، وقد كانت تجاربه حتى الآن على القطط والفئران. فقد سلّط مجالا كهرومغناطيسياً على رؤوس هذه الحيوانات أثناء تدريبها، وذلك بتوجيه إشارات كهربائية على شكل أمواج راديو باتجاه رأس الحيوان، ثم تعديل تردد هذه الأمواج، تماماً كما يحرّك أحدنا مفتاح جهاز الراديو، ويبدو أن هذه الموجات الكهربائية تصبح قادرة على التأثير على دماغ الحيوان عندما يتساوى ترددها مع تردد موجات ألفا وبيتا (α، β) في الدماغ.

وماذا عن المستقبل؟

فيما يتعلق بالمستقبل القريب، فإن معظم الخبراء يتفقون على أن العلاج بالكهرباء سيكون ذا فائدة كبيرة في علاج الأنسجة التي تُبدي قدرة معينة على تعويض نفسها، وعلى إعادة توليد خلايا جديدة مثل خلايا الجلد والعظم. ولكن مع تقدم الأبحاث في هذا المجال، وفي مجالات أخرى، فمن المتوقع أن تتفتح أمام الأطباء تطبيقات وإمكانات علاجية عديدة.

ومن المجالات الواعدة حالياً، نجد: علاج السرطان، وإعادة نمو أطراف أو أعضاء كاملة، وزيادة قدرات الدماغ من نواحي التعلّم أو الذاكرة.

إن الكهرباء قد تأتي بثورة جديدة في عالم الطب، تماماً كالثورة التي أدخلها اكتشاف البينسلين والمضادات الحيوية الأخرى، أو استخدام الطعوم والأمصال الواقية من الأمراض في بداية هذا القرن.

المصادر

(١) الموضوع مترجم عن المجلة العلمية الأميركية OMNI, Vol 3, No 2.

(٢) Biology Fourth EDITINO By: John W. Kimball 1977.

(٣) أخبار متفرقة منشورة في الصحف.



الوالد
ذكريات من الطفولة والصبا

حقيقة لا يُمكن النَّيل من أهميتها ، تشرح ما يعنيه النقّاد في حديثهم عن هذا الكاتب أو ذاك حين يقولون إنه «نشأ في بيت علم وأدب» .

فآلاف هي الفوائد التي عادت علينا من أن أبي واسع الثقافة ، وكاتب مشهور ، وعاشق متذوق للأدب . فوائد لم ندركها واعين في حينها ، وإن ظلت عقولنا وقلوبنا تتغذى يومياً عليها .

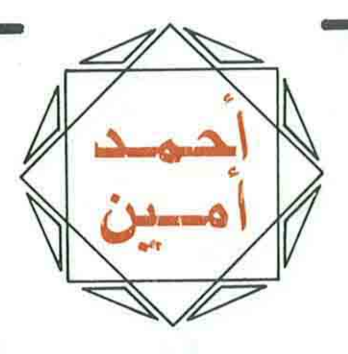


★ أحمد أمين ★

بقلم : حسين أحمد أمين

فالأدب في أسرتنا لم يكن « درساً » نتلقاه في ساعات معينة من أيام معينة ، نفرغ منه فنعود إلى ما كنا فيه . وإنما كنا نتنسم عبيره في جو المنزل نفسه ، وفي كل ساعة من ساعات اليوم ، لا يكاد ينفصل عن سائر مظاهر حياتنا اليومية . . . يدق جرس الهاتف فنهرع نحن الأطفال للرد بأصواتنا الرفيعة المتحمسة ، والساعة الكبيرة لا نكاد نستطيع أن نثبتها عند أذننا : « آلو ! من حضرتك ؟ » فيجيب المتكلم بأنه **عباس العقاد** ، أو **توفيق الحكيم** ، أو **محمود تيمور** : « أحمد بك موجود ؟ » « دقيقة واحدة » . ثم نجري إلى المكتبة صائحين : « بابا . . بابا . . محمود تيمور » .

فيتوجه أبي إلى الهاتف ، ونسمعه يسأل محمود تيمور عن سبب تخلفه عن حضور جلسة **المجمع اللغوي** ، ثم يسرد عليه ما دار خلالها ، وكيف اقترح فيها إقرار المجمع للكلمة العامية « **محندق** » لخلو معاجم اللغة من كلمة تعبِّر عن نفس المعنى بدقة . ويقص عليه ما كان من موقف **طه حسين** ، واعتراض **لطفي السيد** . ثم يقرأ عليه رسالة وصلته لتوه من **المستشرق الألماني برجشترسر** يعلق فيها على ما ذكره في كتابه « **فجر الإسلام** » عن طبيعة العقلية العربية . وتتناهى إلينا أسماء **ابن خلدون** ، **والجاحظ** ، **والغزالي** ، **وابن رشد** ، تُنطق في ألفة غريبة ، وتتكرر على لسان أبي تكرر أسمائنا نحن عليه ، فكأنما هم أقارب لنا أو جيران أو مستأجرو أرض . وكثيراً ما تهتف به والدتي إذ يفرغ من المحادثة الهاتفية قائلة إنه « إما أن يشرح لها من هو **ابن عبد ربه** أو ألا يأتي بسيرته ، لأن تكرر نطقه بهذا الاسم قد بدأ يغيظها حقاً » . وهو أحياناً يعود من الخارج فيسأل عمن اتصل به هاتفياً فتجيب والدتي : « اتصل بك ابن خلدون مرتين » . ويسأل والدي مبتسماً : « هل ترك رسالة ؟ » ، « نعم . يقول إنه قد بدأ يتململ في قبره من كثرة تناولك سيرته بالحديث ! » .



هؤلاء .. في منزلنا

فأسماء **تيمور ، وهيكل ، والمازني ، وطه حسين** وغيرهم أسماء مألوفة لدينا مذ كنا في الخامسة أو السادسة ، وقبل أن نقرأ لأصحابها حرفاً . ووالدتي تقلّد لنا أصواتهم وطريقتهم في الكلام ، فنضحك لصدق محاكاتها لصوت العقّاد الضخم ، وبطء طه حسين الشديد ، وثرثرة **الدكتور السنهوري ،** وصياح الشاعر **علي الجارم** باسمه فكأنما يعلنه للتاريخ « أنا الجاااارم » ، وتبسّط **عبد العزيز فهمي** في الأخذ والرد . ثم ها هو والدي يقص أمامنا أصل الخصومة بين السنهوري وطه حسين ، وحيرته هو بينهما وكل صديقه الحميم ، ويسرد علينا طرائف عن توفيق الحكيم ، ويُثني على أريحية تيمور وسماحته وطيب خلقه . أو ها هو يقص علينا ذكرياته عن **الشيخ محمد عبده ،** ونبأ مقابلاته مع **حافظ إبراهيم ،** أو يتنبأ بمستقبل باهر في الأدب لموظف صغير بوزارة الأوقاف يدعى **نجيب محفوظ**. فإن ولدت قطتنا أسمعنا قصيدة **شوقي** في القطة التي ولدت بحجرة مكتبه ، وإن قدّم لنا وقت الغذاء باذنجان أنشدنا قصيدته « نديم الباذنجان » .

على ضوء هذا وغيره من مئات القصص والتفاصيل عن الحياة الخاصة لأدبائنا وأنماط شخصياتهم ، بدأنا نقرأ كتبهم . فهم ليسوا غرباء علينا . وباستطاعتي حين أقود تيمور إلى حجرة الاستقبال أن أعبّر له عن إعجابي بروايته « **سلوى في مهب الريح** » ، أو حين أرد على العقّاد في التليفون أن أخبره أني قرأت له « عبقرية عمر » :

— كم سنك يا . . . ؟ .

— عشر .

— تقرأ « عبقرية عمر » في العاشرة ؟ لا أعتقد أنك فهمته كل الفهم .

— بل فهمته . فاسألني فيه إن أحببت .

— ليس لديّ وقت لسؤالك فيه . ناد لي أباك ! .

★ ★ ★

كان من أول ما تفتح ذهني لإدراكه أن والدي أديب مؤرخ ، وأن احترام الناس له وإجلالهم إيّاه راجعان أساساً إلى إنتاجه في الأدب والتاريخ ، بل وأن طيب معاملة المدرّسين والنظّار لي واعتنائهم بأمري عناية خاصة لا يلقاها غيري ، مرجعهما أني ابن هذا الأديب . كان إذا اصطحبني يوماً إلى الناظرة في شأن ما ، هبّت واقفة في احترام ، ومدّت يدها إلى رأسي تربت عليها طوال حديثها معه . فإن دخل الحجرة عليَّ وأنا أراجع دروسي مع مدرّس خصوصي ، تقدم المدرّس منحنياً لتقبيل يده . **فإن أغلق على نفسه باب حجرته وجلس للكتابة ، أعلنت الأحكام العرفية بالبيت . فإذا اللعب يكف ، وإذا الكلام أقرب إلى الهمس : إن صاح أحدنا عن غفلة كتم الآخر له فمه المفتوح بكفه ، وإن دخل الخادم يتكلم بصوت عال فوجئ بالأصابع إلى الشفاه تحذره : ششش ! .**

تربية الأبناء

حدث مرة أن كلمنا والدي خلال جلسة عائلية عن فصل قرأه في كتاب **لمارك توين** عنوانه « ما الإنسان ؟ » يذهب فيه المؤلف إلى أن تصرف الإنسان أناني بطبيعته حتى في حالات الإحسان والشفقة . ثم حدث لحسن الحظ أن طلب منا مدرّس اللغة العربية بعدها بأسبوعين كتابة موضوع إنشاء في « الأنانية » وكتب لنا على السبورة عناصر الموضوع حتى نستعين بها . غير أني نحّيت هذه العناصر جانباً وبدأت أسرد نظرية مارك توين على أنها من عندي وثمرة تفكيري . وبعد بضعة أيام فاجأني أبي أثناء العشاء ، وعلى شفتيه ابتسامة ، بقوله إنه علم بأمر موضوع الإنشاء الذي بسطت فيه نظرية مارك توين . قلت في قلق : « أأخبرت المدرّس أنها فكرة مارك توين ؟ » أجاب بالنفي ثم ابتسم . على أي حال فقد طلب المدرّس مني عند إعادته للكراسات أن أقرأ الموضوع على تلاميذ الفصل ، مبدياً إعجابه بأولئك الذين يفكّرون لأنفسهم ويطلعون بفكر مبتكر ، دون التزام بعناصر الموضوع التي تُملى عليهم ! .

كان الإخوة الكبار منا يحدثوننا عما لقوه من والدي في صباهم من شدة وصرامة في المعاملة ، حتى لقد كانوا يختبئون تحت الأسرّة إذا سمعوا صوت السيارة وقد وصلت به إلى البيت وإن لم يكونوا قد ارتكبوا ذنباً ، وكيف كان لا يسمح بدخول البيت لمن يتأخر منهم بعد ساعة معينة من الليل ، فيضطرون إلى المبيت في حجرة البوّاب في رفقة البراغيث والبق إلى الصباح .

غير أن مثل هذه المعاملة لم يلقها غير الإخوة الأربعة أو الخمسة الكبار . وقد فسّر والدي لنا فيما بعد تغير أسلوب تربيته تفسيرات شتى : منها اقتران فكرة التربية في ذهنه في بادئ الأمر بطريقة تربية أبيه له ، وهو مفهوم لم يتخلّص منه إلا بعد قراءته في كتب التربية وأسفاره العديدة وما دلّته عليه تجاربه وملاحظاته . ومنها اعتقاد كان لديه بأنه **إن أحسن تربية الابن الأكبر وقوم أخلاقه ،**



★ أحمد أمين وطه حسين في بلودان في دار فارس الخوري رئيس مجلس الوزراء ★

سار بقية إخوته على نهجه دون حاجة إلى تدخل كبير من جانب الوالدين . ومنها ازدياد إقباله على التأليف منذ عام ١٩٢٧ م . فإن أحببنا أن نحدد تاريخاً معيناً لهذا التغير الجوهري في أسلوب التربية ، فهو تاريخ **رحلته إلى تركيا** عام ١٩٢٨ م . وما زالت لدينا صفحة سطّرها في طريق عودته منها بالباخرة يعترف فيها بخطئه إذ يقسو في معاملة أولاده ، ويعاهد نفسه أن يغير من هذه المعاملة ، « فأكون معهم ألطف وأعطف وأرق وأكثر مرحاً . . . » .

على أي حال فإن والدتي تؤكد لنا أنه حتى في عهده القديم لم يكن بالقسوة التي توحي بها هذه الصفحة من اعترافه . وهي تضرب مثلاً لذلك الليالي التي كان المتأخر في الإياب يقضيها في حجرة البوّاب ، فتقول إنها ــ أي هي وأبي ــ كانا يقطعان الليل بأكمله ساهرين ، يذرع أبي الغرفة جيئة وذهاباً وهو يحس بندم وإشفاق يحاول قمعها ، ويرفض أن يسمح لوالدتي بإنارة الغرفة حتى لا يعرف « الولد الشقي » أنهما مستيقظان من أجله .

غير أنه بالرغم مما طرأ على أسلوب والدي في التربية من تطور جوهري ، وبالرغم مما كنا نلمسه منه من عطف وعناية كبيرين ، فقد ظل حاجز قوي من الرهبة يقف دائماً بيننا وبينه ، يحول دون رفع الكلفة ، أو التجاوب إن حاول أحياناً التبسّط معنا أو تشجيعنا على مفاتحته بأسرارنا . فإن كانت والدتي تقسم أنه كثيراً ما انحنى على الأرض في هيئة الحصان ، يحملنا على ظهره ويركض بنا حول الغرفة ونحن نقهقه ونستحثّه ، فإن هذا التأكيد منها لم يكن ليفلح إلا في إثارة عجبنا لجرأتنا .

كنا نسمي حجرته « حجرة السرير » ، ربما لاحتوائها على أفخم سرير بالبيت ! وكان يختار لنفسه في الشتاء أكثر حجرات الطابق العلوي مواجهة للشمس ، وفي الصيف أقلها تعرضاً لها . ولا أزال أذكر الأيام التي كانت تتم فيها هذه المبادلة ، وأفراد العائلة والخدم يروحون ويجيئون بالأثاث والكتب من حجرة إلى أخرى . **وكان يستخدم حجرة نومه للقراءة أيضاً** . وإذا كان جُلّ وقت فراغه كان يخصص للقراءة والكتابة ، فقد كانت الساعات التي نجلس إليه فيها ــ عدا أوقات الطعام ــ تُختلس اختلاساً ، لا يكاد أحدنا يجرؤ أن يدخل وحده عليه الغرفة وهو منهمك في البحث . فإن دخلنا فلا بد من والدتي معنا نحتمي بها ، نمشي وراءها طابوراً على أطراف الأصابع ، فإن جلست جلسنا ، وإن انتهى حديثها إلى أبي ونهضت نهضنا معها في نفس اللحظة ، ونخرج وراءها صفاً كما دخلنا . وبالرغم من أن أبي كان دائماً ينحّي الكتاب جانباً إن دخلنا عليه ، محاولا أن يتبسّط في لقائنا ويبتسم ، فقد كنا نشعر في قرارة أنفسنا بأن رفقة الكتاب أحب إلى نفسه .

الزوجان

بالرغم من انتماء والدتي إلى عائلة أكثر عراقة وثقافة من عائلة أبي ، فإنه لا هي ولا أي من إخوتها ، تلقّى قدراً كافياً من التعليم . كان جدي لأبي ابناً لفلاح ، وكان رغم ضآلة دخله وكثرة أولاده يصرّ على منحهم أكبر قسط من الثقافة ممكن . بل إنه كان من أوائل المصريين الذين أرسلوا بناتهم إلى المدرسة حتى يشاركن أزواجهن فيما بعد حياتهم مشاركة حقيقية . أما والدتي فجدّها **محمد علي باشا البقلي أول ناظر مصري لمدرسة الطب ،** وكان أبوها قاضياً وفقيهاً في القانون . ومع ذلك



فالواضح أنه أهمل تعليم أولاده إهمالا فاضحاً، وكان موته المبكر (في الخامسة والثلاثين) دون أن يخلّف وراءه ثروة تذكر، نذيراً بخروجهم من مدارسهم.

وقد حاول والدي جاهداً عقب زواجه أن يعطي أمي دروساً في الجغرافيا والتاريخ واللغة حتى يقلل من الفارق الرهيب بين ثقافته وثقافتها، وحتى يضمن اهتماماً من جانبها بما كرّس له حياته. غير أنه اضطر بعد مدة إلى أن يطرح محاولاته يائساً وهو يعجب كيف يرفض ذهن امرأة كهذه متوقدة الذكاء أهمية الإحاطة بموقع بريطانيا، أو فتوحات **بونابرت**. كانت تقرأ الصحف، عدا الأبواب السياسية منها، وتهتم بالأخص بأسعار الذهب، وصفحة الوفيات، والإعلانات المبوبة. فأما الكتب فثلاثة أو أربعة تعشقها عشقاً وتعيد قراءتها كلما فرغت منها: «مجاني الأدب» في نسخة مهلهلة احتفظت بها منذ أيام الدراسة، وكتاب في مقومات الصحة وأسباب المرض، و«حدائق الأمثال العامية» **لأحمد تيمور**، ومجموعة أزجال **عثمان جلال**. أما كتب والدي فلم تقرأ منها غير مقال واحد في «**فيض الخاطر**» بعنوان «ولود وعقيم» عن حوار بين سيدتين في الترام. وإنما قرأته والدتي لأنها هي السيدة الولود، قد نقلت إلى والدي حواراً دار بينها وبين سيدة عقيم جلست بجوارها في الترام، فرآه والدي جديراً بأن يسجل.

أذكر يوماً في نهاية شهور الصيف، وكنا في طريق العودة من **رأس البر**. وقد كانت لوالدي عادة في السفر كثيراً ما كنّا نستنكرها في نفوسنا ولا نستطيع أن نبوح له باستيائنا منها. فهو يريد أن يكون سفره خالياً من المتاعب والمضايقات إلى أبعد الحدود. يقصد بنا جميعاً إلى إحدى عربات القطار ومعنا الأمتعة كلها، عاهداً إلى أخي الأكبر أن يهتم بنا وبالتذاكر والحقائب «خاصة هاتين الحقيبتين»، أتسمع؟ خاصة هاتين الحقيبتين، مشيراً إلى الحقيبتين اللتين أودعهما كتبه وما قد يكون قد ملأه أثناء الإجازة من كراسات. ثم يحيينا على أن يرانا في محطة العاصمة، وقد يأخذ معه رواية لتوفيق الحكيم أو محمود تيمور، فيضعها تحت إبطه، ويمضي بها إلى مقعده في عربة أخرى بعيدة.

استقر مجلسنا في عربة القطار الواقف في **محطة دمياط**، ودخلت والدتي على الفور في حديث مع سيدة سمينة مليحة الوجه تجلس قبالتنا. وقد بدأ الحديث على ما أذكر عن الحقيبتين اللتين أوصى والدي أخي بأن يوليهما اهتماماً خاصاً. فقد سمعت السيدة الوصية، ورأت ما عانيناه من مشقة إذ نحاول رفعهما إلى الرفوف لشدة ثقلهما. فالتفتت إلى والدتي تراهن أن الحقيبتين إنما تحويان قضباناً من الذهب. أجابت والدتي:

— ذهب؟! هي كذلك أو أغلى من الذهب عند صاحبها. وهي عندي لا تعادل هذه الربطة من الفطير (المشلتت) التي أراك قد أتيت بها.

— فماذا بهما إذن؟.

— كتب وحياتك عندي.

— لا أصدق.

— فبادليني إذن هذا الفطير بهاتين الحقيبتين بما عسى أن يكون بهما من كنوز. أو بحقك فخذيهما دون فطير، وسيكون لك مني الثواب والدعاء، فهي عندي أثقل من ضرّة، وآخذ من وقت صاحبها من الضرّة بكثير!.

— أزوجك كاتب؟.

— كذلك يدعى.

— أكاتب قصصي هو؟.

— والله يا أختي ما قرأت له حرفاً، فلا تسأليني.

— فما اسمه؟.

— أحمد أمين.

— لم أسمع به.

صاحت والدتي في انتصار: «أسمعت به بذمتك؟ بيد أنه يظن الناس إنما تلهج ألسنتهم بذكره. شكراً لك. والله ما إن أصل إلى القاهرة حتى أخبره أني قابلت في القطار من لم يسمع عنه في حياته قط، ولم يقرأ من كتبه الأربعين حرفاً. علَّ ذلك يعيد إليه صوابه ويُنزله من عليائه».

— ألا يسرك أن تكوني زوجة لأديب مشهور؟.

— أين هو السرور خبّريني؟ في انشغاله عنك وعن أولاده بكتبه، أم في شرود ذهنه، أم في تلك النسوة اللواتي يأتينه مدعيات حب الأدب؟ والله لا سرور سوى ربما بأن الكتب قد بدأت تدرّ دخلاً لا بأس به. أتظنينه يوماً لاحظ فستاناً جديداً اشتريته، أو قرطاً تحلّيت به؟ أبداً يا روحي. أجيئه بالفستان الجديد فأجده إما قارئاً أو كاتباً. أقول له: انظر وقل رأيك. فيرفع رأسه بمشقة ويقول: هه! فأعيد عليه الجملة. «رأيي في ماذا؟» «في الفستان. في هذا الفستان الجديد». فيقول كالمذهول: «ماله؟». أصبح وقد تبدّد كل سروري به: «ما رأيك فيه؟» فينظره وأنا واثقة من أنه يقلّب في ذهنه جملة مما كان يقرأ أو يكتب، ثم يقول: «جميل». فوالله لو سألته وقتها ما هو الجميل، وعن أي شيء أتحدث ما درى!.

الفراسة والقيافة عند العرب

بقلم : ابراهيم محمد الفحام

تُعد الفراسة والقيافة من الخصائص المتميزة، التي اشتهرت بها بعض الجماعات والشخصيات العربية منذ القدم، حتى خلّدت المأثورات العربية كثيراً من وقائعها التي يكاد يرقى بعضها إلى مستوى الخوارق والأساطير.

وقد عرَّف الألوسي (علم الفراسة) في كتابه (بلوغ الأرب) بأنه (الاستدلال بهيئة الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله) غير أن الفراسة لا تقتصر على كشف ما خُفيَ من الطبائع البشرية، بل تشمل أيضاً كل ما من شأنه استنباط الحقائق والمعلومات الخفية من المظاهر.

ضروب الفراسة والقيافة

قسّم الألوسي الفراسة من حيث مصدر الخبرة بها إلى ضربين:

(١) ضرب يحصل للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه وقد وصفه بأنه «**ضرب من الإلهام بنور الله**».

(٢) وضرب يكون بصناعة مُتَعَلّمه «**وهو معرفة ما بين الألوان والأشكال وما بين الأمزجة والأخلاق والأفعال الطبيعية، ومن عرف ذلك كان ذا فهم ثاقب بالفراسة**»، ثم أضاف: «والفراسة ضرب من الظن، وهي من توابع العقل. وكلما كان العقل أكمل، كانت الفراسة أقوى. ولهذا كان العرب فيها أوفر نصيباً من غيرهم».

أما القيافة، فقد اتُّفِقَ على تقسيمها إلى نوعين هما:

(١) **قيافة الأثر** (ويقال لها العيافة).

(٢) **قيافة البشر**.

ويُعرِّف الألوسي قيافة الأثر بأنها: «علم باحث عن تَتَبُّع آثار الأنواع والأخفاف والحوافر في المقابلة للأثر وهي التي تكون في تربة حُرَّة تتشكل بشكل القدم».

وأوضح فائدة ذلك العلم بقوله: «ونفع هذا العلم بيِّن. إذ القائف يجد بهذا العلم الفارَّ من الناس والضالَّ من الحيوان، بتتبع آثارها وقوائمها بقوة الباصرة، وقوة الخيال والحافظة، حتى يُحكى أن بعضهم يفرق بين أثر قدم الشاب والشيخ، وقدم الرجل والمرأة، والبكر والثيِّب».

وأما قيافة البشر فهي الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة في سائر أحوالهما وأخلاقهما.

وقد أوجز أبو القاسم الأصفهاني في كتابه (**الذريعة**) التعريف بهذين النوعين من القيافة بقوله: «**القيافة ضربان: أحدهما بتتبع أثر الأقدام، والاستدلال به على السالكين، والثاني الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله على نسبه**». وخص الاستدلال القيافة البشرية من العرب **بنو مدلج وبنو لهب** وذلك لمناسبة طبيعية حاصلة فيهم، لا بتعلُّم.

ويضيف الألوسي: «وحصول هذا العلم بالحدس والتخمين لا بالاستدلال واليقين، ولا تُحَصَّل بالدراسة والتعليم، فلذا لم يُصنَّف فيه مصنَّف، لا حادث ولا قديم». ثم يتحدث عن القيافة في عصره فيقول: «والقيافة اليوم موجودة في بعض قبائل **نجد**، ويقال إنهم **بنو مرّة**، وهم أعلم الناس بها. وقد نقل الثقات ممن سافر إلى بلاد نجد أن كثيراً منهم يرى الأثر فيقول: هذا أثر فلان وفلان، وهذا أثر بعير فلان وفلان، وهذا أثر أناس لم يطأوا الأرض الفلانية.

وهؤلاء أناس قدموا من كذا وكذا ، فلم يخلوا بشيء فيها .

وسمعت أن أعرابياً اتبع أثر حمار له سرقته اللصوص حتى دخل الحِلَّة ـ يقصد حلة **بني مزيد** إحدى مدن **العراق** ـ وهو ينشده حتى أوقفه أثره عليه من بين آثار حمير لا تحصى . وإذا نظروا إلى عدة أشخاص ألحقوا الابن بأبيه والأخ بأخيه والقريب بقريبه . وميَّزوا الأجنبي ، إذا كان بينهم .

وأهل مكة فيهم من يقارب هؤلاء ، فترى كثيراً منهم يميز بين العراقي والشامي والمصري والمدني ، والعربي والعجمي ولو لم يكن بزيه وهيئته » .

ويعلل هذه الموهبة بقوله : « **وهي ناشئة من كمال الفطنة والذكاء ، ومن توابع غزارة العقل** »[٢] .

تفوق العرب في علم القيافة

وذكر المسعودي في كتابه (**مروج الذهب**) أن قيافة الأثر وقيافة البشر « من خواص ما للعرب ، وما تفرَّدت به دون سائر الأمم ، في الأغلب منها » .

ثم يفصِّل ذلك بقوله : « وليس هو موجود في سائر العرب ، وإنما هو للخاص منها ، الفَطِن ، والمتدرب الظَّنِنْ . وإن وُجد ذلك في بقية الأمم فيمكن أن يكون ذلك موروثاً عن العرب ، ومأخوذاً منها في سالف الدهر . لأن العرب قد تنقلت في البلاد وتغيرت لغاتها ، فنُسب ذلك الجنس الذي قطنت بينهم العرب . ويمكن أن يكون الإفرنجية ، ومن وجد فيها ذلك من الأمم أخذوه بعد ظهور الإسلام ممن جاورهم من أمم العرب ، ممن سكن بلاد **الأندلس** من الأرض الكبيرة ، وإن كان ذلك قبل ظهور الإسلام فهو ما ذكرنا آنفاً . ويمكن أن يكون الله عز وجل خَصَّ بذلك أمماً غير العرب ، كما خَصَّ العرب به ، إذ كان ذلك داخلاً في الإمكان . خارجاً من باب الممتنع والواجب » .

وضرب المسعودي المثل ببراعة بعض القافة في زمنه فقال : « وبأرض الجفار ـ وهي بلاد **الرمل** من بلاد **مصر** وأرض **الشام** ـ أناس من العرب من تلك الجفار يتناول الإنسان من تمر نخلهم فيغيب عنهم السنين ، ولم يروا ذلك ولا شاهدوه ، **فإن رأوه بعد مدة علموا أنه الآخذ لتمرهم ، ولا يكادون يخطئون** . وهذا من فعلهم مشهور ، ولا تكاد تخفى عليهم أقدام أي الناس هم . . . ورأيت بهذه الأرض أناساً قد رتَّبهم ولاة المنازل ، يطوفون في هذا الرمل ، يُعرفون **بالقُصَّاص** ، يُقصُّون آثار الناس وغيرهم ، **فيخبرون ولاة المنازل أي الناس هم ممن طرق تلك البلاد ، وهم لم يروهم ، بل رأوا آثار أقدامهم** »[٣] .

فروع علم الفراسة

وقد أورد طاش كبري زاده (**علم قيافة الأثر**) و (**علم قيافة البشر**) في كتابه (**مفتاح السعادة ، في معرفة موضوعات العلوم**) ضمن فروع علم الفراسة بمعناه المتسع . إذ حدَّد فروع هذا العلم على النحو الآتي[٤] :

(١) علم الشامات والخيلان :

« وهو علم باحث عن أحوال العلامات المذكورة ، بحسب دلالتها على الأحوال الباطنة ، والأخلاق الموجودة في الإنسان بحسب الفطرة ، وقد صنف فيه بعض الكتَّاب رسائل لكنها قليلة الوجود جداً » .

(٢) علم الأسارير :

« وهو علم باحث عن الاستدلال بالخطوط الموجودة في الأكف والأقدام والجباه بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر بحسب ما بينها من الفرج المتسعة أو المتضائقة ، ومن حيث دلالتها على أحوال الإنسان من طول الأعمار وقصرها ، السعادة والشقاوة ، والغنى والفقر **وأكثر من تمهَّر في هذا العلم الأعراب والهنود** » .

قال الأعشى :

فانظر إلى كفي وأسرارها هل أنت إن أوعدتني ضائري

(٣) علم الأكتاف :

« وهو علم باحث عن الخطوط والأشكال التي تُرى في أكتاف الضأن والمعز ، إذا قوبلت بشعاع الشمس ، من حيث دلالتها على أحوال العالم الأكبر من الحروب الواقعة بين الملوك ، وأحوال الخصب والجدب . وهؤلاء الذين يعتنون بهذا العلم قلَّما يستدلون على الأحوال الجزئية لإنسان معيَّن . **وأهل هذا العلم يأخذون لوح الكتف قبل طبخ لحمه ، ويلقونه على الأرض أولا ، ثم يأخذونه وينظرون فيه ، ويستدلون بأحواله من الصفاء والكدر ، والحمرة والخضرة إلى الأحوال الجارية في العالم بين الغلاء والرخاء ، والحروب الواقعة بين الأفراد ، ولمن الغلبة فيها** ، وينسبون كلاًّ من أطرافه الأربعة إلى جهة من جهات العالم ، ويحكمون بذلك على كل صقع منها بأحوال متعلقة بها على ما يظهر في اللوح ، وينسب علم الكتف إلى أمير المؤمنين **علي بن أبي طالب** كرم الله وجهه . ورأيت مقالة في هذا العلم مختصرة غاية الاختصار يجدها من يطلبها » .

(٤) علم قيافة الأثر :

« **وهو علم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر ، في الطرق القابلة للأثر** ، وهي التي تكون تربة حرة ، تتشكل بشكل القدم . ونفع هذا العلم بَيِّن . إذ القائف يجد بهذا العلم الهُرَّاب من الناس والضُّوال من الحيوان ، بتتبع آثارها وقوامها بقوة الباصرة وقوة الخيال والحافظة . حيث سمعت بعض من اعتنى بهذا العلم أنهم يُفرِّقون بين أثر قدم الرجل وأثر قدم المرأة ، وبين أثر قدم الشيخ والشاب . والله أعلم بالصواب » .

(٥) علم قيافة البشر :

« **وهو علم باحث عن كيفية الاستدلال بهيئات الأعضاء في الإنسان على الاشتراك بينهم في النسب والولادة وفي سائر الأخلاق والأحوال** . ويختص هذا الاستدلال بقوم من العرب يقال لهم **بنو مدلج** وآخرين يقال لهم

بنو لهب، وذلك بمناسبة طبيعة حاصلة فيهم، ولا يمكن تعلّمه».

إلى أن قال: «وهذا العلم والذي قبله حاصلان بالحدس والتخمين، لا بالاستدلال واليقين، وإنما سميت بقيافة البشر لكون صاحبه يتتبع بشرات الإنسان وجلوده وما يتبع ذلك من هيئات سائر الأعضاء خصوصاً الأقدام».

وأشار إلى أساس ذلك العلم بقوله: «ومبنى هذا العلم ما ثبت في المباحث الطبية من وجود المناسبة والمشابهة بين الولد ووالديه، وقد تكون في أمور خفية لا يدركها إلا أرباب الكمال. وتدرك هذه المشابهة بمعونة القوة الباصرة والقوة الحافظة. ولهذا اختلفت أحوال الناس في هذا العلم كمالا وضعفاً.... وهذا العلم موجود في قبائل العرب ويندر في غيرهم، **إذ لا يمكن تحصيل هذا العلم وكسبه وتعلمه، بل هو متوارث في أعراق مخصوصة من العرب لا يشاركهم فيه غيرهم**. ولهذا لم يقع في هذا العلم تصنيف قلَّ أو جلَّ».

(٦) علم الاهتداء بالبراري والأقفار:

«وهو علم يتعرف به أحوال الأمكنة، من غير دلالة عليه بالأمارات المحسوسة بل يُستدل بالقوة الشامَّة فقط. وقيل: «**قد يستعين صاحب هذا العلم بالأمور السماوية تارة والأرضية أخرى**. أما الأول بمساقات الكواكب الثابتة، ومنازل القمر كما في قول الله تعالى ﴿ **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر**﴾. **وأما الثاني فبمعرفة الخيال، مثل شم التراب، إذ لكل بقعة رائحة مخصوصة فيهتدون بها**. ونَفْعُ هذا العلم عظيم، وإلا لهلكت القوافل، وضلّت الجيوش، وضاعت في البراري والأقفار. وقيل: قد يكون بعض من هو بليد في سائر العلوم ماهراً في هذا العلم، كما يمكن عكسه. وقد يحصل هذا النوع من التمييز في الإبل والفرس».

واستدل على ذلك برواية بعضهم: «إني كنت في قافلة في مفازة خوارزم وضللنا الطريق، وعجز الكل عن الاهتداء، فقدَّموا جملاً هرماً، وألقوا حبله على غاربه، فأخذ ينتقل من جانب إلى جانب، ومن تلٍّ إلى تل، وتذبذب يميناً وشمالا، وصعوداً ونزولا، واستمر على هذا الحال فرسخين وخفنا على أنفسنا حتى وصل إلى الجادة المستقيمة، والنهج القويم، وتعجبنا منه كل العجب».

(٧) علم الريافة (أي استنباط المياه):

«**وهو معرفة الماء في الأرض بواسطة الأمارات الدالة على وجوده، ويعرف بها أنه قريب أو بعيد، إما بشمِّ رائحة تراب منها، أو رؤية نبات بها، أو حيوان مخصوص بحركة مخصوصة، ولا بد لصاحبه من حسٍّ كامل وتخيُّل قوى**. ونفع هذا العلم بيِّن، إذ قلّما يوجد في جميع الأراضي الأنهار الجارية المنصبَّة من شواهق الجبال، والأماكن المرتفعة إلى بطون الأودية. **وأصل هذه الصناعة، معرفة خواص الأرضين، وأحوال ترتبها بألوانها وخواصها. السهلي والجبلي والرملي والصخري... وهذا العلم من حيث معرفة وجود الماء من فروع علم الفراسة، ومن حيث حفرها وإخراجها إلى وجه الأرض من فروع الهندسة**».

(٨) علم استنباط المعادن:

«إذ الذهب والفضة وغيرهما لا بد لها من علامات تُعرف بها عروقها في الجبال. ومباديه وآلاته قريبة من العلم السابق».

(٩) علم نزول الغيث:

«**وهو علم يتعرف به كيفية الاستدلال على المطر بأحوال البروق والسحب والرياح، وأخص الناس بهذا العلم العرب، لاشتداد جانبهم إلى الغيوث، التي بها حصول معائشهم من السقي والري**. وقد حصل لهم هذا العلم بكثرة التجارب، ودليله الدوران بين أحوال السحب والأمطار، وأحوال السحب؛ إما بحسب مواضعها أو رقتها وكثافتها، أو ألوانها، وكيفية أحوال الرياح والبروق ويعرفون أيَّ هذه الأمور ماطرٌ للجود، وأيها ماطرٌ للرذاذ، وأن أي البروق خلب، وأيها ذات صبيب».

(١٠) علم العرافة:

«وهو الاستدلال ببعض الحوادث الحالَّة على الحوادث الآتية بمناسبة بينهما، أو مشابهة خفية أو ارتباط بينهما، إما لكونهما معلولي أمر واحد، أو لكون ما في الحال علة لما في الاستقبال».

(١١) علم الاختلاج:

«**وهو علم يبحث عن كيفية دلالة اختلاج أعضاء الإنسان من الرأس إلى القدم على الأحوال التي ستقع عليه، ونفعه والغرض منه ظاهر**. لكنه علم لا يُعتمد عليه لضعف دلالته وغموض استدلاله. ورأيت في هذا العلم رسائل مختصرة لكنها لا تشفي العليل، ولا تسقي الغليل».

من مأثورات العرب عن الفراسة

انتهى إلينا العديد من الوقائع المشوقة عن أشخاص اشتهروا بصدق الفراسة سنقدم بعضاً منهم في السطور التالية:

فراسة أولاد نزار

من أشهر مأثورات العرب عن الفراسة، أن **نزار بن معد بن عدنان** أنجب أربعة أولاد هم (**مضر وربيعة وإياد وأنمار**) ولما حضرته الوفاة وصَّاهم فقال:

يا بَنيَّ: هذه القبة الحمراء وما أشبهها لمضر. وهذا الخباء الأسود وما أشبهه لربيعة، وهذه الخادمة وما أشبهها لإياد. وهذه الندوة (أي المجلس) وما أشبهها لأنمار. فإن أشكل عليكم واختلفتم فعليكم بالأفعى الجرهمي بنجران.

فاختلفوا في القسمة فتوجهوا إليه، فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلأً قد رعى فقال: «إن البعير الذي رعى هذا الكلأ لأعور».

وقال ربيعة «هو أزور» أي به عوج في الزور.

وقال إياد «**هو أبتر**» أي مقطوع الذنب.
وقال أنمار «**هو شرود**» أي نفور.

فلم يسيروا قليلاً حتى لقيهم رجل يسرع على راحلته فسألهم عن البعير.

فقال مضر: «هل هو أعور؟» قال: «نعم».

وقال ربيعة: «هل هو أزور؟» قال: «نعم».

وقال إياد: «هل هو أبتر؟» قال: «نعم».

وقال أنمار: «هل هو شرود؟» قال: نعم. هذه والله صفة بعيري فدلوني عليه». فقالوا: «والله ما رأيناه»!.

قال: (وصفتموه بصفته، فكيف لم تروه؟).

ورافقهم إلى نجران حتى نزلوا **بالأفعى الجرهمي** فشكاهم إليه قائلاً: (هؤلاء أصحاب بعيري.. وصفوه لي بصفته، وقالوا لم نره).

فقال لهم الأفعى: (كيف وصفتموه ولم تروه؟).

فقال مضر: «**رأيته يرعى جانباً فعرفت أنه أعور**».

وقال ربيعة: «**رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعرفت أنه أزور**».

وقال إياد: «**رأيت بعره مجتمعاً فعرفت أنه أبتر**».

وقال أنمار: «**رأيته يجلس المكان الملتف ثم يجوز إلى غيره فعرفت أنه أزور**».

فقال الأفعى: «**ليسوا أصحاب بعيرك، فاطلبه من غيرهم**». ثم سألهم من هم.. فأخبروه أنهم بنو نزار بن معد. فقال لهم «أتحتاجون إليَّ وأنتم كما أرى؟».

ثم دعا لهم بطعام، ثم بشراب، فأكلوا ثم شربوا معه.

فقال مضر: (لم أر كاليوم خمراً لولا أنه ـ أي كرمته ـ نبتت على قبر.

وقال: ربيعة (لم أر كاليوم لحماً لولا أنه ـ أي الحيوان الذبيح ـ ربي بلبن كلب.

وقال إياد: (لم أر كاليوم رجلاً أسرى لولا أنه ـ يقصد مضيفهم الأفعى يدعى لغير أبيه.

وقال أنمار: (لم أر كاليوم كلاماً أنفع في حاجتنا).

وثبت صدق ما خمنوه جميعاً. فالخمر أخذ من كرمة غُرست على قبر أبي الأفعى (المضيف لهم) واللحم كان لشاة أرضعت في صغرها بلبن كلبة، لأن أمها ماتت بعد ولادتها، ولم يكن ولد في الغنم شاة قبلها. كما ثبت أن الأفعى كان منسوباً لغير أبيه لظروف ذكرت له أمه.

فقيل لمضر: «من أين عرفت الخمر ونباتها على قبر؟» فقال «لأنه أصابني عليها عطش شديد».

وقيل لربيعة: «من أين عرفت أن الشاة ارتضعت على لبن كلبة؟» فقال «لأنني شممت فيها رائحة الكلبة»!.

وقيل لإياد: «من أين عرفت أن الرجل يدعى لغير أبيه؟» فقال «لأنني رأيته يتكلف ما يعلمه».

ثم أقبل عليهم الأفعى، فسألهم عن وصية أبيهم، وفسَّرها لهم، وأوضح لهم ما يخص كل فرد منها[5].

فراسة إياس بن معاوية

كان القاضي إياس بن معاوية من أشهر من عُرف بالفراسة بعد الإسلام.

ومما يروى عنه أنه نظر ذات يوم إلى صدع في أرض فقال: (تحت هذا دابة). فنظروا فإذا حية فقيل له: (من أين علمت)، قال: (رأيت ما بين الآجرتين ندياً من جميع تلك الرحبة فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس). وروى أنه سمع نباح كلب فقال: (**هذا نباح كلب مشدود**) ثم سمع نباحه مرة أخرى فقال: (قد أرسل، وتوجه أصحابه إلى مصدر النباح حيث وجدوا أناساً جالسين، وتأكدوا منهم من صدق قوله ولما سألوه (من أين علمت؟) قال: (كان نباحه وهو موثق يسمع من مكان واحد ثم سمعته يقرب مرة، ويبعد أخرى).

ومرَّ ذات ليلة بماء فقال: (**أسمع صوت كلب غريب**)، فقيل له (كيف عرفته؟)، قال بخضوع صوته وشدة نباح الآخرين) فسألوا فإذا به كلب غريب والكلاب تنبحه[6].

ونظر يوماً إلى رجل غريب لم يره من قبل فقال: (**هذا رجل غريب واسطي معلم كتاب هرب له غلام أسود**)!. ولما سئل الرجل وُجد الأمر كما ذكر إياس فقيل له: (من أين لك ذلك؟). قال: (رأيته يمشي يتلفت فعلمت أنه غريب، ورأيت على ثوبه حُمرة تراب واسط، ورأيته يمر بالصبيان ويسلم عليهم ويدع الرجال، وإذا مرَّ بذي هيئة لم يلتفت إليه، وإذا مرَّ بغلام أسود ذي أسمال يتأمله)[7].

فراسة الإمام الشافعي ومحمد بن الحسن

روي أن **الإمام الشافعي ومحمد بن الحسن** (رضي الله عنهما) رأيا رجلاً. فقال محمد: (إنه نجار). وقال الشافعي (إنه حداد) فسألاه عن صنعته فقال: (كت حداداً وأنا الآن نجار)[8].

فراسة الخليفة المعتضد

قيل إن الخليفة **المعتضد** العباسي كان جالساً في بيت يُبنى له، وهو يشاهد الصنَّاع، فرأى في جملتهم عبداً أسود، شديد المرح، يصعد على السلالم مرقاتين ويحمل ضعف ما يحمله غيره، فأنكر أمره وأحضره وسأله عن سبب ذلك فلجلج. فقال لوزيره: (قد خمنت في هذا تخميناً ما أحسبه باطلاً. **إما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها من غير وجهها، أو لصاً يتستر بالعمل**).

ثم أمر به فأحضر وضُرب وحلف إن لم يصدقه القول ليضربن عنقه، فقال العبد: (ولي الأمان يا أمير المؤمنين؟)، قال: (نعم إلا مكان فيه حَدّ)، فظن أنه قد أمنه، فقال: (كنت

أعمل في أتون الآجر منذ سنين ، فأنا منذ شهور جالس إذ مرَّ بي رجل في وسطه كيس ، فتبعته وهو لا يعرف مكاني ، فحلَّ الكيس وأخرج منه ديناراً ، فتأملته ، فإذا كله دنانير فكتفته وسددت فاه وأخذت الكيس وحملته على كتفي وطرحته في التنور وطيَّنت عليه . **فلما كان بعد أيام أخرجت عظامه وطرحتها في دجلة ، والدنانير معي تقوِّي قلبي)** . فأرسل المعتضد من أحضر الدنانير ، وإذا على الكيس اسم صاحبه ، فبعث من يبحث عنه في المدينة ، فحضرت امرأته وقالت : (هذا زوجي وقد ترك طفلاً صغيراً . خرج في وقت كذا ومعه كيس فيه ألف دينار ، فغاب إلى الآن) . فسلَّم إليها الدنانير وأمرها أن تعتدَّ وضرب عنق العبد القاتل ، وأمر أن يوضع في التنور كما فعل بقتيله[9] .

فراسة أحمد بن طولون

ورويت عدة وقائع عن فراسة **أحمد بن طولون** . ومن ذلك أنه كشف جريمة قتل من ملاحظة عابرة أثناء سيره متنكراً في الفسطاط خلال ولايته على مصر ، فقد شهد ذات ليلة رجلاً يضع على رأسه حملاً ويسير به متعثر الخطى ، بادي الاضطراب . فتفرس فيه ملياً ثم قال : **(لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنق الحمَّال ، وأنا أرى عنقه بارزاً ، وما هذا الاضطراب إلا من خوف ما يحمل)** . ثم أمر بحط حمله والكشف عنه ، فإذا به جثة جارية مقطعة الأوصال . ولم يسع الحمَّال إلا أن يعترف بجريمته ، وأرشد عن أربعة من الرجال أعطوه مبلغاً من المال ليخفي تلك الجثة . وسرعان ما قبض عليهم وعوقبوا ، وضُرب الحمَّال مائتي سوط جزاء فعلته[10] .

من فراسة أصحاب الشرطة

وبفضل ما كان يتمتع به أصحاب الشرطة من الفراسة فقد وفقوا إلى تحقيق كثير من الوقائع الإجرامية ، وكشف غوامضها ، وضبط فاعليها .

ومما يروى عن ذلك أنه حدث في عهد الخليفة العباسي **المكتفي بالله** أن ارتكب بعض اللصوص المجهولين في بغداد سرقة زعزعت ثقة الناس في كفاية رجال الأمن وأثارت التجار ، فاجتمعوا وتوجهوا إلى الخليفة يشكون إليه ، فأمر بإحضار صاحب الشرطة **أحمد بن يحيى الواثق** وكلَّفه بالعمل على ضبط اللصوص وإلا غرَّمه ما سرقوه .

فاهتم الواثق بالأمر ، وأخذ يطوف بالمدينة طوال الليل والنهار حتى اجتاز ذات يوم في منتصف النهار زقاقاً خالياً في حي من الأحياء الفقيرة بأطراف بغداد . **وأثناء سيره شهد عند باب إحدى الدور عظام سمكة كبيرة ، لا يقل ثمنها عن دينار ، وهذا ما يفوق طاقة أي ساكن من سكان ذلك الحي ، فشك في الأمر** ، وتوجه إلى دار قريبة ، ودق بابها ، فخرجت إليه امرأة عجوز ، وطلب منها أن تسقيه هو ورجاله . وظل يجاذبها أطراف الحديث وهي تسقيهم واحداً بعد الآخر ، حتى استنزف معلوماتها عن سكان تلك الدار ، وعلم أنهم خمسة من الشباب معهم صبي يخدمهم ، وقد نزلوا في تلك الدار منذ شهر ، وقلَّما يغادرونها نهاراً ، بل يقضون يومهم في الأكل والشرب واللعب بالشطرنج ، حتى إذا ما جنَّ الليل انصرفوا إلى دار أخرى لهم **بالكرخ** ، حتى يعودوا مع السحر ، وأهل الزقاق نيام .

فوجد الواثق أن ظنونه تحققت واستدعى في الحال عشرة من رجاله ، وأوقف بعضهم على أسطح الدور المجاورة ، ثم دق الباب ، ولما فتحه الصبي اقتحم الدار وقبض على من به جميعاً ، وساقهم إلى دار الشرطة ، حيث ظل يستجوبهم حتى اعترفوا بجريمتهم ، ونالوا جزاءهم[11] .

القيافة .. والجماعات البدوية

ولا تزال موهبة القيافة باقية حتى الآن في بعض الجماعات البدوية ، بأنحاء مختلفة من الوطن العربي ، توارثتها جيلاً بعد جيل .

وقد شهدت بنفسي بعض النتائج الباهرة التي حققها أفراد من بعض القبائل التي تعيش في جنوب الصحراء الشرقية في **مصر** ، والذين تستعين بهم الشرطة في مطاردة المهربين ، واقتفاء آثار اللصوص **(وخاصة لصوص المواشي)** . ورأيت كيف استطاعوا أن يستنبطوا من آثار طفيفة وُجدت في مواقع بعض حوادث السرقة معلومات وافية عن الجناة من حيث أعدادهم ومراحل أعمارهم ومهنهم وصفاتهم الجسدية وأحوالهم الصحية ، ومواطنهم ، والمناطق التي اتجهوا إليها بعد ارتكاب جرائمهم ، مع معلومات أخرى مفصَّلة عن وسائل الانتقال التي استخدموها ، حتى أمكن القبض عليهم ، ومواجهتهم بالأدلة القاطعة على إدانتهم ، فلم يملكوا إلا الاعتراف بما جنت أيديهم فنالوا جزاءهم الرادع .

المراجع

(١) محمود شكري الألوسي (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري ، مكتبة دار الكتب الحديثة ، الطبعة الثالثة (بدون تاريخ) القاهرة ، ص ٢٦٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٣) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (مروج الذهب ، ومعادن الجوهر) ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت (بدون تاريخ) ، هـ ٢ ، ص ١٤٥ .

(٤) أحمد بن مصطفى الشهير بطاسن كبري زادة (مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم) مراجعة كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة (بدون تاريخ) ، هـ ١ ، ص ٣٥١ .

(٥) بلوغ الأرب (مرجع سابق) ، ص ٢٦٤ .

(٦) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (لكتاب الأذكياء) ، وقف على طبعه وصححه قسطاكي الحمصي بك ، مكتبة المعاهد العلمية بالقاهرة (بدون تاريخ) ، ص ٤١ .

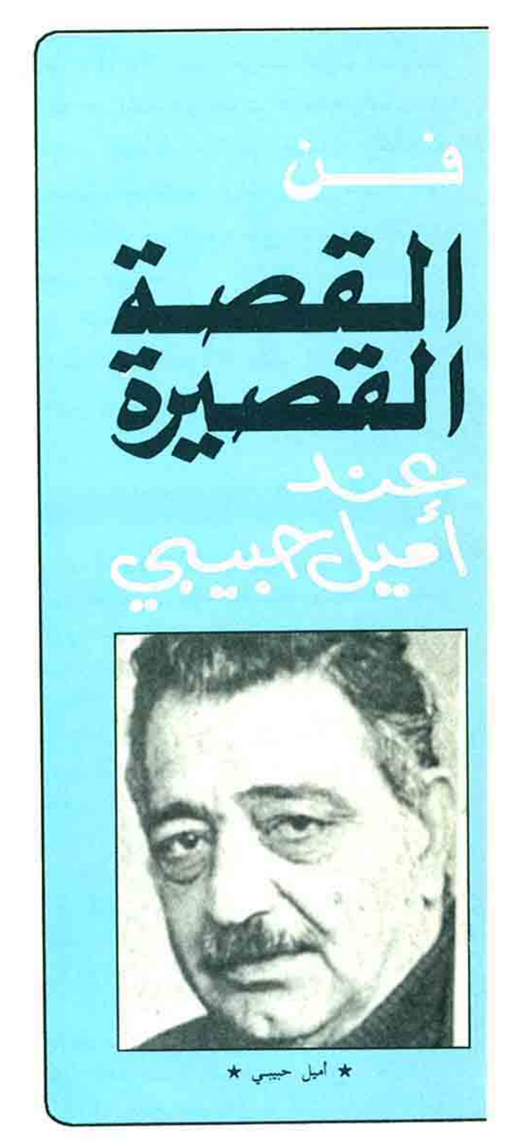
(٧) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (الغيث المنسجم في شرح لامية العجم) ، المطبعة الوطنية بالإسكندرية سنة ١٢٩٠هـ ، جـ ٢ ، ص ٧٤ .

(٨) بلوغ الأرب (مرجع سابق) ، ص ٢٦٦ .

(٩) أحمد بن عبد الوهاب النويري (نهاية الأرب في فنون الأدب) مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٠م ، السفر الثالث ، ص ١٤٥ .

(١٠) أبو محمد عبد الله بن محمد البلوي (سيرة أحمد بن طولون) ، تحقيق محمد كرد علي ، المكتبة العربية بدمشق سنة ١٩٣٩م ، ص ١١٥ .

(١١) الأذكياء (مرجع سابق) ، ص ٣٧ .



فن القصة القصيرة عند أميل حبيبي

★ أميل حبيبي ★

بقلم: عبد الرحمن شلش

يعد الأديب الفلسطيني **أميل حبيبي** واحداً من أبرز الكتّاب العرب في الأرض المحتلة. فهو يجمع بين كتابة فني **القصة القصيرة والرواية**. وأصدر مجموعة قصص تحمل عنوان «**سداسية الأيام الستة**»، ورواية عنوانها «**الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائم**». والكلمة الأخيرة في العنوان إدغام لكلمتي: المتشائم والمتفائل.

وقال الشاعر الفلسطيني **محمود درويش** عن هذا الأديب: «أميل حبيبي صاحب أذكى وأعمق وأجمل قلم لدى عرب فلسطين المحتلة، ويبدو لي أنه يعاني ازدواجية شخصية، فهو سياسي محترف، وهو هاوي أدب، وهو بارع في الجانبين»[١].

وفي هذه الدراسة، نتناول فن القصة القصيرة عند هذا القاص الفلسطيني من خلال مجموعته القصصية وخصائص فنه.

كتب صاحب المجموعة قصصه في أعقاب الخامس من يونيو (حزيران) عام ١٩٦٧م، ونشرت في ستة أعداد بمجلة «**الجديد**» بالأرض المحتلة، ومجتمعة بمجلة «**الطريق**» اللبنانية، وصدرت في **سلسلة روايات الهلال المصرية** بعدد يونيو (حزيران) عام ١٩٦٩م، وضمن مطبوعات **دار العودة ببيروت في العام ذاته**.

وأثارت «السداسية» نقاشاً واسعاً بين النقّاد الذين اختلفوا فيما بينهم حول تصنيفها، فانقسموا إلى فريقين: أحدهما يرى أنها رواية، والآخر يراها مجموعة قصص قصيرة.

والرأي الذي يقول إنها مجموعة قصصية هو الأقرب إلى طبيعة هذا العمل الفني، لأن المجموعة ينطبق عليها مفهوم فن القصة القصيرة ومقوماته وشكله الفني مما يجعلها لا تأخذ شكل أي فن أدبي آخر.

تضم المجموعة ست قصص قصيرة نتوقف عند أهم الخطوط العريضة في كل منها.

***

فني القصة الأولى «**حين سعد مسعود بابن عمه**» نجد الطفل مسعود ابن العاشرة يعيش في الأرض المحتلة، ويفهم في السياسة، وله نشاطه الخاص، ولم يكن يعتبر نفسه طفلاً. وكان مقطوع الأصل، فلا خال له، ولا عم، ولا همّ، ولا غم. وفجأة جاءت سيارة فخمة ذات جناحين مثل الطائرة، ووقفت أمام بيته، فوقف مشدوهاً، ومعه أولاد الحارة الذين تساءلوا: «كيف تقف هذه السيارة الفخمة أمام بيت **فجلة** ـ «كنية مسعود بين أولاد حارته» ـ المقطوع الأصل والفصل؟». وطار مسعود إلى البيت، وهناك التقى لأول مرة في حياته بعمه وأولاده الذين أتوا من الضفة الغربية لزيارة عمهم. وتبين له أنه ليس غريباً في هذه الدنيا.

ويصحب ابن عمه (**سامح**) إلى خارج البيت، ويسمع الأولاد يقولون له دون سبب معقول: «**مرحباً**». ويدور الحوار بينه وبين أبي إبراهيم صاحب الدكان القريب:

ـ **من الشاب؟**

● ابن عمي.

ـ **عمك، أخو أبيك من أمه وأبيه؟**

● عمي لزم.

ـ **من أين؟**

● من الضفة.

ولم تطل فترة الزيارة. فعاد مسعود إلى حالته السابقة في الحي الذي يعيش فيه. وصار له أعمام وأخوال وأقرباء، وكان يذهب مع أبيه وأمه إلى الضفة لزيارتهم، وكانوا يأتون لزيارته. ودائماً يسأل أخته الكبرى عن كل ما يعن على باله، فتجيبه. وكان متحمساً مثلها لانسحاب قوات الاحتلال. ولكن سؤالا واحداً لم يجرؤ على توجيهه إليها خوفاً من لطمة كف، أو خوفاً من شيء آخر في ذاته: «هل حين ينسحبون، سأعود كما كنت، بدون ابن عم؟!».



***

وفي قصة «**وأخيراً نوّر اللوز**» نلتقي بكلمات **فيروز** في بدايتها: بلادي، أعدني إليها ولو زهرة يا ربيع.

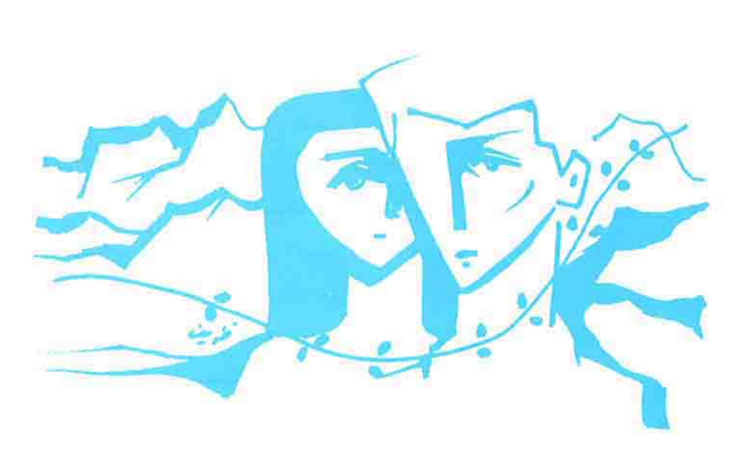
والقصة تتعرض مثل سابقتها للغربة والنفي، مع اختلاف الرؤية الفنية، فاللقاء يتم بين صديقين بعد عشرين عاماً. كانا معاً في سني الدراسة

الابتدائية والثانوية ، وفي تأسيس إحدى **الجمعيات السرية** لمحاربة الإنجليز ، وفي التنغم بفتوحات **خالد بن الوليد** ، **وبمراثي المتنبي** ، وبشعر **أبي العلاء** . ثم افترقت طرقهم فيما بعد ، فسافر (م) إلى **القدس** لإنهاء دراسته في الكلية العربية ، وعاد ليعمل مدرّساً للإنجليزية في المدرسة الثانوية ببلدة صديقه الذي انقطعت صلته به منذ عام ١٩٤٨ م ، وعندما كانا يلتقيان عرضاً في الطريق كان (م) لا يرحب بصديقه الذي تألم لهذه القطيعة ، حتى تعود عليها ، وأسقطه من حياته . ثم فجأة طرق (م) باب صديقه في ذات ليلة من الليالي بعد عدوان الخامس من يونيو (حزيران) ، وجلس قبالته ، وراح يقص عليه طالباً منه الاستماع حتى النهاية .

ومن خلال ما رواه نعرف أنه كتب قصة مدينتين فلسطينيتين : **حيفا والناصرة** ، وكاد أن يتخصص في موضوعين : الإنجليزية والمحاماة ولكنه لم يفعل ، وقرض الشعر بالعربية والإنجليزية ، ورغب في ولدين بعد أن رزق بولد واحد ، وهو لا يعطي لتلاميذه سوى كتابين وشاعرين للحفظ ، وأدبين للمقارنة ، وساعتين للامتحان ، وكان يلقّب في شبابه بأبي الذقنين .

يقول عن ذكرياته حين ارتفعت به السيارة مع أصدقائه لأول مرة بعد حرب ١٩٦٧ م ، في منعطفات طلعة الطريق من **نابلس** إلى **رام الله** : « هتفت بزملائي الذين كانوا معي في السيارة : عشرين عاماً وأنا أحلم بهذه المنعطفات اللولبية . هذه الطلعة لم تغب عن ذاكرتي يوماً واحداً . إني أتذكر كل منعطف فيها . هي أربعة فعدوها . وهذه الجبال المشرئبة تحرس السهل الأخضر . هي عشرة فعدوها . وهذا الهواء النقي . هذا الأريج أعرفه . إني أستنشق رائحة رافقتني طول العمر . هذا المكان مكاني » . ويتابع حديثه قائلاً : « بعد إلحاحي رضي زملائي بأن أوقف السيارة عند المنعطف الأخير ، الرابع . ونزلوا معي لنستنشق ذلك الهواء ونملأ عيوننا بمشهد الجبال والسهل المحروس . وأشجار اللوز تملأ السهل والجبل ، أما كان أجدر بهم أن يسموها منعطفات اللوز؟ » .

وكان شيء في عيني يذوب دمعاً . وشعرت شعور المشاهد لأشياء عجيبة تقع أمام ناظريه . وكأني أحيا مرة ثانية سني شبابيَ الماضية ، في مراتع صباي ، لا أراها فقط ، بل أحياها ، وأستنشق هواءها وأحس بدماء الصبا ، مع رائحة



الطابون والقطين تجري مشبوبة في عروقي . ولكن زملائي لم يمهلوني . وسرعان ما أسقطوني من شواهق منعطفاتي إلى واقعي في الحضيض » .

ولم ينقطع حبل ذكرياته ، ففي موضع آخر يقول : « وصلنا إليها في العودة ، فهبطناها دون توقف . فرآني أحد زملائي مهموماً . فوضع يده على كتفي مواسياً ، وقال : « هي شبيهة بطلعة العبهرية ، في الطريق من الناصرة إلى حيفا ، فلعل الأمر اختلط عليك » . فرفع حجراً ثقيلاً عن صدري . منذ حوالي عشرين عاماً وأنا أسافر إلى حيفا مرتين في الأسبوع ، حيث أقدم دروساً إضافية في إحدى مدارسها الثانوية ، فأمر بطلعة العبهرية ذهاباً وإياباً . أقنعني زميلي بهذا التفسير البسيط ، مع علمي بانعدام الشبه بين الطلعتين ، لأنني أعرف سر نفسي وضعفي بقصة المدينتين . لا شك في أن طلعة العبهرية ارتبطت دائماً في مخيلتي بطلعة اللبن . قبلت هذا التفسير » . وظل يتحدث حتى أخبر صديقه أنه يبحث عن صديق أهدته صاحبته غصن لوز منوّر ، واحتفظت بآخر لها . ولم يجب صديقه ، فتركه (م) وهو مهموم كما لم يكن كذلك في حياته . وتساءل : « كيف يستطيع إنسان أن يقتل في قلبه مثل هذا الحب؟ » . ويكشف الستار عن مأساة هذا الإنسان بقوله : « بعد حرب حزيران (يونيو) ، حين زرت السيدة الكريمة الوفية ، في القدس أو في بيت لحم هناك ، على حد تعبير الأستاذ (م) أرتني غصن اللوز الجاف الذي لا تزال تحتفظ به ، ويكاد يشتعل بالأحمر وبالأبيض حين تستعيد قصته ، وأخبرتني أنه زارها مع عدد من زملائه المعلمين ، وكان طول الوقت كثير الكلام وشديد الحبور ، وأنها أدخلتهم إلى مكتبتها ليروا مجموعة الكتب والتحف التي جمعتها ، وأنه لحظ غصن اللوز الجاف ، فسألها : ما هو؟ **فأخبرته أن اللوز ينور في شباط (فبراير)** ، فانتقل يحدثها عن المشمش وعن الجمعة المشمشية ، دهشت لهذا الأمر أشد دهشة » .

وهنا نجد أنفسنا أمام إنسان أصيب بازدواجية في الشخصية جعلته تائهاً بين ماضيه وحاضره ، فسيطرت الازدواجية على عقله وذوقه ، وشملت كل شيء في حياته . بل إنها جعلته ينسى أنه هو نفسه صاحب قصة الحب ، وأنه الشاب الذي ناولته الفتاة غصن اللوز المنوّر واحتفظت هي بآخر لنفسها ، وتعاهدا على أن يحتفظ كل بفرعه ، وأن يلتقيا في الربيع القادم حين ينوّر اللوز كي يخطبها من أهلها .



وفي قصة « **أم الروبابيكا** » تتساءل الأم : « لماذا أدهشكم قولي ، فما صدقتكم ، أن قطيعة عشرين عاماً تُنسي الإنسان نفسه؟ وهل هي قطيعة بوعي؟ » . وقد نتساءل نحن بدورنا : مَن هي أم الروبابيكا؟ . . إنها زوجة رفضت الهجرة من فلسطين ، وأصرت على البقاء مع أمها المقعدة حين نزح زوجها وأخذ أولادهما معه عام ١٩٤٨ م ، وبعد خمس سنين توفيت أمها ، ورفض زوجها التعرف عليها ، ولم يرغب في أن تعود إليه . ولم تكن هي ترغب في أن تهجر بيتها . وقال الناس : « إن في الأمر حكاية حب ، ومن غير المعقول أن تبق لغير هذا السبب » . في بداية حياتها لقبت بملكة الوادي غير المتوجة ، ثم أصبحت في أفواه الناس أم الروبابيكا لأنها تشتري كل أثاث قديم مثل خزانة أو صندوق ، لعلها تجد كنزها المخبوء الذي تبحث عنه . وعاشت على أثمان ما تبيعه من أثاث البيت ، وتقدم القهوة لضيوفها ، وترفض هداياهم . وكانت تفهم في الشعر ، والسياسة ، فإذا اعتقل أحد أبناء مدينتها كانت أسرع من أمه

إلى زيارته ، وحمل الطعام إليه ، وغسل ملابسه . ولم تنقطع عن زيارة ولدها الطبيب الشاب المعتقل ، وأوقفت له محامياً له صلات . وتقول للجميع : « هؤلاء أولادي » . وبعد عدوان الخامس من يونيو (حزيران) جاءت الأشباح الهائمة كما أسمتهم : « رجال ونساء ، من غزة ، ومن الضفة الغربية ، ومن عمّان ، بل حتى من الكويت ، عبر الجسر ، يعبرون أزقتنا في صمت ، ويتطلعون نحو الشرفات والنوافذ في صمت . وبعضهم يطرق الأبواب ويسأل في أدب أن يدخل ليلقي نظرة وليشرب جرعة ماء ، ثم يمضي في صمت ، فقد كان هذا بيته . وبعضهم يقابله سكان البيت بابتسامة شفقة . وبعضهم يقابله سكان البيت بابتسامة شقاء . وبعضهم يدخلونه البيت . وبعضهم لا يفتحون الباب في وجهه . وبعضهم لا يطرق الأبواب ، بل يجول بعينيه باحثاً عن صاحب سحنة سمراء عابر ، فيستوقفه ، فيسأله : **هل كان يقوم هنا بيت من حجارة مكحلة** ؟ فإما أن يقف عابر السبيل ، صاحب السحنة السمراء ، ويستذكر ، ويتذكر . وإما أن يقول له : لقد ولدت بعدها يا عماه » . وتطلب الأم من الصحفي الذي جاء لزيارتها قائلة له : « اكتب عن كنوزي التي احتضنتها صدور (**دواشكي**) . لدي حزمات من أنوار الصبا ، رسائل الحب الأول . لدي قصائد خبأها فتيان بين أوراق كتب مدرسية . لديّ أساور وأقراط وغويشات . لديّ عقود تتعلق بها قلوب ذهبية إذا فتحتها وجدت في القلب الذهبي صورتين : له ولها . لدي يوميات بخطوط دقيقة حيية ، وبخطوط عريضة واثقة ، عن تساؤلات : ماذا يريد مني ؟ وعن أيمان مغلظة : يا وطن » . وأهدته حزمة أوراق بالية ، وكانت عبارة عن رسائل كتبتها ولم ترسلها إلى صاحبها . ومنها عرف لماذا بقيت في مدينة حيفا ؟ .



وترمز الأم في هذه القصة إلى الوطن ، وإلى الحنين الدائم إليه . كما ترمز إلى إصرار الإنسان على البقاء فوق أرضه . إن عشرين عاماً من حياة النفي داخل الوطن لم تجعل هذه الأم تنسى كما حدث لبطل القصة السابقة ، ولم تفقدها القدرة على الحب والعطاء والتشبث بالأرض . وكانت كنوزها جسراً يربط حاضرها بماضيها ، فعاشت تحتضن أمل عودة الأهل .



وفي قصة « **العودة** » رؤية فنية أخرى من خلال أجزائها الخمسة التي يحمل كل جزء منها عنواناً مستقلاً . وفيها نجد أنفسنا في زيارة إلى القدس القديمة مع صديقين يتجولان بين معالمها ، أحدهما صحفي من الناصرة ، والآخر من القدس . يقول الصحفي : « عبرت مع صاحبي المقدسي الطريق التي عبرها ألوف الشبان والشابات في (**الأربعاء العظيمة**) في الخامس من حزيران (يونيو) ، من ساحة المسجد الأقصى إلى **مقبرة اليوسفية** حيث سجوا باقات الزهور على قبور الشهداء » . وتكشف العبارة عن جانب من جوانب النضال للجماهير العربية التي نظمت مسيرة اشترك فيها الفتيان والفتيات ، يحملون الأكاليل وباقات الزهور ، وأمامهم رجلان أحدهما يحمل **مصحفاً** ، والثاني يحمل **إنجيلاً** . ولكن شرطة العدو تحرشت بهم ، ومنعتهم من أن يستمروا في مسيرتهم . ثم حدث الصدام ، واختلطت الأصوات بهتاف : **الله أكبر** . ورأتهم أم عجوز وهم يجرجرون ولدها مع شباب آخرين ، فصرخت فيهم : ولدي . ولم يتركوها ، فقد جرجروها هي أيضاً مع ولدها . وارتفع الهتاف من كل جانب مدوياً كالرعد ، كالصواعق : ولدي . ولم يعرفوا أين أم هذا الولد ؟ ودار الحوار بين الصحفي وصديقه :

– **كلهن ؟**

● أمه .

وهكذا أصبح لشاب ألف أم ، فكلهن صرن أماً له . وفي اليوم التالي ، تجمع ما يزيد على ستة آلاف رجل في ساحة الحرم ، **حرم المسجد الأقصى** . وأرادوا المسير نحو قبور الشهداء . غير أن الشرطة تصدت لهم من جديد . وكان **مفتي القدس** وكان مطرانها يواجهان حوافر خيل



الشرطة . ومرة أخرى توحدت الجماهير ، وصارت كلّاً واحداً في مواجهة قوى الاحتلال .

* * *

وفي قصة « **الخرزة الزرقاء وعودة جبينة** » تعود الزوجة التي رحلت إلى لبنان مع زوجها وأطفالها ، إلى وطنها بعد عشرين عاماً من أجل زيارة أمها العجوز التي تقيم في إحدى قرى الجليل . وما إن وصلت الضيفة حتى سألت : « هل بقيت العين كما بقيت المشاحر ؟ » . وجاءها الرد : « بقيت في الطرف الآخر من القرية ، ولكنها نشفت » . فضحكت الضيفة ضحكة مسموعة ، وقالت : « رجعت جبينة » . فما هي حكاية جبينة ؟ يمزج القاص الواقع الفني في قصته بحكاية شعبية فلسطينية ملخصها أنه كانت هناك امرأة قروية عاقر تصنع الجبن ، وتطلب من ربها أن يرزقها ببنت بيضاء بدرية الوجه مثل قرص الجبن الذي كان بين يديها . وأعطاها الله طفلة مثل القمر . ولكن الطفلة خطفت . وظلت أمها تبحث عنها وتبكيها حتى انهدت وانطفأ النور في عينيها . أما جبينة الابنة فظلت تنتقل من يد سيد إلى آخر ، وانتهى بها المطاف إلى راعية في حقل أمير في بلدة بعيدة ، تفصلها سبعة بحور بسبع سنين عن أمها وأبيها . وكانت ذات صوت جميل ، ولكنه حزين . وسمعها الأمير الشاب فجذبه صوتها ، وأحبها وتزوجها ، وانتقلت من راعية في حقل إلى أميرة في قصر .

وبعد سنة أنجبت صبياً . وأرادت أن تزور بلادها ، فحملها زوجها على هودج . وزوّدها بالطيب وبالحرير وبالهدايا ، حتى أشرفت على عين القرية . فعطش طفلها . ورأت النساء يتدافعن

ويتشاجرن حول عين الماء . فطلبت ماءً لطفلها . فأجابتها إحدى النسوة : لا ماء في العين ، من يوم ما غابت جبينة نشفت العين . فقالت لها : عودي تجدي الماء . وهكذا كان ، فقد تدفق الماء الحبيس في بطن الأرض الكسيرة القلب . وهمست امرأة في أذن أختها : رجعت جبينة . وأرسلت إلى والدتها الخرزة الزرقاء بعقدها الذي كان يطوق معصمها الصغير . فوضعتها بين يديها وشمت رائحتها ومسحتها بعينيها ، ففاضت دموعها ، ورجع النور إليها . والقصة تمتزج بهذه الحكاية حين كان اللقاء مع الأم العجوز التي وقفت تبتسم ابتسامة أشبه بآثار موج على رمل شاطئ في ساعة الجزر . وفتحت صندوقها الخشبي العتيق وأخرجت منه ثياب الابنة التي حفظتها لحفيدتها ، وخرزة زرقاء معلقة بقلادة ذهبية . وقالت للابنة : « أبوك ، الله يرحمه ، كان دائماً يقول إنه لو احتفظت بهذه الخرزة لما حدث ما حدث . البسيها ولا تخلعيها أبداً » .

وكان القاص موفقاً في توظيف هذه الحكاية الشعبية الفلسطينية لخدمة عمله القصصي . فهو يقدم لنا رؤية فنية تمزج بين الواقع والتراث الشعبي الذي ينظر إليه نظرة عصرية للتدليل به على معنى محدد . وبهذا يستغل إمكانية الحكاية الشعبية الراقدة في وجدان الأمة وذاكرتها لتجسيد موقف فني في تجديده وتنويعه حتى يظل متجنباً تكرار نغمات سابقة .

* * *

أما قصة « **الحب في قلبي** » فهي تضم ثلاث رسائل كتبتها فتاة عربية من داخل سجن الرملة إلى أمها . والفتاة شاعرة . وتتعرف على فتيات عربيات أخريات في المعتقل منذ حرب يونيو (حزيران) ، ومن بينهن فتاة من حيفا ، وهي شاعرة مثلها .

في **الرسالة الأولى** تخاطب أمها : « ربنا يعوّض تعبك علينا خيراً وسعادة ، فقد حملت عنا الكثير ، الكثير . واليوم آن لنا الأوان أن نتحمل أفراحنا وأحزاننا » . ثم تختمها بقولها : « نحن نصلي ونقرأ القرآن » .

وفي **الرسالة الثانية** تنقل إلى أمها مشاعر الصديقة الحيفاوية وأفكارها : « نجلس حولها ونتعجب من أفكارها . فلما سألتها : ماذا يحركك في أغنية (**راجعون ، راجعون**) ، وأنت لم تنزحي ولم ترجعي بل بقيت في وطنك ، أجابتنا : وطني ؟ . إنني أشعر أنني **لاجئة في بلاد غريبة** . أنتم تحلمون بالعودة وتعيشون على هذا الحلم . أما أنا فإلى أين أعود ؟ » .

وفي موضع آخر تكتب : « وسألناها : بما أنك تعيشين في هذه البلاد وتعرفين أكثر مما نعرف ، كيف ترين المستقبل ؟ . فأجابتنا بلوعة : ما أن أفكّر بالمستقبل حتى يتراءى لي الماضي . ماذا أقول لكن ؟ إن المستقبل الذي أحلم فيه هو الماضي ؟ وهل هذا ممكن ؟ » . ثم تقول الفتاة لأمها : « ما كنا نعرف مشاعر إخوتنا الذين بقوا . . ولا مأساتهم . . فهل هي أكبر من مأساتنا ؟ » .

وفي **الرسالة الثالثة** لا نجد سوى كلمتي : ماما الحبيبة . ويعلّق القاص قائلاً بعد هاتين الكلمتين : « ولكنكم قرأتم هذه الرسالة ، كما قرأتها في الصحف . لقد نشروها أثناء محاكمة الشرطية اليهودية التي طردوها من وظيفتها وحكموا عليها بسنة حُسن سلوك حين وجدوا أنها هي التي تهرّب رسائل فيروز – يقصد الفتاة – إلى والدتها .

غير أني متأكد أن ما نشروه مليء بالتشويهات . إن كل ما ورد في الصحف ، على أنه من هذه الرسالة ، حول (الاتفاق مع الفتاة الحيفاوية على تنظيم خلية سرية داخل إسرائيل) هو محض تشويه لصداقة بريئة بين فتاتين من شعب واحد ، اجتمعتا ، بعد فراق طويل ، تحت سقف واحد ، سقف القاووش » .

وجاءت هذه القصة عملاً تسجيلياً يحتوي على كلمات رسائل مكتوبة من وراء الأسوار العالية التي تحجب السجين عن عالمه الذي كان يعيش فيه ، وعن أهله وأصدقائه ، وعن الحرية والدفء . لكن تلك الأسوار مهما ارتفعت وعلت لا تستطيع أن تمنع السجين من حب وطنه وأهله وأرضه .

* * *

خصائص فن القصة عند أميل

ويبقى في النهاية أن نحدد خصائص فن القصة القصيرة عند القاص أميل حبيبي ، ونجملها في النقاط التالية :

● تدور القصص كلها حول **هموم الإنسان الفلسطيني وآماله** منذ الاحتلال الأول عام ١٩٤٨ م ، حتى الاحتلال الثاني عام ١٩٦٧ م ، أي على امتداد عشرين عاماً .

● كانت **الأرض الفلسطينية** المحتلة مسرحاً لأحداث كل قصة تعكس لنا معالم الأرض وملامح الشخصية العربية وواقع الاغتراب والانتظار والحنين للعودة .

● استخدم الكاتب أسلوب **تيار الوعي** من خلال الرجوع إلى الماضي لتقديم رؤى فنية شاملة في قضية شعب صامد يتصدى لقوى الاحتلال .

● لجأ إلى **الرمز** الشفاف الذي له دلالاته وإيحاءاته في العمل الفني كما فعل في قصة « أم الروبابيكا » التي ترمز الأم فيها إلى الوطن وإلى الأرض . وفي قصة « العودة » التي ترمز إلى وحدة النضال بين الجماهير العربية على طريق التحرير والخلاص .

● مزج بين الواقع والحكاية الفلسطينية الشعبية مزجاً فنياً موفقاً على النحو الذي قدمه في قصة « الخرزة الزرقاء وعودة جبينة » .

● وضع في معظم القصص مقاطع من أغنيات فيروز كي تتصدر هذه الأعمال ، وتقود إلى رؤاه الفنية .

● جاءت قصصه في قالب فني غير معقد إذ اعتمد على شكل بسيط في الوصف والتحليل للأحداث والشخوص عبر عنصري المكان والزمان .

● أجاد التقاط الجزئيات ورسم الحكايات من الواقع المعاش ، فجاءت قصصه حافلة بنبض الحياة في ظل مناخ الاحتلال ، وكانت كل قصة تشكل موقفاً في مواجهة القهر والقمع والنفي والتشريد .

● بدأ أسلوبه شاعرياً ، ولم يخل من السخرية التي نلمسها في بعض قصصه مثل قصة « حين سعد مسعود بابن عمه » ، وقصة « وأخيراً نور اللوز » .

● تتميز قصصه بجودتها سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون .

الهوامش

(١) في حديث معه نشر بكتابه : (شيء عن الوطن) ، دار العودة ببيروت ، ١٩٧١ م ، ط (١) ، ص ٣٠٨ .

«أين الخطأ؟»

.. كتاب جريء مرفوض

بقلم: خالد محمد الجلاد

صدر في عام ١٩٧٨ م، عن دار العلم للملايين ببيروت، كتاب جديد من تأليف الشيخ اللبناني عبد الله العلايلي الذي يعرفه القراء لغوياً قديراً، وعنوان الكتاب «أين الخطأ؟» وقد أورد المؤلف فيه من الآراء في بعض المواضيع الشرعية ما يستدعي الوقوف طويلاً عندها وبيان خطلها وخطرها.

وما إن يفرغ القارئ للكتاب من آخر صفحة منه حتى يثبت له أن المؤلف قد تجرأ على الحق، وأنه قد أساء حيث أراد الإصلاح. والظاهر أنه قصد من وراء تأليف الكتاب تغيير الصورة المشوهة العالقة في أذهان الكثيرين عن موقف الإسلام من بعض المواضيع كالحدود والتعامل المصرفي والزواج المختلط. فبدلا من قيامه بالدفاع عن رأي الإسلام فيها، وبدلا من محاولته محو الشكوك والأوهام من نفوس أعداء الدين الحنيف، قام **الشيخ العلايلي** — سامحه الله — بمسايرتهم فأفتى بما يوافق هواهم في سبيل إظهار الإسلام بمظهر الدين المتطور الذي يساير العصر، كأنما هو دين التخلف والجمود وغيره حملة لواء المرونة والفهم والعصرية.

وقد اعتمد المؤلف في معرض الاستدلال على صحة آرائه إما على أدلة لغوية لا تقوم حجة على القرآن حيث إن العكس هو الصحيح، وإما على آراء لبعض السابقين المغمورين من الذين خرجوا عن رأي الجمهور كما فعل المؤلف تجمعهم جميعاً غاية واحدة سبقت الإشارة إليها.

وسأورد هنا بعض آراء المؤلف الجريئة مع الرد عليها بما يعيد الصواب إليها أو يردها هي إلى جادة الصواب والحق.

الإرث الاجتماعي

تحت هذا العنوان يحث المؤلف في **ماهية الوصية هل هي من باب الهبة أم هي من باب التوريث**؟ ويخرج بعد مناقشة طويلة إلى أنها من كليهما، ثم يعود ليقول إنه يرجّح كونها توريثاً، مستدلا بحديث سعد (رضي الله عنه) — لا وصية لوارث — الذي يفهم من ظاهره أن الوصية لا تجوز للورثة، وأن ما يأخذونه من التركة هو إرث لا غير، وليس في الأمر خلاف. ولكن الخلاف ينشأ فيما إذا كانت الوصية لأجنبي بمعنى من لا يمتّ بصلة قربى للميت أو ليس من ذوي الفروض أو ذوي الأرحام أو من العصبات، أي من ليس لهم حقّ في التركة بأي مسوغ، فكيف نسمي هذه الوصية توريثاً؟

ولنأخذ الابن المتبنّى كمثال: **فالإسلام حرم التبني وحرم بالتالي توريثه من مال من سبق أن تبناه، ولكنه أجاز الوصية له**، فكيف نعتبر الوصية إرثاً على رأي المؤلف الفاضل؟ كيف نخالف الإجماع.

خداع الألفاظ والأوهام في الأحكام

وتحت هذا العنوان نقرأ ما يثير العجب والاستنكار، فالمؤلف في هذا الباب يعيب على فقهاء المسلمين تحريمهم **الفائدة المصرفية**، ويتهمهم بالجمود وعدم التطور — كذا — ويقول إنها ليست من الربا المحرم بل هي كسب حلال. وحجة الشيخ أن المصرف أو البنك ليس سوى وسيط بين متعاملين؛ المودعين أو المساهمين والمستثمرين أي أولئك الذين يقومون فعلاً بتشغيل هذه الأموال. فهي عمولة أو سمسرة يقوم المصرف بتوزيعها بين نفسه وبين المودعين والمساهمين. والإسلام أباح العمولة حيث إنها ثمن لجهد قام به الوسيط أو السمسار. بهذا التعليل أباح الشيخ ما حرمه الله ورسوله.

ويا ليت الأمر توقف عند هذا الحد، فالمؤلف يعدد الوجوه التعاملية للمصارف فيقصرها على أعمال الصيرفة وضمان الحوالات والسفاتج والاعتمادات. فأصلحك الله أيها الشيخ «كيف تقول هذا الكلام وأنت تعيش في بيروت، بلد المصارف وزعيمة النشاط الربوي في شرقنا الإسلامي؟»

أمن هذه النشاطات التافهة المردود تعيش المصارف وتدفع أجرة موظفيها وفواتير الكهرباء والماء وتوزع الأرباح على المودعين والمساهمين؟ إن أرباح المصارف الفاحشة لا تتأتى لها إلا من التعامل بالقروض على أساس الربا، تقرض الفين لتستردهما بعد ثلاثة أشهر أو ستة بزيادة ثلاثمائة وكلما تأخر السداد ازدادت الفائدة حتى أنها قد تزيد على القرض نفسه.

من هنا تربح المصارف من الربا الصريح. وهذا أمر يعرفه الجميع حتى طلبة المدارس (عدا طلبة المدارس في لبنان حيث تمنع الدولة تدريس مادة التربية الإسلامية للطلاب المسلمين) فكيف أجاز الشيخ لنفسه فلسفة الربا المصرفي بتلك الطريقة؟

ويزيد الشيخ الطين بلة حين يستشهد على أقواله برأي **للشيخ المهدي صاحب مجلة «الهداية»** الذي قاس الفائدة المصرفية على شركة القراض أو ما تسمى بشركة المضاربة فأباح تلك لإباحة هذه.

وشتان بين التعاملين، فعقد المضاربة يقتضي أن يدفع صاحب رأس المال إلى العامل الخبير مبلغا من المال ليصار إلى استثماره في مشروع تجاري أو صناعي ثم يقتسم الاثنان الربح، الأول مقابل ماله والثاني مقابل جهده وتعبه وخبرته. وإذا لم يتحقق ربح فلا شيء لهما ولا عليهما، وإن خسرت الشركة فالذي يتحمل الخسارة هو صاحب رأس المال فقط، ولا شيء على العامل ما لم يكن لتقصيره أو لجهله يد في الخسارة.

وأما المصرف الذي يقرض أحدهم ليقوم بإنشاء مشروع ما فإنه يطالبه بسداد القرض في موعده لا حين يبدأ تحقق الربح للمقترض، ومن الأمور البديهية في الأوساط المالية أن أي مشروع لا يعطي أرباحا لأصحابه إلا بعد مرور سنة أو سنتين من بدء الإنتاج، وقد لا يعطي شيئا من الربح البتة. فمن يتحمل هذه الخسارة؟ المصرف صاحب رأس المال أو معظمه؟ المقترض الذي عليه سداد القرض رغم عدم توفره في يديه بسبب الخسارة؟ الاثنان معاً بطريقة يتفقان عليها؟

إن الذي يتحمل الخسارة في الواقع هو المقترض أو العامل قياساً على شركة القراض ــ المضاربة ــ. فالقياس إذن باطل لعدم تماثل العلة.

فالفائدة المصرفية هي ربا ظاهر محرم شرعاً ولو أفتى بخلاف ذلك مئات الشيوخ العصريين، ولو مارسه ملايين المسلمين في هذا الزمان، ولن تصبح هذه الفائدة حلالا إلا إذا انتشرت المصارف الإسلامية وتعاملت مع الناس بطريق القرض الحسن أو بمشاركتها المقترضين الربح أو الخسارة.

الحدود الجزائية

طلع علينا المؤلف في هذا الفصل بقول عجيب في الحدود. فهو يزعم أن المشرع حين وضعها لم يقصد تطبيقها حرفياً، ولم يرم إلى تنفيذها بقصد الانتقام والثأر من الفاعل، بل هي الورقة الأخيرة التي يلعب بها الحاكم بعد أن يستنفد كافة سبل الإصلاح والزجر والردع. بمعنى زجر السارق أو حبسه عدة أيام أو ضربه، فإذا تاب عن السرقة كان بها وإلا فيمكن للحاكم استعمال عقوبات أشد كإطالة مدة الحبس عن المرة الأولى أو زيادة عدد الجلدات أو الضربات، فإذا عاد للسرقة فعندئذ يلجأ الحاكم إلى قطع يده. أقرأتم أعجب من هذا القول؟ أسمعتم بأغرب من هذا الرأي؟

والأعجب أن الشيخ يتعاطف مع السارق وينظر إليه كما تنظر إليه نظريات التربية الحديثة ومبادئ علم النفس وكما يعامله الباحثون الاجتماعيون المعاصرون. فهؤلاء جميعا متأثرون بالأفكار المستوردة اليهودية التي وضعت بروتوكولات حكماء صهيون وهدفت فيما هدفت إليه تمييع القوانين والقضاء على هيبة القضاء. فالسارق حسب رأي الشيخ قد يتوب، فما ذنبه أن يبقى حاملاً عاره ــ أي يده المقطوعة ــ إلى الأبد؟ فهي سوف تسبب له عقدة نفسية نكون نحن القضاة المسلمين سببها!

وقد نسي الشيخ أو تناسى أن لإقامة حد السرقة أو سواه من الحدود شروطا دقيقة للغاية لا بد من توفرها قبل إقامة الحد، كالشهود والإقرار والبلوغ والعقل والحرية والاختيار وبلوغ المال المسروق حداً أدنى معيناً وأن يكون سرق من غير ما حاجة، وأن يأخذ المال من حرزه وما إلى ذلك من شروط يرجع إليها من يشاء في كتب الفقه المعتمدة في باب الحدود.

وإذا أدى كل مسلم زكاة ماله وقام الحكام بكفالة الفقراء ورعايتهم وعمت الصدقات وانتشرت خشية الله في النفوس فمن ذا الذي يجرؤ على الاعتداء على الأموال المملوكة للآخرين قلت أو كثرت؟ من ذا الذي يمد يده إلى حق غيره سوى المجرم الشرير الذي يأبى إلا الإساءة والتعدي؟ أعلى مثل هذا تجوز الشفقة أو يستعمل الرفق؟ أنعطّل حداً أو نغيره من أجل مريض العقل منحرف السلوك محترف الإجرام؟

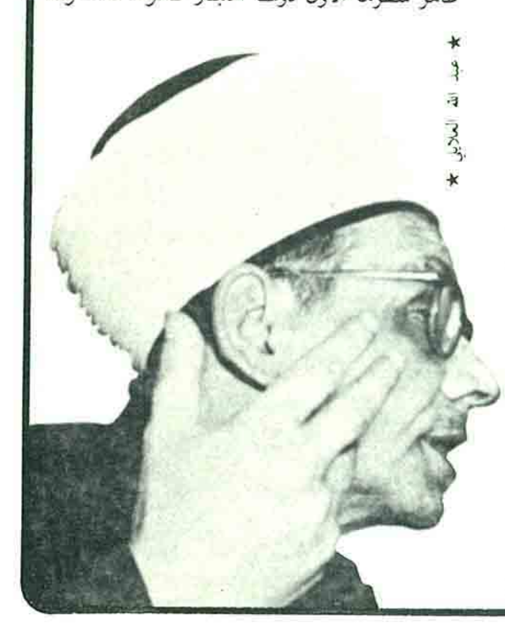
لا رجم في الإسلام

وهنا يصدمنا المؤلف بقوله إنه: لا رجم في الإسلام، ودليله أنه بحث في القرآن الكريم فلم يجد نصًّا عليه، وإنما وجد آية في سورة النساء هي قوله تعالى **﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً ﴾** (سورة النساء، الآية ١٥).

فالزانية المحصنة حدها الحبس في البيت ليس إلا، حسب مفهوم المؤلف، وأما الرجم فلا. وقد حل مشكلة الزانية ولم يبين لنا حد الرجل شريكها في الزنا، أيريد العلايلي أن يحبسه في بيته أيضا؟

ولن نكتفي بالرد على المؤلف بتوجيه الأسئلة له بل سنورد له الأدلة الدامغة التي نعجب كيف مر عنها ولم يرها خلال مطالعاته! فالقرآن الكريم نص في سورة النور على جلد كل من الزانية والزاني غير المحصنين مئة جلدة بقوله تعالى **﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾** (سورة النور، الآية ٢)، والمؤلف لم يتعرض لذكر هذه الآية بتاتاً في بحثه مع أنها من صميم البحث، فإذا كان الزاني أو الزانية غير المحصنين حدهما الجلد الشديد فهل يعقل أن يكون حدهما إذا كانا محصنين أخف وأرأف؟ وقد أجمع الفقهاء قديماً وحديثاً على أن الإحصان سبب لتشديد العقوبة.

ولنعد إلى الآية التي اتخذها المؤلف حجة له بينا هي في الواقع حجة عليه، فهو قد اكتفى بأخذ ظاهر شطرها الأول دونما اعتبار لكونه منسوخاً



ــ وهذا ما سنناقشه به بعد قليل ــ وترك شطرها الثاني الذي فيه الحجة عليه وهو قوله تعالى ﴿ **أو يجعل الله لهن سبيلاً** ﴾ .

فتفسيرها حسب ما جاء على لسان **الرسول عليه الصلاة والسلام** فيما نقله عنه **ابن عباس (رضي الله عنه)** أن المراد بالسبيل هو الجلد أو الرجم . وهذا هو نص حديث ابن عباس (رضي الله عنه) : « **خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة** » وهو حديث متفق على صحته .

أبعد هذه الحجة مجال لأن يقال إن القرآن لم ينص على الرجم ؟

ثم هناك حديث **الغامدية** التي زنت واعترفت بفعلتها أمام الرسول عليه الصلاة والسلام فأمر برجمها فرجمت . ولكن المؤلف يرفض العمل بهذا الحديث مع ثبوت صحة الحادثة تلك ، وحجته أنه سنَّة ، والسنَّة لا تنسخ القرآن . بينما نجد علماء الأصول يجمعون على جواز نسخ الآية بالحديث إذا كان صحيحاً ، ولم يخالفهم سوى **الإمام الشافعي** ، وهكذا نجد المؤلف يترك رأي الجمهور كي يأخذ رأي واحد لأن هذا الرأي المنفرد وافق هواه .

ثم يعود المؤلف ليبرهن على رأيه بدليل لغوي ركيك حيث يقول إن الفقهاء والمفسرين قديماً احتجوا على صحة حد الرجم بحديث **ماعز** الذي زنا وهو محصن وجاء للرسول عليه الصلاة والسلام مقراً وهو يقول : « **طهرني يا رسول الله** » فأمر الرسول برجمه بعد التثبت من سلامة إقراره فرجم . يقول المؤلف إن قول ماعز ــ طهرني ــ دليل عدم صحة الحديث وبطلان الواقعة من أصلها لأن التطهير لفظة غير إسلامية بل هي مستوردة دخيلة علينا من الملل الأخرى ، وهي لم تكن دارجة على ألسنة العرب في ذلك الزمان .

وللرد على هذه السفسطة اللغوية نقول للمؤلف إن الفعل « طهر » قد ورد في القرآن الكريم بعدة اشتقاقات في تسعة عشر موضعاً ، وما أسهل الرجوع إليها لمن كان يملك معجماً مفهرساً لألفاظ القرآن الكريم ، أو لمن لا يملك سوى المصحف الشريف . ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

(سورة آل عمران ، الآية ٤٢) (سورة المائدة ، الآية ٤١) (سورة البقرة الآية ٢٣٢) (سورة المائدة أيضاً ، الآية ٦) (سورة التوبة ، الآية ١٠٨) .

وقد فرح المؤلف بقول الرسول عليه الصلاة والسلام في ماعز : هلَّا تركتموه ، عندما أخبره أصحابه عليه السلام أن ماعزاً فر من أيديهم أثناء رجمه فلحقوا به وأجهزوا عليه استكمالا لحد الرجم . وقد فات المؤلف أن الرسول ما قصد بقوله إلا سن تشريع جديد لأصحابه ، ولمن سيأتي بعدهم وهو جواز تخلية المرجوم وعدم اللحاق به إذا فر بعد أن يكون قد نال شطراً من الحد لا كما فهم المؤلف أنه يخلى سبيله ابتداء فلا يرجم أصلاً ! .

اطوطميون انتم ام فقهاء ؟

بهذا العنوان المهين للعلماء من السلف الصالح يبدأ المؤلف الشيخ بحثه الأخير والذي أفتى فيه [illegible] الكتابي . وهو يعبر عن رثائه لسوء فهم من سبقه من الفقهاء لهذا الموضوع الحساس ، وها هو وبعد قرون طويلة من الجهل والتعصب يأتي ليضع النقاط على الحروف ، وينقذ العشاق والمحبين من ظلم الشيخ الرجعيين .

وللشيخ العصري دليلان : أولهما قول الله تعالى في سورة الممتحنة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن** ﴾ (سورة الممتحنة ، الآية ١٠) ، وقوله تعالى في سورة البقرة ﴿ **ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٢٢١) .

فاستنتج المؤلف من الآيتين أن التحريم منصب على الكفار وعلى المشركين وحسب ، بينما الكتابيون موضوع آخر لا تنطبق عليه الآيتان ، وهكذا يعود المؤلف ليجعل من اللغة حجة على القرآن بينما العكس هو الثابت الصحيح ، فالكتابيون خارجون على النصين السابقين لأنهم يؤمنون بالله وباليوم الآخر . وهذا يكفي لإخراجهم إلى دائرة الإيمان ، فالإيمان عنده هو عكس الإلحاد وهو نقيض عبادة الشجر والحجر والنار والبقرة ، أي أنه اعتمد المعنى اللغوي له بينما المراد بـ (الإيمان) بالمفهوم الإسلامي هو الإيمان بالله الواحد الأحد وبرسله (وعلى رأسهم محمد عليه الصلاة والسلام) وبكتبه (وعلى رأسها القرآن الكريم) وملائكته وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

فمن اعتقد بهذه الأركان الستة عُدّ مؤمناً مسلماً وصحّ له أن يختار لنفسه أية مسلمة صالحة له ينكحها ضمن شروط النكاح المعروفة .

والكتابي لا يؤمن بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يعترف بالقرآن كتاباً سماوياً فكيف ننكحه نساءنا ، فالرجل هو سيد الأسرة وموجه الزوجة والأولاد ، وغير المسلم لن يحترم مشاعر زوجته المسلمة الدينية بل ربما يعمل على محو الإسلام من نفسها ونفس أولادها . وأما الزواج الآخر ، أي زواج المسلم بالكتابية فقد أبيح بتحفظ وتضييق ، والكتابية تكون عند زوجها المسلم في أمان فهو بنبيها سواء كان عيسى أو موسى عليهما السلام مؤمن ، لأن ذلك ركن من أركان إيمانه . علاوة على أن هذه الزوجة غالباً ما ينشرح صدرها للإسلام وهي في كنف زوجها فتسلم ، وأولادها سوف يشبون على دين أبيهم .

وقد قاس المؤلف زواج المسلمة بالكتابي بمسألة إباحة أكل طعام الكتابي ، وهو قياس باطل . لأن **المسائل الكبرى ذات الأثر الخطير لا تقاس بالمسائل الصغرى ذات الأثر البسيط المؤقت** . فالزواج علاقة ذات آثار هامة على الزوجين وعلى أطراف كثيرة لها علاقة بها لأجيال طويلة ، بينما لا يترك أكل بعض اللقيمات من طعام كتابي أي أثر لأكثر من بضع ساعات .

وأخيراً ندعو الشيخ إلى العمل على محو آثار ذلك الكتاب التي طغت سيئاته على كل حسنات المؤلف الأخرى التي لمسناها في مؤلفاته اللغوية ، كما ندعوه ألا يجامل العصر على حساب عقيدته ، فالعلة في العصر وفي أخلاق أهله وفي ممارساتهم المنحلة لا في الإسلام .

وحبذا لو كان المؤلف أكثر حذراً وحيطة في آرائه الشرعية ، وقديماً قالوا إن لكل عالم هفوة وهذا الكتاب من هفوات العلايلي سامحه الله .

بقلم :
أحمد الشيخ

نحه عند مفترق الطرق فصاح منادياً بالاسم :

ـ **عادل الدرمللي** ؟ .

التفت **عادل الدرمللي** نحو مصدر الصوت ، انحطت عيناه بعسر على وجه الرجل الذي كان يلوح بيمناه بينما يحمل بيسراه طفلاً في حوالي الثانية من عمره ، كان يبتسم في سعادة الظافرين **وعادل الدرمللي** يسعى نحوه وسط الزحام ، كانت السيدة تقف إلى جوار الرجل الذي يلوح بيمناه وكأنه يخشى أن يتوه الآخر برغم تأكده أنه رآه وأنه يسير نحوه بالفعل ، كانت بدينة ولها ملامح متبرمة فيها قدر من الغطرسة والكبرياء ، قالت للرجل بنبرات مستاءة :

ـ **كف عن التلويح له ، إنه قادم .**

أنزل الرجل يده بآلية ربما لأن عادل كان قد اقترب منه تماماً ، أنزل الرجل طفله وسلّمه إلى السيدة البدينة دون حوار منطوق فحملته هي أيضاً دون تعليق ، فتح الرجل ذراعيه ليتلق **عادل** [illegible] اشتياق ، انهمكا في حديث ملهوف بينما [illegible] زفرت في ضيق قبل أن تربت على كتف الرجل وتقول وكأنما تنتزعه من لحظات النسيان المؤقت لوجودها ووجود الطفل :

ـ **الولد تعبان يا عبد الونيس ، سوف تتأخر .**

التفت **عبد الونيس** إلى السيدة السمينة ، تطلع إلى وجه الطفل ثم تحول بنظرته إلى **عادل** وقال في حرج :

ـ عفواً يا **عادل** ، عفواً ، نسيت أن أقدمك للمدام ، زوجتي **نادرة** ، والولد **نادر** ، **عادل الدرمللي** يا **نادرة** ، صديق طفولتي ، من سنوات طويلة لم أقابله ، تصوري يا **نادرة** أنني لم أكن متأكداً أنه هو نفسه **عادل الدرمللي** ، ناديت الاسم وأنا أتوقع أن أحداً لن يجيب ، تصور يا عادل ، لم أكن متأكداً أنك هو أنت نفسك الذي يتحرك إلى الشارع الآخر ، كيف أحوالك ؟ سنوات طويلة لم أعرف فيها أخبارك ، أين أنت يا عادل ؟ .

ـ **في الدنيا ، الدنيا واسعة كما تعرف ، وأنت ، تعيش في القاهرة ؟ أين تعمل ؟ هذا الولد ابنك ، قلت إن اسمه ...**

ـ **نادر .**

ـ آه [illegible] **لطيف .**

ـ [illegible] منذ عامين ونصف تقريباً ، و .. وأنت هل تزوجت ؟ ! .

ـ **لا .. لم أتزوج بعد ..**

تدخلت السيدة وقالت في لوم واستنكار ظاهر :

ـ **أنتم في الشارع ، سوف نتأخر يا عبد الونيس ، الولد تعبان .**

تحير **عبد الونيس** لم يعرف كيف يحسم أمره ، كان موزعاً بين رغبتين ، معرفة أخبار صاحبه وإرضاء السيدة البدينة التي بدا عليها الاستياء أكثر ، والتي لم ترحب بصاحبه لأسباب لا يعرفها ، فكر للحظات حاصرته خلالها نظرة الاستهجان من السيدة ثم قال في حرج :

ـ نتفق على ميعاد يا **عادل** ، طبعاً كنت أريد معرفة أخبارك بعد هذا الغياب الطويل ، إنما ، الولد تعبان كما ترى ، أمه قلقة عليه ، وعيادة الطبيب في مصر الجديدة ، أنت تعرف طبعاً أن الحصول على تاكسي في مثل هذه الساعة أمر عسير ، متى أراك ؟ .

قال **الدرمللي** وهو ينقل نظراته ما بين صاحبه القديم والسيدة البدينة :

ـ ولماذا تبحثون عن تاكسي يا **عبد الونيس** ، سأقوم بتوصيلكم إلى أي مكان ، سيارتي تقف عند المنحنى ، كنت بجوارها عندما سمعت نداءك ، ما رأي السيدة ، لقد تشرفت بمعرفتك متأخراً ، لو كنت أعرف ميعاد زواجكم لحضرت إلى مصر خصيصاً من أجلكم ، **عبد الونيس** صديقي وأخي وأكثر ، سأقوم بتوصيلكم حتى بيتكم بعد الاطمئنان على الأستاذ **نادر** ، إنه جميل ومشاكس على ما يبدو .



قالت السيدة وقد انزاح قدر كبير من تبرمها :

ـ **أخشى أن نتعبك يا أستاذ .**

ـ على العكس تماماً يا سيدتي ، على العكس ، أنا في أجازة وليس لدي ما أعمله خلالها ، ولقائي بكم فرصة لا يحق لي أن أضيعها مهما كانت الأسباب .

★ ★ ★

ارتبك **عبد الونيس** عند باب السيارة الفخمة التي انفتح بابها ، نظر إلى السيدة التي كانت مبهورة هي الأخرى تجاهد أن تداري انبهارها بمسحة تأفف واستعلاء ، قال **عبد الونيس** متسائلاً في دهشة :

ـ سيارتك ؟ هذه سيارتك يا عادل ؟ إنها .. إنها فخمة و ... ما نوعها .. إنها ..

قال **عادل** بينما يفتح الباب

الأمامي للسيدة ويوجه كلامه **لعبد الونيس** في خفة وتبسط ظاهر :

ـ ستركب السيدة في المقعد الأمامي كما تقضي بذلك قواعد اللياقة والذوق ، إذا كنت تعرف القيادة فتفضل أنت أيضاً واترك لي الأستاذ **نادر** ليشاركني في المقعد الخلفي .

ـ لا .. أبداً .. أنا ، سأركب مع نادر .. لا أعرف القيادة ، إنها سيارة غريبة .

وقبل أن تركب السيدة في المقعد الأمامي ، نظرت إلى **عبد الونيس** نظرة استياء لظهوره بهذا الشكل الأحمق أمام صاحبه ، فركب في حرج بينما دار **عادل الدرملي** وركب في مقعد القيادة وتحرك بالسيارة في اتجاه مصر الجديدة .

* * *

لم تمانع السيدة في قبول دعوة **الدرملي** التي عرضها عليهم للعشاء في مطعم **الشيراتون** وبالتالي لم يعارض **عبد الونيس** ، كان دخول **الشيراتون** بالنسبة **لعبد الونيس** أمراً غير وارد في حساباته الحالية على أحسن الفروض ، وكان بالنسبة للسيدة حلماً لم تجد الوسائل لتحقيقه حتى كانت دعوة **عادل الدرملي** فلم تمانع في قبولها على الفور ، كانت جرأة **الدرملي** في التعامل مع المكان تكشف إلى أي حد هو متمرس وخبير بهذه الأماكن ، وكان انكماش **عبد الونيس** وتهيبه مدعاة لغيظها منه ، كانت تجاهد أن تتصرف في رصانة وثبات وترقب **عبد الونيس** من آن لآخر وكأنما تحذره من ذلك التخوف المدهوش أو تعتذر **للدرملي** عن تلك النظرات البليدة التي يتابع بها **عبد الونيس** حركة العاملين والرواد ، وكانت تفكر « **إنه يبدو عاجزاً عن مسايرة العصر وبالتالي يصعب عليه أن يتقدم في الحياة مثل صاحبه الذي شق طريقه بالفعل** » .

كانت تسترجع ما سبق أن شاهدته من أفلام ، وتتمثل السيدات الراقيات سليلات القصور ، تتمثل وتمثل في آن واحد ، جعلت تتكلم من أطراف أنفها وتشير بأصابعها في نعومة حيرت **عبد الونيس** الذي لم يتمالك نفسه فقال :

ـ نادرة ، ماذا جرى لك ؟ .

ـ ماذا ؟

قالتها في استعلاء واستنكار وقد تحفزت للدخول في صراع معه لولا أنه انطوى على نفسه في براعة وهمس :

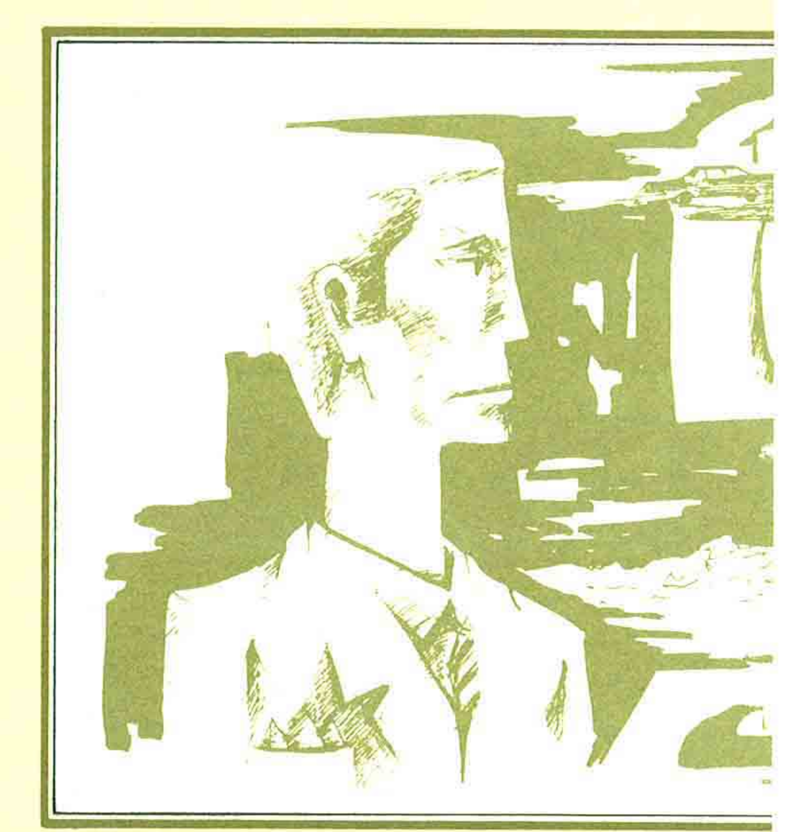
ـ لا شيء .. لا شيء على الإطلاق .

كان من العسير عليه أن يوقفها أو يحول اهتمامها إلى شيء آخر ، غير ذلك الاندماج المكشوف في دور لا يليق بها أو بظروفها ، وكان يعايش إحساساً بالخجل منها ويتمنى لو لم يقترن بها أصلاً « ترى ماذا يقول عادل عنها ؟ هل أدرك إلى أي حد تفتعل في حديثها أم أنه لم يدرك ، وإذا كشفها فماذا يقول عني الآن ؟ » . كانت تربت على الطفل النائم في آلية وتحكي :

ـ بالطبع يا أستاذ ، بالطبع ، الناس في أوروبا أكثر رقياً في حياتهم ، أولاد عمي سافروا مثل حضرتك وعادوا ، كل واحد منهم يمتلك سيارة وڤيلا وتليفزيون ملون وأشياء أخرى لا داعي لذكرها ، **عبد الونيس** نفسه فكر في السفر لكنه لم يعثر على العمل المناسب .

بذلك كانت تثرثر السيدة البدينة ، وتحكي عن أحداث لم تكن ومشاريع لم يفكر فيها أحد ، وحين ادعت السيدة أن شقيقها ما زال يعيش في باريس لم يتمالك **عبد الونيس** نفسه ، أفلتت من أنفه « خنفرة » مقطوعة توحي بضحكة مكتومة ، جاهد في إخفائها لكنه لم ينجح ، ذلك أن السيدة ليس لها أشقاء على الإطلاق كما يعرف **عبد الونيس** ، وحين التفتت السيدة البدينة إلى **عبد الونيس** وجدته قد أخرج منديله وتمخط ثم قال في نبرة اعتذار :

ـ عفواً .. يبدو أنني أصبت بالزكام .



كانت العبارة موفقة إلى حد كبير ، ذلك أن السيدة لم تلاحظ أنه كاد يسخر منها ومن أكاذيبها المكشوفة أمام ضيف تتعرف إليه لأول مرة ، ومن جديد تمادت السيدة في نسج حكاياتها الزائفة دون مقاطعة من أحد .

★ ★ ★

في طريق العودة إلى البيت ، وبينما السيدة تجلس في المقعد الأمامي تصادف أن تلكأ عابر سبيل في خطواته أمام السيارة فقال **الدرمللي** في تأفف :

– كأنه مسطول ، يتطوح من اليمين إلى الشمال ، لولا أن فرامل السيارة بحالة جيدة لسقط تحت العجلات .

وبسرعة راحت **نادرة** تعبر عن سخطها على كل مشاة الدنيا ، بدا لمن يسمع حديثها وكأنها صاحبة سيارة تعاني بشكل خاص من السائرين على أقدامهم ، نسيت تماماً ما كانت تصرح به **لعبد الونيس** من سخافات أصحاب السيارات واستخفافهم بخلق الله ، تحدثت بلغة مختلفة ، حتى عندما ذكرها **عبد الونيس** بالحقيقة :

– **ولكننا لا نملك سيارة يا نادرة .**

– لا نملك سيارة ؟ ، أنت الذي لا يملك سيارة ، كل أولاد أعمامي عندهم سيارات ، وهم يعانون من مشاكل العابرين ، أنت يا **عبد الونيس** الوحيد الذي لا يملك سيارة ، وهذه هي مشكلتك وعليك أن تقوم بحلها .

بذلك كانت تتكلم السيدة وقد توترت ملامحها وتهدج صوتها بينما **عبد الونيس** ساكت **وعادل** يتسمع ولا يعلّق بشيء ، كانت لحظات الترف المؤقت قد جعلها تنسى ما يحيط بها من صعاب ، لكنه عندما سألها **عادل** في أدب قائلاً :

– **والآن ، إلى أين أتجه يا سيدتي ، نحن في ميدان الدقي .**

قالت وكأنها تقر وتعترف بواقعها الحزين :

– سوف تستمر في المسير إلى الأمام ، حتى **بولاق الدكرور** ، هناك مزلقان ، إذا لم تكن تخاف على سيارتك اعبره ، بعدها تجد شارعاً عريضاً يتفرع منه شارع غير مرصوف ، الحارة الخامسة على اليمين ، أغلب سائقي التاكسيات يرفضون الدخول بسياراتهم .

– **لكنني سأقوم بتوصيلكم كما تعهدت مهما صادفت من صعاب .**

بذلك أجاب **الدرمللي** وقد أشفق عليها وعلى صديقه القديم الذي لم يتمكن بعد من تحسين ظروف حياته ما دام يسكن في بولاق الدكرور .

★ ★ ★

في حجرة الصالون المتواضعة جلس **عادل وعبد الونيس ونادرة** ، كان **عادل** قد ركن سيارته في الشارع الكبير ورافقهم على قدميه عبر الشوارع غير المرصوفة والأزقة الضيقة التي لا تسمح بمرور سيارته من خلالها ، وكانت أكواب الشاي محطوطة ، والصمت مخيم فلا حديث ، كانت لحظات الشموخ والتباهي التي عاشتها السيدة قد انتهت وجاءت إلى عالمها الحقيقي البائس ، وكان الخجل الذي عاشه **عبد الونيس** من تصرفاتها قد تبخر تماماً بعد أن توصل إلى تبرير لأكاذيبها مؤداه أنها كانت تحلم أو على الأقل تدفع عن نفسها تهمة الحاجة والعوز بافتعال الكبرياء والشموخ ، وكان **عادل** قد انحط في الموقف ، وتحير كيف يتكلم مع هذين الجريحين اللذين ساهم في جرحهما بتلبية الدعوة العابرة لشرب الشاي رغم يقين كان يدركه أن كشف بؤسهما كان على قيد خطوات قليلة عبر الأزقة والشوارع الضيقة ، وعلى هذا النحو فات وقت طويل لم يتبادل خلاله الرجلان والسيدة أي عبارة حوار حتى بردت أكواب الشاي فأخذتها السيدة من أمامهم وتركتها يواجهان ما صار إليه الحال خلال تلك السنوات الطوال التي لم يعرف فيها أحدهما أخبار الآخر .

بقلم: إنجي سندباد

كنت أسير في الطريق قبل الغروب . صدري منقبض ، وقلبي حزين . . لن أركب الترام أو الأوتوبيس . لن أتحمل تكدس الأجساد وأنا في هذه الحالة النفسية السيئة . . سبع محطات سيراً على الأقدام كفيلة بأن تهد قوتي . لكنها ستبتلع بركان ثورتي .

ثوب جديد . هذه هي المشكلة . النقود التي تدخرها والدتي لا تكفي إلا لثوب واحد . وطبعاً سيكون لأختي الكبرى ! مبدأ خاطئ وغير عادل ! **لماذا تكون الأولوية دائماً للابن الأكبر** ؟! معظم الأسر تتبع هذا الأسلوب . لماذا ؟! هل ذنبي أني ولدت بعدها ؟! وهل كان لي يد في اختيار ترتيب ولادتي ؟! كيف يدفع المرء ثمن فعل لم يفعله ؟! بل لم يكن له إرادة فيه البتة ؟! .

منذ الصغر تقدم لها الهدايا هي أولا . . تختار أفضلها . . ثم تترك لي ما لا يعجبها . . فتات المائدة . . لماذا ؟ لأنها الكبرى ! معنى هذا أنني سأحضر عقد قران ابنة خالتي ، بنفس الثوب الذي حضرت به خطبتها منذ عدة أشهر ! وربما أضطر أيضاً لارتدائه في عيد ميلاد وليدها بعد عدة سنوات ! . . أود لو أمزق ذلك الثوب إرباً . . إرباً !! حقاً ! لا يوجد عدل في هذه الدنيا ! . . وسقطت من عيني دموع ساخنة . . .

التهمت قدماي أربع محطات ، ولا يزال صدري مفعماً بنيران الغيظ . . الشمس غابت وتركت وراءها سحابة ظلام . . خفتت دقات خطواتي على الأرض . . أصبحت أكثر بطءً . عندما أصل إلى منزل جدتي سأعرض عليها مشكلتي ، إذ ربما يرق قلبها وتقرضني ثمن الثوب الجديد . . .

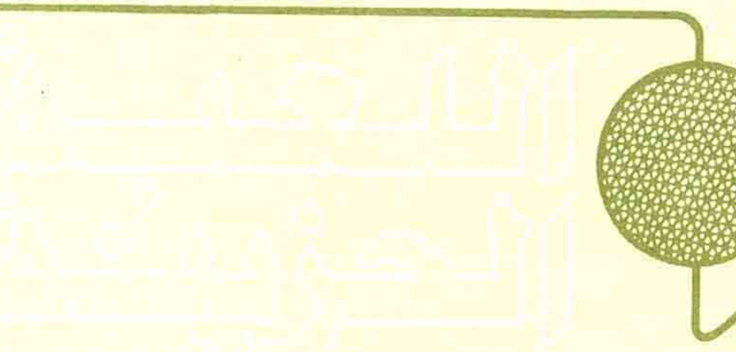
أنهك السير قواي . . ضاقت قدماي بالحذاء . . لقد بدأ ينزع الطبقة السطحية من جلدي حتى خرج منه السائل الشفاف . توقفت لحظة أتكئ على الجدار . آه ! إحداهما تؤلمني جداً . . رفعتها أحاول توسيع الحزام من حولها . . وإذا بي ألمح على مقربة عدة أمتار شيئاً مكوماً على الأرض . تحققت فيه . رجل بجلباب رث . . رأسه مدلاة فوق يدين معقودتين ، تستندان على ركبته المنصوبة . ساقه الأخرى ، ممددة على الأرض . ساق خشبية ! عيناه مفتوحتان تنظران إلى أسفل . . . أسفل ، على الأرض ، **قطع مبعثرة من الخبز المقدد صغير الحجم** . كمّ ضخم من الخبز المفتت ، تنتشر أجزاؤه على مساحة واسعة من الرصيف . . وسلة كبيرة مائلة على جنبها ، خاوية إلا من رغيف واحد . . لا زال منتفخاً . . يعلو سطحه حبات من السمسم الأسود ، يزين وجهه الذهبي .

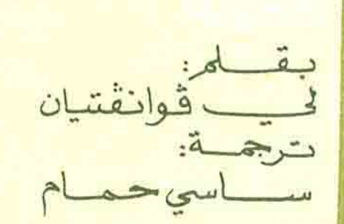
هوت قدمي المرفوعة . سرت ببطء نحوه . لم يلتفت إلى وقع الأقدام المقتربة منه . تأملت ثانية هذا المشهد . حاولت أن أقول له شيئاً . لم أعرف ! ماذا يقال في مثل هذه الظروف ؟! كنت أبكي منذ لحظات لأني لا أملك ثمن ثوب جديد . والآن ، هذا الرجل البائس ، لم تذرف عيناه دمعة واحدة ، أمام رأسماله الذي تبدد في غمضة عين ، في لحظة سقوط السلة . . لكن صمته كان أبلغ تعبيراً من الدموع . فهو عاجز ، يسعى لرزقه طوال اليوم ، محملاً على ساق ، وجاراً أخرى مبتورة . ومن يدري ، ربما يعول زوجة وأبناء ، ينتظرون مجيئه بفارغ الصبر . . يحلمون بعشاء يكتم صراخ الجوع في بطونهم يحضره لهم من رزق يومه الشاق . كيف يعود إليهم الآن صفر اليدين ؟! ومن أين ينفقون الأيام المقبلة ؟ .

شعرت برغبة شديدة في البكاء ، لكني لم أفعل . امتدت يدي بلا وعي إلى حقيبتي ، وأنا لا أزال أنظر إليه . . فتحتها . أخرجت حافظة نقودي . أفرغتها كلها فوق جلبابه المنبسط .

ثم استأنفت السير بخطوات ثقيلة حزينة كأني عائدة من تشييع جنازة . . . ولكن . . لم أمض في نفس الاتجاه .







بقلم: لي ڤوانڤتيان
ترجمة: ساسي حمام

ولد ــ لي ڤوانڤتيان ــ سنة ١٩٠٦ م ، في عائلة فقيرة ، تبناه خاله بسبب فقر أبويه . عرف في حياته التعاسة ، والوحدة ، والبطالة ، والنفي ، والسجن . كان من مناصري الثورة الصينية فقاد المظاهرات وكتب القصائد والقصص والرواية لفضح عصور الاقطاع ، وشارك في الحرب الصينية اليابانية .

ولكن صودرت قصصه وأشعاره ورواياته وزج به في السجن حيث عذب بدنياً ونفسياً . توفي يوم ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨ م .

بعد عشر سنوات من موته وبعد سقوط عصابة الأربعة ، أرجع له اعتباره وأعيد نشر إنتاجه .

لا أتذكر كم كان عمري بالضبط ولكني أعرف أني ما زلت صغيراً عندما وقعت هذه الحادثة .

رغم أني لم أغادر قريتي مطلقاً ــ إلا لزيارة أجدادي لأمي ــ فإنها تبدو لي مجهولة ، وتحمل بين طياتها شيئاً رهيباً ، إنها قرية صغيرة وبسيطة بها شارع عريض وطويل ، وكنت أسكن في الجهة الغربية من الشارع وأذهب لأقصى الجهة الشرقية لألعب ، لم تطأ رجلاي ساحة القرية التي تعج بالحركة أبداً . في ذلك الزمن كان يبدو لي هذا العالم الصغير لا نهائي .

كان أبي مشغولا دائماً في الحقول وأمي في المنزل ، وليس عندي غير جدتي التي تحكي لي الحكايات وتغني لي بعض الأغنيات ، وفي كثير من الأحيان أبقى وحيداً جالساً في ركن بعينين شاردتين أستمع إلى صرير مغزلها .

أخرج في بعض الأحيان للعب ولكن دائماً وحيداً إذ لا يريد الأطفال أن يلعبوا معي إلا إذا صادف أن تغيب لاعب من أحد الفريقين فإني أشاركهم لعبتهم ، ولكن القدر يريد أن أكون دائماً سبب هزيمة الفريق الذي أنتسب إليه مما يحطم كل معنوياتي . في البداية كنت أخاف شتائمهم ولكنهم لم يشتموني فربما كان هؤلاء الأطفال يعتبرون إهانة صغير مثلي لا يصلح لشيء غير منطقي ؟ لا يفعلون شيئاً بل يتركونني جانباً . كنت أعتبر هذا العمل احتقاراً لي فأرجع إلى المنزل في كثير من الأحيان وحيداً محاذياً الجدران وحال وصولي أرتمي في أحضان جدتي قائلاً : « إنهم لا يريدون أن يلعبوا معي . . ! » فترد عليَّ مداعبة رأسي برفق : « **لتلعب بمفردك يا صغيري** » .

هكذا عرفت منذ نعومة أظفاري الوحدة . والآن رغم أني أصبحت كهلاً ما زلت أتألم من الوحدة ولكن مع الفارق طبعاً ، إني أتذكر الآن حزن طفولتي بشيء من الحنين .

كان أبي دائم الغضب ، شديد القسوة ، لم أره أبداً يضحك . أمي كانت تحبني ـ هذا ما أعتقده ـ ولكنها لا تشتري لي الحلويات ولو خفية من أبي . كانت تقول لي دائماً . . « عندما يشتري الآخرون الحلويات ابتعد عنهم » رغم سني فقد كنت أعرف ماذا تعني وفي كل مرة عندما أرى الكبار والصغار متحلقين حول **بائع الحلويات** الذي يعلن عن قدومه بضرب صنجة أبتعد خفية بالعاً ريقي ، وبعد ذلك أصبحت أرغم نفسي على البقاء في المنزل كلما سمعت ضربات الصنجة .

في حقيقة الأمر جدتي هي الوحيدة التي تحبني ، كانت تفعل كل شيء لتسليتي ، كانت تصنع لي الطائرات من الورق القديم ، أو زمارة من سيقان الحشائش المضفورة ، أو عربة يجرها حصان من عيدان الذرة ، كانت هذه اللعب تعجبني كثيراً . وفي أحد الأيام عند دخولي إلى المنزل أشارت لي جدتي بيدها قائلة بصوت منخفض :

ـ **تعال !** .

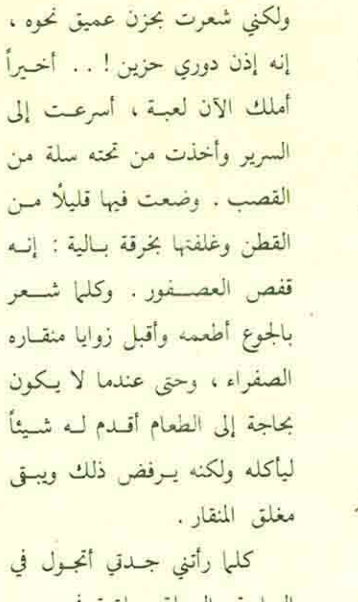
ـ جريت نحوها وسألتها لاهثاً :

ـ **جدتي . ماذا هناك ؟** .

ـ **شيء يسليك يا بني !** .

أخذت سلة أدواتها وأخرجت كتلة صغيرة من القطن وفتحتها فرأيت دورياً صغيراً ! قفزت فرحاً ! .





ـ **من أين أتيت به يا جدتي ؟** .

ـ **لقد التقطته من تحت الإفريز . لا بد أن أمه أسقطته عند خروجها من عشها** .

ـ **كيف استطاعت أن تسقطه على الأرض ؟** .

ـ **أيها الأبله قد كانت تحضنه وعندما أرادت الخروج لتبحث له عن شيء يؤكل اندفعت بسرعة فجرته معها . لقد أشرف على الموت عند سقوطه** .

لم أفهم كلامها جيداً ، ولكني شعرت بحزن عميق نحوه ، إنه إذن دوري حزين ! . . أخيراً أملك الآن لعبة ، أسرعت إلى السرير وأخذت من تحته سلة من القصب . وضعت فيها قليلاً من القطن وغلفتها بخرقة بالية : إنه قفص العصفور . وكلما شعر بالجوع أطعمه وأقبل زوايا منقاره الصفراء ، وحتى عندما لا يكون بحاجة إلى الطعام أقدم له شيئاً ليأكله ولكنه يرفض ذلك ويبقى مغلق المنقار .

كلما رأتني جدتي أتجول في الساحة والسلة معلقة في يدي تقول :

ـ **رائع . . عندك الآن شيء تتسلى به** .

أما أنا فـأقول في نفسي : « يمكن لأولئك السوقة نسياني فلن أخـرج في المسـتقبل . في المنزل عنـدي جـدتي والآن أملك لعبة . وعنـدما يـكبر عصـفوري سيكون مسلياً أكثر » .

رجع أبي من الحقـول عنـد منتصف النهار . نـظرته أربـكتني كالعـادة ، ولـكن كيف لي أن أتـكهن أن تـربية دوري جـريمة ؟ سألني أبي بلهجة حادة :



ـ ما هذا ؟ .

أجبته مطأطئ الرأس :

ـ دو . . . ري . . .

ـ ناولني إياه ! .

افتك السلة من يدي وقبـل أن أرفع رأسي سمعت دوياً ، لقد رمـى السـلة بـكل قـواه على السطح .

بكيت طبعاً ولـكن بصـمت خوفاً أن يضربني ، في مثـل هـذه المواقف تقف أمي دائماً إلى جانب أبي ، في بعض الأحيـان تقـول له : « **اضربه بقوة . . . بأكثر قوة . . .** » تبدو هـذه الـكلمات مفعمـة بـالحزن ، وفي بعض الأحيان تنال نصيبها مـن الضرب بسببي . لـكني كنـت صـغيراً لا أفهـم هـذه الأمـور . ارتميت أخيراً في أحضان جدتي بـاكيـاً .

وعندما هـدأ غضـبه قليـلاً قـال بـبرودة :

ـ تعبث بحياة بـدون وعـي ! مـن الأحســن أن تـذهب إلى الحقـول لتقلـع الحشائش .

ثم أطلق تنهيدة . أما جـدتي فقد كانت تلعنه بصوت منخفض مكفكفة دموعي :

ـ أبـوك رجـل شرس . قلبه خال من الحنان نحوك أو نحو أمك ! لا يعرف غـير التقتير والعمل كالحيوان . لا تبـك يـا صـغيري . غـداً ستتسلق جـدتك شـجرة وستعثر على عقعق بري .

بـكيت زمناً ثم نسيت كل شيء . هذه الأشياء تـتكرر بدون انقطاع ، لم أعد أتـذكر مـا وقـع للـدوري الصـغير . واليـوم لأول مرة منذ عشريـن سـنة ، أتـذكر هـذا الـدوري التعيس ، وإني لأتذكره بكل شفقة . . . مسكين ذلك الدوري الصغير ، حرم مـن حنان الوالدين ، حرم من إخـوته وأخـواته ومـن نعـومة العش ، لقـطته جـدتي ووضـع في قفـة صغيرة وبـكل سرعـة رمـاه أبـي فوق سطح المنزل الخالي ! مسكين ذلك الدوري حرم مـن الحـب ، لقد كـان ضحية التعاسة .

لقـد كرهـت أبـي في ذلك الـزمن ولـكن لم أعــد أكرهـه الآن ، واليـوم أفـكر فيـه بحزن عميق وبإشفاق ، خـاصة عنـدما أتذكر أن هذا العامل العجوز ذا الشعر الـرمادي يجب عليـه إلى اليـوم أن ينهض قبـل شروق الشمس .



هامش : هذه القصة مترجمة عن الفرنسية من مجلة « الأدب الصيني » ، عدد ٦ ، يونيو (حزيران) ١٩٨١ م ، من صفحة ٤٤ إلى صفحة ٤٧ .

بقلم:
سعيد سالم

في الحلم قتلت بيدي مئات الصراصير والسحالي والثعابين . رأيت الشواطئ مهجورة والمدينة مظلمة وأمواج البحر تتصارع صراعها الأبدي المرهق . انمحق اللون الأخضر ولم تعد السماء زرقاء ولا الأرض بيضاء ولا الزهر ألواناً . ساد اللون الرمادي ولم أجد مالا أدفعه لطبيب خاص يسكن بالدور العلوي في نفس مسكني .

صرخت : نرجس .. فذهبت بها إلى مستشفى الفقراء .

تحمل الريح وباءً ، وتبخُّ المخلوقات سموماً ، وتنفث المشاعر حقداً ، ويسود اللون الأصفر . في الحلم سالت دماء ونهبت حقوق وانطفأت أضواء فعمّ الكون ظلام ذو لون داكن كريه . امتزجت الألوان الرمادية بالصفراء بالظلمة الداكنة فتلوثت كل الأماكن . وإذا الملوثون هم أسياد الكون وسادته فلا جدوى من حلم أو حقيقة .

وما دام الأمر كذلك فلا بد أن أقتل الطبيب . سأزيد من نسبة اللون الأحمر في فضاء التلوث اللانهائي الذي أشك في انحصاره بهذه البقعة من الكون الكبير . حين تزيد نسبة اللون الأحمر على نسبة الألوان الرمادية والصفراء والظلمة الداكنة فلن يكون هناك لون أسود ، وبذلك أساهم في منع وقوع كارثة كبرى على بقعة من بقاع الأرض التي تدور حول نفسها .

اختطفت آلة حادة وهويت بها بكل اقتناع فوق رأس الطبيب . قبل أن تصل الآلة إلى هدفها ، وفي كسر من الثانية خطرت لي فكرة احتمال براءته . قد يكون أحد الممرضين هو المسؤول عن تلوث الجرح ، ولهذا قررت التراجع في اللحظة الأخيرة ، وكنت صادقاً في نيتي كل الصدق لإنقاذ حياته بنفس القدر حين قررت التخلص من حياته .

لكن المشهد كما رآه الناس وفسروه ــ وأنا ألتمس لهم العذر ــ كان يؤكد أن هناك محاولة اعتداء همجية من مجنون فقير تهجّم على الطبيب المبجل بآلة حادة بغية قتله .

وهكذا اقتادوني إلى القسم كمجرم عتيد ، وأصبح مستقبلي ــ الذي لا أهتم به في أحيان كثيرة ــ مهدداً بالخطر .

الشهود متواجدون . الجريمة ثابتة الأركان . المجرم هو عبد العزيز أبو بكر العسكري المتطوع سابقاً ومحصل الكهرباء حالياً ، والذي يعتبره بعض المخابيل فناناً تشكيلياً . أداة الجريمة هي قضيب حديدي من أحد الأسرة المهشمة بالمستشفى . ثم المجني عليه وهو الطبيب المبجل .

ولما كان من المؤكد عندي أن هناك أشياء كثيرة لا معنى لها ، وأن خاصية الفهم عند بني الإنسان تكاد تكون مشتركة ، فلا بد أن بعض ما لا أفهمه لا يفهمه الآخرون مثلي . أنا مثلاً لم أفهم لماذا قال الطبيب للضابط بعجرفة شديدة :

ــ هذا المخلوق الشبيه بالحشرة كاد يقتلني لولا أن أمسكوا به .

قلت بسرعة :

ــ لم يمسك بي أحد ، أنا الذي تراجعت عن قراري .

قال الضابط :

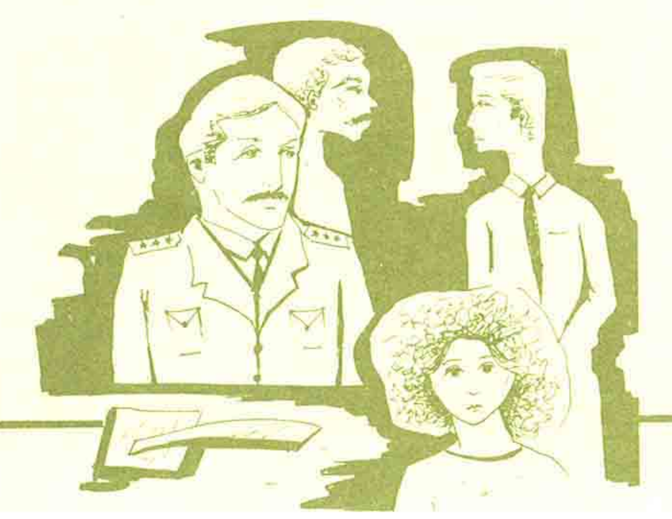
ــ اسكت .

ولم أنطق . ولم أفهم أيضاً لماذا نظر الضابط إلى الطبيب نظرة عدوانية ثم قال له :

ــ إنه إنسان مثلك تماماً وليس حشرة ! .

ثم بلباقة غير مفهومة استطاع الضابط أن يبسط المسألة ويوازنها ، وأن يقنع الطبيب بالتنازل عن بلاغه ، **ثم خرجت من القسم وأنا أبكي نرجس بحرقة . أهملوها . تركوا جرحها يتلوث .** لم أستطع أن أحول دون وقوع كارثة كبرى على بقعة من بقاع الأرض ، والأرض تدور حول نفسها وأنا أشك في انحصار التلوث بتلك البقعة دوناً عن بقية الكون الكبير .

تلوث الكون . ماتت نرجس .. حلماً وحقيقة .



من كتب التراث

التيجان

لوهب بن منبه

عرض وتحليل : فاروق خورشيد

منذ طبع هذا الكتاب عام ١٣٤٧ هـ ، منذ أكثر من نصف قرن في (حيدرآباد الدكن) لم تظهر له طبعة أخرى حتى الآن ، وإن كنا سمعنا أن هناك محاولة لإعادة طبعه في صنعاء يقوم بها الشاعر الدكتور عبد العزيز المقالح ، فلعل هذا المقال يكون لفتاً لأهمية هذا الكتاب ومكانته من التراث الشعبي العربي عامة ، وتراث الجزيرة العربية على وجه خاص ، والتراث الشعبي اليمني على وجه أخص .

والطبعة التي بين أيدينا طبعت (بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة في الهند) وقد قام المجلس بعملية التحقيق مع الاستفادة **بالمستشرق الألماني سالم كرنكو** .

والكتاب محقق من نسخة أصلية هي نسخة حيدرآباد ، ونسختين مخطوطتين أيضاً للكتاب ، واحدة محفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم (٢٩٠١) ، والثانية نسخة محفوظة في المكتبة العمومية في برلين .

أما النسخة الأصلية أو نسخة دلهي التي اعتمدها المستر كرنكو واعتمدها أيضاً مصحح دائرة المعارف العثمانية فقد نسخت بعد هذه النسخة بثلاث سنين .. والناسخ لهذه النسخة سجين أمضى سبع سنين وثلاثة أشهر هو في الدار الحمراء **(وهي السجن بقصر صنعاء اليمن)** .. واسم هذا السجين **المطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الإمام شرف الدين** (وكان الفراغ من رقمه وقت العصر من يوم السبت ١٦ شهر رجب الخير سنة أربع وثلاثين وألف من الهجرة النبوية) . ويكرر المطهر نفس الملحوظة التي ذكرها علي بن سعيد القملاني فيقول : **(وليعذر الناظر فيه فإن النسخة سقيمة)** .

وواضح من هذه الملحوظة ، كما أنه واضح من



تقرير المستر كرنكو أن الناسخين قد قاما بنسخ مخطوطة واحدة كانت بالسجن في قصر صنعاء اليمن، ارتحلت واحدة إلى نيودلهي، وارتحلت أخرى إلى لندن، أما نسخة برلين فلا حديث عن بدايتها أو رحلتها.

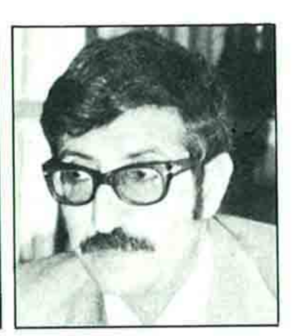
ويبقى سؤال قائم: أين النسخة الأصلية التي كانت في الدار الحمراء وهي السجن من قصر صنعاء اليمن، والتي ظلت موجودة حتى عام ١٠٣٤ هـ، على الأقل؟.

ويبدو هذا السؤال ساذجاً حين يكون قد مضى على وجودها بهذا القصر ٣٦٥ عاماً كاملة تعرضت فيها النسخ المنقولة عنها إلى النهب والرحلة إلى لندن أو برلين وربما إلى غير لندن وبرلين من عواصم القرصنة في ذلك الحين الذي كان عصر القراصنة والغزو والاستعمار.

وهذا الكتاب بالذات يعتبر بالفعل من أندر المراجع في تاريخ اليمن القديم، ونحن نذهب إلى أن ما جاء في الكتب العربية عن التاريخ اليمني القديم يعود الفضل فيه إلى هذا الكتاب، ونحن نرى إشارات دائمة إلى **وهب بن منبه** وإلى **عبيد بن شرية** في كل المراجع القديمة التي تشير إلى تاريخ **التبابعة**، وإن لم ترد إشارة صريحة إلى هذا الكتاب بعينه، بحيث نستطيع أن نقول إنه لم يكن ــ ككتاب ــ مصدراً مباشراً للمؤرخين العرب، وإن كان على الأرجح مصدراً غير مباشر لهم.

والكتاب في حقيقته كتابان (**التيجان**)، والكتاب كله يعرف باسمه ومؤلفه هو **وهب بن منبه**، و(**أخبار ملوك اليمن**) ومؤلفه **عبيد بن شرية الجرهمي، ويبدو أن الكتابين كانا معاً في مخطوطة واحدة**، وأنهما في كل مرة نسخا فيها، نسخا معاً في كراسة واحدة، وحين قيض لهما أن يطبعا في حيدرآباد طبعا أيضاً معاً.

والكتاب الأول (عن وهب بن منبه رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي إدريس ابن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه). والكتاب منذ صفحته الأولى صريح في هذه النسبة إذ يبدأ قائلاً: «حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي إدريس ابن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه أنه قال ....». فالكتاب ليس من تأليف وهب تأليفاً مباشراً، وإنما هو مادة لوهب بن منبه رواها حفيده ووصلت إلى **ابن هشام** مشافهة فأعاد تأليفها لتصبح في هذا الشكل الذي وصلنا إليه.



★ د. عبد العزيز المقالح ★ ★ ابن خلدون ★

أما الكتاب الثاني فهو كتاب (أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال والحمد لله على كل حال)... فلا إشارة هنا لمؤلف أو راو.. ولكن السطر الأول من الكتاب يشير إلى مؤلفه وراويه إذ يقول بعد الحمد لله والصلاة على رسوله: «حدثنا عبيد بن شرية الجرهمي عن البرقي برفع الحديث أن معاوية بن أبي سفيان... إلخ»..

ويعقب مصحح دائرة المعارف وهو ابن هشام، ويجمع الكتابين أيضاً أن الموضوع الذي طرقاه موضوع واحد هو **ملوك اليمن**، بقي عنصر ثالث يزيد من القربى بين الكتابين وهو اتباعهما لمنهج متقارب في سرد الأحداث، فهما يقبلان غرائب الأخبار، ويثبتان ما هو أقرب إلى بقايا الأساطير منه إلى الخبر التاريخي الصحيح.. بحيث **يمكن لنا أن نقول إن هذين الكتابين من كتب القصص لا من كتب التاريخ.**

لكل كتاب بعد هذا أسلوبه في التناول، ولكل كتاب بعد هذا هدفه الذي يسعى إليه من أجل جمع مادته وتقديم موضوعه. ولكننا قبل أن نتحدث عن هذه الفروق بين الكتابين نحب أن نتعرف إلى الكتابين وإلى المؤلف الواحد لهما، وإلى موضوعهما، قبل عقد أي دراسة مقارنة بينهما.

وهب بن منبه

والكتاب الأول صاحبه هو **وهب بن منبه**، ويذكر **حاجي خليفة** في كشف الظنون أنه مات عام ١١٠ هـ، لكن **المسعودي** يقول في الجزء الثالث من مروج الذهب (وفي سنة أربع مائة مات وهب بن منبه، ويقال: مات سنة عشرة ومائة)... ويذهب المؤرخون بهذا إلى أنه ولد سنة (٣٤ هـ)، ويذكر **ابن خلكان** أنه مات وعمره تسعون سنة، ويذكر ابن خلكان أيضاً أنه رأى كتاب وهب بن منبه في تاريخ اليمن، وهو يمني من **ذمار بجوار صنعاء عاصمة اليمن**. ويذهب المؤرخون إلى أنه يهودي أسلم، وأنه واحد من الذين أدخلوا الإسرائيليات إلى التاريخ العربي.. ويقول **الدكتور أحمد أمين** (ص ٢٥) من كتابه «فجر الإسلام»: «نشر اليهود في البلاد التي نزلوها في جزيرة العرب تعاليم التوراة وما جاء فيها من تاريخ خلق الدنيا، من بعث وحساب وميزان، ونشروا تفاسير المفسرين للتوراة وما أحاطها من أساطير وخرافات كالتي أدخلها ــ بعد ــ من أسلم من اليهود مثل **كعب الأحبار ووهب بن منبه** وأضرابهما».

فوهب بهذا متهم بأنه إحدى النوافذ التي تسربت منها الثقافة اليهودية المحملة بالثقافة اليونانية إلى الثقافة الإسلامية.. وليس من المعقول بحال أن يكون مسؤولاً عما في التراث العربي قبل الإسلام من آثار لهذه الثقافات فهو قد ولد بعد الهجرة بـ ٣٤ عاماً، ويكون تحميله دوراً في خلق الإسرائيليات، أو إيجاد الثقافة الهلينية داخل المرويات التاريخية أو شبه التاريخية التي ملأت الجزيرة قبل الإسلام هروباً حقيقياً من مواجهة تحليل طبيعة هذه الثقافة قبل الإسلام، وطبيعة تركيبها التي لا شك تأثرت بكل العناصر التي عاشت في الجزيرة أو احتكت بها.. ونسبة دخول هذه الثقافة بكل ألوانها: الخرافية المتبقية من الثقافة اليهودية، أو العلمية الوافدة من الثقافة الهلينية، إلى رجل أو رجلين، أو حتى مجموعة من الرجال، تسرع في الحكم، وإعطاء أهمية لسبب مباشر، حتى لا نضطر إلى البحث عن الأسباب الحقيقية وراء هذه الظاهرة.

والواقع أن أستاذنا الدكتور أحمد أمين كان مسبوقاً إلى هذا الرأي بمجموعة من المفكرين العرب الذين أحسوا بهذه الظاهرة نفسها وأرادوا اختصار الطريق إلى تفسيرها بإلقائها على عاتق إغراض بعض الرجال.. مثل **ابن خلدون** في مقدمته، **وابن سعد، وحاجي خليفة، وياقوت.**

ويلاحظ الأستاذ كرنكو محقق التيجان في هامش

ص (٩٩) وهو يصف غزوات **ذي القرنين** فيورد أسماء الأماكن التي مر بها .. ويلاحظ قائلاً : «هذه الأسماء كلها محرفة في الأصل ـ يعني النسخة الأصلية من الكتاب ـ والمراد بجاجا مدينة جاج فيا وراء النهر .. وهي بجيين فارسيين ، وقد عربت العرب اسم هذه المدينة فقالت شاش ، وبلخا محرف من بلخ بالخاء .. و (جا بالجا) لعله محرف من جابلق ، والظاهر أن هذه الأسماء كلها مأخوذة من كتاب باللغة الآرامية بحيث جاء في آخرها ألف» فهو إذن يعرف الآرامية إلى حد ما .. وقد لفتت هذه الملحوظة التي أوردها كرنكو **الدكتور حسين نصار** فتعقب شواهد أخرى حول اللغات التي يعرفها وهب فيقول : (نراه يذكر بعض اللغات الأخرى مثل **الحميرية** حين يقول : كان يقال لحمير (العرنجح) ، والعرنجح ، العتيق ، وحين يقول : ذو شدد بلغة حمير كقولك : ذو شطط ، ومثل اللغة الحامية حيث يقول : الشام اسم أعجمي من لغة بني حام ، وهو طيب تفسيره بالعربي .. وقد نخرج من هذه الشواهد ونحن على ما يشبه الاطمئنان من معرفة وهب باللغة **العبرانية والسريانية** ، وفي نفسنا شيء من معرفته باللغة **الآرامية والحميرية** ، ومما يزيدنا يقيناً بمعرفته اللغات غير العربية ذلك القول في كثير من المراجع إنه قرأ الكتب ، أو العدد منها ، وأن تفسيره للكلمات العبرية والسريانية كان صحيحاً في أغلبه) .

ووهب عند كل المؤرخين جامع أخبار وقصص وأشعار ... أي أنه **أقرب إلى كتب التجميع الأنثروبولوجي المعاصر ، منه إلى كتب التاريخ بمفهومها الحقيق** .. والدكتور حسين نصار يسمي هذا الجهد باسم (كتابة تاريخ وطنه اليمن الخرافي القديم) .. والنص هنا على أن هذا التاريخ **(تاريخ خرافي)** يضع جهد وهب في مكانه الصحيح .. ونستطيع نحن أن نحور هذه الصفة لنقول إنه ينقل التاريخ الشعبي لليمن ، وهو تاريخ يلتبس فيه دائماً الخبر الحقيقي بالإضافات الخيالية التي يضيفها الضمير الشعبي لأحداث ملوكه وأبطاله ، فهو تاريخ لا يروى مجرداً ، وإنما هو يروى وقد مر على الوجدان الشعبي الذي انفعل به وأضاف إليه وأسقط عليه طموحاته وآماله وآلامه جميعاً .. وعلى هذا فهو أقرب إلى ما نعرفه باسم **الأدب الشعبي أو الفولكور** منه إلى التاريخ الصارم الذي يرتبط بمعاني الصدق في الحدث والتسلسل في الزمن ، والمنطق في الوقائع .. بل إن هذا اللون من الإنتاج الأدبي تذوب فيه الحقائق تماماً وتفقد قوامها الصلب المتماسك ، لتفسح المجال للرمز الذي يرفع أبطاله عبر الوجدان الجمعي للشعب إلى مصاف الإشارات الأسطورية التي تجسد القوى الفاعلة في وجود الإنسان في أبطال بأعيانهم ، وتجسد الأحداث الكونية في وقائع مادية مباشرة .. وبمعنى آخر فنحن نستطيع أن نصل من خلال هذا اللون من التأليف إلى معرفة تاريخ عقل ووجدان الشعب لا إلى معرفة تاريخ أحداثه الحقيقية ، ووقائع حياته التاريخية بالفعل .

وقد ذكر كتاب (في الرواية العربية) إذ يقول : (وفي حكايات وهب تلمح اتصالاً كبيراً بين كل شعوب الأرض من الهند والصين والأندلس والترك والفرس والصقالبة والأحباش والمصريين وسكان الجزائر وغيرهم ..) ، فعلى الرغم من أن الكتاب قد خصص لحكايات ملوك حمير ، إلا أنه يبدأ منذ البدء ، أي منذ خلق الأرض والسماء والحيوان والجن والملائكة ، والجنة والنار وإبليس وآدم ، ثم يتحول إلى الحديث عن آدم وعقبه ونسله ليتوقف عند أهم الأحداث وأهم الشخصيات ، ومناقشاً ما يسود عصره من تحليل لها .

وهو يستمر في سرده للتاريخ المبكر للإنسان ، يختلط في حكاياته السرد مع الحوار مع الشاهد الشعري أو النص النثري ، مما يجعل هذا التاريخ عملاً قصصياً فريداً في أسلوبه ونمطه إلى أن يصل إلى نوح وأولاده ثم سام وتبلبل الألسنة وقبائل عاد وثمود وطسم وجديس وعملاق ورائس ثم يعرب وهود ، ثم عاد وسبأ وحمير .

ومن هنا يستمر في تتبع حكايات ملوك حمير إلى نهاية الكتاب ... وهو في هذا يتابع غزوات حمير وأولاده للعالم القديم حولهم فيقول في ص (٥٣) : «قال وهب ونزل حمير بدمشق فقاتل بني ماريع حتى غلبهم وأجرى عليهم الخراج ثم مضى إلى الحبشة فلقيهم بالقيس والبهشة فهزمهم على النيل فتبعهم حتى بلغ بهم البحر المحيط من المغرب فأذعنوا وأجرى عليهم أتاوة يؤدونها في كل عام فدرب الحبشة في غربي الأرض سبعة أشهر في سبعة أشهر ، ثم رجع عنهم على النيل إلى مصر فتزود من مصر ، ثم مضى في المغرب حتى بلغ إلى البحر المحيط ثم أجرى على القبط الخراج» .. وهو يعني بالقبط هنا قدماء المصريين ، كما أن هذه الرحلة وأمثالها هي التي دعت ابن خلدون إلى أن يعلن ثورته على كل الكتب التي نقلتها عن وهب ومنهم المسعودي فيقول في ص (١٦) وما بعدها من المقدمة : «ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في أخبارهم عن التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقيا والبربر من بلاد المغرب» .. ويقول : «هذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة ، عريقة في الوهم والغلط وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة» .

ويروح ابن خلدون يشرح اعتراضاته الجغرافية على هذه الغزوات ، وما كان ابن خلدون ليبذل كل الجهد في مناقشته لأخبار التبابعة لو أنه أخذ بما وصفها هو نفسه بها من أنها قصص لا تاريخ ، والواقع أن موقف **الغزالي** في (الإحياء) من قصاص المساجد يؤكد أن هؤلاء كانوا ينحون منحى وهب في الاهتمام بالتشويق القصصي وفي سرد ما هو موروث من القصص الشعبي القديم ، ولولا أن الأدب اتجه إلى الاهتمام بالشكل اللفظي والعملية الغنائية في الأسلوب لالتفت النقّاد العرب من زمن إلى أهمية إدخال هذه الأعمال في باب القصص ودراستها من هذه الزاوية بدلا من ملء الكتب بالحملة عليها باعتبارها من الأخبار التاريخية التي يجب أن يتوفر فيها الصدق في الحدث والصدق في النقل .

وعلى الرغم من أهمية وهب وكتابه التيجان فإن **ابن النديم** لا يذكره في الفهرست بل هو يذكر في صفحة ١٣٨ من طبعة المطبعة التجارية بالقاهرة : عبد المنعم بن إدريس ، ويقول عنه هو (ابن سنان أمه ابنة وهب بن منبه مات سنة ثمان وعشرين ومائتين للهجرة ، وبلغ فوق المائة وعمي آخر عمره ، وله من الكتب كتاب المبتدأ) .. ويرى **الأستاذ هورفتس** أن هذا الكتاب لوهب نفسه وأن العنوان يشير إلى مبتدأ الخلق ، ويعرض الدكتور حسين نصار هذا الرأي ، ويذهب إلى أن عبد المنعم هذا ربما جمع بعضاً مما في كتب وهب عن مبتدأ الخلق وضمه في كتاب .

عبيد الجرهمي

وفي نفس الوقت فإن ابن النديم في الفهرست يذكر **عبيد بن شرية** في ص ١٣٢ ، ويذكر أن له كتاب الأمثال (نحو خمسين ورقة رأيته) ويقول عن «**الجرهمي** في زمان معاوية وأدرك **النبي صلى الله عليه وسلم** ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على **معاوية بن أبي سفيان** فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد . وكان استحضره من صنعاء اليمن فأجابه إلى ما أمر به ، فأمر معاوية أن يدون وينسب إلى عبيد بن شرية ...» .. ويقول عنه إنه أحد من أخذت عنه المآثر .. ويرى الدكتور حسين

نصار أن هذا هو الكتاب الثاني الذي أنتجته مسامرات معاوية بن أبي سفيان فقد أنتجت مثله كتاب دغفل النسابة البكري واسمه (التظافر والتناصر) .. ويذهب إلى أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا جزء من كتاب أكبر هو الذي دون في عصر معاوية باسم (**كتاب الملوك وأخبار الماضين**) .. وأياً كان الحال فكتاب عبيد المطبوع مع التيجان في طبعة واحدة عنون باسم «أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال والحمد لله على كل حال» ، وهو عبارة عن مجموعة مسامرات بينه وبين معاوية ، يسأل فيها معاوية ويناقش ويجادل ، ويحكي فيها عبيد ويحاج ويجيب على أسئلة معاوية واستفساراته .. يسأل معاوية عبيد بن شرية «كم أتى عليك من العمر يا عبيد؟ قال كثير يا أمير المؤمنين ، كفاك أنه لم يبق جرهمي غيري أتى على مائة وخمسون سنة» . ويحدثنا لسان العرب وتاج العروس ومعجم قبائل العرب عن الجراهمة فإذا هم أبناء جرهم بن قحطان أخو يعرب ، وقد تزوج إسماعيل امرأة من قبيلة جرهم ، ومن نسلها جاء عدنان جد نزار جد العرب الإسماعيلية وإلى هؤلاء ينسب عبيد بن شرية الجرهمي ، وهناك قبيلة عربية أخرى تسمى بالجرهمية الأولى وكانت معاصرة لقبيلة عاد ، وهلكوا مثلهم وانقرضوا .. أما جراهمة عبيد فهم بطن من القحطانيين كانت منازلهم الأولى باليمن ، ثم انتقلوا إلى **الحجاز** فنزلوه ، ثم نزلوا بمكة واستوطنوها بعد أن انتزعوا الحكم من **العمالقة** هناك .. ويذهب عبيد في عصبيته إلى نسبه إلى أن تسمية العرب باسمهم هذا إنما جاءت من اليمن «قال يا معاوية أتعلم أنت وغيرك من أولي العلم إنما هي **عاد وثمود وطسم وجديس وارم والعماليق وجرهم وقحطان بن هود** فهم كانوا أوائل الناس ، منهم يعرب الذي تكلم بالعربية ، كل أخذه من **يعرب بن قحطان بن هود** وإليه تنسب العربية ، فقيل عربي لأنه يعرب أول من نطق بها وليس أحد غيره تكلم قبله بها ..» .

هذا إذن هو عبيد صاحب هذا الكتاب رغم أنه لم يؤلفه ، إنما هو دون كمساجلة بينه وبين معاوية تحتفظ له بالحكايات وتحتفظ لمعاوية بالاستفسارات . قال معاوية : «خذ في حديثك يرحمك الله عن ملوك اليمن وقد بلغني عن حمير وسيرها في البلاد وملكها في مشارق الأرض ومغاربها وكيف كان ذلك تسخر العرب أو العجم وعن افتراق ألسنة الناس وعن أهل بابل ، ومتى كان ذلك ، وسألتك ألا تمر بشعر تحفظه فيما قال أحد إلا ذكرته ..» .


★ المسعودي ★

★ د. حسين نصار ★

وهكذا حدد معاوية الموضوع الذي سيدور حول الحديث ، وحدد أيضاً ما يجب أن يزدان به هذا الحديث من حلية قولية تتفق والذوق العربي بعامة ، وذوق العصر بخاصة ، ومن هنا لم يكن من المستغرب أن يمتلئ حديث عبيد كما امتلأ حديث وهب من قبل بمقطوعات الشعر المؤلفة على ألسنة الملوك والأبطال والشخصيات المختلفة حتى تتم حلية الكلام وتكمل زينته ، وبهذا أوردوا شعراً على لسان آدم ونوح وقحطان وعاد ... وليس يعقل أنه شعر حقيقي ، وقبوله من معاوية وغير معاوية إنما يعني إدراكهم للسبب الفني الذي ورد من أجله هذا الشعر ، وإحساسهم بأن هذا السبب الفني يبرر كذب هذا الشعر وانتحاله بحيث لا يحاسب عليه القصاص .

ونحن نرى معاوية يعترض على رواية قصيدة يحكيها عبيد على لسان الرائش فيقول معاوية : «يا عبيد ما كنا نظن هذا الشعر إلا لذي نواس ..» ، قال عبيد : «يا أمير المؤمنين قرب هذا وبعد الآخر ، وكان اسم هذا أهون على الرواة ، فأما القول فوالذي بعث محمداً لقد رويت هذا الشعر وأن ذا نواس لغلام» .. وهذا الجدل لا يعني أن معاوية يصدق أن الشعر للرائش أو لذي نواس ، وإنما معناه أن هناك تواتراً في القصص الشعبي على ورود أنواع معينة من المقطوعات الشعرية ترتبط بشخصيات هذه القصص حتى لينقص القصة الكثير إن لم يذكرها القصاص وفي موضعها كما يحفظها الناس والرواة ... إلا أن الاحتراز ليس في الشعر وبقدر ما هو في مضمون هذا القصص الشعبي نفسه الذي يحمل كلمة الشعب وموقفه من الحياة والسلطة والقوى الأخرى المتحكمة فيه ، فنرى عبيد بن شرية يخشى حكاية ملوك اليمن لمعاوية ويقول له : «يا أمير المؤمنين لك في غير هذا الحديث ما يقصر ليلك وتلذ به في نهارك فإن فيه ما تهوى وما لا تهوى ومغضبه وشغفاً للملوك ونعش مودة ..» فالمسألة إذن ليست القصة نفسها وإنما المسألة في دلالات هذه القصص التي قد تغضب واحداً في مركز السلطة والجاه ، واحتراز عبيد هنا يؤكد أن هذه القصص لم تكن للمسامرة والتسلية وحسب ، وإنما كانت مليئة بحكمة الشعب ، وبأحكامه على القوى القادرة المسيطرة على مصائره .. ولم يجد معاوية في احتراز ابن شرية غضاضة ، بل اعتبر طلبه هذا طلباً طبيعياً ، فيقول له : «عزمت عليك إلا اتبعت هواي وحدثتني ما علمت مما أسألك عنه فأنت في جوار الله وذمته وأمان مني ومن غضبي ونعش مودتي .. وقال جميع جلساء معاوية ولك منا ذلك من جميعنا ....» ، وبهذا الأمان الذي أعلنه معاوية وأكده وضمنه جلساء معاوية يبدأ عبيد حديثه عن ملوك اليمن ، وهو لا يبدأ من خلق العالم كما فعل وهب إنما هو يبدأ من بداية العرب ، ومن هم العرب العاربة؟ ومن هم المستعربة ..؟ .. ولكن هذا القص يدور في إطار يراعي - كما فعل وهب - الحس الإسلامي ، والروح الإسلامية في عصره وعند مستمعيه ، بل إن عبيد بن شرية أحرص من وهب على الالتزام كلما أمكن بما جاء في القرآن الكريم حول من يحكي عنهم من أنبياء أو ملوك .

الاتفاق .. والاختلاف

فهناك اتفاق بين كتابي وهب وعبيد في الموضوع وهو تاريخ اليمن ، وفي صاحب الفضل في صياغتها وتقديمها إلى المكتبة العربية وهو **ابن هشام** ، ولكن الاختلاف في الكتابين بعد هذا يبدو في الهدف من كل منهما ، وفي أسلوب التناول عند كل منهما أيضاً ، فوهب يحاول في تتبعه لأحداث قصصه إبراز أعمق ما فيها ، فليس من قصة إلا وهي تنطوي على مغزى فني ، ولسنا نقصد هنا المغزى الأخلاقي ، وإنما الأقرب أن نقول إنه يحاول إبراز العمق الإنساني في شخصياته وحوادثه .

أما عبيد بن شرية فهو أقرب الصور إلى القصاص الإسلامي الذي عرفته المساجد والمجالس الرسمية . . أي هو يقصد إلى الوعظ الديني ، والخروج بالمغزى الأخلاقي من كل قصصه ، وهو في هذا يكون منبعاً للثقافة المكملة لثقافة عصره بما يحمله إليها مما يعرف من أحداث التاريخ وقصصه الشعبية التي تزيد عمق الفكرة الإسلامية في نفوس المتلقين ، وتزيد رسوخ الفكر الذي حمله الإسلام إليهم .

هذا الفرق الواضح في الهدف من وراء العمل القصصي عند الكاتبين وهب وعبيد يؤكد أن كلاً منهما يمثل تياراً مؤثراً من التيارات التي سادت الفن القصصي العربي الذي بدأ على أيديهما وعلى يد ابن هشام يتحول إلى فن معترف به عند الخاصة ، ويعتمد عليه المؤلفون في التفاسير والتاريخ وإن كان أياً منهم لم يقصد هذا ولم يتجه إليه في عمله القصصي الفني الخالص . . **أما الفرق الثاني بين الكاتبين فهو فرق واضح في أسلوب التناول** ، فبينما يعتمد وهب على السرد المباشر ، ومعظم الحكايات في هذا الكتاب وخاصة في الجزء الأول منه ، تأتي بعد عبارة :

قال وهب ، بينما يعتبر كتاب عبيد بن شرية صورة من أدب المسامرات والمجالس لما يتضمنه من حوار وأسئلة وإجابات ومناقشات تعطي للكتاب حيوية خاصة ، ومذاقاً منفرداً . . . والواقع أن تدخل ابن هشام في كتاب وهب واضح جلي ، لأنه يكمل الكثير من الحكايات من مصادر أخرى غير وهب ويذكر هذا في صلب الكتاب ، فيذكر روايات عن **ابن إسحق** صاحب السيرة الذي أعاد هو نفسه رواية كتابه مصرحاً بدوره في هذه الصياغة ، ولكنه هنا لا يصرح بمدى تدخله ، وإن كان من الواضح أن روايته عن ابن إسحق إضافة من عنده ، وكذلك رواياته عن **البكائي أو الهمداني أو الكلبي أو أبي مخنف** أو حتى عن عبيد بن شرية نفسه في ص ٢٣٧ مثلاً . . . وهناك أجزاء طويلة من الكتاب وخاصة في الجزء الأخير منه لا يسند الحديث فيها إلى أحد الرواة ، ومن المفهوم أن صاحبه هو وهب مؤلف الكتاب نفسه وأن صياغته النهائية فيه لابن هشام راوي الكتاب أو صاحب صياغته الأخيرة .

أما في كتاب عبيد بن شرية فإن تدخل ابن هشام لا يتضح إلا في أجزاء قليلة من الكتاب ، فإن اعتماد الكتاب على السرد والحوار بين عبيد ومعاوية أبعد الإسناد إلا ما جاء على لسان عبيد نفسه الذي يذكر مصدر ما سمع من أحاديث وحكايات وخاصة أن أثارت هذه الأحاديث سؤالا أو جدلا على لسان معاوية ، إلا أن علاقة ابن هشام بالكتاب تبدو في استهلاله بأن الحديث قد جاء عن **البرقي** تلميذ محمد بن هشام وهو الأمر الذي لفت محقق الكتاب المستر كرنكو ، ولكننا نجد خروجاً عن قاعدة السرد الحواري أو إنشاء المجالس المتبعة في الكتاب في صفحة ٣٥٠ مثلاً فيقول الكتاب : « وذكر بعض أصحاب السير عن عبيد بن شرية بأن هود ، قال أخبرني البحتري عن محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني عن علي بن أبي طالب . . » .

ثم يقول بعد إيراد الخبر : « رجع الحديث إلى عبيد بن شرية ومعاوية » ، وهذا الخروج عن قاعدة أسلوب المجالس أوقع المحقق في لبس فقال : « لعل هذه العبارة كانت حاشية فأدمجها بعض النساخ في الأصل ، ومع ذلك فهذا عبيد بن شرية ليس له دخل في هذه القصة » . والواقع أن هذا اللبس تكرر عند الدكتور حسين نصار حيث يقول عن مثل هذه الظاهرة . . وهي متكررة في الكتاب : « هذا الخبر ليس من رواية عبيد ، بل حدث بعد موته ، وهو من صلب الكتاب ، ولا يظهر عليه أنه مقحم في هذا الموضع ، وكذلك نرى بعض الأسماء والأنساب والأشعار تختلف روايتها باختلاف المواضع ، حتى أكثر الناشر من الإشارة إلى ذلك ، مما يجعلنا نظن أن هذه الاختلافات ترجع إلى رواة مختلفين ، لا عبيد وحده ، وهذا اللبس لا محل له في الواقع ، فإن هذه الصياغات تقترب من ألوان الصياغات التي نجدها لابن هشام في كتاب وهب ، ونجدها له أيضاً في السيرة النبوية لابن هشام . . فهذه الصياغات تؤكد دور ابن هشام في الكتاب ، وتوضح تدخله بإكمال الحديث عن رواة غير عبيد كما فعل وهب ، أو بإكمال الحدث من معلوماته هو وتركها بغير إسناد ، تماماً كما فعل أيضاً في الجزء الأخير من كتاب وهب ، فابن هشام في الحقيقة لا يقوم بمجرد رواية الكتاب وإنما هو يقوم بما نسميه نحن في عصرنا هذا باسم توثيق الكتاب ، فهو يحاول أن يسند أي رواية فيها خيال جامع إلى أكثر من راو آخر ليؤكد موقف المؤلف ، وهو في ذات الوقت توثق الروايات الضعيفة بمحفوظه هو لنفس الرواية من سند أقوى ، ثم هو يستكمل القصة حين يقف راويها الأصلي ، من الرواة الآخرين الذين وردت في رواياتهم إكمال لها قد يكون قد حدث بعد وفاة المؤلف الأصلي ، أو يكون قد نقص في روايته للحدث . . . فدور ابن هشام هنا ما هو دور الصائغ الأخير من ناحية ، ودور الموثق أو المحقق من ناحية أخرى . . والخطأ الرئيسي عنده أنه لم يفصل إلا في بعض المواضع بين ما هو صلب الكتاب الأصلي ، وما هو من إضافاته الموثقة أو من محفوظاته التي لا يسندها إلى مصدر أو سند . . ومن هنا فرقنا في كتاب (في الرواية العربية عصر التجميع) بين دور وهب وعبيد ودور ابن هشام . . فدور الأولين هو عملية التجميع مما حفظاه ومما قرءاه ومما سمعاه حول موضوعنا الموحد هنا وهو تاريخ اليمن الشعبي وأحداث ملوكها وأبطالها ، بحيث تكونت لنا مادة لكتابين ، وفعلهما في هذا هو نفس فعل ابن إسحق وغيره من المجمعين الأوائل للتاريخ وللتاريخ الشعبي على السواء . أما دور الأخير فقد أسميناه باسم عصر التأليف ونحن نقصد هنا المعنى الحرفي للكلمة ، أي أنه لا يبدع إبداعاً خلاقاً ، وإنما هو يؤلف بين نصوص وأفكار وروايات وصلت إليه مضيفاً إليها حس عصره ، وثقافة هذا العصر ، ومضيفاً إليها مادته الإسلامية وموقفه الوجداني والفكري على السواء .

فدور ابن هشام إذن مرحلة بين مرحلتين ، هو الواسطة بين روّاد الجمع الشعبي الأوائل وبين المبدعين التالين له من أصحاب السير الشعبية الضخمة والعظيمة والمبتدعة ابتداعاً روائياً كاملاً من أصحاب **عنترة وسيف وذات الهمة والظاهر بيبرس وحمزة البهلوان** . . ولهذا فإن أعمال ابن هشام سواء في التيجان أو في أخبار ملوك اليمن لعبيد تتميز بالأسلوب العربي المتقن ، وبأنها تعكس ذوق العصر .

بقي أن نذكر أن الأستاذ كرنكو محقق التيجان وأخبار ملوك اليمن حاول انكار وجود شخصية عبيد بن شرية وتصور أنها شخصية مختلقة ، ولسنا نناقش هذا الافتراض لأنه عبث ، فابن النديم يقرر أنه رأى كتاب عبيد بن شرية وابن خلكان يقرر أنه رأى كتاب وهب بن منبه في تاريخ اليمن . . . وهذه الكتب اختفت فترة طويلة وسط كل ما اختفت فيه صورنا الحضارية من إهمال أو غباء أو عبث الأيدي التي لعبت في تاريخنا كله ـ ولكن ها هو سجين ، أو ها هما سجينان في سجن صنعاء يقطعان مرحلة الصمت والوحدة بنسخ أعظم ما وصل إلينا من كتب تاريخ اليمن القديم ـ وها نحن عن طريقهما نصل الحبل بسجلين رائعين يكملان معاً التاريخ الشعبي لجزء رئيسي من مكونات حضارتنا العربية ، ويصلانا معاً من وضع رجل رائد في تاريخ التأليف العربي القصصي . . فيرسمان معاً أول صورة من صور الفن القصصي العربي ، في صورته الشعبية والرسمية معاً .



فيزيائية



ألجستروم :

وحدة طولية يستخدمها الفيزيائيون **لقياس الأبعاد الذرية** ، كما تستخدم أيضاً في **قياس أطوال موجات الضوء والموجات القصيرة جداً** ، وهي تنسب إلى **العالم السويدي أندرز ألجستروم** ، وهي تساوي جزءً من مائة مليون من السنتيمتر .



بارومتر زئبقي :

جهاز يستخدم في **قياس التغيرات التي تحدث في الضغط الجوي** ، وهو يتركب عادة من أنبوبة طويلة زجاجية يبلغ طولها تسعين سنتيمتراً ، مغلق أحد طرفيها ، ويحتوي على **الزئبق** الذي يرتفع وينخفض داخلها تبعاً لوزن **الهواء الجوي** . **ويعود الفضل في اكتشاف البارومتر إلى العلامة الفيزيائي تورشيللي** الذي كان **أول من اكتشف أن الهواء له وزن** وذلك عام ١٦٤٣م .



تبخر :

هو عملية تحول أي مادة في الحالة السائلة إلى بخار ، وذلك بالتسخين إلى درجة الغليان ، ويستفاد **صناعياً** من عملية التبخر في تركيز المحاليل ، حيث يتم تبخير المذيب الموجود في المحلول .

ثقل (وزن) :

مقدار قوة الجاذبية التي تؤثر على أي جسم ما ، وينبغي عدم الخلط بين وزن الجسم وكتلته ، **فالوزن** هو مقدار جاذبية الأرض للجسم ، أما **الكتلة** فإنها كمية المواد الداخلة في تكوين جسم ما . ويقاس **الثقل أو الوزن** بوحدات القوة بينما تقاس الكتلة بالكيلوجرام أو غير ذلك .



جاذبية أرضية :

قوة الجاذبية الناتجة على الأرض ، التي تؤثر على وزن أي جسم ما ، وهي المسؤولة عن جذب الأجسام إلى أسفل تجاه الأرض ، **ويزداد مقدار الجاذبية ، وتزداد قوتها كلما اقتربت الأجسام من مركز الأرض** ، ويقل مقدارها كلما ابتعدنا عن سطح الأرض في الفضاء ، إلى أن نصل إلى **منطقة انعدام الوزن** ، حيث تتحرر الأجسام من تأثير قوة الجاذبية الأرضية . ويرجع الفضل في اكتشاف الجاذبية إلى العالم الإنجليزي **سير إسحاق نيوتن** ، الذي صاغ قانون الجاذبية الذي ينص على أنه إذا وضع جسمان في الفراغ تنشأ بينهما قوة جذب تتناسب طردياً مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسياً مع مربع المسافة بينهما . وتختلف قوة الجاذبية من مكان إلى آخر على سطح الأرض نتيجة للبعد أو القرب من مركز الأرض .





حرارة كامنة :

كمية الحرارة التي تمتصها مادة ، أو تبثها عندما تتغير حالتها من الصلابة إلى السيولة ، أو من الحالة السائلة إلى الحالة الغازية ، **والحرارة الكامنة للانصهار** هي كمية الحرارة اللازمة لتحويل جرام واحد من المادة من الحالة الصلبة إلى الحالة السائلة ، بينما تعرف **الحرارة الكامنة للتبخير** بأنها كمية الحرارة اللازمة لتحويل جرام واحد من السائل إلى بخار عند درجة الغليان .



الخاصية الشعرية :

أحياناً ترتفع بعض السوائل كالماء والكيروسين في الأنابيب الضيقة أو الشعرية المفتوحة الطرفين ، وأحياناً ينخفض بعضها مثل **الزئبق** ، وتسمى هذه الخاصية **بالخاصية الشعرية** ، ويحدث الارتفاع للسائل في الأنبوبة الشعرية حينما تزيد قوة التلاصق بين جزيئات السائل وبين جدار الأنبوبة على قوة التماسك التي تربط جزيئات السائل ببعضها البعض ، ويحدث الانخفاض للسائل في الأنبوب حينما تزيد قوة التماسك على قوة التلاصق ، وكلما كان القطر الداخلي للأنبوبة الشعرية ضيقاً زاد ارتفاع السائل في الأنبوبة ، وللخاصية أهمية قصوى في ارتفاع المياه في التربة ، وفي جذور وسوق النباتات .



درجة الحرارة :

وهي تمثل **درجة السخونة أو درجة البرودة** ، ويعبّر عنها عادة بدرجات (**الفهرنهايت**) أو الدرجات المئوية ، وهي تعتمد على متوسط طاقة حركة جزيئات المادة في حيز معين ، ولدرجة الحرارة أهمية كبرى في تحديد اتجاه سريان الحرارة بين الأجسام المتماسة ، حيث تنتقل الحرارة من الأجسام الساخنة إلى الأجسام الباردة ، ونظرياً ، فإن أقل درجة حرارة يمكن الوصول إليها هي ٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر .



ذرات موسومة : Tagged atoms

وهي عبارة عن ذرات لها نشاط إشعاعي ، كما يطلق هذا الاسم أيضاً على **النظائر المشعة للعناصر** غير المشعة بطبيعتها والتي تعرف باسم (**المقتفيات**) .



الرنين : Resonance

حالة يكون أثناءها تردد التذبذب الطبيعي لجسم ما أو مجموعة من الأجسام متوافقاً مع تردد قوة خارجية لها نفس التردد الطبيعي للجسم أو لمجموعة الأجسام ، ويلاحظ أن الرنين يؤدي إلى تكوين ذبذبات تزيد سعتها عن الذبذبات التي تحدث حينما لا يكون هناك توافقاً بين تردد الأجسام وبين تردد أي قوة خارجية ، وتطبق هذه الحالة تكنولوجياً على كل أجهزة الاستقبال اللاسلكية مثل **المذياع والتليفزيون** وغير ذلك ، حيث يكون تردد المذياع أو التليفزيون في حالة توافق مع الموجات الإذاعية التي يستقبلها كل منهما .



الزيغ اللوني : Chromatic abberration

الزيغ هو عدم وضوح الصورة التي تكونها **العدسات والمرايا** ، أما الزيغ اللوني فهو ينتج عن قصور العدسات عن تجميع ألوان الضوء المختلفة في نقطة واحدة هي **البؤرة** ، وتكون الصورة في هذه الحالة محاطة بخطوط ملونة ، وهو ينتج بسبب الانكسار غير المتعادل للأشعة اللونية النافذة من خلال العدسة ، ويمكن إزالة **الزيغ اللوني** عن طريق استخدام عدسات خاصة (لا لونية) .



سائل :

إحدى حالات المادة التي تكون فيها الجزيئات لديها القدرة على تغيير وضعها بالنسبة لبعضها البعض ، لكنها تكون مقيدة بقوى رابطة تجعل السائل يتخذ حجماً ثابتاً نسبياً ، والسائل غير قابل للانضغاط وهو يتشكل بشكل الإناء الحاوي له ، وهو يتحول إلى **غاز** عند تبخيره ، كما يتحول إلى **مادة صلبة** عند تبريده حتى درجة التجمد .



مادة شبه شفافة :

أي مادة لا تسمح بنفاذ أشعة الضوء من خلالها كلية ، بل تسمح بنفاذه

جزئياً ، شريطة أن تنشر هذه المادة الأشعة بحيث لا يمكن أن تميز الأشياء خلالها بوضوح ، ومن هذه المواد الشبه شفافة تصنع أنابيب المصابيح النيون (**الفلوروسنت**) .



الصفر المطلق :

درجة الحرارة التي لا تمتلك عندها الأجسام أي طاقة حرارية ، ولما كانت الحرارة هي **الطاقة الكينتيكية** التي تحرك جزيئات المادة ، فإنه عند الصفر المطلق لا توجد حركة للجزيئات بالنسبة لبعضها البعض ، وتبلغ درجة حرارة الصفر المطلق : ٢٧٣° مئوية .



الضوء :

أشعة كهرومغناطيسية تعرف **بالفوتونات** وهو أحد أنواع الطاقة ، وقديماً كانت تطلق كلمة الضوء على الأشعة التي تستطيع العين إدراكها ، لكن هذه الكلمة اتسع الآن نطاق استخدامها لتشمل الأشعة غير المرئية مثل **الأشعة دون الحمراء ، أو الأشعة فوق البنفسجية** ، ويسري الضوء في الهواء بسرعة تصل إلى حوالي ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية ، ولكن هذه السرعة تقل حينما يمر الضوء خلال المواد الشفافة كالماء أو الزجاج .



طاقة إشعاعية :

ويقصد بها بعض أنواع الطاقة التي تنتقل في الفراغ في صورة موجات كهرومغناطيسية بسرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية) مثل **الأشعة السينية** ، والموجات اللاسلكية ، والأشعة الشمسية .



ظاهرة : Phenomenon

أي حدث أو حقيقة يمكن ملاحظتها ووصفها علمياً ، كما يراد بها الحقيقة أو الحدث غير العادي أو النادر . وترجع أهمية دراسة **الظواهر الطبيعية** إلى أنها تؤدي إلى اكتشاف القوانين العامة ، والخواص المشتركة للمواد الموجودة في الطبيعة ، حتى يتسنى للإنسان فهمها ودراستها ومعرفة كنهها .



عدسة :

أداة شفافة مصقولة بشكل خاص ، تستخدم كأداة لتجميع أو تفريق الحزم الضوئية المتوازية التي تمر فيها ، وهي تصنع غالباً من **الزجاج** ، أو من بعض أنواع **البلاستيك** ، وتجمع العدسات أشعة الضوء الساقطة عليها في نقطة واحدة تسمى « **البؤرة** » . وهناك **نوعان رئيسيان من العدسات : لامة** ، وهي تجمع أشعة الضوء ، **ومفرقة** ، وهي تشتت الأشعة الساقطة عليها ، ولعدسة العين أهمية خاصة في رؤية الأجسام . أما **العدسة الإلكترونية** فهي أحدث ما توصل إليه العلم الحديث في هذا المجال ، وهي تستخدم لتجميع أو تفريق حزمة من الإلكترونات ، وتستخدم في الميكروسكوب الإلكتروني .



غاز :

إحدى حالات المادة التي تكون فيها الجزيئات غير مقيدة بقوى التماسك التي تربط جزيئات المادة ببعضها البعض ، **والغاز ليس له أي شكل أو حجم معين** ، فهو يتمدد إلى ما لا نهاية ، حيث يملأ أي فراغ أو إناء يحويه ، وجزيئات الغاز أسرع حركة وأكثر بعداً بعضها عن بعض من جزيئات السائل أو المواد الصلبة ، ويمكن عادة إسالة أي غاز عن طريق التبريد ، أو عن طريق زيادة الضغط الواقع عليه ، أو بهما معاً ، ويشتمل الغلاف الحيوي للأرض على مجموعة كبيرة من الغازات المكونة للهواء مثل **الأوكسجين ، والنتروجين ، وثاني أكسيد الكربون** .



الفيزياء :

العلم الذي يهتم بدراسة الخواص والتغيرات والتفاعلات التي تحدث بين المادة والطاقة ، وينقسم هذا العلم إلى عدة شعب مثل **الضوء ، والصوت ، وخواص المادة ، والحرارة ، والكهرباء ، والمغناطيسية ، والإشعاع** ، ثم **الفيزياء النووية** التي تعتبر أحدث الفروع التي أضيفت إلى الفيزياء . ولا تتوقف دراسة الفيزياء على الظواهر الطبيعية للمادة والطاقة ،

لكنها قد امتدت لتشمل المجالات الكيميائية كالمحاليل، واحتراق المواد والبلورات، مما أدى إلى نشوء فرع آخر من الدراسة هو **الكيمياء الفيزيائية**.



قانون التربيع العكسي:

يستخدم في حالات كثيرة ليصف العلاقة بين قوى الجذب التي تحدث بين الأجسام المختلفة، أو بين الأقطاب المغناطيسية، أو بين صور الطاقة، وهو ينص على أن شدة الطاقة الواردة من مصدر تتناسب عكسياً مع مربع البعد عن المصدر، أي أن شدة الطاقة تتناقص كلما ازداد مربع البعد عن المصدر، وعلى سبيل المثال، إذا وضع قضيبان مغناطيسيان مختلفان في الفراغ تولدت بينهما قوة جذب تتناسب عكسياً مع مربع المسافة بينهما، فإذا ضوعفت هذه المسافة فإن قوة الجذب في هذه الحالة تبلغ ربع قوة الجذب في الحالة الأولى.



الكتلة:

هي مقدار ما يحتويه الجسم من مادة، معبراً عن ذلك بوحدات الجرام، أو الكيلوجرام، أو الرطل أو غير ذلك، وطبقاً **لنظرية النسبية** تتوقف كتلة الجسم المتحرك على سرعته، فكلما ازدادت السرعة قلت الكتلة، ولكن إذا كان الجسم ثابتاً فإن الكتلة تظل ثابتة. ولا تتوقف كتلة أي جسم على وزنه أو حجمه ولذلك فإن كتلة أي جسم لا تتغير من مكان إلى آخر.



اللتر:

وحدة لقياس الحجوم، وهو يساوي الحجم الذي يشغله كيلوجرام واحد من الماء النقي عند درجة حرارة تساوي ٤ درجات مئوية، وتحت ظروف الضغط الجوي العادي، واللتر يساوي ١٠٠٠ سنتيمتر مكعب.



المانومتر:

جهاز لقياس ضغط السوائل والغازات يتكون من **أنبوبة زجاجية** على شكل حرف (U) بالإنجليزية، وتكون الأنبوبة مدرجة على سطحها الخارجي بحيث يمكن قراءة ضغط السائل أو الغاز بسهولة.



نظرية النسبية:

نظرية وضعها الفيزيائي الشهير **ألبرت أينشتين** كنظرية خاصة عام ١٩٠٥م، ثم كنظرية عامة في عام ١٩١٥م، والأساس في هذه النظرية أن مفهوم المكان والزمان مفهوم نسبي، كما تنص على أن سرعة الضوء ثابتة، وهي أكبر السرعات الموجودة في الطبيعة، وتستخدم النسبية في حساب العلاقة التبادلية بين المادة والطاقة، والتي عبَّر عنها أينشتين بقانونه الشهير (ط = ك × ع^{2}) حيث ط = الطاقة، ك = الكتلة، ع^{2} = مربع سرعة الضوء، ولقد أدت هذه النظرية إلى التخلي عن **فكرة الأثير** التي افترضها الفيزيائيون قبل ذلك لتفسير انتقال أشعة الضوء في الفضاء، كما أدت إلى اكتشافات مثيرة، وساعدت في إجراء الكثير من البحوث في مجال ميكانيكا الموجات والجسيمات الأولية الداخلة في تكوين الذرة.



هيجرومتر:

جهاز لقياس الرطوبة الموجودة في الهواء، أو في غيره من الغازات.



وحدة حرارية بريطانية:

وحدة لقياس الحرارة مثل **السعر (الكالوري)**، وهي تساوي كمية الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة رطل واحد من الماء درجة واحدة فهرنهيتية، والوحدة الحرارية البريطانية تساوي ٢٥٢ سعراً.



يوكاوا:

فيزيائي **ياباني** من مواليد عام ١٩٠٧م، حصل على **جائزة نوبل للفيزياء** تقديراً لجهوده العلمية حيث تنبأ **باكتشاف الميزون** ـ أحد الجسيمات الأولية الدقيقة في الذرة ـ عام ١٩٣٥م.

مناقشات

و تعليقات

أوروبا .. والأندلس

قرأت بإمعان مقالة الأستاذ **سليم طه التكريتي** المنشورة تحت هذا العنوان في عدد شهر نيسان وأيار (أبريل ومايو) من عام ١٩٨١ م ، من مجلة « **الفيصل** » (العدد ٤٨) وتوقفت كثيراً أمام ما جاء به المؤلف على أنه حقائق غريبة غابت أول ما غابت عن أعين الباحثين المتخصصين في الدراسات الأندلسية ، ولكم عجبت لكثرة الأسماء والألقاب والوثائق التي أوردها في المقالة حتى ليخيل للقارئ العادي ، أو حتى المثقف البعيد عن المجال ، أن هذه فعلاً حقائق ، أو أن هذا ما حدث فعلاً في التاريخ . ولما كانت المقالة حافلة بعبارات الزهو والفخر التي تلمس بعض نواحي تاريخنا العربي الإسلامي فإن كثيراً مما بها قد يصدق على أنه حقيقة .

لنأخذ بيد القارئ الكريم ونطلعه على بعض ما جاء في هذه المقالة موضحين نقاط الضعف التي بنيت عليها .

● **أولاً** : يجب التسليم بالحقيقة التاريخية السليمة التي أشار إليها المؤلف ، والقائلة بأن أوروبا اغترفت العلوم والفنون من **الأندلس العربية** ، فتلك حقيقة لا شك فيها ، وإن كان ذلك لا يعني أن **الحروب الصليبية** لم تكن معبراً أساسياً لتلك الحضارة إلى أوروبا فالقول بذلك ليس مقولة باطلة ومغرضة ، صحيح أن هذا الاتصال قد تم قبل ذلك ــ كما يقول المقال ــ عن طريق الأندلس وجنوب إيطاليا وفرنسا .

● **ثانياً** : خلط المؤلف بين الأمير الأندلسي هشام الأول المتوفي في سنة ١٨٠ هـ ، ٧٩٦ م ، وأطلق عليه باستمرار لقب هشام الثالث ، بينما هشام الثالث هذا هو أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر وتمت مبايعته في ربيع الأول سنة ٤١٨ هـ ، وتوفي سنة ٤٢٧ هـ .

ما أحب أن أوضحه هو أن أياً من الهشامين لم يكن ممن يسمح له عهده بإقامة صلات مع ملك إنجلترا لأن أولهما هشام الأول أو هشام الرضى قد ولي الأمر في الأندلس ، بعد وفاة والده **عبد الرحمن الداخل** في سنة ١٧٢ هـ ، واستمر حكمه إلى أكثر من سبع سنوات حتى توفي في سنة ١٨٠ هـ ، كان حسن السيرة ، متحرياً للعدل وشغل عهده كله في محاولات للإصلاح الداخلي ، وبعض الحملات الخارجية التي أرسلها للقضاء على بعض بذور الممالك المسيحية التي كانت قد بدأت تنمو في ذلك الوقت ، ولقد كانت الأندلس على عهده حديثة عهد بالاستقرار ولم تكن قد خطت بعد خطواتها الأولى في مجال الترقي والازدهار ، حيث إن عهد عبد الرحمن الداخل ، وأيضاً عهد هشام الأول قد استغرقا في تثبيت دعائم حكم الأسرة الأموية في الأندلس ، وفي وضع لبنات تطوير هذا المجتمع ، لكنه على عهدهما لم يكن قد بلغ مرحلة كبيرة من الرقي الاجتماعي بحيث يمكن أن نصدق ما يقوله كاتب المقال من أنه « قد ازدهرت العلوم والفنون في الأندلس ازدهاراً منقطع النظير ، وعلى وجه التخصيص في عهد الخليفة هشام الثالث وابنه الخليفة الحكم » لاحظ أن المقصود هنا هو هشام الأول وليس الثالث .

أما عن هشام الثالث فهو أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وقد ولد في سنة ٣٦٤ هـ ، وبويع في فترة الفتنة خليفة على الأندلس في شهر ربيع الأول سنة ٤١٨ هـ ، وتلقب بالمعتد بالله ، ولم يكن أبداً بالخليفة فعلاً ، فحينما بويع كان يقيم في حصن يدعى « **البنت** » عند **أبي عبد الله محمد بن عبد الله** المتغلب على هذا الحصن ، وبقي هشام بعد مبايعته ينتقل في الثغور ثلاثة أعوام لا يستقر بموضع ، ودارت هنالك فتن عظيمة بين الرؤساء المتغلبين ، واضطراب شديد إلى أن اتفق أمرهم ، واجتمع رأيهم على أن يسير إلى **قرطبة** قصبة الملك ، فسار إليها ودخلها في الثامن من ذي الحجة سنة ٤٢٠ هـ ، فلم يقم بها إلا يسيراً حتى قامت عليه طائفة من الجند فخلع . وجرت أمور يطول شرحها من جملتها إخراج هذا الخليفة المعتد بالله « هشام الثالث » من قصره هو وحشمه ، والنساء حاسرات عن أوجههن ، حافية أقدامهن ، إلى أن أدخلوا الجامع الأعظم على هيئة السبايا ، فأقاموا هنالك أياماً يتعطف عليهم بالطعام والشراب إلى أن خرجوا عن « قرطبة » وظل هشام يتنقل في الثغور لاجئاً هنا وهناك إلى أن مات في سنة ٤٢٧ هـ ، وواضح أن خليفة هذه صفاته لا يمكن أن تقوم بينه وبين ملوك العالم مراسلات ، وأن يستقبل بعثات ، وأن يتفق عليها من بيت مال المسلمين ، في الوقت الذي لم يملك فيه أن ينفق على عائلته .

● **ثالثاً** : ننتقل إلى مناقشة الوثيقتين التاريخيتين الواردتين بالمقالة على أنها تبودلا بين ملك إنجلترا وهشام الثالث المتوفي ١٨٠ هـ ، ٧٩٦ م ، كما تقول المقالة وملاحظاتي كالتالي :

(أ) إن الوثيقتين مزورتان تزويراً واضحاً ، وأسلوبهما لا يتفق بأي حال مع أساليب العصور الوسطى ، ولا يمكن مقارنة هذه الرسائل بأساليب الإنشاء العربية الرائعة والعميقة السائدة في تلك الفترة .

(ب) ملك إنجلترا يصف نفسه بأنه « جورج الثاني ملك إنجلترا والغال والسويد والنرويج » فيرد عليه خليفة الأندلس قائلاً : « إلى ملك إنكلترا وأيسكوسيا واسكنديناوة » .

مناقشات و تعليقات

(ج) إذا كان المقصود هو هشام الأول لأنه هو الذي توفي في سنة ١٨٠ هـ ، فلم يكن من الممكن أن يوقع قائلاً « خليفة رسول الله » لأن أمراء بني أمية لم يتلقبوا بألقاب الإمارة إلا في سنة ٣١٧ هـ ، على عهد **عبد الرحمن الناصر** .

(د) وأكثر الأمور وضوحاً في التزوير والوضع في الوثيقة هو اسم الملك الإنجليزي الذي أرسلها إلى هشام « أي هشام » فالملك جورج الثاني قد تولى الملك في إنجلترا بعد وفاة والده اعتباراً من عام ١٧٢٧ م ، وامتد حكمه إلى عام ١٧٦٠ م ، وكان مولده في عام ١٦٨٣ م ، فكيف يعقل إنسان أن يقوم هو بمراسلة ملك أو أمير قبل مولده بما يقرب من ٩٠٠ سنة .

(هـ) بل والأدهى من ذلك أن إنجلترا في ذلك الوقت « أي على عهد هشام الأول » لم تكن مملكة متحدة ، بل كانت مجموعة من الممالك والاقطاعات التي أقامها الغزاة السكسون ، كانت السيادة فيها لمملكة نورثمبريا حتى سنة ٦٥٨ م ، ثم نزلت عنها لمملكة مرسيا حتى وفاة الملك أوفا سنة ٧٩٦ م ، أي سنة وفاة هشام الأول وظلت إنجلترا على هذا النحو من التنافس والنزاع والحروب الداخلية حتى جاء الرانيون من بلاد الدانمرك لكي تبدأ صفحة جديدة من الحروب على أرض الجزر البريطانية لم تستقر نهائياً إلا في القرن الحادي عشر الميلادي .

(و) أما الأميرة « **أليزابيث** » ابنة خال **لويس السادس عشر** والتي رأست إحدى البعثات الموفدة إلى الأندلس في ذلك العهد ، فليس من المعقول أن ننشر مثل هذه الخرافات ، لأن الملك لويس السادس عشر ملك فرنسا والذي أوفدها إلى هناك قد حكم في فرنسا من عام ١٧٧٤ م ، وتم إعدامه على يد قادة الثورة الفرنسية في يناير سنة ١٧٩٣ م .

ثم نصل إلى النقطة الخاصة بقيام المهندسين العرب ببناء جسر على نهر التيمس ، وأن هذا الجسر قد أطلق عليه جسر هشام تمجيداً لذكرى الخليفة الأموي هشام الثالث ، الذي أوفد أولئك المهندسين فلن أرد عليها لأنها بينة السقوط بنفسها ، وواضح أنها مجرد خيال لأن هشام الثالث ـ كما بينت ـ ليس بالخليفة الذي يوفد مهندسين ولم يكن لديه السلطة أو القدرة للقيام بذلك .

وأختم تعليقي هذا بالإشارة إلى صيغة استعارة الخدمات من قبل الفنيين والخبراء في الأندلس قائلاً بأنه ليس من المصدق أو المعقول صيغ العقود التي أشار إليها كاتب المقالة المذكورة أو صيغ التعاقد التي كانت تتم بين الحكومات الأوروبية وبين الفنيين والخبراء أنفسهم .

د . محمد عبد الحميد عيسى
مدرّس التاريخ الأندلسي في كلية التربية
جامعة عين شمس ـ القاهرة

منهج المحدثين

قرأت الموضوع الهام ، الذي نشرته مجلة « **الفيصل** » الغراء في عددها رقم (٦٦) تاريخ ذي الحجة ١٤٠٢ هـ . بعنوان (**أثر منهج المحدثين في المنهج الأوروبي التاريخي الحديث**) ، بقلم الكاتب المطلع **الدكتور أحمد عمر هاشم** . ولقد أبدع الكاتب بسرد طرق التحمل ، والأداء عند المحدثين المسلمين . حين ذكر منها ـ طرق : السماع ، القراءة ، الإجازة ، المناولة ، المكاتبة ، الإعلام ، الوصية ، الوجادة .

وأحب في هذا المجال أن أضيف على ما أورده الكاتب النحرير من الطرق : **طريق (البلاغ)** ، ومن صيغ الأداء عن هذا الطريق (**قرأ علي البلاغ**) .

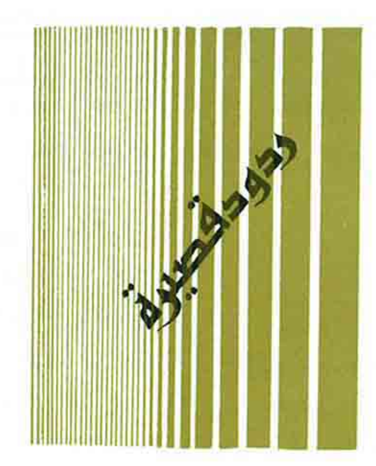
ثم يذكر أسماء من سمعوا وقرأوا البلاغ . ومعنى البلاغ هو قراءة التلميذ عن شيخه المحدث العالم جزءً من أجزاء الكتاب وعلى التلميذ أن يضع إشارة وعلامة البلاغ حين الانتهاء . ويكتب البلاغ عادة في حاشية الكتاب بجانب علامة انتهاء البلاغ مع التاريخ وأسماء من سمعوا وقرأوا .

وقد ذكر ذلك العلامة **السيوطي** في شرحه لتقريب الإمام النووي ، وأحال إلى ما جاء به **الخطيب البغدادي** في كتبه .

كما أن هناك نموذجاً لعدة بلاغات كتبت عن العلامة المحدث (**ابن الطيوري**) ، والعلامة (**ابن قدامة المقدسي**) وقرأها العلماء المقدسيون سنة ٥٦٧ هـ ، (بكتاب عن المغازي) في **المدرسة الضيائية** . وقد استقرت أوراق من هذا الكتاب في **المكتبة الظاهرية بدمشق** .

وأخيراً أشكر الدكتور أحمد عمر هاشم على سعة اطلاعه ، ودفاعه عن السنّة المحمدية ، وحضارة الإسلام ، راجياً لمجلة « **الفيصل** » العزة والتقدم .

محمد عدنان الجوهرجي
دمشق ـ سورية



● **الأخ بلوكريف ـ الجزائر**

مجلة « **الفيصل** » كما ترى ثقافية علمية شهرية ، ولا تتطلب أن يكون لنا مندوب أو مراسل . وهي ترحب بأي تعاون لقاء مكافآت مقطوعة تحكمها لائحة المجلة الداخلية .

● **الأخ زاير الجيلاني ولد محمد ، ولاية سيدي بلعباس ـ الجزائر**

بإمكانك الحصول على المجلة من مكتبات الجمهورية الجزائرية .

● **الأخ عيسى جمال بن عمر ، ولاية بسكرة ـ الجزائر**

شكراً لرسالتك الرقيقة التي تحمل الكثير من معاني الحب والوفاء . إن باب الاشتراك في المسابقة مفتوح لكل قارئ عربي ، وما عليك إلا أن تجيب على الأسئلة المطروحة في كل عدد بعد الاطلاع على شروطها المنشورة إلى جانب المسابقة .

● **الأخ يسري هزاع ، دير الزور ـ سورية ، والأخ عبد الكريم عثمان ، ولاية البليدة ـ الجزائر**

الكتب التي تنشر المجلة عنها في باب (كتب وردت إلى المجلة) هي كتب تأتي هدية من مؤلفيها ، وكل ما تستطيع المجلة عمله لخدمة القارئ التعريف بالكتاب ، وذكر اسم الناشر والمؤلف ، وهي بلا شك متوفرة في كثير من المكتبات العامة في مختلف البلاد العربية . والمجلة لا تعرف أسماء وعناوين المكتبات التي توجد بها هذه الكتب . ويمكنكما البحث عنها في المكتبات العامة في بلديكما .

● **الأخ عصام عبد الله عبد الجليل ، سوهاج ، سفلاق ـ مصر**

شكراً لملاحظتك القيّمة ، وقد غيرنا طريقة الغراء فاستعملنا التدبيس كما تلاحظ .

● **الأخ مروان عبد الله العاني ، سوق الشيوخ ـ العراق**

شكراً لبطاقة التهنئة التي بعثتها إلينا ، متمنين لك التوفيق ، ونرجو أن نكون عند حسن الظن .

● **الأخ عبد العزيز بن مرتضى ، زنجوا ـ أجيجي ، ولاية لاجوس ـ نيجيريا**

نشكر لك مشاعرك الرقيقة نحو المجلة . وحيث إن هذه المجلة ثقافية فبإمكانك تبادل الرسائل مع المهتمين بتبادل الرسائل .

● **الأخ محمد موسى عبد العزيز ، الجوف ـ المملكة العربية السعودية**

« **الفيصل** » ـ كما تعلم ـ مجلة ثقافية ، وليست مكتبة عامة تبيع الكتب . ولأن الدكتور عبد السلام العجيلي من الأدباء السوريين ، فإننا من باب النصح ، نقترح عليك أن تسأل عن مؤلفاته في المكتبات السورية . وقد تجدها في مكتبات المملكة وكذلك في مكتبات عربية أخرى .

● **الأخ محمد محمد عبده ريان ، محافظة دمياط ـ مصر**

نقدر مشاعرك الدينية ، وكما ترى فالمجلة ليس بها أبواب تتعلق بالموضوع الذي أرسلته . ومع هذا فإن الموضوع محاولة جيدة . . ونأمل أن نتلق منك في المستقبل ما يناسب الموضوعات التي تنشر في المجلة .

● **الأخ أحمد إبراهيم برعي ، الجيزة ـ مصر**

تتم كتابة المقالات عادة للصحافة على وجه واحد من الورقة . . محاولتك لا بأس بها . نتمنى لك التوفيق في المرات القادمة ، ونأسف لعدم تمكننا من نشر مقالك .

● **الأخ مزروع بن الصادق ، سيدي خالد ، ولاية جلاجل ـ الجزائر**

مجلة « **الفيصل** » توزع في جميع أنحاء الجزائر ، لذا يمكنك الحصول عليها من المكتبات .

● **الأخ فهد النويجم ، ضرما ـ المملكة العربية السعودية**

الكتابة عملية ليست بالسهولة التي تتصورها ، وإن ما تراه مناسباً للنشر قد يكون مجرد محاولات . نقترح عليك أن تتحلى بالصبر وتواظب على القراءة ، لا سيما قراءة القصص . . حتى تكتسب القدرة على الكتابة ، مع ملاحظة أن رسالتك إلينا توحي بأنك ما زلت في طور التجريب .

● **الأخ هشام كمال أبو الغيط ، كلية الطب ـ جامعة القاهرة**

نرجو أن تتابع الاطلاع على المجلة ، وستجد أن المادة العلمية هي محل اهتمامنا منذ فترة طويلة . ومرحباً بك صديقاً للمجلة ، وشكراً لما أبديتموه من ملاحظات .

● **الأخ عبد الرحمن سليمان صندل ، كوستي ـ السودان**

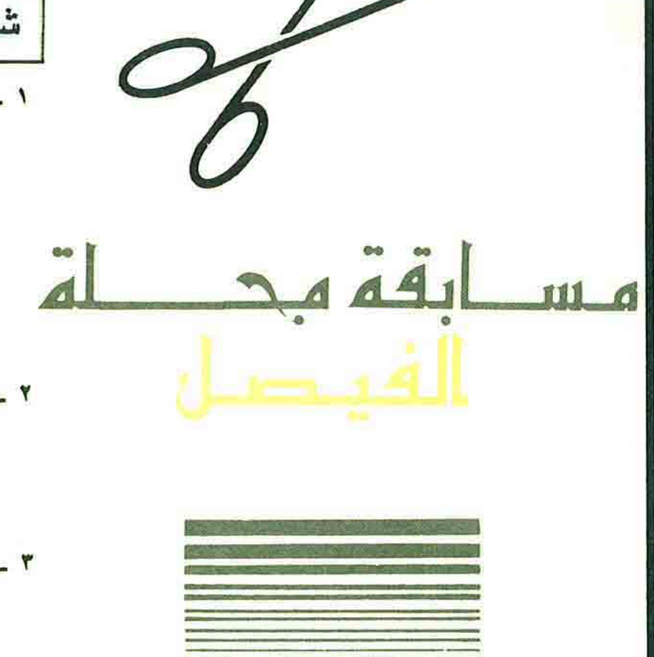
شكراً لملاحظتك ، وقد أدركنا هذه المشكلة ولا نزال نبذل كل جهودنا من أجل تلافيها .

● **الأخ يحيى سليم محمود عبد العال ، كلية الآداب ـ الخرطوم**

فكرة الأبيات التي جمعتها بعنوان « الشعر العربي وإكرام الضيف » فكرة لا بأس بها ، نأمل أن تكون بداية لاهتمامات أدبية شعرية تساعدك على كتابة أفكارك الخاصة ، ونحن نشاركك شعورك بما أشرت إليه من تبعثر أوراق المجلة ، وقد استعملنا أخيراً التدبيس بدلا عن الغراء .

● **الأخ غياث شابسيغ ، دمشق ـ سورية**

بإمكانك طلب الكتاب من الناشر (وزارة الثقافة والإعلام العراقية) .



شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ – قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ – الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال
ب – الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال
ج – الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي).

٢ – المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً – إن أمكن – مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣ – ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض – المملكة العربية السعودية – مجلة الفيصل – ص . ب (٣) المسابقة).
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤ – أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

٥ – من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة

نتائج مسابقة العدد (٦٤)

ج ١ أسماء مؤلفي الكتب الآتية هم :
الموازنة بين الطائيين : حسن بن بشر بن يحيى الأمدي.
نقد الشعر : قدامة بن جعفر، العمدة : ابن رشيق القيرواني.
جمهرة أشعار العرب : القرشي.

ج ٢ يقول الشاعر بطرس كرامة :

أمن خدها الوردي أفتنك «الخال»
فسحَّ من الأجفان مدمعك «الخال»
وأومض برق من محيا جمالها
لعينيك أم من ثغرها أومض «الخال»
رعى الله ذياك القوام وإن يكن
تلاعب في أعطافه التيه و«الخال»

الخال في صدر البيت الأول يعني : الشامة أو الحسنة، وفي عجز البيت نفسه يعني : السحاب، وفي عجز البيت الثاني يعني : البرق، وفي عجز البيت الثالث يعني : الكبرياء أو الخيلاء.

ج ٣ يعتبر **المشلح**، أو العباءة من أبرز الملابس العربية .. ويطلق عليه أيضاً بـ «البشت» وكلمة بشت : أصلها فارسي ومعناها «الظهر» ... ولأن أفغانستان كانت مشهورة بصنع العباءات الصوفية التي تغطي الظهر اتقاء للبرد فقد سميت «البشت».

ج ٤ المعروف أنه عند الاستقبالات الرسمية للشخصيات الكبيرة يفرش **بساط لونه أحمر** لأنه من المتعارف عليه منذ العصور القديمة أن اللون الأحمر لون ملوكي، وقد استعمله اليونانيون والفراعنة والفينيقيون وذلك لغلاء ثمنه من ناحية وصعوبة تأثره بالشمس من ناحية أخرى.

ج ٥ مع اختلاف أسباب موت كل من **امرئ القيس** الشاعر العربي، **وسقراط** الفيلسوف اليوناني إلا أنهما ماتا بوسيلة واحدة هي «**السم**».



قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٧١)

الاسم : ----------------------------
المهنة : ----------------------------
العنوان : ----------------------------

على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

السؤال الأول :

كان شاعراً ، وسيداً في قومه .. عادى الرسول عليه الصلاة والسلام إلى حد التفكير في اغتياله .. وحين وقع في الأسر أمر الرسول بأن يحسن إساره .. وكان يأتيه الطعام من منزل الرسول .. ويسق اللبن من ناقة الرسول صباحاً ومساءً .. ثم أمر الرسول بإطلاق سراحه فأعلن إسلامه .. وذهب إلى الكعبة معتمراً .. ويروى أنه أول من رفع صوته بالتلبية ، وأهل مكة حينئذ على الشرك .. جاهد مع رسول الله ، وحارب المرتدين من بعده ، ومات شهيداً في السنة الثانية عشرة للهجرة .. ما اسم هذا الصحابي ؟

السؤال الثاني :

اذكر اسم مخترع مانعة الصواعق من بين هذه الأسماء : (نيوتن ــ بنيامين فرانكلين ــ جراهام بل) .

السؤال الثالث :

« أما بعد ، أيها الناس ، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة » .

قائل هذه العبارة أحد الخلفاء الراشدين حين تولى الخلافة .. من هو ؟

السؤال الرابع :

أديب فرنسي .. زاره رئيس الجمهورية في منزله مهنئاً بعيد ميلاده .. أطلق اسمه على الشارع الذي كان يقع فيه مسكنه .. حين دخل مجلس النواب مرة وقف له جميع النواب احتراماً .. من أشهر رواياته تلك التي أحد أبطالها اسمه (جان فلجان) .. ترجمها إلى العربية أكثر من مترجم .. ما اسمه .. مع ذكر أسماء بعض الذين ترجموا روايته إلى العربية ؟

السؤال الخامس :

اذكر أسماء مؤلفي هذين الكتابين :

كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ــ كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .

• نتائج مسابقة العدد (٦٤) •

● فازت **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخت **زينب صلاح الدين شركس** من دمشق ــ سورية .

● وفازت **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخت **نورة محمد صالح البليهد** من الرياض .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ **أسعد محمد الشحري** ، من القريات .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من العراق ــ البصرة ، الأخت سناء عبد الجبار علي .

● من السودان ــ الخرطوم ، المحكمة ص . ب . (١٠٧) الفادني ، الأخ محمد الطيب إبراهيم مصطفى .

● من المغرب ــ مراكش ، ثانوية يعقوب المنصور ، سيدي يوسف بن علي ، الأخ الطيب بكرين .

● من الكويت ــ الرميثية ، ص . ب . (٣٢٠٠٦) ، الأخ أحمد رامي علي القطان .

● من المغرب ــ آسفي ، درب وادي الذهب ، الأخت كروي آمنة .

● من قطر ــ الدوحة ، الأخت صفية صالح سليمان العريان .

● من الأردن ــ عمّان ، الأخت هدى نمر السيد .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من العراق ــ محافظة بغداد ، قضاء الكاظمية ، محلة التل ، رقم الدار ٣٣/ ٤٥ ، الأخ عبد الكريم عبدان درويش .

● من مصر ــ الإسكندرية ، ١٤ شارع السلطان حسين ، محطة الرمل ، شقة (١) ، الأخ لطفي عباس محمد نعمان .

● من مصر ــ الأقصر نجع الطارف ، معهد القرنة الابتدائي الأزهري ، الأخ محمد يوسف حسن الحساني .

● من المغرب ــ مراكش ، الدرب الجديد ، السبتيين رقم (102) ، الأخ البزار عبد الحبيب .

● من سورية ــ دمشق ، جرمانا ، شارع الأس الشرقي ، ملك سليما أبو عقل ، الأخ أمير غازي الكحلوني .

● من سورية ــ محافظة درعا ، الأخت آمنة خالد سليمان .

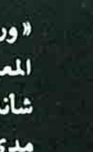
● من المجمعة ، ص . ب . (١٣٩) ، الأخ محمد عبد العزيز العولة .

● من المدينة المنورة ، الأخت نوال ربيع سليمان مرشد الرحيلي .

● من السودان ــ كسلا ، الأخت ثريا علي محمد عبد الله .

● من الجزائر ــ ولاية المسيلة ، بواسطة عقريب المختار ، شارع عبد القادر سمنوني ، الأخ خالد عقريب .

كتب وردت إلى المجلة



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شانه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

محمد الفراتي: شاعر وادي الفرات

تأليف أحمد شوحان.. تناول فيه بالدراسة حياة الشاعر السوري محمد الفراتي، حيث شملت الدراسة نشأة الشاعر، كفاحه الوطني وأدبه ونماذج من شعره في مجالات عدة. يقع الكتاب في (١٤٨) صفحة من القطع المتوسط، والكتاب من منشورات مكتبة التراث بدير الزور ـ سورية.

الساريات السياسية

ديوان شعر للشاعر اللبناني **عبد الوهاب ساري** يحوي عدداً من القصائد القومية والسياسية. ويعتبر هذا الديوان باكورة المنشورات الأدبية **للمصرف الثقافي** الذي أنشئ بلبنان في ١٢/٦/١٩٨١م. يقع الكتاب في (١٩٢) صفحة من الحجم المتوسط.

النجم الفريد

الكتاب يحتوي على مجموعة من القصص القصيرة لكتّاب غربيين نقلها إلى العربية الكاتب **عزيز ضياء**. يقع الكتاب في (١٣٤) صفحة من القطع المتوسط. أصدرته تهامة للنشر ـ جدة ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي.

الملامح الجغرافية لدروب الحجيج

الكتاب من تأليف **سيد عبد المجيد بكر**، يحتوي على دراسة جغرافية تاريخية لدروب الحجيج الآتية من كل فج. تحدث فيه المؤلف عن دور هذه الدروب في التراث الإسلامي ومنافعها وما تزخر به من معالم حضارية أثرية تعكس الوجه الحضاري للأمة الإسلامية في حقب مختلفة. والكتاب هو السادس من سلسلة الكتاب الجامعي التي تصدرها تهامة للنشر ـ جدة. يقع الكتاب في (٢٤٠) صفحة من القطع المتوسط.

بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ / ١١٧١ ـ ١٢٥٠م

الكتاب عبارة عن رسالة نالت بها مؤلفتها عائشة بنت عبد الله باقاس، رسالة الماجستير. وقد تناولت فيها بالدراسة أوضاع بلاد الحجاز قبل وخلال العصر الأيوبي مبرزة الدور الجهادي لصلاح الدين الأيوبي في حماية البحر الأحمر وبلاد الحجاز، كما تعرضت للفتن والاضطرابات التي صاحبت الفترة. وكذلك ألقت الضوء على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والازدهار التجاري الذي شهدته المنطقة خلال ذلك العصر وما رافقها من نهضة علمية وثقافية. والكتاب من منشورات نادي مكة الثقافي. يقع الكتاب في (١٤٠) صفحة من القطع المتوسط.

أفكار تربوية

الكتاب من تأليف **الدكتور إبراهيم عباس نتو**، يتضمن دراسة علمية مستفيضة ومزودة بالعديد من وجهات النظر والمقترحات التربوية التي يرى المؤلف صلاحيتها لنظام التعليم. يقع الكتاب في (٤٠٦) صفحات من القطع المتوسط وهو من سلسلة الكتاب العربي السعودي التي تصدرها تهامة للنشر ـ جدة.

أفكار بلا زمن

من تأليف **الأستاذ عبد الله الحصين**، وهو عبارة عن مقتطفات متفرقة في قضايا اجتماعية شتى وقد طرح المؤلف الكثير من الأفكار الموضوعية الهادفة. والكتاب يأتي رقم (١٩) من سلسلة الكتاب العربي السعودي التي تصدرها تهامة للنشر ـ جدة. يقع الكتاب في (١٧٠) صفحة من الحجم المتوسط.

النبش في جرح قديم

الكتاب يضم مجموعة جديدة من القصص القصيرة للمؤلف السيد عبد الرؤوف، بأسلوب ينقلك به المؤلف عبر قطاعات مختلفة من الحياة في قضايا شتى. والكتاب من مطبوعات تهامة. يقع الكتاب في (١٢٤) صفحة من الحجم المتوسط.

معلمة للتراث الأردني

من إعداد **روكس بن زائد العزيزي**، وتتكون من خمس أجزاء في التراث الأردني، وصلنا منها الجزء الأول الذي خصصه للأمثال الدارجة والحكم ومناسباتها. يقع هذا الجزء في (٥٨٠) صفحة من الحجم المتوسط. إصدار وزارة الثقافة والشباب في الأردن.

النظرية النسبية

الكتاب من إعداد كل من **الدكتور عبد الرحمن فكري حسن، والدكتور محمد عبد الهادي العدوي**، يتضمن شرحاً باللغة العربية لموضوع النظرية النسبية مع الاحتفاظ باللغة الإنجليزية في المعالجات الرياضية والقوانين الفيزيائية حيث إنها اللغة المشتركة للمؤلفات العلمية. يأتي الكتاب في ستة أبواب مزوداً بالأمثلة. يقع الكتاب في (١٥٢) صفحة من القطع المتوسط، وهو من سلسلة الكتاب الجامعي التي تصدرها تهامة للنشر ـ جدة.

الإسلام الفاتح

من تأليف **الدكتور حسين مؤنس**.. والكتاب عبارة عن رحلة ممتعة في تاريخ الفتوحات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها. فتوحات كان قوامها الدعوة الإسلامية نفسها بسماحتها وما تضمنته من حكمة وموعظة حسنة تنشرح لها القلوب، ولم يكن السيف في كل المعارك الإسلامية إلا لردع القوة التي تحول دون سريان الدعوة. الكتاب من سلسلة «دعوة الحق» التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة. يقع الكتاب في (٢٢٤) صفحة من القطع الصغير.

الحضارة.. تحد

من تأليف **الدكتور محمود محمد سفر**، وهو عبارة عن دعوة للأمة المسلمة لليقظة واستنفار روح المسلم الحق للعمل من أجل بناء حضارة متميزة في إطار مبادئ وقيم الإسلام، وإبداع الوسائل الكفيلة بحماية منجزات الأمة الحضارية من أمراض العصر.

والكتاب هو رقم (٢٤) من سلسلة الكتاب العربي السعودي التي تصدرها تهامة للنشر ـ جدة. يقع الكتاب في (١٣٨) صفحة من الحجم المتوسط.


طيران الجيش


TIHAMA R

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

انفروا خفافًا وثقالًا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ...

صدق الله العظيم

الآية رقم ٤١ سورة التوبة





بالجيش العربي السعودي

يدعوك للالتحاق جنديًا في صفوفه



بادر بمراجعة قيادة المنطقة العسكرية التي تسكن فيها أو قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى
وللمزيد عن المعلومات يرجى الاتصال بالتليفون رقم ٤٧٧٠٥٤٣/٤٧٧٠٥٤٧/١٠٣٠٠٩٣ الرياض .